الكاتب الفلسطيني

العدد "٨" نيسان "ابريل" ١٩٧٩



الكاتب الفلسطيني

العدد "٨" نيسان "ابريل" ١٩٧٩

تصدر مرة كل شهرين
عن
الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين

المواد التي تنشر تعبر عن
وجهات نظر اصحابها

●

الاشتراكات السنوية

٣٠ ل٠ل٠ في لبنان وسوريا
٦٠ ل٠ل٠ في بقية الاقطار العربية
١٠٠ ل٠ل٠ في اقطار العالم
١٥٠ ل٠ل٠ للمؤسسات

الغلاف الاول ثوب منطقة القدس (سنة ١٩٢٠) ٠

الغلاف الاخير

اسم اللوحة	اسم الفنان
ابو عصام	تمام الاكحل



مقالات ودراسات ادبية وفنية

شعر

قصص ومسرحيات

كتب

تقارير وبيانات

كلمة الكاتب

البترول، المال، السلاح، عبئاً!

سيظل البترول العربي سلاحا رقابنا على نصاله ·
وسيستمر المال العربي يكوي اجسادنا وينهش امكاناتنا ·
اما السلاح فسيتحول الى مجرد الاف الاطنان من الحديد يلقي بكلكله علينا ·

فاليترول المتدفق في وطننا العربي ، والمال المخزون في بنوك امريكا واوروبا ، والسلاح المكدس في المخازن والترسانات ، كلها عاجزة عن اضافة اي ايجابي الى قضيتنا الوطنية ، ناهيك عن قضايانا القومية العربية ·

فما دامت الشركات الاحتكارية العالمية تتحكم في بترولنا ··· وما دامت مليارات الدولارات العربية مودعة في بنوك الامبرياليات الغربية ، تستثمر لحساب هذه البنوك ، ولدعم كل ما هو مرشح للانهيار من الغرب ، ولترميم كل ما يتصدع في البناء الاقتصادي الامبريالي بينما التنمية في الاقطار العربية شبه مشلولة ومشاريعها عطشى للمال ··· وما دام الاعتناء موجه الى السلاح دون الانسان العربي ··· فان دربا بديلا لدرب الخيانة الذي سلكه السادات سيطول انتظاره ·

فمثل هذا الدرب يحتاج ـ قبل كل شيء ـ الى استخدام صحيح لسلاح البترول العربي ، والى توظيف سليم للمدخرات العربية ، والى ايداع السلاح في ايد انتهى قهرها وولى ذلها ·

صحيح ان هذه الاماني ستظل مجرد اوهام ، لان مالكي البترول والمال يعون ، تماما ، ما هم فاعلون ، وليسوا في غفلة من امرهم · اذ هم يدركون انهم في موقع واحد مع المعسكر الامبريالي · وهم لا يفتقرون الى نصيحة او ارشاد ·

ان مجابهة جادة مع الامبريالية الاميركية هي ، وحدها ، البداية الحقيقية لرصف درب ثوري بديل لدرب الخيانة والاستسلام ، الذي اكمل السادات رصفه ·

وجدية هذه المجابهة لا بد وان تنعكس على سلوك وممارسات الانظمة الوطنية العربية ، فتطل الحريات الديمقراطية على بلادها وشعوبها ، وتشرق شمس الجبهات الوطنية الحقيقية على اراضيها ، بما يفسح في المجال لبناء جبهة وطنية على المستوى القومي ، مؤهلة لمجابهة الخيانة والاستسلام ، قادرة على منازلة الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية ·

جبهة تملك الوضوح الفكري ، فتحدد هدفها البعيد واهدافها التكتيكية المرحلية ، وتسمي حلفاءها واصدقاءها ، وتسيج معسكر اعدائها ، وعلى رأسهم الامبريالية الاميركية ، وتخطط لاتجاه ضربتها الرئيسية ·

فبهذا ، وحده ، يمكن فتح الطريق الذي بدا مسدودا امام الجماهير العربية عموما ، وجماهير الشعب المصري بشكل خاص · فالسادات لا زال يتحدى الانظمة الوطنية العربية ـ ليل نهار ـ على ان تاتي بالبديل · والواقع العربي اخرس ، عاجز ، والبيانات الغاضبة والاستنكارات السهلة لا تكفي لوقف التدهور ، او الغاء الكارثة ·

الهدف واضح ، والعدو محدد ، وامكاناتنا لم تهدر ، بعد ، كلها · فقط المطلوب الاهتمام والاحساس بخطورة الموقف وبثقل المسؤولية التاريخية ··· فالقضايا المصيرية لا تنتظر العاجزين ، والتاريخ لا يرحم ·

عبد القادر ياسين

الكفاح المطلبي للطبقة العاملة الفلسطينية
(١٩١٨ - ١٩٤٨)

عبد القادر ياسين

عاش عمال العرب الفلسطينيون ، في ظل الانتداب البريطاني ، ظروفا قاسية ، من بطالة وانخفاض أجور ، وغياب التأمينات بأنواعها، ومحاربة سلطات الانتداب للتنظيمات النقابية العربية في فلسطين ، وأخيرا من جور التشريعات العمالية · وهذه **عصبة التحرر الوطني الفلسطينية** تقرر ، في المذكرة التي رفعتها الى **اللجنة الدولية** (١٩٤٧) « ان اوضاع العمال ، وخصوصا منهم الطبقة العاملة العربية ، في ظل الانتداب البريطاني ، تقدم أحسن الامثلة على موقف السلطة المنتدبة من مصالح السكان · لقد نكب العمال ··· بالبطالة ، وانخفاض الأجور ··· وبالاستغلال الوحشي ، وانعدام أي قانون ينص على حماية العمال · أضف الى ذلك ، أن السلطة الحاكمة كانت تحارب التنظيم النقابي وتقاومه أشد مقاومة ، وكم من مرة قضى ارهاب البوليس على محاولات العمال لتنظيم نقاباتهم · ولم يكن في قوانين فلسطين ، حتى سنة ١٩٤٥ ، من القوانين التي تعني بحماية العمال ، سوى قانونين اثنين بدائيين ، يتصفان بالرجعية والتأخر ، أحدهما يعني بشروط العمل للعاملات بالاعمال الصناعية ، والآخر يعني بمسائل تعويض العمال · وعلى الرغم من رجعية هذين القانونين ، فانهما لم يطبقا ، أبدا ، الا بالحبر وعلى الورق » (١) ·

التشريعات العمالية

ومنذ البداية تبنى الشيوعيون الفلسطينيون مسالة سن تشريعات عمالية

---

(١) عصبة التحرر الوطني بفلسطين · **طريق فلسطين الى الحرية** · يافا ، ١٩٤٧ ص ٥٢ ـ ٥٣ ·

تحمي العمال وتؤمن مستقبلهم · وهذه صحيفة « **حيفا** » ـ التي أصدرها الشيوعيون اواسط العشرينيات ـ تدعو الى سن قوانين منظمة لشؤون العمل · وفي افتتاحية عددها الثاني قالت : « لصاحب العمل في هذه البلاد الاستبداد المطلق ، والارادة التي لا نهاية لحدودها ، والحرية الواسعة بتغيير شروط الاتفاق وتخفيض أجور العمال أي وقت أراد ، وزيادة ساعات العمل ، لأي خاطر يخطر على باله ··· ذلك أن هذا القانون (قانون لحفظ حقوق العمال) يدفع هجمات وتهديد أصحاب العمل · ويكون الحائل الاكبر دون مطامع وهضم حقوق العمال ، ويقلل من المشاجرات والمشاغبات ، التي تجري يوميا في فلسطين ، فيما بين أصحاب العمل والعمال ، ويترك للعامل مجالا لتقدمه ونجاحه ، ورقيه، ادبيا واقتصاديا » (٢) ·

وكان كل الحق مع الصحيفة الشيوعية ، فتشريعات العمل كانت امتداد للتشريعات التركية ، اذ لم تكن ثمة تشريعات عمالية في فلسطين ، آنذاك ، سوى تلك الخاصة بتكوين الجمعيات المهنية (أو الحرفية) ، والمضمنة في قانون ٢٤ نيسان (١٩١٢) ، وهو بمثابة تعميم وتعديل لقانون ٢٦ شباط (فبراير) ١٩١٠ ، الذي يعيد تنظيم الطوائف الحرفية في القسطنطينية · ويهدف هذا القانون الى فرض أنظمة داخلية خطية على جمعيات يكون أعضاؤها الشرعيون ، بموجب هذا القانون ، من اسياد المهن ، والى اخضاعها للرقابة الادارية ، وتقوم غايته ـ في الأساس ـ على الحد من تحركها العنيف، كما يبدو من خلال قانون صدر في السنة ذاتها ، وفرض تنظيما (تعسفيا) للاضرابات ، وهو يحدد طريقة انتخاب لجان (نقابات) هذه الجمعيات ورؤسائها (رئيس ، نقيب) ، وكذلك غاياتها (الاشراف على المهنة وتنميتها ، العلاقات بين الحرفيين ، حل النزاعات ، الاسعاف والوقاية ، وادارة أموال الجمعية) ، كما يخضعها هذا القانون للرقابة المالية الادارية ، ويفرض عليها أن تكون ، عند الحاجة ، هيئات لنقل بعض قرارات السلطة · وبالتالي ، فهذا التشريع يقع ضمن سلسلة الجهود التي بدأت في عام ١٨٣٥ ، لتحطيم الجمعيات أو الطوائف الحرفية (٣) · كما استمر العمل **بقانون الجمعيات والاحزاب العثماني** ، لسنة ١٩٠٩ ، والذي

---

(٢) **حيفا** ، العدد الثاني ، ٨ـ١١ـ١٩٢٤ · اوردها هاني حوراني · قراءة في سياسة الحزب الشيوعي الفلسطيني (مجلة حيفا ١٩٢٤ ـ ١٩٢٦) **شؤون فلسطينية** ، العدد ٥٨ ، حزيران (يونيو) ١٩٧٦ ، ص ١٤٨ ·

(٣) جاك كولان · **الحركة النقابية في لبنان (١٩١٩ ـ ١٩٤٦)** · بيروت ، دار الفارابي ، ١٩٧٤ ، ص ٦٧ ـ ٦٨ ·

يجري ، بموجبه ، تسجيل النقابات والاحزاب · أما فيما يتعلق بالتنظيم القانوني لعقود العمل ، فقد كانت **مجلة الأحكام العدلية** لسنة ١٩٠٧ هي المنظمة ، مع ما أدخل عليها من تعديلات والغاءات فلسطينية وانجليزية · فأول تشريع حديث في فلسطين كان **قانون تعويض العمال** لسنة ١٩٢٧ ، تلاه قانون آخر متصل بالتنظيم النقابي هو **قانون نقابات العمال** ١٩٤٧ ، أي ان القانون الاخير صدر قبل النكبه بأسابيع معدودة (٤) !

وبالرغم من تواضع تشريعات العمل هذه ، الا أن امر تنفيذها توقف على مدى طيبة أصحاب العمل ، اذ لم تكن ثمة محاكم للفصل بين العمال وأصحاب العمل ، وحتى التفتيش على العمل لم يكن منظما ·

وفي أحوال البطالة والمرض ، كان العامل يطرد من عمله بدون أي تعويض، « واذا صدف وصرف له شيء من ذلك فانه يكون قليل جدا ، حتى لا يكاد يكفي لثمن الخبز الناشف · ولو أردنا أن نبحث عن قانون يكون اصحاب العمل مسؤولين تجاهه عن معاملة العمال ، لما وجدنا شيئا من ذلك ، حتى ولو فيما يشبه قانون الرفق بالحيوان، ذلك لأن العمال ، في محلات عملهم، عرضة للطرد، في كل آن وبدون سبب ، كما أنهم عرضة للسب والشتم والأهانة ، بدون أن تكون هناك رقابة أو حماية · مع أن اكثرهم ، بعد ان يشتغل هذه الاشغال الشاقة ، مجتازا صفوف العذاب والتعب ، فان ما يكسبه لا يكاد يكفي لسد الرمق ، فضلا عن تأمين المعيشة ، من مسكن صحي الى تعليم الأطفال في المدرسة· واذا مرض فرد من افراد عائلة أحد العمال ، فان العائلة باسرها ، تقع في حالة البؤس والشقاء ··· اما أولئك العاطلين عن العمل فان حالتهم اصعب ··· فهم لا يتناولون مساعدة من اي مصدر ، حكومي كان أو اهلي ، حيث يتعرضون لانواع العذاب ، فيهيمون في الأرض ، ينامون في الشوارع ، جائعين عارين ، ليس من يهتم بأمرهم ، ولا من يلتفت الى بؤسهم وشقائهم · ومن سلم منهم من الموت التدريجي جوعا ومرضا ، يبقى مرشحا لضيافة السجون، ذلك لأن اليأس والجوع عاملان قويان في دفع المرء لارتكاب الجرائم » (٥) ·

وامر التشريعات العمالية في فلسطين تحت الانتداب كان مضحكا ومحزنا، في آن · ذلك أن القليل منها يمس مصالح العمال من القشور ، في حين ان بقية

(٤) هاني حوراني ، **مصدر سبق ذكره** ·

(٥) **مؤتمر العمال العرب الاول** · حيفا ، كانون الثاني ١٩٣٠ (انظر : خطاب محمد علي قليلات ، ص ١٥) ·

هذه التشريعات هي خاصة بأدوات العمل أو وضعت لصالح أصحاب الأعمال · فهناك **قانون تعويض العمال** لسنة ١٩٢٧ ، **وقانون استخدام النساء والاولاد** (١٩٢٧) ، **وقانون الجزاء (ومنع الارهاب)** (١٩٢٧) ، **وقانون تسييج الآلات الميكانيكية** (١٩٢٧) ، **وقانون المراجل التجارية** (١٩٢٦) ، **وقانون تنظيم الحرف والصناعات** (١٩٢٧) (٦) ·

والقانون الأول يحمي من لا تتجاوز أجورهم ٣٥٠ جنيه فلسطيني سنويا ، في حالات العجز والوفاة (التعويض من ١٠٠ – ٢٥٠ جنيه فلسطيني) · والثاني حظر استخدام النساء والاطفال في الحرف الخطرة ، كما حظر استخدام من هم دون الثانية عشرة ، وحدد ساعات العمل بثماني ساعات لمن هم دون السادسة عشرة · اما **قانون الجزاء** فحظر الأرهاب · ومع ان الاضرابات المطلبية كانت مباحة الا ان القانون منع تدخل العمال المضربين مع الذين يريدون الاستمرار في العمل أثناء الأضراب · **أما قانون الحرف والصناعات** فنظم مراقبة صناعات وحرف معينة ، خطرة أو غير صحية ، محافظة على صحة وسلامة العمال (٧) · وعن صدور قانون تعويض العمال تحدثت **المجلة المصرية الاقتصادية والمالية** (بالفرنسية) ، فاشارات الى ان نشرة « **الوقائع الفلسطينية** » نشرت عام ١٩٢٦ مشروع قانون لتعويض العمال في الاصابات ، نسج على منوال القانون الانكليزي لسنة ١٩٢٥ ، الذي جمع بين قانوني ١٩٠٦ و١٩٢٣ · ولم يلبث القانون الفلسطيني ان نفذ باسم « **قانون تعويض العمال لسنة ١٩٢٧** » · ولم يكن لهذا القانون من السعه ما للقانون الانكليزي الذي شمل جميع أنواع استخدام العمال ، والقانون الفلسطيني لا يتعدى الانواع التالية من العمل : أعمال البناء والهدم ، والكهرباء والماء ، والنقل والتوزيع عن السكك الحديدية ، والسيارات ، والحفر ، وانفجار الالغام ، ومد المجاري ، وتعمير الطرق ، وتفريغ البضائع ، والعتالة · اما قيمة التعويض فجنيه واحد عن كل اسبوع ، في حين تضمن القانون الانكليزي جنيه ونصف جنيه (٨) ·

وفي حالة الوفاة بسبب الاصابة ، فان القانون الانكليزي كان يمنح ورثة العامل تعويضا قدره ثلاثمائة جنيه ، عدا تعويض اطفاله دون الخامسة عشرة · اما القانون الفلسطيني فيكتفي بتعويض مجموعه مائتين وخمسين جنيها ،

(٦) سعيد حمادة · **النظام الاقتصادي في فلسطين** · بيروت ، الجامعة الامريكانية ، ١٩٣٩ ، ص ٣٨٥ ·

(٧) **المصدر نفسه** ، ص ٣٧٨ – ٣٨١ ·

(٨) **الاقتصاديات العربية** (القدس) ، العدد ١،٢٠ – ١١ – ١٩٣٥ ·

فقط (٩) ·

وينص القانون الفلسطيني على ان التعويض لا يدفع للعمال الذين لا يتجاوز أجرهم السنوي ثلاثمائة وخمسون جنيها · وفي حالة حصول خلاف بين العمال ومستخدميهم يحل المشكل بعرضه على حاكم الصلح ، الذي يحكم بعد اخذ رأي الخبراء في الامر ، كالاطباء وغيرهم (١٠) ·

وفي ما بين ١٩٣٥ و ١٩٣٦ جرى اعداد عدة مشاريع قوانين تخص العمل والعمال · وكان **مشروع قانون العمل والعمال** يعطي المندوب السامي الصلاحية، حيثما وجد الضرورة لذلك ، بتحديد الحد الأدنى للأجور ، وتعيين هيئات استشارية للبحث في مشاكل العمل وظروفه ، في حين عدل مشروع القانون الثاني في **قانون استخدام النساء والاطفال** ، فرفع الحد الادنى لسن الحداثة الى اربعة عشر عاما ، وخفض ساعات عمله الى سبع ساعات وخصص يوم راحة أسبوعية للنساء · وعدل المشروع الثالث **قانون تعويض العمال** ، حيث نص على دفع تعويض في حالة العجز أو الوفاة ، حتى لو كان ذلك نتيجة سوء تصرف العامل ، ودفع تعويض في حالة الاصابة بأمراض مهنية وزيادة اعانة العجز من نصف اجر اسبوع الى اجر ثلثي اسبوع ، على ان لا تتجاوز الاعانة خمس سنوات · ولم تتخذ سلطات الانتداب التدابير اللازمة لادخال التأمين الاجباري ضد البطالة والتأمين الصحي ، بدعوى أن الحالة الحاضرة في التطور الاجتماعي لا تجعل مثل هذا التأمين مرغوبا فيه (١١) ·

ويبدو ان هذه المشاريع قد خرجت بها **لجنة تنظيم العمل في فلسطين** · حيث ذكر **كنليف ليستر** ، في جلسة مجلس العموم ـ ليوم ١٤\٤\١٩٣٢ ـ بانها قد تشكلت للنظر في التشريعات العمالية ، وستقدم تقريرها في نهاية أيار (مايو) ١٩٣٢ (١٢) ·

وفي جلسة لاحقة (١٦\١١\١٩٣٢) أوضح **ليستر** بان هذه اللجنة تضم اعضاء غير رسميين يمثلون العمال · واضاف بان مهمة اللجنة هي رفع مقترحات تجريبية ، ومعرفة النقد الموجه اليها من الهيئات المحلية ، بما فيهم ممثلي

(٩) **المصدر نفسه** ·
(١٠) **المصدر نفسه** ·
(١١) حمادة ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٣٧٨ ـ ٣٨١ ·
(١٢) *Parliamentary Debates, House of Commons*, Vol. 246, p. 993.

نقابات العمال (١٣)

وجدير بالذكر أن **الهستدروت هي التي** طلبت من حكومة الانتداب سن قانون يحمي النساء والاولاد في الاعمال الصناعية ، ويعين عدد ساعات العامل الصناعي في اليوم (١٤) ·

ووفاء منه للعقلية الاستعمارية رد **كنليف ليستر** ، وكيل المستعمرات البريطاني ، على سؤال لاحد اعضاء مجلس العموم البريطاني (جلسة ٧\٢\١٩٣٤) بشأن امكانية تطبيق قوانين العمل البريطانية على العمال في فلسطين، فاعتذر عن عدم امكانية تنفيذ تلك القوانين في فلسطين(١٥)!

وفي ربيع ١٩٣٥ بدأ المندوب السامي البريطاني بفلسطين ، يفكر ، في تعيين لجنة لدراسة شروط العمل والاجور التي يتقاضاها بعض عمال سكك الحديد ، ودائرتي تحسين الميناء والاشغال العامة بحيفا ، على ما جاء في بلاغ رسمي (١٦) ·

وبعد عدة أيام شكل المندوب السامي لجنة لتبحث وتقدم تقريرا عن شروط الخدمة والاجور للعمال الذين يشتغلون بأجور يومية على اساس شهري او يومي ، في دوائر الحكومة الفنية على أن تأخذ اللجنة بعين الاعتبار ارتفاع الأسعار · وعين حاكم لواء القدس رئيسا لهذه اللجنة ، التي ضمت كلا من مدير الصحة العامة ونائب مدير الخزينة · وقبل أن ينتهي شهر آذار (مارس) كانت اللجنة المذكورة قد انتقلت الى حيفا ، وشرعت في العمل (حسب بلاغ رسمي) · (١٧)

وفي عام ١٩٤٢ تأسست **دائرة شؤون العمل** ، وكان من بين مفتشيها اربعة من الانجليز ، وحددت مهمتها في القسم الثالث من « **لائحة دائرة العمل** »، التي نص فيها على أن المصلحة تهتم بحماية العمال ، ورعاية أحوالهم، والمحافظة على العلاقات الطيبة بين العمال وأصحاب العمل · كما حدد القسم الخامس بعض الواجبات الخاصة للمصلحة (١٨) :

١ ـ الاشراف على أمور التوظيف ؛

(١٣) *Ibd.*, Vol. 270, p. 1117 .
(١٤) **المقطم** (القاهرة) ، ٣٠ـ١٢ـ١٩٢٧ ·
(١٥) *Parl. Deb.*, Vol. 285, p. 1117 .
(١٦) **الاقتصاديات العربية** ، العدد السادس ، ١٥ـ٣ـ١٩٣٥ ، ص ٣٩ ·
(١٧) **الاقتصاديات العربية** ، العدد السابع ، ١ـ٤ـ١٩٣٥ ، ص ٢١ـ٢٢ ·

ب ـ التأكد من تطبيق اللوائح الخاصة برعاية العمال وظروف وشروط تشغيلهم، او التي تتعلق بنقابات العمال ، وتبادل العمال، والعلاقات الصناعية؛

حـ ـ فض المنازعات التي تنشب بين اصحاب العمل والعمال ، أو بين العمال وبعضهم البعض ؛

د ـ التعاون مع أصحاب الاعمال والعمال لمنع وقوع حوادث العمل وادخال وسائل الامن الصناعي والتوعية بالامن ؛

هـ ـ اعداد ونشر الاحصائيات والتقارير المتعلقة بالبطالة ومعدلات الاجور، وتشغيل النساء والاحداث وساعات العمل ، والنقابات ، والتامينات الاجتماعية، والتعليم الصناعي ، والمنازعات المتعلقة بالعمل ·

واتخذت الدائرة من القدس مقرا لها ، وانشأت ثلاث مناطق تفتيش بالقدس وحيفا وتل أبيب · وروعي أن توزع المناصب التي يشغلها الانكليز ، على العرب واليهود بالتساوي ، ليتولى المفتشون العرب مسؤولية المصانع والمؤسسات العربية، بينما يتولى المفتشون اليهود امر المؤسسات اليهودية· وفي العام ١٩٤٥ وضعت سلطات الانتداب بفلسطين مشروع قانون يحدد شروط العمل ، خاصة في شركات البترول والجيش والحكومة ، مع تقرير الحد الادنى لأجور العمال ، غير أن السلطات نفسها عادت وأهملته اهمالا تاما ، ولم تصغ الى الحاح العمال في سبيل تطبيقه (١٩) ·

وفي صيف ١٩٤٦ أصدر المندوب السامي البريطاني أمرا بتعيين أربعة أشخاص في منصب مفتش في **دائرة شؤون العمل** ، هم : **نجيب انطوان ، سعيد عفيف البابا ، موشيه نيمن ، وزهافاكرمليت** (٢٠) ·

وفي ٢٠ حزيران (يونيو) ١٩٤٦ صرح **المسترغريفس** ، مدير دائرة شؤون العمل في حكومة فلسطين بان قانون الاضراب والخلافات الصناعية قد ألغي ، اعتبارا من ذلك اليوم ، وهو القانون الذي يقضي باحالة الخلافات بين العمال وأصحاب الأعمال الى الحكومة ، لحلها ، باعتبارها خلاف صناعي · وذكر **غريفس** أن الحكومة ستستعيض عن هذا القانون بأنظمة اخرى ، تسمح لها

---

(١٨) GoVernment of Palestine ; *A Survey of Palestine* . Jerusalem , 1946, Vol. 11, p. 746-748 .

(١٩) عصبة التحرر الوطني بفلسطين ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٥٤ ·

(٢٠) **الدفاع** (يافا) ، ٢١ـ٦ـ١٩٤٦ ·

بالتدخل في خلافات العمل · واضاف أن مسالة الضمان الاجتماعي هي قيد الدرس من قبل الحكومة ، التي تدرس ـ في الوقت نفسه ـ مسالة الحد الادنى لأجور العمال ، وهي تحبذ تعيين عشرين قرشا في اليوم لغير المهرة من العمال (٢١) ·

وأشار **سامي طه** ، في التقرير الذي قدمه الى **اللجنة الانغلو ـ أميركية** (ربيع ١٩٤٦) ، الى « خلو البلاد من انظمة حكومية لحماية ومساعدة الحركة النقابية » (٢٢) · لكنه اجاب على سؤال عضو اللجنة ، **كروسمان** ، عن تمتع النقابات بجميع الحقوق التي تتمتع بها النقابات الأخرى ، أجاب **سامي طه** ، بلا تردد : « نعم ، تتمتع الآن ، بجميع الحريات ، وقد رفع الضغط البوليسي ، نتيجة لمساعي **دائرة شؤون العمل** ، غير أنه لا توجد تشريعات تحمي العمال » (٢٣) ·

وكشفت **جمعية العمال العربية** عن ميولها اليمينية ، اكثر فاكثر ، فقبل ان تمر نصف سنة على ما قاله امين عام الجمعية امام اللجنة الاستعمارية ، امتدح عضو بارز في المؤتمر الثاني للجمعية (آب ١٩٤٦) قوانين العمل ، ورأى انها جاءت ، فاقرت حقا طبيعيا للعامل ، نتج عنه تحديد العلاقات بينه وبين موظفيه ، وبعد هذا التحديد يجب أن يكون من السهل جدا على كل منهما أن يتفهم الآخر ، لما في ذلك من الخير لكليهما (٢٤) ·

وافاض مؤتمر الجمعية ، نفسه في امتداح مقررات مجالس التحكيم ، اذ رأى المؤتمر انها « تدور حول تعيين ساعات العمل والاجور الاساسية ، وغلاء المعيشة ، والساعات الاضافية ، والاجازات المرضية، والعطلة السنوية ، والرفت من العمل ، والتعويض وغير ذلك من الشروط ويرى تقرير المؤتمر ان هذه كلها اصبحت اشبه بقانون يحدد علاقة العامل بصاحب العمل » (٢٥) ···

وبذا اسقط كامل عبد الرحمن ـ وهذا هو اسم العضو المذكور ـ من حسابه

---

(٢١) **الدفاع** ، العدد نفسه ·

(٢٢) جميل الشقيري (جامع) · **مجموعة الشهادات والمذكرات المقدمة الى لجنة التحقيق الانكلو امريكية المشتركة** · الطبعة الاولى ، يافا ، مطبعة النجاح ، حزيران ١٩٤٦ ، ص ١٢٧ ·

(٢٣) **المصدر نفسه** ، ص ١٣١ ·

(٢٤) جمعية العمال العربية · **تقرير مؤتمر اب ١٩٤٦** · الطبعة الثانية ، اصدار اتحاد عمال فلسطين (دمشق) ، ١٩٧٥ ، ص ٤٤ ·

(٢٥) **المصدر نفسه** ، ص ٢٣ ·

عامل الصراع الطبقي ، ودعا الى التعايش الطبقي على حساب العامل ، كما اشاد بموقف سلطات الانتداب البريطاني وتشريعاتها المجحفة بحقوق العمال .

هذا في الوقت الذي اكد احد قادة الجمعية، لاحقا وبعد زوال الانتداب، انه «لم يصدر في فلسطين اي تشريع عمالي . التشريع كان يفرضه العمال . وفي كثير من الدوائر والشركات توصل العمال الى عقد اتفاقية تقوم مقام القانون . وفي عام (١٩٤٦) صدر مشروع قانون العمل » (٢٦) ...

وهذه عصبة التحرر الوطني الفلسطينية تعطي التفسير الموضوعي للتشريعات المتواضعة التي اصدرتها سلطات الانتداب . فترى انه « كان من اثر النمو الطبيعي ، الذي حالف حركة الطبقة العاملة في فلسطين ، وخصوصا الطبقة العاملة العربية ، وبسبب تركيز المجهود الحربي ضد الفاشية ، ان اضطرت السلطة المنتدبة الى تخفيف قبضتها على تنظيم الطبقة العاملة. وما هي الا فترة قصيرة حتى تفجرت من بين صفوف الطبقة العاملة حركة نقابية سجلت حدثا جديدا في حياة البلاد الداخلية ، دون ان تنال الاعتراف الرسمي من قبل السلطة الحاكمة . ولم تجد حكومة فلسطين حتى الآن (منتصف ١٩٤٧) ان الوقت المناسب قد حان للاعتراف بكيان النقابات ، اعترافا رسميا .

« ولا شك ان هذه الاوضاع الجديدة قد قادت ، بالتالي ، الى تطور في قوانين العمل ، واذ حدث هذا التطور كان في الواقع تطورا شكليا ، لم يتأثر به المضمون الرجعي . فعلى الرغم من ان قانون العمل القديم قد الغي ، وصدر مكانه قانون جديد ، اعتبر خطوة الى الامام ، الا انجهاز الحكومة ظل يضيق الخناق على هذا القانون ويحد من تنفيذه بوسائل كثيرة . واما القانون الذي صدر في السنين الاخيرة ، والذي يقضي بتحسين شروط العمل في المصانع ، فانه لم يفض الى اي تحسين في شروط العمل بالمرة . ومواد قوانين العمل ، نفسها تفتقر الى كثير من التفصيلات الواضحة ، ذلك كله مما قاد الى التلاعب فيها والتحوير » (٢٧) .

وما كان لهذه التشريعات العمالية الجائرة ، اضافة الى الظلم الواقع على العمال العرب الفلسطينيين في مجال الاجور ، والتحيز الذي مارسته سلطات الانتداب ضدهم لحساب العمال اليهود ، والبطالة التي نهشت جسم الطبقة

---

(٢٦) حديث حسني الخفش مع بلال الحسن . **شؤون فلسطينية** ، العدد ١٦ ، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٢ ، ص ١٨٧ .

(٢٧) عصبة التحرر الوطني بفلسطين ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٥٣ _ ٥٤ .

العاملة العربية في فلسطين ، ما كان لهذا كله ان يستمر دون ان يحرك هذه الطبقة في نضالات مطلبية شهدتها ارض فلسطين ، خلال سني الانتداب

اضرابات العشرينيات

وعى الشعب الفلسطيني الكفاح السياسي قبل غيره من اشكال الكفاح . الا ان الشعب اخذ يقتنع ، شيئا فشيئا ، بان الكفاح السياسي وحده لا يكفي .

ومن المعروف ان اهمية التنسيق بين النضال من اجل المطالب اليومية والهدف النهائي تزداد تبعا لنمو البروليتاريا ، الكمي والكيفي . حيث تتراكم ، لدى هذه الطبقة ، خبرة الكفاح الطبقي ، وتزداد ميلا للتنظيم ، وتتعزز وحدتها ، ويرتفع وعيها ، بقدر ما يزداد المضمون الطبقي للحركة السياسية الفلسطينية عمقا . حيث تزول الرواسب القبلية والريفية ، لحساب وحدة الطبقة العاملة ، بما يجعل هذه الطبقة المعبر الاكثر صدقا عن مصالح الشعب عموما ، وعن طموحات الكادحين بشكل خاص .

ولا بد من ملاحظة ان تنافر اصول الطبقة العاملة ، وارتباط اغلب قطاعات هذه الطبقة بالريف ، زاد من صعوبة خوض الكفاح الجماعي .

وفي ظل المشروعات الصناعية الصغيرة امكن لأصحاب الاعمال التعامل مع جماهير عمالية مبعثرة ، عاجزة عن التصدي لاطماع اصحاب الاعمال هؤلاء . واذا ما اشتبه صاحب العمل في ان عاملا تململ سارع بتسريحه ، وسرعان ما تقدم كثيرون للحلول محل هذا العامل المطرود. لكن الامر لن يستمر على هذا الحال دون ان يدفع العمال الى التجمع في نقابات ، تدافع عن حقوقهم ، وتحد من ظلم اصحاب الاعمال لذا اعتبرت النقابة _ بحق _ مدرسة النضال الطبقي للجماهير العمالية العريضة .

ووقف الحكم التركي الى جانب صاحب العمل ضد العامل . ومنع **قانون الأشغال العثماني** (٢٢ رجب ١٩٢٧ هـ ١٩٠٩ م) ، منعا باتا ، قيام العمال والمستخدمين بمظاهرات ، وحظر عليهم ترك الخدمة في مؤسساتهم بدون الاتفاق مع صاحب العمل . كما حظر القانون نفسه تشكيل نقابات عمالية . وفرض عقوبات شديدة (السجن من اسبوع الى سنة واحدة مع الغرامه النقدية) على كل من يؤلف نقابة ، أو يتسبب بتعطيل الاشغال ، او يحرض على الاضراب . ووصل الامر بهذا القانون أن ألغى جميع النقابات التي سبق تشكيلها قبل

تاريخ نشره (٢٨) ·

وكان طبيعيا ان يعجز العمال عن التصدي للقهر الطبقي الذي تعرضوا له في العهد التركي · فعدا عن التشريعات التعسفية ، كان ضعف الطبقة العاملة الناتج عن ضعف الصناعة الوطنية ، مما اخر الوعي الطبقي لدى العمال ، بالتالي ·

وفي نهاية نيسان (ابريل) ١٩٢٥ وزعت نقابة عمال سكك حديد فلسطين منشورا ، دعت فيه جميع العمال الى الاضراب وتوقيف الاعمال يوم اول ايار (مايو) ، حيث يصادف عيد العمال العالمي (٢٩) ·

وفي تشرين الاول (اكتوبر) من السنة نفسها اضرب بعض العمال العرب، مطالبين بتخفيض ساعات العمل الى ثماني ساعات ، بدلا من اثنتي عشرة ساعة · وقدمت دائرة البوليس الى المحاكمة اربعة عمال ، لخروجهم عن حد النظام في هذا الاضراب · وحكمت المحكمة على ثلاثة منهم بالحبس لمدة سبعة ايام ، لكل منهم · واتفق بعض العمال مع اصحاب الاعمال على العودة الى العمل باتفاقات مختلفة ، يصح ان يقال ، بعدها ، ان الاضراب انتهى ، بالرغم من ان بعض العمال ظلوا مصرين على مطالبهم (٣٠) ·

ويرى نقابي فلسطيني أن اول اضراب عمالي منظم كان في عام ١٩٢٧ ، وهو اضراب ضد متعهد لنقل التراب والحفر ، اسمه عثمان دكناش · وقد نجح الاضراب في تحديد ساعات العمل بثماني ساعات ، وتحديد معدلات الاجور · وتم الاتفاق مع صاحب العمل على ان يدفع صاحب العمل راتبا شهريا قدره ثلاثة جنيهات الى مندوب جمعية العمال العربية ، حيث تكون مهمته مراقبة تنفيذ الاتفاق · وجاء الاضراب الثاني عام ١٩٢٧ ، ايضا ، ضد صاحب معمل كرتون من شفا عمرو ، وهدف الاضراب الى تحسين شروط الاستخدام ، وتحديد ساعات العمل (٣١) ·

---

(٢٨) د· عبدالله حنا · الحركة العمالية في سوريا ولبنان ١٩٠٠ ـ ١٩٤٥ · دمشق ، دار دمشق ، ١٩٧٣ ، ص ١٧ ـ ١٨ ·

(٢٩) المقطم ، ٣٠ـ١٠ـ١٩٢٥ ·

(٣٠) المقطم ، ٧ـ٥ـ١٩٢٥ ·

(٣١) مذكرات حسني صالح الخفش · بيروت ، منظمة التحرير الفلسطينية ، ١٩٧٣ ، ص ١٢ ·

وفي ٢٤ حزيران (يونيو) ١٩٢٧ اضرب عمال مصنع الكبريت في عكا · وفي جلسة مجلس العموم البريطاني ، في ٤ تموز (يوليو) من السنة نفسها ، انكر مستر امري ـ وكيل وزارة المستعمرات البريطاني ـ علمه بهذا الاضراب ، كما نفى ان يكون البوليس البريطاني ضرب العمال المضربين ، ومنهم (١٣) فتاة ، وان يكون اصحاب المصنع هددوا باغلاقه (٣٢) ·

وأجرت نقابة السكك الحديدية مفاوضات مع الحكومة المركزية والسكرتارية العامة والمندوب السامي ، من اجل الاعتراف بالنقابة وبشهادات صندوق المرضى ، واشتراك ممثلي النقابة في اللجنة الاستشارية لسكك الحديد ونقل الورش من يافا الى اللد ، وبخصوص طرد بعض العمال من العمل وتخفيض اجور اخرين ، ومن اجل خمسة ايام عمل ، وتعميم نظام التعويضات في البلاد ، والدفع للعمال عن ايام هبة آب (اغسطس) ١٩٢٩ (٣٣) ·

كما أجرت النقابة نفسها مفاوضات اخرى مع ادارة السكة الحديد اقتصرت على المطالبة بالاعتراف بالنقابة ، ومحاسبة العمال على فرق العملة * ، واجازة لعمال يافا ـ اللد عن سنة ١٩٢٧ \ ١٩٢٨ ، ووقت عمل والامر الخاص بقفل الحسابات في اليوم العشرين من كل شهر ، وضرورة انتظام دفع اجور العمال في اللد والقدس ، وتعيين طبيب عام في العمل ، وتحسين الشروط الصحية ، ومناقشة الغرامات والجزاءات ، ودفع اجور عن ساعات العمل الاضافية ، واجور ترجمة قانون السكة الحديد باللغتين العربية والعبرية ، والغاء الامر الصادر بخصوص دفع أجرة السفر من يافا الى اللد ، ونقل الورش من يافا الى اللد ، وعطلة يوم في الاسبوع لعمال الحركة ودائرة جر القطارات ، وزيادة عمومية لعمال الورش وسائر الدوائر ، وثمانية ساعات عمل يوميا في كافة دوائر السكة ، وعن حرمان الموظفين الذين يتقاضون لغاية سبعة جنيهات من غلاء المعيشة ، وتعليق لوحات لاعلانات النقابة ، وأن يصير تعويض اجازات الاعياد خلال ثلاثة اشهر ووقف اضطهاد فرع اللد ، مع دفع اجور العمال عن ايام هبة آب (أغسطس) ١٩٢٩ وتعويضات عند الوقوف عن العمل ، ونشر

---

(٣٢) *Parl. Deb.*, Vol. 208. p. 859 .

(٣٣) النقابة العامة لعمال السكك الحديدية والبرق والبريد في فلسطين ـ الهيئة المركزية · بيان مختصر عن اعمال المؤتمر السابع للنقابة العامة للسكك الحديدية والبرق والبريد ، المنعقد في تل ابيب في ٢٩ ايار · حزيران ١٩٣١ ، مطبعة الجميل ، ص ٢٠ـ٢١ ·

★ حيث أحلت سلطات الانتداب البريطاني العملة الاسرائيلية محل الفلسطينية ، للتداول في فلسطين ، اعتبارا من العام ١٩٢٧ ·

التعليم الفني ، وعطلة يوم اول ايار من كل عام وحول حرمان عمال محطة تل ابيب من عطلة يوم في الاسبوع ، وتغيير ايام العمل في دائرة القطارات من ستة ايام الى اربعة ايام ونصف ، وبصدد حرمان العمال من اجازة طويلة على حسابهم ، مع تحديد ١٢ ساعة عمل للعمال اليوميين في الليل ، في كل من القدس وحيفا ويافا (٣٤) ٠

كما جرت مراسلات بين الهيئة المركزية للنقابة نفسها وبين مدير ادارة القطارات ، حول مسائل شتى تتعلق بالعمال ، وجرت مفاوضات بمقابله واحدة في كل ستة اشهر ، ومراسلات بين سكرتير النقابة وسكرتير المدير العام في ادارة الانتداب ، ونتيجة لهذه المراسلات نجحت النقابة في التوصل الى الاخذ بمبدأ التسلسل (ستاج) الذي يعترف بمدة خدمة العمال عند رفتهم وقبولهم وترقيتهم ٠ وقد نشر ، رسميا ، بتاريخ ١٩٣٠ ، وبه اعترفت الادارة بان انتقال العمال عند الفت يكون على مبدأ الاقدمية ٠ واعتبرت النقابة هذا انتصارا باهرا ، بعد الفوضى التي كانت سائدة في رفت العمال وقبولهم ٠ على ان هذا النجاح لم يعتبر كاملا ، اذ تطلب اعتراف سكة الحديد به ، رسميا بوضعها قانون نشرة الحكومة (٣٥) ٠

وشهد العام ١٩٢٩ عدة اضرابات مطلبية ، لكن العلاقات بين العمال واصحاب العمل كانت ، عموما ، أخوية ٠ وكانت الاضرابات ، في الاغلب ، بسبب الخلاف على الاجور وعدد ساعات العمل (٣٦) ٠

وطوال العشرينات ظلت الحركة العمالية العربية في فلسطين أسيرة العجز ، وفشلت محاولات عدة في تشكيل نقابات عمالية في كل من الناصرة ونابلس ويافا ٠ وأخفقت جمعية العمال العربية في لعب دور المركز النقابي ٠ لكن ذاك العجز وهذا الاخفاق لم يمنعا من القيام ببعض الاضرابات الاقتصادية، هنا وهناك ، اهمها اضراب النجارين ، واضراب في معمل الكرتون ، واضراب ثالث لعمال البناء ٠ على ان هذه الاضرابات ظلت مجرد ردود فعل معزولة ، ومؤقتة ، وعفوية ، الى حد بعيد (٣٧) ٠

(٣٤) **المصدر نفسه** ص ٢١ــ٢٤ ٠

(٣٥) **المصدر نفسه** ، ص ٢٢ ــ ٢٤ ٠

(٣٦) **التقرير الحكومي المرفوع لعصبة الامم للعام ١٩٢٩ ، ص ١٢٧** ٠

(٣٧) موسى البديري ٠ **مقدمة تاريخية لتطور الحركة العمالية في فلسطين ابان الانتداب البريطاني** ٠ **الجديد** (حيفا) ، العدد العاشر ، تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٦ ، ص ٢٥ ــ ٣٣ ٠

اضرابات الثلاثينيات

أما الثلاثينيات فامتازت باحتدام الصراعات الاجتماعية وبنهوض ثوري، جرى التعبير عنها في الريف في شكل نضال فلاحي ضد الاجلاء عن الارض ، في حين اتخذت في المدن شكل اضرابات مطلبية ٠ لذا كانت السنوات الخمس الاول من الثلاثينيات فترة نهوض حقيقي للحركة العمالية العربية في فلسطين ٠ وبحسب ما يوضحه الجدول رقم (١) فان حركة الاضرابات العمالية اتسعت واكتسبت طابعاً جماهيريا في السنوات الخمس، الممتدة من ١٩٣٠ الى ١٩٣٥ ٠ وشملت هذه الاضرابات اكبر التجمعات ، حيث التنظيم العمالي الاكثر احكاما ٠ وفي هذه الاضرابات تقدم العمال بمطالب اقتصادية بحتة ، من رفع الاجور الى تخفيض ساعات العمل ٠ واستجاب لموجة الاضرابات عمال التجمعات الصغيرة والاقل شأنا ٠

ومع ان اكثر هذه الاضرابات انتهى الى الفشل ، الا ان اكثر العمال أحرزوا نجاحا لا يستهان به ٠ ففي صناعات الاسمنت والبترول اجبر أصحاب العمل على النزول عند رغبات العمال في تحديد يوم العمل بثماني ساعات ، أما حركة عمال البناء فقد انتهت الى نتائج اقل ايجابية ٠

جدول رقم (١)

حركة الاضرابات العمالية في فلسطين فيما بين ١٩٣١ ــ ١٩٣٧ (٣٨)

الاعوام	عدد الاضرابات		عدد العمال الذين شملهم الاضراب		مجموع ايام العمل المفقودة	
	عرب	يهود	عرب	يهود	عرب	يهود
١٩٣١	ــ	١٣	ــ	٤٦٢	ــ	٤،٥٦٤
١٩٣٢	٦	١٨	٢٨٢	٣٢٢	٢،٧٦٢	٤،٦٤٢
١٩٣٣	٤	٢٣	٥٩٦	٤٩٣	٣،٨٣٣	٥،٥٢٩
١٩٣٤	ــ	١٨	ــ	٤٧٧	ــ	١٠،٨٢٤
١٩٣٥	٧	١٦	٨٢٨	٥١٩	٨،١٧٨	٥،٧٠٦
١٩٣٦	١	٥	٤٠٠	٦٠	٩،٥٠٠	٦٢٢
١٩٣٧	٣	١٣	٤٨٣	٣٨٤	٩،٤٧٨	٣،٨٠٨

(٣٨) حمادة ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٣٨٥ ٠

على ان الجدول رقم (١) ليس دقيقا فيما يبدو · فثمة مراجع اخرى تورد ارقاما أعلى لحجم الاضرابات العمالية العربية في فلسطين · فالكاتب التقدمي المصري **صادق سعد** يورد الجدول التالي :

الجدول رقم (٢)
عدد المنازعات التي ادت الى الاضرابات واغلاق المصانع بأمر اصحابها (٣٩)

السنة	العمل اليهودي		العمل العربي		مجموع ايام العمل المفقودة
	عدد العمال	ايام العمل المفقودة	عدد العمال	ايام العمل المفقودة	
١٩٣٣	١،٤٣٩	١٥،٤٦٥	٦١٠	٣،٨٨٩	١٩،٣٥٤
١٩٣٧	٣،١٧٠	٨،٤٦٥	٣،١٣٥	١٢،٧٠٠	٢١،١٦٧

وهذا كاتب سوفياتي يؤكد انه خلال سنة ونصف فقط (١٩٣١- ١٩٣٢) ، قام العمال العرب الفلسطينيون بعشرين اضرابا ، اشترك فيها اربعة الاف عامل، ومن اهم هذه الاضرابات كان اضراب سائقي السيارات العامة ، في تشرين الاول (اكتوبر) ، ودام احد عشر يوما ، واضراب عمال مصنع « **نيشر** » للاسمنت في حيفا ، في ايلول (سبتمبر) ١٩٣٢ ، واضراب الحجاوين في حيفا والقدس ، في حزيران (يونيو) واب (اغسطس) ١٩٣٢ ، على التوالي وجرت ، خلال الاضرابات، مصادمات مع البوليس ومع كاسري الاضراب · (٤٠)

ويورد الكاتب الصهيوني **ولتربريوس** احصائية لاضرابات العمال العرب في فلسطين ، فيما بين عامي ١٩٣٠ و ١٩٣٥ ، فيحددها في ٤٦ اضرابا عماليا ، اشترك فيها زهاء اربعة الاف عامل عربي · ومن ابرزها اضراب عمال ميناء حيفا (ربيع ١٩٣٢) ، واضراب عمال مصنع الاسمنت « **نيشر** » (نفس العام)، واضراب ثمانمائة عامل وعاملة نسيج في المجدل ، واضراب خمسمائة عامل في **شركة نفط العراق** (I. B. C.) (شباط ١٩٣٥) ، واضراب ثمانمائة عامل في

(٣٩) صادق سعد · **فلسطين بين مخالب الاستعمار** · القاهرة ، ١٩٤٧ ، ص ٧٥ ·

(٤٠) د· ر· فويليكوف واخريـن · **تاريخ الاقطار العربية المعاصر** · موسكو ، دار التقدم ١٩٧٥ ، ص ٢٢١ ·

مصانع سجائر «**فرحان ، ديك ، وسلطي**» في حيفا· في حين بلغ عدد الاضرابات في القطاع اليهودي ، بين سنوات ١٩٣٢ و ١٩٣٥ ، خمس وخمسين اضرابا ، اشترك فيها ١٢٢٣ عاملا (٤١) ·

ومع بداية الثلاثينيات عبرت الحركة العمالية عن تطورها ونهوضها بعقدها مؤتمرها الاول (كانون الثاني ١٩٣٠) · كما شهدت الثلاثينيات اضرابات عمالية اقتصادية واسعة ، اضافة الى الاضرابات ذات الطابع السياسي ·

وحدث ان أخذ عمال السكك الحديدية يتجمعون لدراسة اوضاعهم وسرعان ما تشكلت « **لجنة مستر كامبل** » ، لدراسة مطالب العمال ، ومقابلة المندوب السامي ، وحاولت الهستدروت افشال المطالب العمالية ، وعقد صفقة مع سلطات الانتداب ، تحقق **الهستدروت** بواسطتها زيادة في اجور العمال اليهود · غير ان وفد العمال الى المندوب السامي احبط هذه المحاولة ، وان لم يفجر الموقف « حرصا على الوصول الى نتيجة حسنة بمطاليب العمال » · وعرض الوفد نتيجة لقائه مع المندوب السامي على اجتماع عام لعمال سكك الحديد · واستاء العمال لان مطاليبهم لم تلب · وعبروا عن استيائهم هذا باعلان الاضراب عن العمل ورفضت النقابة اليهودية تأييد الاضراب ، وتذرعت بعدم قانونيته ، في حين كان السبب الحقيقي هو ان المضربين ، جميعا من العمال العرب · ووصل الامر بالنقابة اليهودية حد تجسس بعض عناصرها ضد المضربين لحساب الادارة ، مما حدا بالنقابة العربية الى العمل منفردة (٤٢) ·

ونجحت النقابة العربية في انتزاع عدة مكاسب للعمال العرب في سكك الحديد ، فجرى تحديد ساعات العمل بثماني ساعات يوميا · وتقرر دفع اجرة ٢٥٪ من الراتب عن الساعات الاضافية ، واقر حق العطلات الاسبوعية والسنوية والاجازات المرضية المدفوعة الاجر ، وصودق على مبدأ التفرغ الجزئي ، واستعمال وسائل نقل السكك الحديدية للنقابيين ، مجانا (٤٣) ·

(٤١) ولتر بريوس · **حركة العمال في اسرائيل (بالعبرية)** ، ص ١١٨ · اورده اميل توما · **جذور القضية الفلسطينية** · بيروت منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ، ص ٩٧ · اميل توما · **ستون عاما على الحركة القومية العربية الفلسطينية** · منشورات البيادر ، اذار (مارس) ١٩٧٨ ، ص ٩٥ ·

(٤٢) **بيان عام من النقابة العربية لعمال سكك حديد فلسطين بحيفا** · حيفا ، دار الطباعة والنشر الفلسطينية ، ١٩٣٦ ·

(٤٣) **الطليعة** (دمشق) ، ١-٥-١٩٧١ ·

واضرب سائقي السيارات في عموم فلسطين في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣١ ، وايد **الحزب الشيوعي الفلسطيني** اضرابهم هذا (٤٤) .

وبرهن العمال العرب الفلسطينيون ، في عشرات الاضرابات التي خاضوها في الثلاثينيات ، على مدى صلابتم . ووحدتهم ، ووعيهم الطبقي المتنامي . وتجلى هذا كله في اضراب عمال فابريقة « **نيشر** » ، و «**سبيني**» في حيفا وعكا ، واضراب عمال البيارات في وادي حنين وملبس والخضيرة وبنيامينا ، واضراب السائقين العام ، واضراب عمال الكارات في يافا ، واضراب عمال الافران بالقدس ، واضراب عمال الدباغات في يازور . على ان الفشل كان نصيب اكثر هذه الاضرابات ، بسبب ضعف تنظيم العمال ، ومؤمرات **الهستدروت** ضد العمال العرب ، وفساد اغلب القيادات النقابية العربية ، والافتقار الى الخبرة في تنظيم وادارة الاضرابات ، وتدخل البوليس (٤٥) .

ويقول ماركسي فلسطيني عاصر اضرابات النصف الاول من الثلاثينيات انه « كثيرا ما يحدث – اثناء الاضراب – ان العمال المضربين لم يقيموا حاميات منهم ، بل يبقون قابعين في بيوتهم ، او يعودون الى قريتهم (لانهم لا يستطيعون اطعام عائلاتهم وهم مضربون) ظانين ان النجاح سيأتيهم من تلقاء نفسه ... وقد سلك العمال هذه الطريقة في الاضراب الذي اعلنه ، ١٩٢٨ ،عمال الافران في القدس ، وفي الاضراب الذي قام في حيفا ، ١٩٣٢ ، لعمال الدقاقين ، وفي الاضراب الذي قام به عمال فابركة الدخان نحيا في حيفا ، ١٩٣٣ ، وفي اسراب العريجية بيافا ، ١٩٣٤ ، وغير ذلك » (٤٦) .

ويقدر الكاتب نفسه عدد **الاضرابات العمالية العربية في فلسطين** ، فيما بين ١٩٣١ – ١٩٣٤ ، بنحو ثلاثين اضرابا ، اشترك فيها نحو خمسة الاف عامل . وحصر هذه الاضرابات في : (٤٧)

١ – اضراب عمال البيارات في **بنيامينا** .

٢ – اضراب السواقين العام في **فلسطين** .

٣ – اضراب عمال فابريقة الكبريت النور في **عكا** .

(٤٤) **المقطم** ، ٤-١١-١٩٣١ .
(٤٥) جبرا نقولا . **التنظيم المهني** : يافا ، مطبعة النور ، ١٩٣٥ ، ص ١٤ – ١٦ .
(٤٦) **المصدر نفسه** ، ص ٤٢ .
(٤٧) المصدر نفسه ، ص ٤٥ .

٤ – اضراب عمال فابركه الدخان (نحيا) في **حيفا** .

٥ – اضراب عمال الميناء القديم في حيفا .

٦ – اضراب عمال شركة الكاز (**شل**) في **يافا** .

٧ – اضراب عمال البيارات في ملبس (تكرر مرتين) .

٨ – اضراب عمال الدقاقين في عمارة عزيز الخياط في حيفا .

٩ – اضراب العمال الدقاقين في عمارة روكفلر في القدس .

١٠ – اضراب عمال فابركة الشيمنتو (نيشر) في الياجور حيفا (اضربوا مرتين ، ١٩٣٢ و ١٩٣٣) .

١١ – اضراب عمال سبيني في عكا (اضرب هؤلاء ثلاث مرات مرتين ١٩٣٢ ، والثالثة ١٩٣٣) .

١٢ – اضراب عمال الافران لدى **مينسخاي في حيفا** .

١٣ – اضراب عمال **بلدية المجدل** .

١٤ – اضراب العمال النجارين في معمل **كامل الجدع في حيفا** .

١٥ – اضراب الحمالين في **ميناء حيفا** .

١٦ – اضراب عمال الصابون في **يافا**

١٧ – اضراب عمال شركة (**شل**) في **حيفا** .

١٨ – اضراب عمال النسيج في **المجدل** .

١٩ – اضراب عمال الجلود في **يازور** .

٢٠ – اضراب عمال البيارات في **وادي حنين وكفر سابا وملبس** .

٢١ – اضراب العمال القصابين في **يافا** .

٢٢ – اضراب عمال الكارات في **يافا** .

٢٣ – الاضراب العام في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٣ ، **احتجاجا على الهجرة الصهيونية وبيوع الاراضي** .

٢٤ – **الاضراب الجزئي** ، في ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٤ ،

احتجاجا على وعد **بلفور** .

وكان للاضرابين الاخيرين طابع سياسي واضح ، وكذلك اضراب السائقين ، الموجه ضد الحكومة وضد الضرائب الباهظة على البنزين والسيارات وضد تقارير المخالفات . في حين كانت بقية الاضرابات اقتصادية مطلبية ، اراد بها العمال رفع اجورهم ، او تخفيض ساعات عملهم، او معاملة حسنة من صاحب العمل او وكيله ، او ضد طرد العامل من عمله (٤٨) .

وفي تسعة من هذه الاضرابات ، طالب العمال بتخفيض ساعات العمل في اليوم من ١٤ او ١٦ الى ١٠ او ١١ ساعة ، وفي جعل يوم العمل ثماني ساعات . وثمة اضرابات طلب فيها العمال عدم تاخير دفع الاجور . وقد انتهى خمسة عشر اضرابا من هذه الاضرابات الثلاثين بالنجاح ، التام او الجزئي . في حين انتهت عشرة منها بالفشل ، حيث طرد صاحب العمل العمال المضربين ، او اضطروا للعودة الى العمل بالشروط القاسية السابقة (٤٩) .

واسس العمال صناديق اضراب في اثني عشر اضرابا فقط من تلك الاضرابات ، في حين خلت بقية الاضرابات الثلاثين من مثل هذه الصناديق ، وان كان عمال آخرون ساعدوا العمال المضربين اثناء الاضراب (٥٠) .

وبلغ عدد الاضرابات التي نظمت قبل اعلانها عشرة فقط ، في حين اعلن تسعة عشراضرابا فجأة ، دون سابق اعداد او استعداد . وادار العمال بانفسهم او بواسطة نقاباتهم ، اربعة عشر اضرابا فقط ، في حين ادارت **الهستدروت** تسعة ، وجمعية العمال العرب في حيفا ثلاثة . واضراب واحد ادارته **الهستدروت وجمعية العمال العرب** في حيفا ، مشتركتين (٥١) .

اضراب عمال النسيج في المجدل : اشترك فيه اكثر من اربعمائة عامل ، واستمر نحو اربعة ايام . وافتقر الى التنظيم ، اذ حدث فجأة . وقاده العمال انفسهم ، وحققوا فيه نجاحا جزئيا، حيث اضطر اصحاب العمل الى زيادة نصف قرش الى قرش واحد على اجرة كل قطعة قماش . وتأسست، خلال هذا الاضراب، **نقابة عمال النسيج** ، وان عادت وتوقفت عن العمل . حاول البوليس أن يشل

(٤٨) **المصدر نفسه** ، ص ٤٦ ـ ٤٧ .
(٤٩) **المصدر نفسه** ص ، ٤٧ .
(٤٩) **المصدر نفسه** ، الصفحة نفسها .
(٥١) **المصدر نفسه** ، ص ٤٩ .

حركة الاضراب ، لكن العمال صمدوا ، وأحبطوا مساعي البوليس (٥٢) .

اضراب عمال فابريكة الشيمنتو (نيشر) في حيفا : اشترك في الاضراب الاول ١٥٠ عاملا ، وانخفض العدد في الاضراب الثاني الى ١٢٠ عاملا ، واستمر الاضراب الاول ١٤ يوما . وقامت الهستدروت ـ التي تولت قيادة الاضراب ـ بأعمال لافشال الاضراب ، مما اضطر العمال العرب الى العودة لسلاح الاضراب ، بعد مرور ستة اشهر على اضرابهم الاول .

سلمت **الهستدروت** امر هذا النزاع ، الذي قام بين العمال العرب وبين المقاول **مصباح شكيفي** ، لامر الحكم ، وهو موظف حكومي ، اسمه **المستر بينه** . فقرر هذا ما قرر ، الا ان المقاول **شكيفي** لم يرض بحكمه دون ارادة الفابركه التي رأسها **بولاك** الصهيوني . وكانت النتيجة طرد الكثير من العمال العرب ، كما سجن العديدون ، وانتهى هذا الاضراب بالفشل (٥٣) .

اضراب عمال شركة نفط العراق : بدأ الاضراب في حيفا ، بسبب محاولة ادارة الشركة تخفيض اجور العمال ، فأضرب العمال ، وصاغوا مطالبهم في : الغاء تخفيض الاجور ، تثبيت الحد الادنى للاجور ، يوم العمل ثماني ساعات ، وستة أيام في الاسبوع ، اجر لساعات العمل الاضافي ، اجازة سنوية مدفوعة الاجر ، واجازات مرضية . وسرعان ما امتد الاضراب الى فرع الشركة بيافا ، بسبب طرد احد العمال لخلاف شخصي مع احد مراقبي العمل (٥٤) . وحين طالب زملاؤه العمال باعادته الى العمل ، رفضت الادارة طلبهم ، فبادروا الى اعلان الاضراب . عندها قررت الادارة زيادة ساعات العمل فصعد العمال المضربون من جانبهم ، وتقدموا الى الادارة بجملة من المطالب الاقتصادية .

وتضامن العمال العرب في بعض الصناعات مع زملائهم المضربين . فقدموا اليهم تبرعات مالية ، وفي اماكن اخرى جرى التوقف عن العمل ، كما رفض العمال العاطلون الحلول محل زملائهم المضربين (٥٥) .

(٥٢) **المصدر نفسه** ، الصفحة نفسها .
(٥٣) **المصدر نفسه** ، الصفحة نفسها .
(٥٤) جبرا نقولا . **حركة الاضرابات بين العمال العرب في فلسطين** . يافا . مطبعة النور ، ١٩٢٥ ، ص ١٠ ـ ١٨ .
(٥٥) موسى البديري . المرحلة الثانية في تطور الحركة العمالية في فلسطين ، مقدمات الاضراب العام سنة ١٩٣٦ . **الجديد** (حيفا) ، العدد الاول ، كانون الثاني (يناير) ١٩٧٧ ، ص ٩ .

وكان هذا الاضراب ـ من حيث الاتساع ومدى التضامن الذي اثاره ـ علامة بارزة في مسار الكفـــاح المطلبي للعمال العرب في فلسطين ، بل في الحياة الاجتماعية والسياسية الفلسطينية ، ايضا ٠

ودام الاضراب نحو عشرة ايـــام ، نجح ، خلالهـا ، **قـــادة الهستدروت** وبعض الزعماء الاصلاحيين والرجعيين العرب الفلسطينيين (امثال : **فخري النشاشيبي وحنا عصفور**) في اضعاف الاضراب ، وان نجح العمال المضربون في تحقيق بعض مطالبهم ٠ على ان انتقام الشركة جاء سريعا ، حيث قامت بطرد عدد كبير من العمال النشيطين ، متذرعة باعادة تنظيم الصناعة (٥٦) !

وفي اربعة اضرابات اظهر العمال تضامنهم مع زملائهم المضربين ٠ ففي شركة « فاكوم » اعرب عمالها تضامنهم مع عمال شركة «**شل**» المضربين في يافا ٠ واضرب عمال البناء في حيفا ، تضامنا مع العمال الدقاقين المضربين ٠ كما حدث اضراب في عكا تضامنا مع عمال فابركة «**سبيني**» المضربين ، وعموما ، فان كل اضراب وقع في تلك المدينـــة كان يثير روح التضامن مـــع العمال ، وتدفقت التبرعات على صندوق الاضراب ، وكانت تأتي مـــن العمال العرب واليهود ، على السواء ، واكثر من مرة بلغ حجم التبرعات اكثر من خمسين جنيها (في اضرابي **سبيني ونيشر**) ، في حين تراوح حجم التبرعات في بقية الاضرابات بين ١٠ ـ ٣٥ جنيها (٥٧) ٠

وفي كثير من الاضرابات عجز اصحاب العمل عن ايجاد عمال مـــن محطمي الاضراب في ذات المدينة او في ضواحيها ، مما اضطرهم الى الاتيان بهم من مناطق بعيدة ٠ ففي اضراب العمال في **عمارة روكفلر** بالقدس ، اتـــى اصحاب العمل بعمال من نابلس ، وفـــي اضراب الدقاقين في حيفا احضر اصحاب العمل محطمي الاضراب من القدس ٠ وفي اضراب عمال « **شل** » فـــي يافا اتى اصحاب العمل بمحطمي الاضراب من نابلس (٥٨) ٠

ومن جهة اخرى فان فقراء الفلاحين في نواحـــي حيفا ساعدوا عمـــال « **نيشر** » في اضرابهم ، وقدموا لهم الاكل ، ورفضوا اقتراحا مـــن صاحب العمل بالحلول محل العمال المضربين (٥٩) ٠

(٥٦) **المصدر نفسه** ، وتوما ، ستون عاما ٠٠٠ ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٩٥ ٠
(٥٧) نقولا ، **التنظيم المهني** ، ص ٥٠ ٠
(٥٨) **المصدر نفسه** ، ص ٥٠ ـ ٥١ ٠
(٥٩) **المصدر نفسه** ، ص ٥١ ٠

لقد وقع اثنا عشر اضرابا في الفبارك ، وخمسة عشر في حيفا وحدها ٠ مما يدل على ان تلك المدينة كانت المركز البرولتياري في فلسطين ٠ امـا الفبارك فهي مركز الاستغلال الشديد ، وفيها تنشأ قوة العمال المتحدة (٦٠) ٠

وفيما يلي عدد الاضرابات ، والمدة التي شغلها كل منها : (٦١)

- ١٢ اضرابا امتدت من يوم الى عشرة ايام ٠
- ٧ اضرابات امتدت من ١١ ـ ٢٠ يوما ٠
- واضرابان استمرا اكثر من ٢٠ يوما ٠

اما عدد الذين اشتركوا في الاضرابات ، فكان كما يلي : (٦٢)

- ٣ اضرابات اشترك في كل منها ما لا يزيد عن ١٠ عمال ٠
- ٩ اضرابات اشترك في كل منها من ١١ الى ٢٠ عاملا ٠
- ٩ اضرابات اشترك في كل منها من ٥٠ الى ١٠٠ عامل ٠
- ٥ اضرابات اشترك في كل منها ما يزيد عن ١٠٠ عامل ٠

وثمة اكثر من اضراب تكرر في مكان عمل واحد اكثر من مرة ٠ حيث تكرر مرتين في فابريكة **باحبيا** ، وفي الميناء القديم بحيفا ، وفي شركـة **نيشـر** ، وفي مستوطنة ملبس ، وتكرر ثلاث مرات في فابريكة **سبني** بعكا ٠ مما يعكس تنامي روح الكفاح عند العمال العرب الفلسطينيين (٦٣) ٠

وخمسة اضرابات فقط ـ من الاضرابات الثلاثين المذكورة ـ سبق الاعداد لها، ولكن دون احكام، بسبب ضعف الخبرة٠ على ان هذا لم يمنع ان تتخذ نسبة كبيرة من هذه الاضرابات الثلاثين شكلا هجوميا ٠ فاتسم ١٤ اضرابا بالطابع الهجومي ، حتى ان سلطات الاحتلال اعتقلت ٨٠ من العمال المضربين في حين اتسمت ٩ اضرابات بالطابع الدفاعي ، فمرت بهدوء ولم تستمر طويلا (٦٤) ٠

وبالرغم من أن أغلب الاضرابات تكللت بالنجاح ، فـــان هذا النجاح كان مؤقتاً ، لان صاحب العمل كان يلغي ما ناله العمال من مكاسب ، بمجرد مـرور

(٦٠) **المصدر نفسه** ، الصفحة نفسها ٠
(٦١) **المصدر نفسه** ، الصفحة نفسها ٠
(٦٢) **المصدر نفسه** ، ص ٥٢ ٠
(٦٣) **المصدر نفسه** ، ص ٥٢ ٠
(٦٤) **المصدر نفسه** ، ص ٥٤ ٠

مدة قصيرة على انتهاء اضرابهم ، فيعودون الى الاضراب من جديد · ولعب الانتهازيون العرب ورجال **الهستدروت** دورا غير هين في عرقلة الكفاح المطلبي للعمال العرب في فلسطين · واكثر الاضرابات التي نجح فيها العمال كانت تلك التي اداروها بأنفسهم · فمن ١١ اضرابا ادارها العمال بأنفسهم نجح ٨ اضرابات ، في حين نجح اضرابان فقط من الاضرابات السبعة التي ادارتها **الهستدروت** ، والفضل في النجاح هنا لم يعد للهستدروت بل الى المساعدة التي قدمها بعض العمال الشيوعيين من خارج الاضراب (٦٥) ·

والى جانب أصحاب العمل وقفت سلطات الانتداب ، وقامت **الهستدروت** بمساعدة البوليس وأصحاب الاعمال (كما ظهر جليا في اضراب عمال شركة **نيشر**) · ولم تتورع **الهستدروت** عن جلب عمال لتحطيم الاضراب ، ومقاومة العمال الشيوعيين الذين يمدون يد العون للعمال المضربين · وساعدت هذه المؤسسة الصهيونية البوليس في سبعة اضرابات ، كما طردت العمال المضربين · غير ان تدخل البوليس لصالح اصحاب الاعمال كشف خيانة بعض الزعماء السياسيين ، وعجل في انتقال وعي العمال من المجال الاقتصادي الى المجال السياسي (٦٦) ·

لذا ، كان طبيعيا بان تسير الطبقة العاملة العربية الفلسطينية ـ أبان انتفاضة تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٣ ـ في كل مكان ، في المقدمة · ففي يافا تقدم عمال البناء على الجميع ، واخذوا ، بمبادرتهم الخاصة ، بالكفاح ، وتابعوا الاضراب ، بالرغم من القيادة الوطنية المترجرجة الاصلاحية (٦٧) ·

وفي ١١ اضرابا استطاع أصحاب الاعمال جلب محطمي الاضراب ، وساعدهم على ذلك انتشار البطالة بين جماهير الفلاحين والبدو · كما استغلت **الهستدروت** فشل بعض الاضرابات لتطرد العمال العرب من اماكن عملهم ، وتحل عمال يهود مكانهم (٦٨) ·

بل ان **الهستدروت** كانت تعلن « الاضراب » في مكان ما ، من اجل طرد

(٦٥) المصدر نفسه ، ص ٥٥ ·
(٦٦) المصدر نفسه ، ص ٥٦ ـ ٥٧ ·
(٦٧) لوتسكي · الامبريالية الانكليزية وثورة تشرين الاول في فلسطين · ترجمة رياض يونس ·(انظر : **المقاومة الفلسطينية ـ الواقع والتوقعات** · بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٧١، ص ٢٢) ·
(٦٨) نقولا ، **التنظيم المهني** ، ص ٥٧ ـ ٥٨ ·

العمال العرب منه ، ليس الا (٦٩) ·

وفي اوائل اذار (مارس) ١٩٣٥ أضرب عمال النفط في حيفا · وبلغ عددهم ما يزيد عن الخمسمائة عامل · وانحصرت مطالب العمال المضربين في : جعل يوم العمل ثماني ساعات ، وتحديد حد ادنى للاجور اليومية ١٥٠ ملا ، وعطلة يوم واحد كل اسبوع ، واسبوع واحد سنويا عدا الاعياد ، واجازة مرضية ثلاثين يوما بأجر كامل ، وتتعهد الشركة بدفع كافة الغرامات التي تقع على سائقي السيارات ، وتقدم للسائقين طعاما من الدرجة الثانية في الصحراء، وتفتش السيارات مرة كل أسبوع ، وتلغي امرها بتخفيض الاجور المالية، وتتعهد بعدم طرد العامل من شغله بدون سبب ، وتعترف بنقابة العمال ، وبعد مدة وأفقت الشركة على ما يلي :

١ ـ يوم العمل ثماني ساعات ، ٢ ـ اسبوع اجازة سنوية براتب كامل مع ستة ايام الاعياد الدينية لكل عامل أتم سنة في الخدمة ، ٣ ـ نصف راتب مع المعالجة المجانية من قبل اطباء الشركة للعامل المريض، خلال ثلاثين يوما الاولى، ٤ ـ العمال المؤقتون الذين تضطر الشركة للاستغناء عنهم ينذرون بذلك قبل سبعة ايام على الاقل من تاريخ الاستغناء عنهم ، ٥ ـ يعطى العامل المتهم بسوء سلوكه فرصة للدفاع عن نفسه امام ضابط التوظيف ، ٦ ـ تدفع الشركة ، مقابل كل ساعة عمل اضافية ، ما يعادل اجرة ساعة وربع · وبالنسبة لمطالب العمال الخاصة بالغاء تنفيذ درجات الاجور الجديدة ، ورفع الحد الادنى للاجور الى ماية وخمسين ملا ، ودفع اجور العمال المضربين ، فقد رأت الشركة أن الاجور الجديدة وسيلة « يراد بها جعل ادارة أعمالنا أبسط مما كانت عليه ولاحداث بعض التحسينات ، الناتجة عن تجاربنا في السنوات الثلاث الماضية · (و) ان وجود الدرجات الجديدة لا يؤثر على أجور العمال الموجودين في خدمتنا الآن · ان الحد الاعلى لاجور المستخدمين في اعلى درجة من درجات العمال ذوي الاجور اليومية ، هي خمسمائة مل » · وبالنسبة للحد الادنى للأجور « فانكم تعلمون ، حق العلم ، انه من السهل الحصول على كثير من العمال غير الحاذقين في جميع انحاء فلسطين ، بأجور تتفاوت بين التسعة والعشرة والاحد عشر قرشا باليوم · وبان عمالا كهؤلاء راغبون ومشتاقون لأن يشتغلوا بتلك الأجور ، وأنهم لاشد رغبة في ان يشتغلوا بالاجور التي تدفعها الشركة الآن ، كحد ادنى ، وهي اثني عشر قرشا » · وبعد هذه التهديدات السافرة ، أبلغت الشركة العمال بانها « لا

(٦٩) المصدر نفسه ، ص ٥٩ ·

تستطيع قطعيا ، في الوقت الحاضر ، الموافقة على دفع خمسة عشر قرشا ، ونرجوكم أن تتكرموا باعتبار هذا كرد نهائي » ! وتوقفت المفاوضات ، عند هذا الحد ، بين العمال والشركة (٧٠) ٠

وفي جلسة مجلس العموم البريطاني ، ليوم ٢٠ آذار (مارس) ١٩٣٥ ، اشار **كنليف ليستر** ، وكيل وزارة المستعمرات ، الى انه يعلم بامر النزاع القائم بين شركة نفط العراق وعمالها في فلسطين ، بشأن طلب العمال رفع أجورهم ٠ واكد أن المندوب السامي سيتدخل اذا لم تطبق الشركة قوانين للعمل (٧١) ٠

كما أعلن وزير الخزانة البريطاني ، في جلسة ٣٠\ ٤\ ١٩٣٥ ، للمجلس نفسه ، ان النزاع بين شركة النفط العراق وعمالها ، انتهى في ١٠\ ٣\ ١٩٣٥، وان الاتفاق اشتمل على بنود كثيرة ، تتعلق بشروط العمل في الشركة ٠ وتم الاتفاق بطريقة ودية ، « وهو عادل للفريقين » (٧٢) ٠

وفي تموز (يوليو) ١٩٣٥ التقى وفد من عمال السكك الحديدية العرب المندوب السامي البريطاني ، بمقره في القدس ، عرض له مطالب العمال المهنية والاقتصادية ٠ وأسفرت المقابلة عن النتائج التالية : (٧٣)

١ ـ يمنح عمال المياومة ، الذين مضى عليهم اكثر من ثلاث سنوات ، زيادة من ٤ الى ٨٪ من أجورهم اليومية ٠

٢ ـ بعض ممن مضى عليه اكثر من ثلاث سنوات في الخدمة علاوة مشابهة في كل سنة ، الى ان يصل الى الحد الأعلى لدرجته ، وعليه ، فان العامل الذي يتقاضى ١٢٠ ملا في اليوم ، سيتقاضى ١٣٠ ملا ٠

٣ ـ تشمل هذه المعاملة جميع عمال المياومة ، ايضا ٠

٤ ـ يوزع مدير السكك الحديدية العام ، بمحض ارادته ، جزءا نسبيا من المنحة السنوية على الذين لم يمضي عليهم ٣ سنوات في الخدمة ٠

....

(٧٠) **الاقتصاديات العربية،** (القدس) ، العدد السادس ، ١٥ ـ ٣ ـ ١٩٣٥ ، ص ٣٧ ـ ٣٨ ٠ (انظر : بين شركة النفط وعمالها بحيفا) ٠

(٧١) *Parl. Deb*.. Vol. 299, p. 1148 .

(٧٢) *Ibd.*, Vol. 301, p. 191 .

(٧٣) **الاقتصاديات العربية** ، العدد الرابع عشر ، ١٥ ـ ٧ ـ ١٩٣٥ ، ص ٣٢ ٠

٥ ـ يمنح جميع العمال الشهريين اجازة مرضية قدرها ١٥ يوما ، براتب كامل ، وعمال المياومة الذين قضوا في الخدمة اكثر من ٣ سنوات ، سبعة ايام ٠

ويمنح العمال الشهريون اجازة مرضية قدرها ١٥ يوما ، براتب كامل ، مع ١٥ يوما اخرى بنصف راتب ٠ اما عمال المياومة فيمنحون ١٥ يوما بنصف اجر ٠

٦ ـ اذا اقيل شخص من الخدمة بسبب الشيخوخة أو المرض ، فانه يمنح مكافأة بمعدل راتب اسبوع واحد عن كل سنة من سني الخدمة ، على ان لا يتجاوز الحد الاعلى ١٥ سنة ٠

وقد وعد فخامة المندوب السامي (البريطاني) بالسعي لدى المستعمرات لجعل المعدل راتب اسبوعين ، بدلا من واحد ٠

٧ ـ يبحث مدير السكك الحديدية العامة في امكان تحسين النظام الحالي المتعلق باستئناف الاحكام بالغرامات والقصاص ٠

وفي كانون الثاني (يناير) ١٩٣٨ اضرب العتالون في ميناء يافا ٠ وتذكر الصحيفة العربية **للهستدروت** بأن الاستياء بين العتالين غير المضربين في كمرك ميناء يافا بلغ أشده ، يوم ١٠ كانون الثاني (يناير)، حيث جرى (تدوير الحصة) فاصابتهم حصة أقل بكثير مما كانوا يتوقعونه مقابل الأشغال التي قاموا بها خلال أسبوعين ٠ وكان في نية المتعهد في اليوم ذاته اقناعهم بتوقيع مضبطة يصرحون فيها بانه لم تبق لهم حقوق في ذمته ، وذلك بناء على اشارة محاميه، الذي وكله في الدعوى التي أقامها عليه العتالة ، والتي تعين للنظر فيها يوم أمس (١٨/١) ٠ فلما ادرك العتالة ذلك ، تنحى ثمانية منهم عن العمل ، وانضموا الى اخوانهم المضربين ، ولم يرضخ الى طلب المتعهد بالتوقيع على المضبطه الا القلائل ٠ « وانعقدت المحكمة المركزية امس (١٨\١) لنظر في دعوى العتالة ، فقدم محامي المتعهد بعض الاعتراضات القانونية ٠ اوعز القاضي الى محامي العتالة باتخاذ الوسائل القانونية لارغام المدعي عليه على ابراز بعض الاوراق والمستندات المطلوبة ٠ وتأجلت الجلسة الى يوم ١ اذار المقبل » (٧٤) ٠

....

(٧٤) **حقيقة الامر** (تل ابيب) ، العدد ٤١ ، السنة الثانية ، ١٩ـ ١ ـ ١٩٣٨ ٠

وفي السنوات الاخيرة من الثلاثينيات قاد العمال العرب بعض الاضرابات، وفي معظمها تم الاعتصام داخل مقر العمل · واهم تلك الاضرابات (٧٥) ·

١ ـ **اضراب عمال سكك الحديد** عام (١٩٣٨) ومطالب المضربين كانت : تحسين الاجور ، ومساواة العامل العربي بنظيره اليهودي ،

٢ ـ **اضراب عمال البلديات** ، عام (١٩٣٨) للمطالب نفسها ·

٣ ـ **اضراب عمال بلدية حيفا** ، عام (١٩٣٩) ، احتجاجا على تعيين سلطات الانتداب شبتاي ليفي رئيسا لبلدية حيفا ، وهو يهودي الديانة ومن أصل تركي ·

اضرابات الاربعينيات

اجتاحت فلسطين ، خلال الاربعينيات ، موجة لم يسبق لها مثيل من الاضرابات الاقتصادية والاعمال الجماهيرية الموحدة ، المستمرة في تقطع · وانعكست هذه الموجة في عدد الايام الضائعة في القطاع العربي سنويا من جراء الاضرابات (٧٦) ·

في ١٩٤٠ ٢٤٠ر٠٠٠ يوما ·
وفي ١٩٤٢ ١٣٤ر٠٠٠ يوما ·
وفي ١٩٤٣ ٢١١٦٧ يوما ·
وفي ١٩٤٤ ٢٤٨ يوما ·

وهذه هي المرة الاولى التي تتجاوز فيها الايام الضائعة في القطاع العربي الرقم القياسي الذي بلغته عام ١٩٣٧ ، وكان ٢١١٦٧ يوما ·

وكان لهذا الامر تاثيره على كل الاحزاب السياسية في البلاد · ففي حين بلغت الجماهير الكادحة ، في هذه الفترة ، والطبقة العاملة على وجه الخصوص، درجة اعلى من الوحدة في العمل النقابي وقدرا اعظم من الروح النضالية ، اتسعت الانشقاقات وعمت الخلافات داخل الاحزاب السياسية العربية التقليدية وداخل المعسكر الاستعماري ـ الصهيوني ، ايضا ، كل يرفع شعارات ورايات

---

(٧٥) مذكرات حسني صالح الخفش ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٣٤ ·

(٧٦) سعد ، **مصدر سبق ذكره**، ص ٧٥ + الطبعة الثانية من الكتاب نفسه (مخطوط)، ص ٥٤ ـ ٥٥ ·

تختلف وتتباين عن الاخر ·

على ان الانقسام لم يفتأ ان انتقل الى الطبقة العاملة نفسها ، وحركتها النقابية · وان عاد الملتزمون بفكر الطبقة العاملة والاشد ارتباطا بجماهير الطبقة العاملة ، عادوا الى طرح صيغ للتعاون والوحدة في العمل ، مسترشدين بمنطق العمل الجماهيري ·

وفي اواخر الثلاثينيات ركدت الحركة العمالية العربية ، الى ان اندلعت الحرب العالمية الثانية ، حيث تحولت فلسطين ـ بحكم موقعها الاستراتيجي ـ الى مركز صناعي وحربي هام ، وزاد انتاجها الصناعي ، فعجل هذا في تطورها الاجتماعي · واشتد ساعد الطبقة العاملة العربية مع تدفق العناصر الكادحة اليها فازدهرت حركتها ابتداء من عام ١٩٤٢ · ومنذ منتصف الاربعينيات اتسع حجم الطبقة العاملة ، واكتسبت هذه الطبقة خبرة خصبة ، وازداد تنظيمها احكاما ، واتضحت اهدافها · وانحصرت المطالب النقابية العمالية في : (١) قانون العقد الاجتماعي ؛ (٢) الاعتراف بالحركة العمالية العربية رسميا ؛ (٣) التامين الاجتماعي (٧٧) ·

ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية تقلص عدد معسكرات الجيش البريطاني في فلسطين ، وضاقت مجالات العمل ، وسُرح المئات من العمال العرب الفلسطينيين واتسعت دائرة البطالة · وعجزت الصناعات العربية الفلسطينية الناشئة عن استيعاب ، العاطلين من العمال العرب · مما دفع النقابات العمالية العربية الى الضغط على سلطات الانتداب لزيادة حصة الاشغال العامة في موازنة البلاد المالية ، من اجل استيعاب العمال العاطلين · كما طالبت النقابات نفسها سلطات الانتداب باستثمار الاموال في المشاريع الانشائية ، مثل مد الطرق وبناء المدارس والمستشفيات ، لخلق المزيد من فرص العمل ، وتوسيع الخدمات الاجتماعية (٧٨) ·

وبعد ان وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها ، احتدم الصراع الوطني · مما دفع الطبقة العاملة الى دفع صراعها مع اصحاب الاعمال العرب الى المرتبة

---

(٧٧) سعد ، **مصدر سبق ذكره** ، (الطبعة الاولى) ، ص ٧٣ ـ ٧٤ ·

(٧٨) موسى البديري · المرحلة الخامسة في تطور الحركة العمالية العربية · **الجديد**، العدد الثامن ، آب (اغسطس) ١٩٧٨ ، ص ٤٤ ·

الثانية ، واعتبرت تقوية الاقتصاد الوطني قضية قومية ، يتحمل عبئها جميع سكان البلاد العرب ، بغض النظر عن موقعهم الطبقي · وبناء على هذا ، فان نظرة العامل العربي الى صاحب العمل العربي تختلف عن نظرته الى صاحب العمل الاجنبي · فالعامل العربي على استعداد ، في سبيل تقوية وتطوير الاقتصاد العربي ، الذي بدوره يؤدي الى تقوية الكيان العربي في البلاد ، لان يضحي ببعض حقوقه ، ولكن هذا لا يعني السماح للرأسماليين العرب باستغلال عمالهم· ودعا كاتب هذا المقال الى عقد مصالحة بين العمال واصحاب العمل العرب ، من اجل المصلحة العامة ، وخلق ظروف ايجابية لتطوير الحركة الوطنية (٧٩) ·

وهكذا ضحى العمال العرب بمطالبهم الاقتصادية لصالح القضية الوطنية · وان لم يمنع هذا الطبقة العاملة من القيام ببعض الاضرابات الاقتصادية وخاصة في المؤسسات الاجنبية · واتضح الفارق بين موقف كل من **مؤتمر العمال العرب وجمعية العمال العربية** ، في هذا الصدد ، الاول يتبنى مطالب العمال ويقود حركتهم ، والثانية لم تكن دائما ، مستعدة لان تقف الى جانب العمال المضربين· وكانت تلعب في كثير من احيان ، دورا وسيطا ، في محاولة منها لتمثيل دور المعتدل تجاه اصحاب الاعمال· وقد ظهر هذا الموقف جليا في اضراب عمال شركة بترول العراق في حيفا (٨٠) ·

والقليل من هذه الاضرابات شمل أعدادا كبيرة من العمال وامتدت لفترة طويلة من الزمن في حين شملت اغلبية هذه الاضرابات تجمعات لا تزيد عن بضع عشرات العمال ، كما لم يحق بها الزمن طويلا ·

واتسعت الاضرابات العمالية اليهودية والعربية ، وقفز عددها من ٨٠ اضرابا يشمل ٣٫٨٠٠ عامل ، سنة ١٩٤١ ، الى ١٤٧ اضرابا ، تشمل ١٧٫٨٤٦ عامل ، سنة ١٩٤٣ (٨١) ·

---

(٧٩) خليل شنير · موقف حركتنا العمالية من اصحاب العمل ·**الاتحاد** (حيفا) ، ٢٠ ـ١٢ـ ١٩٤٥ · (اوردها البديري ، **المصدر نفسه** ، الصفحة نفسها)· وكان شنير احد قادة مؤتمر العمال العرب في فلسطين ·

(٨٠) البديري ،**المصدر نفسه** ، الصفحة نفسها (انظر ايضا : الراي العام كله يؤيد الاضراب · **الاتحاد** ، ١٦ ـ ٣ ـ ١٩٤٧ · + سيروا ايها العمال المضربين فانكم في سيركم تكتفون اسس الوحدة الوطنية الصحيحة · **الاتحاد** ، العدد نفسه) ·

(٨١) صادق سعد · احتضار الصهيونية · **الفجر الجديد** (القاهرة) ، العدد الحادي عشر ، ١٥ ـ ١٠ ـ ١٩٤٥ ·

وكانت اهم الاضرابات العمالية ، هي :

١ ـ **اضراب عمال معسكرات الجيش البريطاني (١٩٤٠)** : للمطالبة بتحسين الاجور وشروط الاستخدام (٨٢) ·

٢ ـ **اضراب عمال مطاحن النعامة بنابلس (١٩٤٣)** (٨٣) ·

٣ ـ **اضراب عمال مطابع جريدة « فلسطين »** (تشرين الثاني « نوفمبر » ١٩٤٥) مطالبين بزيادة اجورهم (٨٤) ·

٤ ـ **اضراب عمال معمل كبريت (نور) اليهودية بعكا (كانون الثاني «يناير» ١٩٤٦)** ، وفيه اعتصم العمال عدة اسابيع ، حتى تحققت مطالبهم (٨٥)· وكان اضرابا طويلا ، من اجل انتزاع حق العمال في التنظيم النقابي لتحسين شروط عملهم · ولاقى هذا الاضراب تأييدا واسعا من العمال العرب في جميع انحاء فلسطين (٨٦) ·

٥ ـ **اضراب عمال البريد (نيسان «ابريل» ١٩٤٦)** ، في ١٩٤٥ تقدم ممثل نقابة عمال دائرة البريد في يافا الى مدير البريد طالبا بحث مشكلة احد العمال · فما كان من المدير الا ان رفض سماع الشكوى ، مبديا عدم اعترافه بالنقابة العربية · ولما اصر على الرفض هدده سكرتير النقابة بالاضراب ، ومضت مدة المهلة المعطاة للاجابة · ومع ذلك حاول المسؤولون عن النقابة **وجمعية العمال العربية** اقناع المدير بالعدول عن اصراره ، والتفاوض مع ممثلي النقابة ، وعندما ابى اعلنت النقابة الفرعية في يافا الاضراب عن العمل · وتوقف العمل ، فعلا ، في الوقت المحدد ، واستعانت دائرة البريد بقوات الجيش لتسيير العمل ، بدلا من العمال العرب المضربين · مما دفع **النقابة القطرية العامة لعمال دائرة البرق والبريد والتليفون** الى اعلان الاضراب العام لعموم دائرة البريد في فلسطين · ومرة اخرى لجأت الدائرة للجيش · وتقدم قادة مختلف النقابات العمالية في البلاد بمطالب نقاباتهم الاقتصادية الى سلطات الانتداب ، واعلنوا الاضراب العام حتى تجاب هذه المطالب · وكان القصد من وراء المطالب والاضراب تعزيز موقف

---

(٨٢) مذكرات الخفش ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٢٤ ·

(٨٣) **المصدر نفسه** ، الصفحة نفسها ·

(٨٤) البديري ، المرحلة الخامسة ··· ، ص ٤٤ عن **الاتحاد** ، ٤ ـ ١١ ـ ١٩٤٥ ·

(٨٥) مذكرات الخفش ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٢٤ ·

(٨٦) البديري ، المرحلة الخامسة ··· ، ص ٤٤ ، عن **الاتحاد** ، ١٣ ـ ٢ ـ ١٩٤٦ ·

نقابة عمال البريد . وكان ان اضربت نقابات عمال السكك الحديد ، وعمال البترول، وعمال الاشغال العامة ، ومعظم عمال الدولة . مما ادى الى شل الحركة في معظم دوائر الحكومة . ولحق بهذا الاضراب موظفو الحكومة ، فأعلنوا اضرابهم عن العمل (٨٧) . وشارك في هذا الاضراب قرابة الخمسين الف عامل (٨٨) .

وفي حين صورت صحيفة «فلسطين» ، العربية الفلسطينية المحافظة ، هذا الاضراب وكأنه انتصار للقيادة الصهيونية نجد صحيفة «لمتسوهرايم» الصهيونية ترى انه من صنع الجامعة العربية ، كما نددت صحيفة « يديعوت احرنوت » الصهيونية بهذا الاضراب ، بدعوى ان دافع الضرائب اليهودي سيتحمل اعباء الاضرابات الاقتصادية (٨٩) .

وشل الاضراب اعمال حكومة فلسطين والمرافق العامة للبلاد ، من دوائر حكومية وسكك الحديد ، وخدمات البريد ، والاذاعة ، والموانئ . وتحققت ، خلال الاضراب ، وحدة لم تشهدها البلاد من قبل ،بين الموظفين والعمال . وبين العرب واليهود ، وان ادى الدور الانهزامي الذي لعبته قيادة جمعية موظفي الحكومة الى ضرب وحدة المضربين . فبعد ان توصلت هذه القيادة الى اتفاق منفرد مع سلطات الانتداب استجابت فيه هذه السلطات الى بعض مطالب الموظفين ـ طلبت قيادة الجمعية الى الموظفين انهاء الاضراب والعودة الى العمل ، مما اضطر قيادة العمال الى فض الاضراب (٩٠) ، بالرغم من معارضة العمال في بعض الاماكن لقرار فض الاضراب (٩١) . هذا في الوقت الذي عجز مؤتمر العمال العرب عن اقناع قيادة جمعية موظفي الحكومة بعدم انهاء الاضراب . حتى جمعية

---

(٨٧) مكتب العلاقات النقابية باتحاد العمال العرب . **تاريخ العمال العرب في فلسطين**. القاهرة ، د. ت.، ص ١٥ ـ ١٧ + **الاتحاد**، ٢١ ـ ٨ ـ ١٩٤٥ . (دام الاضراب حتى ٢٠ ـ ٤ ـ ١٩٤٦ ـ حسب **مذكرات الخفش** ، ص ٢٦ ـ ٢٧ + حديث ابراهيم عليان (من نقابة عمال السكك الحديدية) . **شؤون فلسطينية** ، العدد ١٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٢، ص ١٧٩) .

(٨٨) البديري ، المرحلة الخامسة ... ، ص ٤٤ ـ ٤٥ ، عن **فلسطين** ، ١٧ ـ ٤ ـ ١٩٤٦ ، **والاتحاد** ٢١ـ٤ـ١٩٤٦ .

(٨٩) **الاتحاد** ، ٢١ ـ ٤ ـ ١٩٤٦ و٢٨ ـ ٤ ـ ١٩٤٦ :

(٩٠) بيان الى العمال الوطنيين والرأي العام . منشور اللجنة المركزية لمؤتمر العمال العرب ، ٢٥ ـ ٤ ـ ١٩٤٦ . اورده البديري ، المرحلة الخامسة ...

(٩١) فؤاد نصار . تفاصيل الاجتماعات الاخيرة قبل حل الاضواب . **الاتحاد** ، ٢٨ ـ ٤ ـ ١٩٤٦ . اوردها البديري ، **المصدر نفسه** .

العمال العربية استنكرت قيادة الموظفين للعمال المضربين (٩٢) .

على ان هذا الاضراب التاريخي لم ينجح تماما . واعاد فؤاد نصار ، احد رموز مؤتمر العمال العرب ، فشل هذا الاضراب الكبير الى فقدان الوحدة التنظيمية في الحركة النقابية العربية ، وضعف التعاون بين العمال والموظفين ، ومؤامرات القيادة الصهيونية ، كما ان الاضراب لم يمتد ليشمل الصناعة ، واخيرا بسبب رفض جمعية العمال العربية ، بقيادتها الاصلاحية ، اعلان اضرابات التضامن في مصانع الزيوت ومعسكرات الجيش (٩٣) .

وان كان عمال السكك الحديدية المضربون حققوا بعض النجاحات ، صحيح انهم عادوا الى اعمالهم صباح ٢٥ نيسان (ابريل) ١٩٤٦ بعد لقائهم في اجتماع حاشد في مقر جمعية العمال العربية ، استمر من التاسعة صباحا حتى الحادية عشرة من مساء ٢٤ نيسان ، حيث تداولوا في امر انهاء اضرابهم بعد الاتفاق الذي توصل اليه مندوبو العمال مع الحكومة ، والذي تضمن زيادة الاجور ، بحيث نال كل موظف زيادة سنوية ، التي لا يوقفها الا الغرامات عن الاهمال او التخريب ، مع صرف المتأخر من هذه الزيادات للعمال عن سنوات ٤٣و٤٤ و١٩٤٥ . وتعديل الاجور ، ووقف التقاعد عن العمل لكبر السن عدا سوء الحالة الصحية ، تطبيق العمل ثماني ساعات على عمال سكة الحديد باستثناء الحراس وموظفي المحطات الصغيرة ، ولا يتم فرض الغرامات الا بعد التحذير مرتين ، مع اعطاء المذهب حق الاسترحام ، ويكون قرار التغريم من رئيس الدائرة بالاشتراك مع لجنة العمال . واربعة عشر يوما اجازة سنوية للعمال الشهريين ، والسماح لعمال التصليح في مشغل كيشون بالعمل على ٨ دورات لثماني ساعات بدلا من ٥ دورات لعشر ساعات ونصف لكل دورة ، اعطاء ٢٥ بالمئة للاشخاص الذين يشتغلون ليلا في المشاغل ، علاوة على اجرتهم الاعتيادية ، ونقل العامل من الاجرة اليومية الى الشهرية بعد عامين ، والعمال الذين تركوا الخدمة لستة اشهر كأنهم لم يتركوها . واعطاء مكافأة ٥٪ للاشخاص الذين اشتركوا في صندوق التوفير ، وستكون المكافأة على اساس الاجرة التي كان يتقاضاها الموظف او العامل قبل سنة ١٩٣٣ ، ومنح ٥٪ للعامل الذي يتقاعد دون ان يكون مشتركا في صندوق التوفير ، تطبيق نصوص القوانين العامة رقم ١٥٩ بخصوص الاجازات المرضية ، ورفع الحد الادنى لاجرة العمال غير المهرة من ١٦٠ ملا في

---

(٩٢) من سبب اضراب العمال العام في فلسطين . **فلسطين** ، ٢٧ ـ ٤ ـ ١٩٤٦ .

(٩٣) اميل توما . **فؤاد نصار الرجل والقضية** . القدس ، دار صلاح الدين ، ١٩٧٧، ص ٢٧ ـ ٢٨ .

اليوم الى ٢٠٠ مل ، اعتبارا من اول نيسان (ابريل) ١٩٤٦ · وسيصار الى تعديل زيادة الاربعين ملا للاجرة الاساسية للذين يتقاضون اكثر من ١٦٠ ملا · وعندما طلب **سامي طه** الى مدير السكك الحديد العام أن تصرف الادارة اجرة ايام الاضراب ، على ان تحسب من الاجازات المرضية ، طلب المدير العام اعطائه مهلة تمكنه من الاتصال مع المندوب السامي ومدير دائرة شؤون العمل ، لاخذ الموافقة (٩٤) ·

وهكذا ، عاد موظفو الدرجة الثانية الى اعمالهم ، بعد اضراب دام مدة اسبوعين لموظفي دوائر البريد ، وثمانية أيام لموظفي بقية الدوائر · وبلغت خسائر الحكومة من هذا الاضراب نحو ثلاثة ارباع مليون جنيه · وفي يافا عادت حركة العمل في الدوائر الرسمية ، كما استؤنفت الاتصالات التليفونية وكذا سير القطارات · وكانت **اللجنة المركزية لعمال وموظفي البريد في حيفا** قد قررت عدم السماح لجمعية موظفي الدرجة الثانية بالتدخل في الاضراب او المفاوضات التي دعت اليها لجنة الاضراب وجمعية العمال العربية الفلسطينية · وفي القدس حضر ممثل **جميعة موظفي الدرجة الثانية** ، بناء على طلبه · وحين عاد اعضاء لجنة الاضراب وممثلو المنظمات النقابية الى العمال والموظفين المضربين ، بعد ثلاثة ايام من بدء الاضراب ، وجدوا الاضراب قد تطور ، خاصة في حيفا ، بعد ان اعلن عمال السكك الحديدية والميناء وموظفي الدرجة الثانية الاضراب عن العمل، ابتداء من الساعة السادسة من صباح ١٥ ــ ٤ ، مما شجع عمال وموظفي البريد على متابعة اضرابهم · وسار العمال المضربون ــ وعددهم اكثر من خمسة عشر الف عامل ــ جنبا الى جنب موظفي الدرجة الثانية · ثم سارت كل لجنة من لجان الاضراب المختصة بدائرة من الدوائر تفاوض المسؤولين عنها لازالة ظلامات عمالها التي تسببت في الاضراب · واثناء المفاوضات اتخذت **اللجنة التنفيذية لجمعية موظفي الدرجة الثانية** قرارا بحل الاضراب · وتقول جريدة اصلاحية فلسطينية انه « كان لهذه القرار اثر سيء ، ليس فقط في اوساط العمال ومنظماتهم ، بل بين اوساط الموظفين انفسهم ، فاستنكروه بشدة » (٩٥) ·

٦ ــ اضراب عمال النسيج في يافا (نيسان وايار « ابريل ومايو » ١٩٤٦) ، عقد اجتماع ، في قاعة الغرفة التجارية بيافا (٢٥ــ٤) ، حضره ممثلون عن العمال المضربين· وتناول البحث موضوع التقريب بين وجهتي نظر الفريقين(٩٦)·

---

(٩٤) الدفاع ، العدد ٣٣٤٣ ، ٢٥ ــ ٤ ــ ١٩٤٦ ·
(٩٥) الدفاع ، ٢٥ ــ ٤ ــ ١٩٤٦ ·
(٩٦) الدفاع ، ٢٥ ــ ٤ ــ ١٩٤٦ ·

وتكرر الاجتماع بعد يومين ، وحقق العمال المضربون جزءا كبيرا من مطالبهم في رفع الاجور وتحسين شروط العمل ·

وتكرر الاضراب في « **شركة النسيج الفلسطينية ــ السورية** » **ومصنع مصباح الشريف** ، بعد ان ابقت الشركتان اجور العمال على ما كانت عليه قبل الاضراب الاول ، وجمدت منح العمال اجازات ، وتعيين ساعات العمل (٩٧)·

٧ ــ اضراب عمال شركة الاتحاد العربي للسجاير والدخان بحيفا (نيسان ايار «ابريل ومايو» ١٩٤٦) استمر اضرابهم اربعين يوما ، انتهى يوم ٣٠ ايار ١٩٤٦ ، بعد ان تم الاتفاق بين **جمعية العمال العربية** بحيفا ومدير الشركة **عبد الرحمن الحاج ابراهيم** ، على ارجاع جميع العمال المضربين ، ودفع اجور ايام الاضراب ، وتوقيع الاتفاقية التي سبق ووضعتها الجمعية (٩٨) ·

٨ ــ اضراب شركة التكرير في حيفا (شباط وآذار «فبراير ومارس» ١٩٤٧) وكان اضرابا مشتركا ، عربي ــ يهودي (٩٩) · ووصفته ــ في وقت لاحق ــ صحيفة شيوعية فلسطينية بأنه كان «الاضراب النضالي ··· واستمر عدة ايام، واستنفر تضامن عمال شركات الزيوت وتأييدهم » (١٠٠) · كما تدخلت قوات البوليس للقضاء على هذا الاضراب (١٠١) · وتكرر الاضراب في آذار (مارس) من السنة نفسها ، بعد ان رفضت ادارة الشركة الاستجابة لمطالب العمال بصدد زيادة الاجور وتوفير ملابس خاصة للعمال · وشارك في هذا الاضراب قرابة ١٫٠٠٠ عامل ، ودام اسبوعين ، وانتهى بفوز العمال المضربين في تحقيق مطالبيهم (١٠٢) ·

٩ ــ اضراب عمال بلدية يافا : (حزيران «يوليو» ١٩٤٦) ، (١٠٣) وفي صباح الاحد ٢٣ حزيران (يونيه) ١٩٤٦ التقى رئيس بلدية يافا كلا من **رفيق الاصفر وسليم القاسم** ، ممثلي **مؤتمر العمال العرب بيافا** ، نيابة عن عمال البلدية · وتسلم المندوبان المطالب العمالية المقرة من البلدية · وعليه قرر العمال

---

(٩٧) الدفاع ، ٢٧ ــ ٥ ــ ١٩٤٦ ·
(٩٨) الدفاع ، ٣١ــ٥ــ١٩٤٦ ·
(٩٩) البديري ، **المرحلة الخامسة** ··· ، ص ٤٤ ·
(١٠٠) **الاتحاد** ، ١١ ــ ١ ــ ١٩٧٤
(١٠١) عصبة التحرر الوطني ، **مصدر سبق ذكره** ،ص ٥٠ ·
(١٠٢) البديري ، **المرحلة الخامسة** ··· ، ص ٤٥ ،**الاتحاد** ، ١٦ ــ ٣ ــ ١٩٤٧ ·
(١٠٣) البديري ، **المصدر نفسه** ، ص ٤٤ ، عن **الاتحاد** ٣٠ ــ ٦ ــ ١٩٤٦ ·

المضربون العودة الى العمل ، بعد ان تعهدت البلدية بتحويل العامل الذي اشتغل سنتين الى عامل شهري ، مع منح العمال ملابس صيفية واخرى شتوية ، وتتم معالجتهم على حساب البلدية ، ومنح اليوميين منهم اجازة سنوية قدرها سبعة ايام وللعمال الشهريين ١٤ يوما ، اضافة الى عطلة الاعياد وايام الراحة الاسبوعية مع اجازة مرضية ثلاثة اسابيع باجرة كاملة ، وتنظر البلدية في دفع اجرة العامل للمدة الزائدة عن ذلك ، وتعميم الثماني ساعات في كافة اقسام البلدية، مع فحص عمال المجاري مرتين في الشهر طبيا على نفقة البلدية ، ورفع اجور عمال البلدية الى ما يوازي اجور عمال الحكومة، ويأخذ العمال مكافاة عن سنين الغلاء ويتم انشاء صندوق احتياطي للعمال على غرار صندوق موظفي الحكومة ، ووافق رئيس البلدية على تشكيل لجنة استشارية لبحث مشاكل العمال الطارئة ، من ممثل عن البلدية وممثل عن العمال وثالث عن دائرة العمل · كما وافق على دفع اجور العمال عن ايام الاضراب · وكان وفد من عمال بلدية القدس قد زار عمال بلدية يافا المضربين لتأييدهم في الاضراب ، وتبرع لهم بعشرة جنيهات ، كما وصلت المضربين برقيات تأييد من مختلف منظمات العمال العربية الفلسطينية (١٠٤) ·

١٠ ـ اضراب عمال سبني (حزيران « يونيو » ١٩٤٦) عقد اجتماع عام لعمال شركة «سبني» من جميع الاقسام بحيفا وعكا ، (٢٥ـ٦) في قاعة جمعية العمال العربية الفلسطينية ، حيث قرروا ما يلي : (١٠٥) ·

١ ـ الاصرار على دعم التنازل عن مكافاة الشهرين التي سبق للحكومة ان قررت صرفها لعمالها وموظفيها ·

٢ ـ عودة عمال سبني الى اجتماع عام ، الاسبوع الحالي ، لاتخاذ موقف حازم في حالة رفض الشركة مطالب العمال · وفوض العمال جمعية العمال العربية بحيفا في اعلان الاضراب العام في هذه الحالة ·

١١ ـ اضراب عمال مصنع بنزنبورغ في تل ابيب (آخر حزيران ١٩٤٦) ، اضرب عمال مصنع بنزنبورغ للادوات الحديدية في تل ابيب ، في آخر حزيران ١٩٤٦ · وكان ان تضافر اصحاب المصانع في تل ابيب لتغطية العجز في اليد العاملة بالمصنع المذكور ، وحضروا بانفسهم للقيام بعمل العمال ، وبلغ عددهم عشرين صاحب محل · على ان عملهم هذا لم يمتد به العمر سوى ليوم واحد ،

(١٠٤) الدفاع ، ٢٤ ـ ٦ ـ ١٩٤٦ ·
(١٠٥) الدفاع ، ٢٦ـ٦ـ١٩٤٦ ·

اذ ردهم العمال على اعقابهم في اليوم التالي (٢ـ٧) بالحجارة والعصي (١٠٦) ·

١٢ ـ اضراب عمال شركة مانتاشوف بيافا (الجمعة ٥ ـ ٧ ـ ١٩٤٦)، وكان الاضراب احتجاجا على عدم استجابة الشركة لمطالب العمال ، والخاصة بزيادة الاجور ، والعلاوة ، وصرف منحة الحرب (١٠٧) ·

١٣ ـ اضراب عمال محاجر مجدل صادق (تموز «يوليو» ١٩٤٦) ، احتجاجا على الفروق في الاجور بين العمال العرب واليهود (١٠٨) · ومجدل صادق قرية عربية من قرى منطقة الرملة ، وهي محاطة بتلال من الحجر الجيري، تملكها الدولة ، واحتكرت سوليل بونيه الصهيونية استغلال هذه التلال ، فاقامت هناك محاجر وكسارات وافران الجير · واستخدمت عمالا عربيا اضافة الى العمال اليهود · ومارست تمييزا صارخا في الاجور ، حيث تقاضى العامل اليهودي ضعف نظيره العربي · واعلنت جمعية العمال العربية الخلاف الصناعي بين العمال وبين الشركة ، وتقدمت الجمعية الى الشركة بمطالب العمال ، ومنها مساواة الاجور ، وازالة الحواجز من وجه العمال العرب ، وتحديد المكافات ، والترقيات ، وايام الاعياد · وفشلت محادثات اجراها ممثل الجمعية مع ممثل الشركة · فرفعت الجمعية شكوى الى مكتب العمل ، الذي حضر مديره ، اضافة الى قائمقام الرملة (عربي) ، مفاوضات جديدة بين ممثل الجمعية وممثل الشركة، انتهت الى ما انتهت اليه سابقتها من فشل · فاعلن العمال العرب الاضراب في اوائل تموز (يوليو) ١٩٤٦ · واختار قادة النقابة المشرفون على الاضراب صباح احد ايام السبت للبدء في الاضراب ، وهو يوم العطلة الرسمي للعمال اليهود ، وحين كانت جميع الافران (الاتونات) معباة ، والجير في مرحلة نهائية ، ومطلوب تفريغه خلال فترة قصيرة من الزمن · واعتصم العمال · ورافقت الاضراب حملة دعائية ، شملت فلسطين كلها · وحين حضر العمال اليهود ، في اليوم التالي ، الى المحاجر اوقف سياراتهم العمال المضربون ، ومنعوهم من الوصول الى منطقة العمل · ومن اليوم الثالث للاضراب حضر اصحاب الشركة ومعهم قادة الهستدروت وقوة من فرسان الجيش البريطاني ، فتصدى لهم العمال المضربون، وحين ارسلت سلطات الانتداب دبابات لتعزيز قوة الفرسان اعترضها العمال باجسادهم · واخيرا رضخت الشركة لمطالب العمال ، بعد ان فشلت في رشوة

(١٠٦) الدفاع ، ٣ ـ ٧ ـ ١٩٤٦ ·
(١٠٧) الدفاع ، ٧ ـ ٧ ـ ١٩٤٦ ·
(١٠٨) البديري ، المرحلة الخامسة ··· ، ص٤٤ ، عن الاتحاد ١٤ ـ ٧ ـ ١٩٤٦ ·

مندوب العمال ، **مالك المصري** (١٠٩) ٠

١٤ ـ اضراب جـزئي سياسي (٢ـ١١ـ١٩٤٦) في اول تشريـن الثاني (نوفمبر) ١٩٤٦ ، اصدر **سامي طه** ، السكرتير العـام **لجمعية العمال العربية** ، بيانا دعا فيه العمال الى الاضراب نصف ساعـــة فقط ، في ذكرى منح الحكومة البريطانية وعد بلفور للحركة الصهيونية (١١٠) ٠ على ان هـذا الاضراب كان سياسيا ولم يكن ضمن الاضرابات الاقتصادية العمالية ٠

١٥ ـ اضراب عمال معسكرات الجيش البريطاني (ايار «مايو» ١٩٤٧) ، نظمته وقادته **اللجنة المركزية لعمال المعسكرات العرب** ، المنبثقة عن **مؤتمر العمال العرب** ، بعد ان رفضت قيادة **جمعيـــة العمال العربية الفلسطينية** اقامة لجنة مشتركة لقيادة الاضراب ٠ وقد اضرب العمال يوما واحدا (٢٠ـ٥) ، وشارك فيه قرابة الخمسون الف عامل ، عربا ويهودا ٠ وجاء اضرابهم احتجاجـــا على فصل عدد كبير من العمال العرب من معسكرات الجيش البريطاني ، وفي سبيل الاعتراف بحقهم في التنظيم النقابي ، وللبدء في مشاريــــع انشائية لاستيعاب العمال العاطلين ، ولدفع التعويض للعمال المسرحين ، ولرفع مستوى الاجور ، وتحديد اجور العمال غير المهرة بـ ٣٣٠ ملا في اليـــوم ، كحد ادنى ٠ وكان الاضراب رمزيا ، « يهدف الى انذار السلطات بقوة ووحدة عمال العسكرات » ، على ما جاء في بيان **اللجنة المركزية لعمال المعسكرات العرب** (١١١) ٠

ودعت **جمعية العمال العربية** الى مؤتمر عام لعمـــال معسكرات الجيش بحيفا ، يوم ٢٨ نيسان (ابريل) ١٩٤٦ ، لبحث قضية العمال العرب في معسكرات الجيش ، بعد نجاح اضرابهم (١١٢) ٠

١٦ ـ الاضراب العام لعمال دائرة الاشغال في لواء نابلس (١٩٤٧) (١١٣) ٠

١٧ ـ اضراب عمال البحرية الملكية (٢٣ـ٢ـ١٩٤٨) ، حينما توقف عمال البحرية الملكية العرب في حيفا ـ قسم **كريات حاييم** ـ عن اعمالهم ، احتجاجا على المعاملـة السيئـة التي يلاقونها مـن الموظف المسؤول هناك ٠ واجرت **جمعية العمال العربية** اتصالات مع كبار المسؤولين في الدوائر العربيــة ، لحفظ حقوق

(١٠٩) مذكرات الخفش ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٢٨ ـ ٣٠ ٠
(١١٠) **صوت الامة** (القاهرة) ، ٢ ـ ١١ ـ ١٩٤٦ ٠
(١١١) البديري ، **المرحلـة الخامسة** ٠٠٠ ، ص ٤٤ ، عن **الاتحاد** ٢٥ـ٥ـ١٩٤٧ ٠
(١١٢) **الدفاع** ، ٢٥ ـ ٤ ـ ١٩٤٦ ٠
(١١٣) مذكرات الخفش ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٢٥ ٠

هؤلاء العمال، (١١٤) ٠

ومع بدء الصدامات المسلحة بين المواطنين العرب والعصابات المسلحة الصهيونية ، نشأ نوع جديد مـــن الاضرابات ، يمكن اطلاق اسم « **الاضرابات الأمنية** » عليها ٠ فثمة بيان أصدرته **جمعية العمال العربية** حول حقوق العمـال في **شركـة تكرير البترول** ، وتوسع البيان في الاشارة الى حوادث الاعتداءات الصهيونية المتكررة ضد المواطنين العرب ٠ كما تضمن تعليمات للمرور ، تجنبا لرصاص العصابات الصهيونية (١١٥) ٠

وبعد ان استمر تعرض عمـــال **شركـة تكرير البتـرول** لرصاص رجـال العصابات الصهيونية ، **توقفوا** عن العمل ، لعدم توفير الشركة الحراسة الكافية لتأمين سلامة العمال ، خاصة بعد أن سقط منهم قتيلان برصاص الصهيونيين ٠ وتبع ذلك انقطاع معظم العمال العرب في عكـا والناصرة وشفا عمرو وجنين ونابلس وأقضيتها عن العمل مدة طويلة ٠ وكانت النسبة العددية الى ما قبل ٣٠ آذار (مارس) ١٩٤٨ ، ٧٦٪ من العرب و ٢٤٪ من اليهود (١١٦) ٠

ولم يلجأ العمال العرب الفلسطينيون الى سلاح الاضراب فحسب، في سبيل انتزاع حقوقهم بل عمدوا ، أيضا ، الى اجراء مفاوضات مع أصحاب العمال ، أحيانا ، كما وسطوا دائرة العمل للغرض نفسه ٠ وهذه وثيقة رسمية لحكومـة فلسطين تؤكد أن « الحالات التي يلجأ فيها العمال العرب الى ادارة العمل كثيرة، عند وقوع نزاع بينهم وبين اصحاب العمل ، بينما كـان العمال اليهود يلجأون الى نقاباتهم ، حيث تحل المنازعات عن طريق التحكيم » ٠ وتحصر الوثيقة نفسها حالات المنازعات هذه بما يلي : الاجازة المرضية بأجر ، وساعات العمل، والاجور الاضافية عن ساعات العمل الزائدة ، ومكافأة نهايـة الخدمة » ٠ وتشير هذه الوثيقـة الى ان عمليـة التحكيم كـانت تتم على ضوء **نظـام** « **الدفاع في نزاع النقابـات** » الصادر في ١٩٤٢ ٠ وبلغ عدد النزاعـات التي تبلغت لمصلحة العمل ٤٢٤ نزاعا، قدم فيها ١٢١ حالة للتحكيم الرسمي ، وكانت معظم النزاعات عربية خالصة أو يهودية خالصة ٠ فيما عدا القليل جدا من الحالات المختلطة ، التي كان فيها يهود وعرب ، **معا** (١١٧) ٠

(١١٤) **الدفاع** ، ٢٥ ـ ٢ ـ ١٩٤٨ ٠
(١١٥) **الدفاع** ، ٥ ـ ١ ـ ١٩٤٨ ٠
(١١٦) **الدفاع** ، ١٥ ـ ٤ ـ ١٩٤٨ ٠
(١١٧) *Survey* ..., Vol. 11, pp. 748 - 9 .

وفي موقع آخر منها تشير الوثيقة البريطانية الى ميل النقابات العمالية العربية الى عقد اتفاقات جماعية ، للاستفادة من التحكيم في المنازعات ، الذي توفره سلطات الانتداب البريطاني في عدد من الصناعات · وقبل اقامة **دائرة العمل** (١٩٤٢) لم يكن هناك سوى بضعة اتفاقات بين النقابات واصحاب الاعمال في الصناعات العربية (١١٨) ·

فعلى سبيل المثال ارسل سكرتير فرع **جمعية العمال العربية** بعكا (٢\٣\١٩٤٦) كتابا الى مدير دائرة العمل بالقدس ، طلب فيه النظر في اعادة السائقين الذين فصلوا من عملهم في شركة باصات الحدود الشمالية (١١٩) ·

واجتمع مندوبو عمال معسكر كردانة مع **الميجر انتوني** ، الضابط المسؤول، وتحدثوا اليه عن ضرورة انشاء المعسكر واحيل الطلب الى الجهات العسكرية العليا ، بصورة خاصة (١٢٠) ·

وفي ثلاثين ايار (مايو) ١٩٤٦ عقد عمال معامل الكرتون (علب السجاير) في القدس اجتماعا في قاعة **جمعية العمال العربية** بالقدس ، وبحثوا فيه النتائج التي توصلوا اليها مع اصحاب العمل ، بعد المفاوضات التي جرت بين الجمعية واصحاب العمل ، منها : زيادة الاجور الاساسية ، وعلاوة غلاء المعيشة ، والاجازات السنوية والمرضية والاعياد الدينية · وستضاف هذه التحسينات في ملحق ، الى الاتفاقية الاصلية التي سبق وعقدت بين الجمعية وبين **اميل زوانه وعيسى بدور** ، اصحاب هذه المعامل (١٢١) ·

وفي التاريخ نفسه سوى الخلاف الذي كان قائما بين **جمعية العمال العربية** بالقدس واصحاب مطحنة القدس الجديدة ، بعد ان وافقت الشركة على دفع زيادة الاجور التي سبق وتقدمت بها الجمعية ، وبعد ان وافقت على ارجاع الموظف الذي فصلته من العمل ·

وشهد التاريخ نفسه اجتماعا في **دائرة شؤون العمل** لمنطقة القدس ، ضم ممثلين عن **جمعية العمال العربية** بالقدس ومدير دار الايتام السورية ، بشأن الخلاف الذي رفعته الجمعية عن عمال الفاخورة · وتوصل الفريقان الى اتفاق

---

(١١٨) *Ibd., p. 763 .*

(١١٩) الدفاع ، ٣ ـ ٣ ـ ١٩٤٦ ·

(١٢٠) الدفاع ، ٣ ـ ٣ ـ ١٩٤٦ ·

(١٢١) الدفاع ، ٣١ ـ ٥ ـ ١٩٤٦ ·

على شروط الاستخدام التي سيرفعها المدير الى حارس املاك العدو ، للموافقة (١٢٣) ·

وفي اليوم المذكور ، دعت **اللجنة الادارية لنقابة عمال الخياطين** جميع اعضاء النقابة الى اجتماع تنظيمي عام ، تعقده لهم في قاعة **جمعية العمال العربية** بالقدس ، صباح الثاني من حزيران (يونيو) ، للبحث في شروط استخدامهم ، ومجال تطبيق الاتفاقية بين نقابة الخياطين العرب وجمعية العمال (١٢٤) ·

وفي العاشر من حزيران (يونيو) ١٩٤٦ ، دعت قيادة الجيش البريطاني للشرق الاوسط وفدا عن **اللجنة المركزية لمؤتمر العمال العرب** ، لمقابلتها ، حيث جرى البحث ، بين الطرفين ، في طلبات موظفي وعمال المنافي العرب ، وتأجل اتمام البحث الى مقابلة ثانية (١٢٥) ·

وفي اليوم التالي قرر **المجلس الاعلى لجمعية العمال العربية** ، الطلب من دائرة العمل افتتاح مكاتب للتوظيف ، ووضع الخطط الانشائية لمكافحة البطالة واصدار قانون العقوبات · وطالب المجلس كل فرع من فروع الجمعية بضرورة دراسة اوضاع قريته، كما ارسل المجلس برقية تأييد الى **مجلس الجامعة العربية، المنعقد في بلودان** (١٢٦) ·

وفي الثالث عشر من الشهر نفسه ، اجتمع ممثل **جمعية العمال العربية الفلسطينية** بحيفا بالمستر **كرياكوس** ، مدير **شركة البترول** ، وقدم له مطالب عمال الشركة ، على غرار مطالب عمال **شركة مانتشيف** · ووعد المدير برفع هذه المطالب الى مركز الشركة في القاهرة (١٢٧) ·

واستلمت **جمعية العمال** بحيفا ، رد **شركة مانتشيف** للبترول على مذكرتها، بشأن مطالب العمال العرب فيها ، تفيد موافقة الشركة على الطلبات (١٢٨) ·

---

(١٢٢) الدفاع ، ٣١ ـ ٥ ـ ١٩٤٦ ·

(١٢٣) الدفاع ، ٣١ ـ ٥ ـ ١٩٤٦ ·

(١٢٤) الدفاع ، ٣١ ـ ٥ ـ ١٩٤٦ ·

(١٢٥) الدفاع ، ١١ ـ ٦ ـ ١٩٤٦ ·

(١٢٦) الدفاع ، ١٢ ـ ٦ ـ ١٩٤٦ ·

(١٢٧) الدفاع ، ١٤ ـ ٦ ـ ١٩٤٦ ·

(١٢٨) الدفاع ، ١٤ ـ ٦ ـ ١٩٤٦ ·

وفي منتصف حزيران (يونيو) ١٩٤٦ اعلنت **جمعية العمال العربية بيافا** خلافا صناعيا على مصنع تنباك **سعيد الحاج عبد** ، وطلبت زيادة الاجرة الاساسية ، وتحديد ساعات العمل ، وساعات العمل الاضافية ، ونقل العمال من المياومة الى المشاهرة ، وتعيين ايام الراحة والعطلة ، والاجازة ·

وفي اليوم التالي اجتمعت **نقابة عمال شركة البترول في قاعة جمعية العمال العربية الفلسطينية** بحيفا ، وقررت دعوة ممثلي اقسام العمل ، لتشكيل لجنة تحضيرية واجراء انتخابات عامة للهيئة الادارية ، كما قررت بعض المطالب لتتقدم بها الى مدير الشركة (١٣٠) ·

وفي العشرين من الشهر نفسه ، قابل وفد من عمال البلدية **الدكتور يوسف هيكل** ، رئيس بلدية يافا ، فذكر لهم ان لجنة شكلها مجلس بلدية يافا درست حالة العمال ، وقررت الموافقة على طلباتهم وارسلت تعميما بذلك الى رؤساء الاقسام بالبلدية · اما طلب زيادة الاجور ، وايجاد صندوق ادخار للعمال ، فقد ووفق عليه ، وطلب العمال تأليف لجنة للترفيه عنهم ، يكون مركزها مقر البلدية ، فوعد **هيكل** بالموافقة على ذلك ، كما وعد بتقديم مائة جنيه لصندوق هذه اللجنة عند تأليفها (١٣١) ·

وقام وفد من **مؤتمر العمال العرب** بمقابلة المسؤولين في قيادة الجيش بالقدس يوم ٩/ ٧/ ١٩٤٦ ، وبعد ان عقدت لجنة عمال وموظفي المنافي العرب العامة في فلسطين ، اجتماعا صباح السابع من تموز (يوليو) (١٣٢) ·

وفي العشرين من آذار (مارس) ١٩٤٨ قابل **احمد حسين وزيدان يونس** ـ عن **جمعية العمال العربية بحيفا** ـ مديري التوظيف والمستخدمين في شركة **سبني** ، وبحثا معهما بعض المواضيع ، منها المكافآت التي ستدفع للموظفين في حالة اجراء تنسيقات · كما بحثا معهما نسبة الموظفين العرب في المكتب الرئيسي بحيفا وصندوق المرضى · ووافقت الشركة على توظيف ثلاثة من الكتبة العرب من الدرجة الاولى في المكتب الرئيسي ، بدلا من الموظفين الذين نقلوا الى لبنان، ووافقته الشركة على وضع مشروع دستور لصندوق المرضى ، بحيث يستفيد كل

(١٢٩) الدفاع ، ١٦ ـ ٦ ـ ١٩٤٦ ·
(١٣٠) الدفاع ، ١٧ ـ ٦ ـ ١٩٤٦ ·
(١٣١) الدفاع ، ٢١ ـ ٦ ـ ١٩٤٦ ·
(١٣٢) الدفاع ، ٧ ـ ٧ ـ ١٩٤٦ ·

موظف ومستخدم من الخدمات التي يقدمها ذلك الصندوق · وطلبت من الجمعية ان توفد احد اطبائها ، كي يشترك في وضع مشروع ذلك الدستور ، وان تقدم اسم احد الاطباء في نابلس ، لاعتماده طبيبا لها · واخيرا ، اقرت الشركة وعدها ، **الذي سبق وقطعته للجمعية** ، بدفع ٢٠ بالمائة من ارباحها السنوية للمستخدمين · ووعدت بعرض هذا الامر على المجلس العام للمساهمين ، لاقراره ، كما وافقت على زيادة بعض المستخدمين ، ودفع علاوة الاغتراب لاحد موظفيها المنسقين (١٣٣) ·

وبعد يومين عقدت الهيئة الادارية لنقابة موظفي وعمال **سبني** بيافا ، اجتماعا في **جمعية العمال العربية الفلسطينية بيافا** ، برئاسة **علي التيتي** ، استمعت فيه الى التقرير المفصل الذي قدمه **احمد حسين** ، امين سر الجمعية ، حول سير المفاوضات الاولية بين الجمعية والشركة ، بصدد المكافآت وتعديل الاتفاقية الجديدة · وبعد اجتماع ثلاث ساعات ، اتخذت المقررات التالية : ١) تأييد الجمعية واللجنة المركزية لنقابة موظفي وعمال **سبني** في مطالبة الشركة بدفع أجرة شهر عن كل سنة خدمة للموظفين المنسقين ، ٢) الطلب من الشركة مراعاة الاقدمية في العمل عند التنسيقات ، ٣) مطالبة الشركة بتعديل اجور عمال معمل النقانق بيافا ، الذين يديرون دفة العمل وحدهم ، منذ أول كانون أول ١٩٤٧ ، ٤) الكتابة للشركة حول شكوى **السيد نقولا كيلي** ، والمطالبة بعدم فصله من العمل (١٣٤) ·

الاستنتاجات

● بلا تشريعات عاشت الطبقة العاملة العربية في فلسطين ، طوال ايام الاحتلال البريطاني · مما أبقاها عزلاء بلا ضمانات لحاضرها ومستقبلها وجعل العامل فريسة لمزاج صاحب العمل ، يطرده وقت يشاء ، ويخصم من أجره كيف يشاء ، ويتلاعب في هذا الاجر ، تخفيضا ، بالقدر الذي يشاء · مما زاد في تعاسة وبؤس الطبقة العاملة ·

وتأخر وصول التشريع العمالي الى فلسطين الى ربع الساعة الاخير · فقبل أسابيع قليلة من خروج قوات الاحتلال البريطاني من فلسطين (ايار ١٩٤٨)

(١٣٣) الدفاع ، ٢١ ـ ٣ ـ ١٩٤٨ ·
(١٣٤) الدفاع ، ٢٣ ـ ٣ ـ ١٩٤٨ ·

أصدرت سلطات الانتداب قانون النقابات · بعد ان تأكدت من انها ستغادر البلاد، وليس ثمة ما يضرها من صدور مثل هذا التشريع ·

- **ظلت الاضرابات العمالية الاقتصادية ، طوال العشرينيات ، مجرد ردود فعل معزولة ، ومؤقتة ، وعفوية ، في أغلبها ، بسبب ضعف الحركة العمالية ، أساسا ·**

- **لكن الثلاثينيات شهدت اتساعا ملحوظا في الحركة الاضرابية العمالية ، كان موازيا لازدياد قوة الطبقة العاملة ، من جهة ، وملازما للنهوض الثوري في الحركة الوطنية الفلسطينية من جهة اخرى ·**

- **انعكست القفزة النوعية والكمية في قوة وتأثير الطبقة العاملة ، خلال وبعد الحرب العالمية الثانية ، على الحركة الاضرابية · فشهدت الاربعينيات اضرابات عمالية واسعة وكيفية ·**

ما هي نظرية العوالم الثلاثة ★

سينشاي تاكاجي
ترجمة : خليل ترهوني

١ ـ خطا السياستين الداخلية والخارجية عودة الى ما قبل السياسة الداخلية لـ«الثورة الثقافية» .

ان الملامح التي تميز خط السياسة الداخلية للقيادة الصينية الحالية يمكن ، فعلا ، ايجازها بانها « الابتعاد عن خط ماوتسي تونغ والثورة الثقافية البروليتارية العظيمة » ، بالرغم من اليافطة المرفوعة القائلة بـ « باتباع خط ماوتسي تونغ والثورة الثقافية» · ولذلك فان العودة الكاملة تقريبا لظروف ما قبل « الثورة الثقافية » متمثلة في السياسة الداخلية والشخصيات ، ومترافقة بنقد وتشهير « عصابة الاربعة » ، يمكن القول بأنها ترسم صورة الوضع الحالي في الصين ·

وفي الحقيقة ، فان التقييم الذي يؤكد دور ماوتسي تونغ والثورة الثقافية ، كان له الطابع الاغلب في خطابات **المؤتمر الحادي عشر للحزب الشيوعي الصيني ،** في آب ١٩٧٨ · ولكن المؤتمر اعلن رسميا، انتهاء « **الثورة الثقافية الاولى** » مشترطا بأن التأكيد على الاستقرار والوحدة لا يعني الغاء الصراع الطبقي · ولكن يجب ان ينصب الاهتمام الاساسي على البناء الاقتصادي ·

واعطيت في الجلسة الاولى **لمؤتمر الشعب الوطني الخامس** ، في اذار ١٩٧٨، مهمة تحديث الزراعة والصناعة والدفاع الوطني ، اضافة الى العلوم والتكنولوجيا اهمية مركزية ، واولي البناء الاقتصادي الافضلية الاولى في السياسة الداخلية · ونتيجة لذلك ، الح على بذل الجهود « لتثمر نشاطات الجماهير العريضة · » وحول الاجور ازداد الاهتمام بتطبيق مبدأ التوزيع حسب العمل، بدلا من المساواة المؤكد عليها اثناء الثورة الثقافية · وفي مجال الزراعة ، اعطي « فريق الانتاج » الوحدة الاساسية في الكومونة الشعبية ، دورا حاسما · بالاضافة الى ذلك ، فان مبدأ التبادل المتكافىء و « المهنة الثانوية

....

★ هذا المقال ترجمة عن :
Shin'ichi Takagi; What is the «Three worlds» Theory, Japan Press Weekly Bulletin, Tokyo - Japan, July 1978 .

أصدرت سلطات الانتداب قانون النقابات · بعد ان تاكدت من انها ستغادر البلاد، وليس ثمة ما يضرها من صدور مثل هذا التشريع ·

● ظلت الاضرابات العماليـة الاقتصاديـة ، طوال العشرينيات ، مجرد ردود فعل معزولة ، ومؤقتة ، وعفويـة ، في أغلبها ، بسبب ضعف الحركة العمالية ، أساسا ·

● لكن الثلاثينيات شهدت اتساعا ملحوظـا في الحركة الاضرابية العمالية ، كان موازيا لازدياد قوة الطبقة العاملة ، من جهة ، وملازما للنهوض الثوري في الحركة الوطنية الفلسطينية من جهة اخرى ·

● انعكست القفزة النوعية والكمية في قوة وتاثير الطبقـة العاملة ، خلال وبعد الحرب العالمية الثانيـة ، على الحركـة الاضرابية · فشهدت الاربعينيات اضرابات عمالية واسعة وكيفية ·

ماهي نظرية العوالم الثلاثة★

سينشاي تاكاجي
ترجمة: خليل ترهوني

١ ــ خطا السياستين الداخلية والخارجية
عودة الى ما قبل السياسة الداخلية لـ«الثورة الثقافية»

ان الملامح التي تميز خـط السياسة الداخلية للقيادة الصينية الحالية يمكن ، فعلا ، ايجازها بانها « الابتعاد عـن خط ماوتسي تونـغ والثـورة الثقافية البروليتارية العظيمـة » ، بالرغم من اليافطة المرفوعة القائلة بـ « باتباع خط ماوتسي تونغ والثورة الثقافية» · ولذلك فان العودة الكاملة تقريبا لظروف ما قبل « الثورة الثقافية » متمثلة في السياسة الداخلية والشخصيات ، ومترافقة بنقـد وتشهير « عصابة الاربعة » ، يمكن القول بأنها ترسم صورة الوضـع الحالي في الصين ·

وفي الحقيقة ، فان التقييم الذي يؤكد دور ماوتسي تونغ والثورة الثقافية ، كان له الطابع الاغـلب في خطابات **المؤتمر الحادي عشر للحزب الشيوعي الصيني** ، في آب ١٩٧٨ · ولكن المؤتمر اعلن رسميا، انتهاء « **الثورة الثقافية الاولى** » مشترطا بأن التأكيد على الاستقـرار والوحدة لا يعني الغـاء الصراع الطبقي · ولكـن يجب ان ينصب الاهتمام الاساسي عـلى البناء الاقتصادي ·

واعطيت في الجلسة الاولى **لمؤتمر الشعب الوطني الخامس** ، في اذار ١٩٧٨، مهمة تحديث الزراعة والصناعة والدفاع الوطني ، اضافة الى العلوم والتكنولوجيا اهمية مركزية ، واولي البناء الاقتصـادي الافضلية الاولى في السياسة الداخلية · ونتيجة لذلك ، الح علـى بذل المجهـود « لتثمر نشاطات الجماهير العريضة · » وحول الاجور ازداد الاهتمام بتطبيـق مبدأ التوزيعحسب العمل، بدلامن المساواة المؤكد عليها اثناء الثورة الثقافية · وفي مجال الزراعة ، اعطي « فريق الانتاج » الوحدة الاساسية في الكومونة الشعبية ، دورا حاسما · بالاضافة الى ذلك ، فان مبدأ التبادل المتكافىء و « المهنة الثانوية

★ هذا المقال ترجمة عن :
Shin'ichi Takagi; What is the «Three worlds» Theory, Japan Press Weekly Bulletin, Tokyo - Japan, July 1978 .

الجماعية ، والعمل الجانبي للمزارع في « ارض يحتفظ بها لنفسه » وكانت جميعها مرفوضة باعتبارها « امتيازات وحقوق برجوازية (خلال) الثورة الثقافية » ، قد لاقت ، الآن ، التأييد كسياسة هامة في التوسع الزراعي · وفي ميادين العلوم والتعليم والثقافة ، يستطيع المرء ايضا ، القول بأن سياسة ما قبل الثورة الثقافية قد استعيدت ، الى حد كبير ·

هذه الحقائق واخرى غيرها ، تؤشر بأن سياسة الصين الداخلية قد عادت ، بشكل اساسي ، الى خط مؤتمر الحزب الشيوعي الصيني الثامن ، عام ١٩٥٦ ، وهو رأي تؤكده الحقائق ·

وبالفعل ، فان مبدأ « لكل حسب عمله » و «الارض الخاصة » لـ «اعضاء الكومونة الشعبية » و « المهنة الثانوية الجماعية » قد لقيت ، جميعها ، الاهتمام الكبير · والسؤال الذي يمكن ان يكون وقته الآن هو: ما هي الاختلافات الجوهرية بين الاشتراكية في الصين اليوم والاشتراكية في الاتحاد السوفياتي والدول الاخرى · وبالرغم من هذا ، توجه الصين اتهاماتها بأن الرأسمالية قد اعيدت الى الاتحاد السوفياتي · وهو امر اقل ما يقال فيه انه مدهش جدا ·

اعادة معظم الكوادر الاوائل

من الملاحظ بأن قوائم القيادة في الحزب والدولة تضم ، الآن ، معظم اولئك الذين ادينوا وهوجموا ، باعتبارهم « مارقين برجوازيين » ابان « الثورة الثقافية » وقد رد الاعتبار لهم ·

ومن بين الذين رد الاعتبار لهم تينغ هيساو بنغ ، في المؤتمر العاشر للحزب (آب ١٩٧٣) ، ولكنه ادين مرة ثانية · وهناك ، ايضا هسيو شوان (عضو اللجنة المركزية ، ونائب رئيس الاركان العامة لجيش التحرير الشعبي ، والنائب السابق لرئيس قسم الارتباط الدولي) لويوي - شنغ (عضو اللجنة المركزية ورئيس التفويض العسكري ، والرئيس السابق للاركان العامة) ، هوياو بانغ (عضو اللجنة المركزية ورئيس دائرة التنظيم ، والسكرتير العام السابق لعصبة الشبيبة الشيوعية) ، وولنغ - هسي (عضو احتياطي في اللجنة المركزية ، والرئيس السابق لوكالة انباء الصين الجديدة) ·
ومن بين اعضاء المكتب السياسي المنتخبين حديثا في المؤتمرين التاسع (نيسان ١٩٦٩) والعاشر ، ولكنهم كانوا يتعرضون لهجوم متواصل خلال « الثورة الثقافية » ، مثل وولان - فو ، الذي لم ينتخب عضوا للجنة المركزية في المؤتمر التاسع ، بنغ شونغ ، الذي انتخب ، حديثا ، عضوا احتياطيا للجنة المركزية في المؤتمر العاشر

ومن بين ٣٨١ رئيس ونائب رئيس لجنة ثورية منتخبة ، خلال الفترة ما بين تشرين ثاني ١٩٧٧ واذار ١٩٧٨ ، في الوحدات الادارية التسعة العشرين من الدرجة الاولى (مقاطعات ، اقاليم ذات ادارة ذاتية ، مديريات تحت اشراف الدولة المباشر) ، تعرض ٨٧ منهم للنقد والطرد، خلال « الثورة الثقافية » ، كذلك يوجد من بينهم ١٨٦ برتبة رئيس ونائب رئيس، من الكوادر القدماء ، ممن كانت لهم مواقع هامة قبل « الثورة الثقافية» · وبالاضافة الى الاسماء المذكورة اعلاه ، فان اللجنة الدائمة لمؤتمر الشعب الوطني تشمل هو تشاو - مو ، عضو احتياطي سابق في في سكرتارية الحزب الشيوعي الصيني ، ومؤلف « ثلاثون عاما من الحزب الشيوعي الصيني ») تسينغ شنغ (محافظ كوانغ تونغ السابق) ، تشونو - نان (الرئيس السابق لجمعية الشعب الصيني للعلاقات الثقافية مع الاقطار الاجنبية) ، باتش

(كاتب روائي) ·

وبعد اعادة بناء منظمات الحزب ، التي هدمت في مرحلة « الثورة الثقافية » بالاضافة الى المنظمات الجماهيرية مثل عصبة الشبيبة الشيوعية ، واتحاد المرأة لعموم الصين ، واتحاد نقابات العمال عموم الصين ، يتم الآن تطويرها بسرعة · وقد اعلن بأن اتحاد المرأة لعموم الصين سوف يعقد مؤتمره الرابع ، في ايلول ١٩٧٨ (المؤتمر الثالث عقد عام ١٩٥٨) ، وسيعقد اتحاد نقابات عمال عموم الصين مؤتمره التاسع ، في تشرين اول (المؤتمر الثامن في ١٩٥٨) ، كما ستعقد عصبة الشبيبة الشيوعية مؤتمرها العاشر ، في تشرين اول (المؤتمر التاسع في ١٩٦٤)·

يجري ، الآن ، بناء منظمات الشبيبة ونقابات العمال والمرأة، حيث تدعي القيادة الصينية بأن « عصابة الاربعة » مسؤولة عن هدم هذه المنظمات ، تحت حجج واهية وان المبادرة باعادة البناء تتفق مع تعاليم ماوتسي تونغ (انظر « اعادة تنشيط المنظمات الجماهيرية بكين ريفيو ، ٢٣ ايار ١٩٧٨) · ولكن الوقائع التاريخية تظهر ، بشكل جلي ، بأن هذه المنظمات هدمتها القيادة الصينية تحت قيادة ماو على نحو منظم خلال « الثورة الثقافية »، بمنظار تصفية « المارقين البرجوازيين » المزعومين ·

وفي ميادين الادب والعلوم ، كانت حملة « دع مئة زهرة تتفتح ، دع مئة مدرسة فكرية تتنافس » التي تقدمت « الثورة الثقافية » ببعض الوقت ، هي الآن في طريقها الى العمل من جديد · والجدير بالاهتمام ، في هذا الشأن ، هو اعادة الاعتبار للمؤرخ تشين بو - تسان ، الذي ادين اوائل «الثورة الثقافية» ، وتوفي عام ١٩٦٨ (انظر بكين ريفيو ، ١٦ ايار ١٩٧٨) · ويقال ان « الثورة الثقافية » بدأت بمقالة ياو ون - يوان ، احد افراد «عصابة الاربعة» ، تحت عنوان « حول المسرحية التاريخية الجديدة : هاي يوي يطرد من مكتبه » وهي مقالة نقدية حول كاتب المسرحية ووهان (كاتب ادب تاريخي ، ومحافظ سابق لبكين) · وكان تشن بو - تسان ، المستهدف في الهجوم من قبل ماو في زمن ووهان ، احد الضحايا الاوائل لـ « الثورة الثقافية » · وبالرغم من ذلك ، اعيد الاعتبار اليه حديثا ، انطلاقا من انه ادين بموجب مؤامرة « عصابة الاربعة » ·

ومن بين القادة البارزين الذين لم يتم اعادة الاعتبار لهم ، هؤلاء : ليوتشاوتشي (رئيس الدولة السابق) ، بنغ تشن (عضو المكتب السياسي ، وسكرتارية الحزب الشيوعي الصيني ، ومحافظ بكين سابقا) ، ليوتنغ - اي (رئيس قسم الدعاية وعضو اللجنة المركزية سابقا)، يانغ شانغ - كون (عضو بديل سابق في سكرتارية الحزب الشيوعي واللجنة المركزية) ، ليو ننغ - ذي (رئيس اتحاد نقابات عمال عموم الصين وعضو اللجنة المركزية للحزب سابقا) · وقد ظهر البعض منهم بما فيهم ليوتشاوتشي، وخصوصا زوجاتهم ، مجددا ، الى الحياة العامة · وعلى سبيل المثال ، اذاع راديو بكين ، رسميا ، بأن السيدة تاوتشو (تنغ شنغ) والسيدة يانغ شانغ - كون (لي - باو - تشاو) والسيدة ليوننغ - اي (لي شو بنغ) قد حضرن اجتماع اتحاد المرأة لعموم الصين، في اذار ١٩٧٨ ·

وقد اذيع بأن عودتهم الى الحياة العامة اصبحت ممكنة ، على الاغلب بسبب ممارستهم النقد الذاتي وخضوعهم لمجموعة ماو · ولكن تبقى هذه الحقيقة متناقضة : فالكثير من القادة البارزين الاقوياء في عهد « الثورة الثقافية » ، مثل

لين بياو ، **تشن بو ـ تا** ، و «عصابة الاربعة» ، الذين كانوا ضمن القوى الرئيسية المعززة لـ « فكر **ماوتسي تونغ** وخط (الثورة الثقافية) » ، قد تم تطهيرهم من الدولة ، بينما اولئك الذين ادينوا ، سابقا، على انهم «مارقين رأسماليين». وطردوا من مواقعهم الرسمية ابان (الثورة الثقافية) ، قد اعيدوا واحدا بعد الآخر ، الى الحياة العامة . وهذا يؤكد قبل اي شيء اخر على الحكم بافلاس « فكر ماو **تسي تونغ** » وخط « الثورة الثقافية ».

كيف كانت « الثورة الثقافية » ؟

انطلاقا من التغيرات الهامة حديثة العهد ، فأن السؤال الذي يجب طرحه من جديد ، هو : كيف كانت « الثورة الثقافية » ؟

نشر **الحزب الشيوعي الياباني** . في تشرين اول ١٩٦٧ ، مقالا بعنوان « الخط الحالي لماوتسي تونغ والحركة الشيوعية العالمية » . وفي تلك المقاله الشامله لخصائص « الثورة الثقافية » منذ ١١ عاما ، اشار **الحزب الشيوعي الياباني** بأن ما تسمى بـ « الثورة الثقافية » لا تمت بصلة للثورةالثقافية ، كما حددتها النظرية الاشتراكية العلمية . وان اهدافها هي اقامة حكم ديكتاتوري من قبل مجموعة **ماو** في الداخل ، وفرض « افكار **ماوتسي تونغ** » على العالم بأكمله ، على طريقة القوة الشوفينية الكبرى . وقد تأكدت صحة هذا التحليل ، عبر صيرورة نتائج « الثورة الثقافية » .

ويعود الصراع الداخلي في **الحزب الشيوعي الصيني** ، منذ نهاية الخمسينات، الى الاختلافات في الرأي ، بشأن الخط الذي يجب اتخاذه فيما يتعلق ـ من ضمن قضايا اخرى ـ بالكومونات الشعبية، والقفزة الكبرى الى الامام . وكما اتضح، في صيرورة ونتائج «الثورة الثقافية » ، فأن هذا الصراع يتصف بجلاء ، بالصراع الفئوي غير المبدئي ، بشكل رئيسي، ومن أجل المواقع القيادية.

وبدءا من « مجموعة **لي تشاو تشي** » مرورا بـ « مجموعة **لين بياو** » الى « عصابة الاربعة » فقد هوجموا جميعا ، ورفضهم **ماو** والقيادات التالية، باعتبارهم « مارقين رأسماليين » و « وتحريفيين » ، او اشخاصا اصابتهم عدوى افكار **خروتشوف** . ولكنه من الصعب ، في الحقيقة ، تفسير الاحداث الماضية سوى انها « صراع على السلطة » .

صعود شوفينية القوة الكبرى في خط السياسة الخارجية

بعد موت **شوان لاي وماوتسي تونغ** ، وابعاد «عصابة الاربعة» ، واعادة الكوادر العريقة جدا . وانشاء قيادة جديدة ، واعلان « انتهاء عهد الثورة الثقافية الاولى » . فأن سياسة الصين الداخلية قد عادت فعليا ، الى خط **المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي الصيني** . وفيما يتعلق بالسياسة الخارجية . فان « خط **ماوتسي تونغ** » في السنوات الاخيرة من « الثورة الثقافية » قد اتخذ ، الان ، شكلا اكثر تطرفا في شكل نظرية « **العولم الثلاثة** ». وكما سيتم شرحه بالتفصيل لاحقا . فان جوهر النظرية ليس الا قومية القوة الكبرى ، وهيمنة وشوفينية القوة الكبرى التي ازدادت في فترة « الثورة الثقافية » . وربما كان هناك بعض الناس في الصين يفكرون في نقد مقبول لمثل هذه السياسة الخارجية ، ولكن لا بد من ملاحظة ان شوفينية القوة ـ الكبرى الصينية ، التي اسسها **ماو** والقيادة الصينية، هي عميقة الجذور، لان لها علاقة ما بتاريخ الصين .

وكما هو معروف ، فان **لينين** اصدر تحذيرا قويا ضد الشوفينية القومية الروسية الكبيرة .

نشر **الحزب الشيوعي الصيني** مقاله ، بعنوان « مرة اخرى حول تجربة دكتاتورية البروليتاريا » (صحيفة **الشعب** اليومية ، ٢٩ كانون الاول ١٩٥٦) تقول بعض فقراتها : « اظهر **ستالين** ، في تعامله معمسائل ملموسة عديده ، ميول نحو شوفينية القوة الكبرى ، مفتقدا لروح المساواة ، وفاشلا في تثقيف الكوادر بالتواضع ، على اختلاف مراتبهم . وقد تدخل ، احيانا ، في الشؤون الداخلية لاقطار شقيقة واحزاب شقيقه ، مما جلب نتائج خطيرة جمة .

« اننا نحن الشعب الصيني ، يجب ان نتفهم بأن بلدنا، ايضا ، كان سابقا دولة امبراطورية كبرى خلال ممالك هان، تانغ، منغ، تشنغ . وفي الواقع ، فأن بلدنا ظل لحوالي قرن من الزمان شبه مستعمره ، يتعرض للعدوان منذ القرن التاسع عشر، وهو حتى الان بلد متخلف من الناحية الاقتصادية والثقافية ، ولكن في ظل الظروف المستجدة ، فان ما لم تبذل جهود واعية لكبح الميول نحو قومية القوة الكبرى ، فان هذه الميول سيستفحل خطرها ، بالتأكيد . وما يجب الاشارة اليه هو ان شواهد مثل هذا الخطر بدأت تظهر في عقول بعض كوادرنا . ومن اجل هذا صدر كل من قرار **مؤتمر الحزب الصيني الثامن** وبيان حكومة جمهورية الصين الشعبية ، المنشور في اول تشرين اول، ليضع أمام كوادرنا مهمة التصدي للنزعة القومية ذات طابع القوة الكبرى».

ونسجل هنا نقطة هامة جدا . فقد استخلصت قيادة **الحزب الشيوعي الصيني** دروس صحيحة من اخطاء **ستالين** وحذرت القيادة ، ذاتها ، من خط شوفينية القوة الكبرى . ولكن **ماو** وقيادة **الحزب الشيوعي الصيني** تناست بالكامل ، هذا التحذير وكثفت شوفينية القوة الكبرى .

٢ ـ ما هي نظرية «العوالم الثلاثة» ؟

الموقف المتغير لنظرية «العوالم الثلاثة» نحو الحيوية الامريكية

يقوم خط السياسة الخارجية للصين، حاليا ، على اساس نظرية «العوالم الثلاثة» . وتبدأ النظرية بتقسيم دول العالم الى فئات من ثلاث عوالم : العالم الاول« ويشمل «القوى العظمى»، وهي الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة ، و « العالم الثاني » ويتكون من اليابان والمانيا الغربية وفرنسا وايطاليا وبريطانيا ودول اخرى، و «العالم الثالث» ويألفمن الاقطار النامية في اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، حيث تضم الصين نفسها اليه. وترى النظرية في دول «العالم الثالث» القوى الرئيسية لحركة الثورة العالمية ، بينما تواجه دول « العالم الثاني » كلا الموقفين ، ويصبح «العالم الاول» هدفا لهجوم حركة الثورة العالمية . ولكن ، تؤكد نظرية «العوالم الثلاثة» بأنه ، من بين دولتي «العالم الاول» ، فان الاتحاد السوفييتي اكثر عدوانية ، بينما الولايات المتحدة اكثر سكونا ودفاعا ! والفكرة العامة هي ان قوة امبريالية تأتي في وقت لاحق تكون اكثر عدوانية ، ولذلك يجب ان يوضع الاتحاد السوفياتي ، من بين القوتين العظمتين ، هدفا اساسيا لهجوم

الثورة ، مع احتمال التعاون مع الولايات المتحدة ، في هذا الشأن ، الى حد كبير ! وكما يبدو مستغربا ، فان هذا هو مضمون نظرية «العوالم الثلاثة» . واستراتيجية الثورة العالمية ، المستخلصة من هذه النظرية ، هي شن النضال ضد الاتحاد السوفياتي ، بواسطة القوى الرئيسية ، المؤلفة من «العالم الثالث» ، والقوى الحليفة ، التي تضم كلا من اليابان ودول اوروبا الغربية الرأسمالية الاحتكارية ، وحتى الولايات المتحدة يمكن اعتمادها كحليف مؤقت . وتقول النظرية بأن على الحركات الثورية والديمقراطية في انحاء العالم مهمة ارساء عملها ، وفقا لهذه الاستراتيجية . وقد اعلنت نظرية «العوالم الثلاثة» هذه، بكل مضامينها، في المؤتمر **الحادي عشر للحزب الشيوعي الصيني** ، وفي الجلسة الاولى **لمؤتمر الشعب الوطني الخامس** ، وشرحت ، على انها خط السياسة الخارجية للصين ، في مقدمة الدستور الجديد ، الذي أقر في اذار ١٩٧٨ .

وبمنح فكرة «العوالم الثلاثة» اساسا نظريا ، فليس من المستغرب ان نجد الزعماء الصينيين يعربون منذ وقت قريب عن دعمهم لمعاهدة الامن اليابانية - الامريكية ، واحياء العسكرية اليابانية ، وانهم يساندون منظمة حلف شمال الاطلسي (ناتو) . على اساس ان رأس رمح هجومهم موجه ضد الاتحاد **السوفياتي** (*)

ومن المتعذر ، اساسا ، ان تناقش النظرية الاشتراكية العلمية صيرورة الثورة العالمية ، من خلال تصنيفها لدول العالم الى قوى عظمى ، ودول كبيرة ، ودول نامية ، بدلا من ان تحلل وتناقش التطور في العالم ، وفقا لقوانين التطور الاجتماعي ، ومن موقف الصراع الطبقي.

يتذكر كل فرد بان **ماو** اتخذ **موقفا مؤيدا للسوفيات ، بصراحة تامة ، في الخمسينات من هذا القرن . وفي خطابه** في الذكرى السادسة والخمسين لتأسيس **الحزب الشيوعي الياباني ، استرجع تزوزو فوا ، رئيس سكرتارية الحزب الشيوعي الياباني** ، احداث **المؤتمر العالمي العمالي لممثلي الاحزاب الشيوعية والعمالية** ، المنعقد فيموسكو عام ١٩٦٠، وكيف ان وفد **الحزب الشيوعي الياباني** اصرعلى استقلالية ومساواة الاحزاب الشيوعية ، ومعارضته للعقيدة القائلة بان **الحزب الشيوعي السوفياتي هو «طليعة** الحركة الشيوعية العالمية المعترف بها» او انه «مركزها» ، ولم يوافق على تسجيل وضعية خاصة لاي حزب معين او احزاب معينة . وعلى النقيض من ذلك ، وقف وفد **الحزب الشيوعي الصيني مؤيدا لهذه** العقيدة . وينبثق موقف **الحزب الشيوعي الصيني** هذا من خطاب القاه **ماوتسي تونغ في موسكو** ، في تشرين ثاني ١٩٥٧، حيث وصف **ماو الاتحاد السوفياتي والحزب الشيوعي السوفياتي** بأنه «المركز» قائلا «حتى الحية لها رأسها» ! ومن المحتمل ان **الحزب الشيوعي الصيني** كانت له نية ، حتى في ذلك الوقت بالاستحواذ يوما ما ، على موقع «المركز» و« الطليعة » من يد الحزب الشيوعي السوفياتي .

وفي الفترة الانتقالية ، قبل التحول الى الخط الحالي ، كانت نظرية «المناطق المتوسطة» تلقى التأييد ، في سياق جبهة متحدة عالمية معادية لامريكا ، وهي تتألف من «**المنطقة المتوسطة الاولى**» المكونة من اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية، و«المنطقة المتوسطة الثانية» وتتألف من جميع الدول الرأسمالية الاحتكارية ، ما عدا **الولايات المتحدة** . اما في عهد «**الثورة الثقافية**» ، فقد ظهرت نظرية **لين بياو القائلة بان**

«**حرب الشعب هي الاعظم**» ، داعيا الى التفريق بين مناطق العواصم ومناطق الارياف ، بالاضافة الى نظرية «جبهة متحدة ضد امريكا والاتحاد السوفياتي» . وحول هذه النقاط وغيرها ، فان مقال **الحزب الشيوعي الياباني** ، المذكور آنفا «الخط الحالي لماوتسي تونغ والحركة الشيوعية العالمية » قد قدم مراجعة شاملة، شرح فيها ، بشكل لا يجارى ، مغالطات هذه النظريات **(اكاهاتا، ١٠ ت١ ١٩٦٧)**. وما يتوجب ملاحظته هنا بأنتقارب الصين مع الولايات المتحدة يحتل خط تحديدي واضح بين كل النظريات السابقة وبين نظرية «العوالم الثلاثة » الحالية .

بدأ التحول نحو خط السياسة الخارجية الحالي للصين ، في الفترة الواقعة بين ١٩٦٨ - ١٩٧١ . وقد وسمت حوادث عديدة هذا التغير :غزو تشيكوسلوفاكيا من قبل قوات دول حلف وارسو ، (عام ١٩٦٨) ، ومسلسل الصدامات المسلحة على الحدود السوفياتية - الصينية ، عام ١٩٦٩ ، وتقارب حكومة الولايات المتحدة نحو الصين ، في الفترة ١٩٧٠ - ١٩٧٢، والتنافس بين مجموعة **ماو** ومجموعة **لين بياو** . وسوف ندرس بعض هذه القضايا لاحقا، ولكن لا بد هنا من الاشارة الى : **ان قيام ماو والقيادة الصينية بانعطاف حاد في السياسة الخارجية، في اتجاه التقارب مع الولايات المتحدة ، كان استجابة للعرض المقدم من الولايات المتحدة الى الصين ، في اطار السياسة الامريكية ، بتكثيف هجومها على فيتنام، في نفس الوقت الذي تحسن علاقاتها مع**

الدول الاشتراكية الاخرى .

ومن اجل الفهم الاكيد للاهمية العالمية لهذا الانعطاف ، لا بد من تذكر ان احد الاسباب الجذرية في الجدال والصراع الذي نشأ بين **ماوتسي تونغ ونيكيتا خروتشوف**، هو ما ذا كان يتوجب مواجهة سياسة العدوان والحرب الامريكية بشكل حاسم ام لا .

ويقال ان **ماو** هو الذي وضع «الاصول التنظيمية» لنظرية «العوالم الثلاثة» . وحسب مقال بعنوان «نظرية الرئيس ماو حول تحديد العوالم الثلاثة مساهمة كبيرة في الماركسية اللينينية » (بقلم هيئة تحرير صحيفة **الشعب اليومية** ، ١ تشرين الثاني عام ١٩٧٧ . **(انظر بكين ريفيو** ،عدد ٤٥، عام ١٩٧٧) . فان **ماو** هو اول من اشار الى نظرية « العوالم الثلاثة » ، في شباط ١٩٧٤ . وفي ما يلي هو كل ما استشهد به من حديث **ماو** بشأن هذا الموضوع ، في المقال المذكور سالفا .

«ومن رأيي ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي تشكلان العالم الاول. وقوى الوسط ، اليابان واوروبا وكندا تشكل العالم الثاني . اما نحن فننتمي الى العالم الثالث (١) .

«والعالم الثالث كثير السكان. فاسيا باستثناء اليابان ، تنتمي الى العالم الثالث . وافريقيا ، كلها ، تنتمي الى العالم الثالث ، وكذلك امريكا اللاتينية». هذا كل ما تم تقديمه على انه «تعاليم» **ماو** في هذا الموضوع . وبصراحة تامة فان هذه «التعاليم» غارقة بكاملها في العلوم السياسية الحديثة ، بجوهرها حول

(١) هذه الفقرات المقتطفة من مقال صحيفة **الشعب** اليومية ، نقلت هنا حسب الترجمة العربية لنفس المقال الكامل والصادر عن دار النشر باللغات الاجنبية - بكين - في كتيب ، ٨٠ صفحة (المترجم)

«سياسة القوة» ، وانها تفتقر ، تماما ، الى اي مفهوم حول النضال المعادي للامبريالية ، وفي سبيل التقدم الاجتماعي، ونمو الثورة العالمية ، او حول النظرة الطبقية ·

وقد اتضحت اكثر تفاصيل فكرة «العوالم الثلاثة» من قبل **تنغ هسياو-بنغ**، في خطابه في الجلسة الخاصة للجمعية العامة للامم المتحدة ، في ١٠ نيسان ١٩٧٤ ، وتم «تطوير» النظرية ، رسميا، في التقرير السياسي **للمؤتمر الحادي عشر للحزب الشيوعي الصيني** ، في اب ١٩٧٧ ، **وفي التقرير حول عمل مجلس الدولة المقدم لمؤتمر الشعب الوطني الخامس** ، في شباط ١٩٧٨ · ثم انجزت «الصيغة النظرية» في سلسلة مقالات ظهرت في صحيفة الشعب اليومية ، ومقالات اخرى، ابتداء من اواخر ١٩٧٧·

ملامح النظرية في وثائق المؤتمر الحادي عشر للحزب الشيوعي الصيني

ما هي خصوصيات نظرية «العوالم الثلاثة » ؟ للاجابة على هذا السؤال ، لا بد من مراجعة تحليل التقرير السياسي **للمؤتمر الحادي عشر للحزب الشيوعي الصيني** ، حول الوضع العالمي :

«١- الوضع العالمي اليوم جيد جدا··· فالجبهة العالمية المتحدة ضد العدوان والتدخل والتسلل والسيطرة والاستضعاف من قبل القوى العظمى هي في اتساع · وكلا القوتان المهيمنتان - الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي غارقتان في المصاعب والازمات ، وتواجهان اياما تزداد صعوبة» ·

ومشيرا الى النضال ضد العدوان والتدخل والسيطرة من قبل قوتي الهيمنة· يستشهد التقرير ، بشكل خاص ، بزعمه ان جرائم «الامبريالية الاشتراكية السوفياتية » في الشرق الاوسط وافريقيا تدعو للحاجة الى النضال ضدها ! ولكن التقرير لا ياتي باي ذكر ، مطلقا ، لشبكة القواعد والاحلاف العسكرية التي تقيمها الامبريالية الامريكية في مناطق شتى من العالم ·

«٢- في الوقت الذي تتنامى عوامل الثورة ، تتنامى ، كذلك، بوضوح عوامل الحرب» ·

وهنا ، ايضا ، يفشل التقريرفي تقديم اي حقائق يرسي عليها استنتاجه · وهو يزعم ، ببساطة، بانه طالما توجد امبريالية وامبريالية اشتراكية ، فمن المحتم ان تشتعل الحرب بينهما ، او ان تنفجر ثورة الشعوب الناهضة ·

«٣- ان الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة هما مصدر لحرب عالمية جديدة · وتشكل (الامبريالية الاشتراكية السوفياتية) الخطر الاكبر · والوضع الاستراتيجي الحالي لنزاعهما هو ان (الامبريالية الاشتراكية السوفياتية) في وضع هجومي ، بينما الامبريالية الامريكية هي في وضع دفاعي ··· ان النزاع السوفياتي الامريكي يمتد الى كل بقعة من العالم ، ولكن مركزه ما يزال في اوروبا » ·

والملاحظ هنا ، ببساطة ، هو كون الاتحاد السوفياتي «قوة امبريالية حديثة النهوض» ! بينما لا ذكر للمناورات الامبريالية الامريكية في كوريا والمناطق الاخرى من اسيا ·

وكما يشير الملخص المذكور سالفا ، فان الدعوة موجهة لمناهضة القوتين الاعظم ، ولكن المقصود الحقيقي هو النضال ضد احدى هاتين القوتين ، وهي الاتحاد السوفياتي، على اساس «العقلانية» الفريدة بان «امبريالية حديثة النهوض» هي اكثر عدوانية من الامبريالية الامريكية· وفي الوقت نفسه ، لم يقدم سببا معقولا

حول ضرورة تعاون الصين مع الولايات المتحدة ·

ان ما يجب ايلاءه اهتماما واعيا · كما سبق واوضحنا ، هو ان التغير الحاسم في موقف القيادة الصينية حول التحالف العسكري الامريكي - الياباني واحياء العسكرية اليابانية لا ينفصم عن « العوالم الثلاثة » ·

٤ - حول العلاقة مع الاحزاب الشيوعية في الدول الاخرى ، يقول التقرير :

«نعلن دعمنا لجميع الاحزاب الشيوعية، في كل الدول ، ما عدا التحريفية منها · وحيث اننا شيوعيون ، فاننا ، بالطبع ، نساند النضالات الثورية للاحزاب الشيوعية في جميع الاقطار · وفي الوقت نفسه ، فلقد سعينا ، باستمرار كي تكون جميع الاحزاب الشيوعية مستقلة، وتضع قراراتها بنفسها ··· والثورة لا يمكن تصديرها · ونحن لا نتدخل ، مطلقا ، في الشؤون الداخلية للاقطار الاخرى » ·

بالنظر الى الموقف الشوفيني من طابع القوة الكبرى ، والعنيف ، منذ فترة طويلة ، للقيادة الصينية نحو **الحزب الشيوعي الياباني** ، الذي صمد بثبات على موقفه في الادارة الذاتية والاستقلال فان اقل ما يمكن وصف هذا التصريح ، هو انه اكذوبة فاجرة ·

٥ - **وبشان الاتحاد السوفياتي** ، يعبر البيان عن امله بمواصلة علاقات الدولة معه، وفقا لمبادىء السلام الخمسة، قائلا:

«ان طغمة القيادة السوفياتية قد خانت الماركسية - اللينينية · وباعادتها للرأسمالية، وفرضها للدكتاتورية الفاشية داخليا ، وزيادة الهيمنة والتحضير للعدوان في الخارج ، جعلت الاتحاد السوفياتي ينحط الى دولة امبريالية - اشتراكية · وسوف نسعى ، بالطبع ، لخوض النضال تلو الاخر ضد هيمنته · وفي الوقت نفسه ، فاننا نرى بأن الصين والاتحاد السوفياتي يجب ان يواصلا علاقات الدولة الطبيعية على اساس المبادىء الخمسة للتعايش السلمي المشترك ·

خط السياسة الخارجية السوفياتية

من الملائم هنا ان نشير الى سمات السياسة الخارجية السوفياتية · فقد شن الاتحاد السوفياتي هجمات شاملة ضد السياسة الخارجية للصين لانها ، اولا وقبل اي شيء ، موجهة ضد الاتحاد السوفياتي · **وبالفعل** ، فان نظرية « العوالم الثلاثة » هي موضوع يرمي الى معاداة الاتحاد السوفياتي ·

وعلى اعتبار ان الموقف الصيني ينظر للاتحاد السوفياتي على انه العدو رقم ١، فماذا كان موقف الاتحاد السوفياتي نحو الصين ؟

لقد اعلن الموقف السوفياتي بهذا الشان في المؤتمر ٢٤ للحزب الشيوعي السوفياتي ، المنعقد في اذار ١٩٧١ ، على الشكل التالي :

«قدم الزعماء الصينيون برنامجا سياسيا - ايديولوجيا من صنعهم يتعارض ، تماما ، مع اللينينية حول المسائل الاساسية للحياة العالمية والحركة الشيوعية العالمية ، وطلبوا منا التخلي عن خط المؤتمر العشرين وبرنامج الحزب الشيوعي السوفياتي ··· »

«اننا لن نتخلى عن المصالح القومية للدولة السوفياتية ·· وفي نفس الوقت، فان الحزب والحكومة في الاتحاد

السوفياتي مقتنعان ، بقوة ، بأن التحسن في العلاقات بين الاتحاد السوفياتي وجمهورية الصين الشعبية يجب ان يكون متوافق مع المصالح الاساسية والبعيدة المدى لكلا البلدين ، مصالح الاشتراكية ، وحرية الشعوب ، والسلام الامتن ...»

وبكلمات اخرى ، كما في اذار ١٩٧١ ، فان الحزب الشيوعي السوفياتي اتخذ موقف النضال السياسي والايديولوجي الكامل ضد الحزب الشيوعي الصيني ، بينما يعمل ، في الوقت نفسه ، على تحسين علاقات الدولة بين بلديهما . وقد نوقشت العلاقات مع الصين ، باستفاضة في القسم الخاص ببحث علاقات الاتحاد السوفياتي مع الدول الاشتراكية الاخرى. ولكن من خلال نظرة دقيقة الى تقرير اللجنة المركزية المقدم للمؤتمر ٢٥للحزب الشيوعي السوفياتي المنعقد في ربيع ١٩٧٦ ، سيتكشف لنا تغيرا هاما حدث في الموقف السوفياتي نحو الصين ، حيث تتضح فيه ، اكثر من السابق ، النظرة الى الصين في اطار التعايش السلمي المشترك . يقول التقرير في احد اجزائه :

« ان محاولات بكين المسعورة لتفجير الانفراج ، واعاقة نزع السلاح ، وتغذية التوجس والعداء بين الدول ، وجهودها في افتعال حرب عالمية وحصد ما ينتج من مكتسبات محتملة ، يعرض كل الشعوب المحبة للسلام لخط فادح .

« سوف نواصل النضال ضد الماوية ـ نضالا مبدأيا لا هوادة فيه وفي نفس الوقت ، فاننا نود ان نكرر ثانية بأننا في علاقاتنا مع الصين ، كما مع الدول الاخرى ، نلتزم بثبات بمبادىء المساواة، واحترام سيادة وسلامة الاراضي ، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لكل من البلدين ، وعدم استخدام القوة . وبايجاز ، فاننا مستعدون لاعادة العلاقات الى طبيعتها مع الصين وفقا لمبادىء التعايش السلمي المشترك . اضافة الى ذلك ، فاننا نقول ، بكل تأكيد ، بأنه اذا عادت بكين الى سياسة موضوعة، بحق، على اساس الماركسية ـ اللينينية ، واذا تنكرت لسياستها المعادية للدول الاشتراكية، والتزمت بطريق التعاون والتضامن مع العالم الاشتراكي ، فسوف يكون الرد من جانبنا ملائما ، وستخلق الفرص امام تطوير علاقات جيدة بين الاتحاد السوفياتي وجمهورية الصين الشعبية مع ما يتفق والاممية الاشتراكية » .

ويعامل التقرير سابق الذكر الصين ، كبقية الدول الرأسمالية ، على اساس التعايش السلمي المشترك . بالاضافة الى ذلك ، فثمة انطباع ، لا مهرب منه ، بأن السوفيات كانوا يتبعون سياسة وصلت الى حد الهجوم المركز على الصين .

في الوقت نفسه ، يتضح ان الموقف السوفياتي تجاه الولايات المتحدة يختلف عن الموقف الصيني تجاه الولايات المتحدة ، وذلك بسبب الاختلافات الرئيسية الجوهرية في قضايا الحرب والمقدرات الاخرى لكل منهما في مواجهة الولايات المتحدة . فتستطيع الولايات المتحدة ان تنظر للسوفيات على انه منافس كفوء ، حيث لا ينطبق ينطبق هذا على الصينيين ، لذلك تضع الامبريالية الامريكية هذا في حسابها للاستفادة من الصراع السوفياتي ـ الصيني .

ملامح النظرية في مؤتمر الشعب الوطني الخامس

لنعد الى نظرية « العوالم الثلاثة » .

اعد قسم العلاقات الخارجية للحكومة تقريره للجلسة الاولى **لمؤتمر الشعب الوطني الخامس** ، حيث عرض ، في الجزء الاعظم منه ، مختلف المعتقدات التي طرحت في التقرير الى **المؤتمر الحادي عشر للحزب الشيوعي الصيني** . ولكن التقفي الدقيق سيكشف فوارق اضافية دقيقة .

اولا ، بينما يتم التشديد الكبير على التأكيد بأن « الاتحاد السوفياتي هو اخطر مصدر لحرب عالمية جديدة » ، فان الاشارة الى علاقات الصين المتحسنة مع الولايات المتحدة هي اكثر جلاء وايجابية

« تختلف الصين والولايات المتحدة في النظام الاجتماعي والايديولوجي ، اضافة الى اختلافات جوهرية بينهما . ومع ذلك ، فان البلدين يلتقيان على بضعة نقاط مشتركة في بعض القضايا حول الوضع العالمي الراهن . وقد خلق بيان شنغهاي الصيني ـ الامريكي ،عام ١٩٧٢ ، منعطفا جديدا في العلاقات بين البلدين . وستستمر هذه العلاقات في التحسن بشرط التنفيذ الجاد للمبادىء التي تضمنها البيان » .

ثانيا ، طرح تشكيل جبهة عالمية متحدة ضد الهيمنة على انه مهمة مشتركة امام « شعوب العالم » . وفي الوقت نفسه ، يتوجه بنداء اضافي جديد من اجل « الالتحام مع الدول الاشتراكية » . ولكن لم يقدم اي معيار لاختبار اية دولة اشتراكية يجب ان تتحد معها الصين ، ولا اية دولة تعتبرها الصين ، بشكل خاص ، دولة اشتراكية .

« وحيث ان الاشياء تختلف ، من بلد الى اخر ، فيجب على شعب كل بلد ان يقرر مهماته النضالية ، في ضوء ظروفه الخاصة . ولكن بقدر ما للوضع العالمي من اهمية ، فان هناك مهمة استراتيجية مشتركة لكل شعوب العالم قاطبة ، وهي توسيع وتعزيز الجبهة العالمية المتحدة ضد الهيمنة ، ومناهضة سياسة العدوان والحرب التي تواصلها القوى العظمى ، وبشكل خاص (الامبريالية الاشتراكية السوفياتية) « وان تناضل لاخماد اشتعال حرب عالمية جديدة .

« باتباع نظرية الرئيس ماو حول العوالم الثلاثة ، يجب تقوية وحدتنا مع البروليتاريا والشعوب المضطهدة والامم المضطهدة في العالم ، ومع الدول الاشتراكية ودول العالم الثالث ، والوحدة مع جميع الاقطار التي تتعرض للعدوان والدمار والتدخل والسيطرة والنفوذ من قبل القوى العظمى ، وتشكيل اعرض جبهة متحدة ضد هيمنة قوة عظمى » .

وهكذا ، فان تقرير الحكومة الى **مؤتمر الشعب الوطني الخامس يحاول** ، بتحديد اكثر من السابق ، ان يبرر ، من جهة ، تعاون الصين مع الولايات المتحدة، ومن جهة اخرى ، ان يزين نظرية «العوالم الثلاثة» ، كما هي موضوعة على اساس «سياسة القوة » ، باستخدام تعابير تجميلية جديدة ، مثل «الطبقة البروليتارية في انحاء العالم » ، «الشعوب المضطهدة»، و « التلاحم مع الدول الاشتراكية » وهذا، مع ذلك ، يفضح ، اكثر من غيره ، التناقضات بين مظاهر « النظرية الثورية» وحقائق « سياسة القوة » لخط السياسة الخارجية للصين ، في شكل نظرية « العوالم الثلاثة » .

٣ـ منطق ما فوق الاشياء

« صياغة « نظرية » العوالم الثلاثة »

بذلت جهود عظيمة، **بعد المؤتمر الحادي عشر للحزب الشيوعي** ، في اب ١٩٧٧ ،

من اجل « صياغة » نظرية « العوالم الثلاثة » ، على اعتبار انها الحقيقة الاساسية لخط الصين العالمي الراهن · وقد نشرت صحيفة الشعب اليومية سلسلة من المقالات النظرية ، كتبت احداها هيئة التحرير تحت عنوان«نظرية الرئيس ماو حول تحديد العوالم الثلاثة مساهمة كبيرة في الماركسية اللينينية » (تشرين الثاني ١٩٧٧ · انظر بكين ريفيو ، عدد ٤٥ ، عام ١٩٧٧) ·

والنقاط البارزة التي تؤكد عليها هذه المقالات حول « نظريتهم» ، هي التالية : ـ

اولا ، اقتطاف عدة فقرات من مقالات ماركس وانجلز النقدية حول القومية السلافية الشاملة في عهد روسيا القيصرية ، في محاولة « تبرير » نظرية «العوالم الثلاثة » ، متجاهلين الشروط التاريخية ، وبدون اي تحليل متميز للوضع الراهن ·

« وكان ماركس وانجلز ، حتى في اعوامهما الاخيرة ، يعتبران ـ دوما ـ ان المقاومة الحازمة او عدمها ضد السياسة العدوانية للامبراطورية الروسية القيصرية هي الخط الفاصل في تحديد القوى السياسية في اوروبا ، وتحديد اية حركات وطنية اوروبية تستحق التأييد والمساعدة من جانب البروليتاريا · ومن البديهي ان ماركس وانجلز حينما فعلا ذلك لم ينسيا الصراع الطبقي الاممي » ·

تستطرد صحيفة الشعب اليومية لتعطي «درسا» في هذه المقولة :

« يجب ان نهتم ، مثل ماركس وانجلز ، دائما ، بالتناقضات بين الدول الرأسمالية، ونتأكد من عدو رئيسي للحركة العمالية العالمية ، ونناضل ، بحزم ، ضد الحصنين الرئيسيين للقوى الرجعية في عالم اليوم: الامبريالية الاشتراكية السوفياتية والامبريالية الامريكية » ·

ونود ان نشير الى انه اذا ارادت القيادة الصينية الحالية نقد القيادة السوفياتية في هذا الموضوع ، وعلى نحو جاد وبالغ الاثر ، فعليها ، اولا ، بان تعترف بأخطائها التي مارستها عبر التدخل الشائن ضد الحزب الشيوعي الياباني والاحزاب الشيوعية الاخرى ، وان تتخذ ، بطرحه ، خطوات جادة لازالة اثار مثل هذه التدخلات ·

ثانيا ، حاول الحزب الشيوعي الصيني توفير اسس لنظرية « العوالم الثلاثة » باستخدام مقتطفات كيفية من خطاب لينين في المؤتمر الثاني للاممية الثالثة (تقرير عن الوضع الدولي والمهام الاساسية للاممية الشيوعية ·) وتقول الفقرة التي اقتطفها مقال صحيفة الشعب اليومية على النحو التالي :

« هكذا ، امامكم لوحة العالم ، بخطوطها الاساسية بعد الحرب العالمية · هناك ١ر٢٥٠ مليون نسمة في المستعمرات المضطهدة ، من بلدان يقتسمونها حية ، مثل ايران وتركيا والصين ، وبلدان مهزومة ، صارت في وضع مستعمرات · ثم عدد لا يزيد عن ٢٥٠ مليون نسمة «هم سكان بلدان بقيت على وضعها القديم ، ولكنها وقعت ، جميعا ، في تبعية اقتصادية لامريكا ، كما كانت ، جميعها ، في تبعية عسكرية ابان الحرب ، لان الحرب شملت العالم كله ،ولم تسمح لاي دولة بالبقاء فعلا ، على الحياد · واخيرا ، عدد يقرب من ٢٥٠ مليون نسمة في عدة بلدان ، ومن البديهي ان القمة ، او الرأسمالية ، في هذه البلدان الاخيرة هم وحدهم الذين استفادوا من اقتسام العالم ·· لقد اردت ان اذكركم بلوحة العالم هذه لان

جميع التناقضات الاساسية التي تلازم الرأسمالية والامبريالية ، والتي تفضي الى الثورة ، وجميع التناقضات الاساسية في الحركة العمالية ، والتناقضات التي افضت الى صراع في منتهى الضراوة ضد الاممية الثانية ··· هي جميعها مرتبطة بهذا التقسيم لسكان العالم » (مؤلفات لينين المختارة ، المجلد ٣١ ، صفحة ٢١٨) ·

لقد كانت النقاط التي تحدث عنها لينين، في خطابه ، في تموز ١٩٢٠ ، هي ان العالم الرأسمالي قد دخل ، بوضوح ، مرحلة الامبريالية ، مع اطلالة القرن العشرين وان الرأسمال الاحتكاري ، من خلال تشكيل الكارتلات والتروستات والمؤسسات الكبرى ، وصل الى حد السيطرة على قطاعات معينة في الصناعة ، ليس فقط في دول بمفردها ، ولكن ، ايضا ، على نطاق العالم · فقد شنت الحرب العالمية الاولى من اجل اعادة اقتسام العالم ، وانحطت المانيا ودول مهزومة محددة اخرى الى مستوى دولة مضطهدة ، مهانة، بدون حقوق ، نتيجة معاهدة فرساي ، منذ نهاية الحرب ، وانه نتيجة ذلك ، اصبحت جماهير الشعب الواسعة في كثير من الدول تعيش حياة معدمة ، وحتى في الدول الغنية الدائنة اصبح العمال في وضع لا يطاق ، وهكذا لا يمكن بأي طريقة ترسيخ الرأسمالية ، ويجب على الاحزاب الشيوعية ، بالاضافة الى محاولتها هزيمة تأثير الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية على الجماهير العاملة المقام على اساس تعاون رأس المال والعمل، ان لا تهمل امر النضال ضد تيارات « اليسار » الخاطىء في الشيوعية ، مثل النفور من العمل البرلماني · كما يجب الاهتمام الشديد باقامة صلات وثيقة بين الطبقة العاملة في الدول الرأسمالية المتطورة وبين الجماهير المضطهدة في المستعمرات ·

اذن ، لا يوجد هنا اي جدل يمكن استخدامه لدعم ما يسمى بنظرية « العوالم الثلاثة » ، التي تدافع عنها صين الزمن الحاضر ·

« تبرير » التعاون مع الولايات المتحدة

ثالثا ، يحاولون تبرير نظرية «العوالم الثلاثة » بالاستشهاد بالتنافس والصراع ابان الحرب العالمية الثانية ، بين اليابان والمانيا وايطاليا من جهة ، وبين الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى وفرنسا ، من جهة ثانية ، وباستخدام مقتطفات لستالين ·

وباقتطاف بعض الفقرات من خطاب ستالين ، الذي القاه في الذكرى الخامسة والعشرين لثورة اكتوبر عام ١٩٤٢ ، تقول صحيفة الشعب اليومية :

« في المؤتمر الثامن عشر للحزب الشيوعي السوفياتي ، المنعقد في آذار ١٩٣٩ ، حدد ستالين المانيا وايطاليا واليابان دولا معتدية ، وحدد بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة دولا غير معتدية · وحالما شنت المانيا الهتلرية هجومها على الاتحاد السوفياتي ، عام ١٩٤١ ، مكن ستالين الاتحاد السوفياتي من تشكيل معسكر مضاد للفاشية ، مع الولايات المتحدة وبريطانيا وغيرهما ، وقال في عام ١٩٤٢ : (مما لا يدع ،الان، مجالا للشك انه في مجرى الحرب التي فرضتها المانيا الهتلرية على شعوب مختلف البلدان تم تحديد القوى من حيث الاساس ، وتشكيل معسكرين مضادين : التحالف الايطالي ـ الالماني والتحالف البريطاني ـ السوفياتي ـ الامريكي) ويتضح من ذلك ان منطق الاشياء

اقوى من اي منطق اخر ٠ (مقتطفات ما بين الاقواس هي من صحيفة **برافدا** في ٧ تشرين ثاني ١٩٤٢) ٠

ثم يسأل مقال هيئة تحرير صحيفة **الشعب** اليومية سؤالا بلاغيا : « الا ينبغي تحديد القوى السياسية في العالم حسب منطق الاشياء ، لا حسب منطق ما فوق الاشياء ؟ » ولكن الاتحاد السوفياتي تحالف ، في ذلك الوقت ، مع الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا العظمى بسبب الحاجة ، فقط ، لمواجهة الحرب العدوانية لالمانيا الفاشية ٠ ويستشهد الصينيون بهذا في محاولة «لتبرير» تحالف الصين مع الامبريالية الامريكية ، التي لديها شبكة من القواعد العسكرية والتحالفات العسكرية على نطاق العالم باعتبارها « الشرطي الدولي» ٠ ولا مفر من ان يقول المرء بأن هذا « موضوع حسب منطق ما فوق الاشياء » ٠

رابعا ، من خلال تنفيذ هذا « المنطق » الذي هو من صنعهم ، فانهم يغلقون عيونهم عن شوفينية القوة الكبرى في السياسة الخارجية لدى **ستالين** ، ويزعمون بأن « خيانات » **خروتشوف وبريجنيف** مهدت الطريق امام التحول في السياسة الخارجية السوفياتية٠ وكما اقر **ماو والحزب الشيوعي الصيني** ، في احدى المرات ، فان **ستالين** مارس تدخلات قومية ذات طابع قوة كبرى ضد سلسلة من الاحزاب الشقيقة ٠ بالاضافة الى ذلك، فان القيادة الصينية تدعم ، في الوقت الحاضر ، موقف **الحزب الديموقراطي الليبرالي الياباني** واحزاب اخرى ، التي تخلت عن جزر شيشيما (كوريل) وفقا **لمعاهدة سان فرانسيسكو** ، والآن تطالب بعودة « الاراضي الشمالية » باستخدام شكل من السفسطة التي لن يقبلها احد ، مطلقا ، على المستوى الدولي ٠

وفي الحقيقة ، فمن الخطأ جدا ان يغلق المرء عينيه عن الدور الايجابي الذي لعبه **ستالين والاتحاد السوفياتي في تلك الايام**، وان يرسم لوحة قاتمة الالوان لكل شيء حولهم ، تحت اسم « الستالينية » ٠ ولكنه رغم ذلك ، من الخطأ ان لا يتوصل المرء الى رؤية اخطاء **ستالين** الخطيرة ، واستخلاص الدرس الضروري منها ٠

ما هي « الامبريالية الاشتراكية » ؟

لقد استنكر **لينين** ذلك التوجه نحو تعزيز السياسة الامبريالية تحت يافطة « الاشتراكية » من خلال وصفه بـ « الامبريالية الاشتراكية » ، ويبدو من الملائم وصف السياسة الشوفينية لقوى كبرى والسيطرة على دول اخرى من قبل دولة اشتراكية بـ « امبريالية اشتراكية » و « استعمار اشتراكي » ، ولكن مثل هذه التعابير يجب ان تنطبق ، ايضا ، على الصين ، بضمن الآخرين ، بسبب تدخلاتها ذات الطابع القومي ضد اليابان ودول اخرى ٠

بالاضافة ، فان نظرية « الامبريالية الاشتراكية » ، كما يطرحها قادة صينيون قد خرجت عن حدودها ٠ اولا ، انهم لم يوسموا ، فقط ، السياسة الخارجية الخاطئة للاتحاد السوفياتي بهذا التعبير ، ولكنهم يؤكدون بأن كامل النظام الاجتماعي للاتحاد السوفياتي قد انحط ، في الواقع، الى مستوى دولة امبريالية اشتراكية احتكارية تحت يافطة « الاشتراكية » ٠ وقد استعملت هذه النظرية الفريدة لتصنف الاتحاد السوفياتي على انه العدو المشترك لشعوب العالم ، ويجب على الحركة الثورية العالمية قلب نظامه ٠ ثانيا، يصر الصينيون بأن « الامبريالية الاشتراكية » السوفياتية حديثة النهوض ضمن الجبهة الامبريالية العالمية ، وتتصف بالهجومية والعدوانية ٠ وبالمقارنة

الانتاجية وما شابه ، ولكن ، كما يشير التقرير « ٠٠٠بالرغم من جميع هذه الخطوات المتقدمة ، الا ان الانجازات الاشتراكية الحاضرة موسومة بالقيود والتحديدات المفروضة عليها من قبل الشروط التاريخية لكل دولة بمفردها ، وانه لم تأت تلك المرحلة حينما تصبح جميع السمات المتقدمة التي توقعها **ماركس وانجلز** في تاريخ البشرية الاشتراكية قادرة على الوصول الى كامل مقدراتها » ٠

وهذه الاراء ، التي عبر عنها **الحزب الشيوعي الياباني** ، القابلة للتطبيق على كلا الاتحاد السوفياتي والصين ، هي اراء صحيحة بالكامل ٠ وكان **ماوتسي تونغ** والقيادة الصينية قد وجها نقدا قاسيا **لخروتشوف** واخرين ، بخصوص مهادنتهم الامبريالية الامريكية ٠

« ان اصول وتطور الاختلافات بين قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي وبيننا ٠٠٠ يعود لان **خروتشوف** ينظر للحكومة الامريكية وقادتها ليس كممثلين عن قوى الحرب الامبرياليين ، ولكن كقوى مناهضة ٠٠ويقول**خروتشوف** ايضا ، بأن الامبريالية بدأت تدرك افلاس سياستها المرتكز على موقف القوة وان (بعض علامات البرود) (ظهرت) بينهم ٠ وبكلمات اخرى ، كما يزعم ، فان الحكومة الامريكية وقادتها ، ربما من حيث الاعتقاد ، لن يمثلوا مصالح البرجوازية الاحتكارية ، وان يتخلوا عن سياستهم العدوانية الحربية ، ويصبحوا قوى تدافع عن السلام ٠ (من مقال مشترك لهيئة تحرير صحيفة **الشعب** اليومية وصحيفة **هونغ تشي** نشر في ٦ ايلول ١٩٦٣) ٠

لاجل تفحص التغير الاساسي في خط السياسة الخارجية للصين ، فمن الضروري اعطاء اهتمام خاص لهذه النقاط الثلاث :

اولا ، ان التحرك نحو سياسة خارجية موضوعة على اساس نظرية « العوالم الثلاثة » بدأ في فترة ١٩٦٩-١٩٧١، ثم تلتها صياغة وتنظير هذه السياسة ٠ ومن الملاحظ ان غزو تشيكوسلفاكيا من قبل دول **حلف وارسو** الخمس ، بما فيهم الاتحاد السوفياتي ، حدث عام ١٩٦٨ ، كما اشتعلت سلسلة من الصدامات المسلحة على الحدود الصينية - السوفياتية عام ١٩٦٩ ٠

ثانيا ، تغيرت السياسة الصينية نحو الولايات المتحدة ، تغيرا جوهريا ، خلال الفترة نفسها ٠ وكما اظهرت تطورات الوضع ، فقد كان هذا استجابة لنفس التحول في الحكومة الامريكية نحو الصين ، التي كانت ذاتها جزءا من محاولة الخروج من مستنقع حرب فيتنام ، بأقل ضرر ممكن ، ومن خلال الاستفادة القصوى من التنافس السوفياتي - الصيني ٠ ثم جاء التراجع في موقف الصين نحو الحلف العسكري الامريكي - الياباني ، واحياء العسكرية اليابانية ٠

ثالثا ، يعتقد بأن التغير الهام في خط السياسة الخارجية للصين قد اخذ مجراه بالارتباط ، من ضمن اشياء اخرى ، بالصراع الداخلي على القيادة بين جناح **لين بياو** وجناح **شوابن لاي** ٠ هذه النقاط سيتم تفصيلها على الشكل الاكمل في الاجزاء القادمة ٠

سار العداء والتخاصم بين الصين والاتحاد السوفياتي عبر تحول

مع الامبريالية الامريكية التي توصف بانها « اكثر دفاعية وسكونا » فان الاولى اكثر خطورة · ويمتد هذا الجدل الى حد الغفران للامبريالية الامريكية ، المعتدي الرئيسي في عالم اليوم · وهذه هي اشد صورة سلبية « لنظريتهم » ·

دعونا نتفحص جوهر «النظرية» · **اولا** ، لم يعط اي تحليل ملموس للوضع ، الذي يستلزم على اساسه تكوين استنتاج حول الاحياء المزعوم للرأسمالية في الاتحاد السوفياتي · **ثانيا** ، لم يقدم توضيحا للفوارق الاساسية بين النظام الاقتصادي الاجتماعي للاتحاد السوفياتي حينما كان **ستالين** السكرتير العام للحزب ، وبين الاتحاد السوفياتي اليوم· فهم يؤكدون بلا توضيح او تحليل لهذه المسائل ، بأن « **خروتشوف وبريجينيف** خانا القضية الشيوعية ، متجهين نحو اعادة الرأسمالية الى الاتحاد السوفياتي» وهو جدل عقيم جدا ·

وقد اشار تقرير اللجنة المركزية **المؤتمر الرابع عشر للحزب الشيوعي الياباني** ، من حيث مفاهيم التاريخ العالمي ، بأن الاشتراكية ، كما هي عليه اليوم في العالم ما تزال في طور النشوء والتكوين ، فقال : « بينما انقضى ، ستون عاما على ثورة اكتوبر ، وخطت اكثر من اثنتي عشرة دولة في اوروبا واسيا وامريكا اللاتينية على طريق الاشتراكية، فان الاشتراكية ، من حيث مفاهيم التاريخ العالمي ، هي فقط مرحلة التكوين الاولي · ولذلك فان مستقبل البشرية الاشتراكي لا يجب تصوره الى الحد الذي تم انجازه في البناء الاشتراكي »·

وفي الحقيقة ، اتمت الاقطار الاشتراكية تطورا سريعا فيما يتعلق بالقدرة

متتابع ، من مرحلة التعارض السياسي والايدولوجي في المطور الاول ، الى عداء دولة لدولة في المرحلة الاخيرة ، على اساس المصالح القومية الضيقة ذات طابع القوة الكبرى لكل منهما · في نفس الوقت ، استمرت حوادث الحدود الطفيفة بين الدولتين · ومع ذلك ، انفجرت عامي ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ الصدامات المسلحة العلنية على نهر اوسوري ، ونهر امور ، وعلى الحدود قرب اوميشي ، عاصمة اقليم سنكيان اوغور الاداري الذاتي · وقد كان مسلسل هذه الاحداث نذيرا بتطور جديد ، في عداء دولة مقابل دولة ، الذي اتخذ الان وجها اكثر حدة بكثير ·

ان اي نزاع حدودي بين الدول الاشتراكية يجب ، كأمر طبيعي ، ان يحل بالمفاوضات · ومن حيث الموقف الصحيح الذي يجب اتخاذه حول النزاع الحدودي ، كتب **لينين** في « رسالة الى عمال وفلاحي اوكرانيا فيما يتعلق بالانتصارات على **دينكين** » يقول : كيفما تكون الحدود بين اوكرانيا وروسيا ، وكيفما تكون اشكال علاقات الدولة بينهما ، فهذا شيء ليس بالمهم كثيرا ، وهذا امـ.. يمكن ويجب ان تتم فيه التنازلات ، حين النظر في امر او اخر او ثالث ـ فلن يكون ذلك سببا في افناء قضية العمال والفلاحين من اجل الانتصار على الرأسمالية » · (لينين ـ **الاعمال المختارة** ، **مجلد** رقم ٣٠ـص ٢٩٧) ·

وبكلمات اخرى ، فان اي مشكلة حدودية بين الدول الاشتراكية يجب التعامل معها بأكثر الطرق مرونة ·

وفي الحقيقة ، فان ما حدث هو ان النزاع الحدودي بين الصين والاتحاد السوفياتي ، وكلاهما دولتان اشتراكيتان ، قد تطور بازدياد نحو العداء ، ووقع فيما يشبه بمستنقع لا قرار له ·

ففي الثاني من اذار ١٩٦٩ ، انفجر اشتباك مسلح حامي الوطيس حول جزيرة دامانسكي (تشي باو تاو) في نهر اوسوري · وقبيل هذا الحدث ، نشرت صحيفة **البرافدا** ، في ١٦ شباط ١٩٦٩ ، تعليقا يقول في جزء منه :

« كلما اتضح اكثر مدى فشل سياسة قيادة **الحزب الشيوعي الصيني** في الداخل واخفاق سياسته الخارجية التام ـ والتي وضعت الدولة في عزلة تامة ـ كلما تقوى أكثر الحملة المعادية للسوفيات · وكلما انحرفت هذه القيادة عن مبادىء الاشتراكية العلمية ، كلما ثارت وتعصبت دعاية بكين ، التي تزعم بأن الاتحاد السوفياتي هو الذي خان مصالح الثورة ، واستعاد الرأسمالية · وبعد ذلك بفترة قصيرة ، بدأت الدعاية الصينية تنبعث من عواطف قومية ممبزة ـ يمكن وصفها حتى بالعنصرية · وقد ادعت ، زعما ، قيادة **الحزب الشيوعي الصيني** باراضي تابعة للاتحاد السوفياتي من اجل اضرام العواطف القومية لدى الشعب الصيني ··· »

وبعد الصدام المسلح بفترة قصيرة في جزيرة دامانسكي ، اعلن السوفيات بأنه « اذا استمرت التحرشات من الجانب الصيني ، فيمكن ان تفنى الملايين من الصينيين نتيجة لسياسة ماو العابثة » ·

ورد الصينيون : « لقد ولت تلك الايام التي كان الاخرون يسنون فيها القوانين للصينيين · فلا بد انكم عميان او مضللين تماما اذا كنتم تفكرون بأنكم تستطيعون معاملة الشعب الصيني بنفس الطريقة القديمة ، تلك الاساليب المخادعة التي استعملتها روسيا في عصر القياصرة ··· ان ٧٠٠ مليون فرد من الشعب الصيني وجيش **التحرير الشعبي الصيني** ـ مسلحين بأفكار **ماوتسي تونغ** ومتمرسين في الثورة الثقافية البرولبتارية العظيمة ـ هم اقوى من السابق · وأي فرد يجرؤ اختراق وطننا الاشتراكي العظيم سوف يصد ، حتما ، بقوة · ليسقط القياصرة الجدد ! وليسقط الامبرياليون الاشتراكيون التحريفيون الروس ! »

وقد اتضح التوتر غير العادي في العلاقات السوفياتية ـ الصينية اكثر من السابق · واسهمت الدوائر الرسمية الامريكية في صب المزيت على نار الصراع السوفياتي ـ الصيني · فقد كتب هـ · ر · **هالدمان** ، مساعد الرئيس الامريكي **نيكسون** انذاك ، في مذكراته يقول :

« كانت هناك عروض سوفياتية موجهة الى الولايات المتحدة عام ١٩٦٩ من اجل مغامرة مشتركة بضربة جراحية (ضد المنشأت النووية الصينية ـ المحرر) · ولكن **نيكسون** رفض عروض السوفيات ، الا انه علم بعد ذلك ، وقد انتابه الرعب ، بأن السوفيات عقدوا العزم على التنفيذ لوحدهم · »

(هـ · ر · هالدمان « **نهايات القوة** » ، منشورات نيويورك تايمز ، ص ٩٠ ·)

وقبيل ذلك بفترة قصيرة ، كتب **جوزيف السوب** في مجلة **ريدرز دايجست** عدد ايلول ١٩٧٣ ، مقالا بعنوان « هل

ستهاجم روسيا الصين ؟ » يتحدث فيه عن الموضوع نفسه ·

وقد نفت وكالة الصحافة السوفياتية ، **تاس** ، ما جاء في المقتطف اعلاه من مذكرات هالدمان نفيا مطلقا ، وقالت « انه تحريض ومناف للعقل ، ولا وجود لمثل هذا الشيء · » وسواء كان هذا صحيا ام خاطئا فانه سيتضح في الوقت الملائم ، ولكن لا يمكن نفي كون الوضع على الحدود السوفياتية الصينية هو متوتر بشدة هذه الايام ·

وحينما طبق الصينيون لاول مرة تعبير « **الامبريالية الاشتراكية** » ضد الاتحاد السوفياتي ، كتعبير اتهامي في اب ١٩٦٨ ، فقد كان مرتبطا بمهاجمة دول **حلف وارسو** الخمس لتشيكوسلوفاكيا ، بما فيهم الاتحاد السوفياتي · ولا يوجد هناك شك في ان مهاجمة تشيكوسلوفاكيا قد زاد من تفاقم شعور الصين المتأزم نحو السوفيات · وفي ذلك الوقت ، فان ما يسمى بنظرية « **السيادة المحدودة** » ـ والمعروفة ايضا بـ « **مذهب بريجنيف** » التي اعلنت لاول مرة في خطاب بريجنيف في المؤتمر الخامس **لحزب العمال البولندي الموحد** ، في تشرين ثاني ١٩٦٨ ـ قد عرضت في سبيل تبرير التدخل العسكري ضد الدول الاشتراكية · وضاعف ، ايضا ، هذا من الشعور المتأزم والمتوتر على الجانب الصيني ·

كانت هذه خلفية الظروف التي حدثت على اساسها الاشتباكات المسلحة على الحدود السوفياتية الصينية · اما اتهام الاتحاد السوفياتي بامبريالية اشتراكية . فقد صيغت فيما بعد في **المؤتمر التاسع للحزب الشيوعي الصيني المنعقد في نيسان ١٩٦٩** ·

كان عام ١٩٦٩ فترة عجز « الثورة الثقافية » الصينية عن التقدم ، مسببة صراعا داخليا يزداد عنفا · وفي مثل هذه الظروف « جرت الاشتباكات المسلحة على الحدود ، وكان لها ، ايضا ، تأثيرا هام ·

وكما هو معروف ، فقد التقى رئيس الوزراء السوفياتي ، كوسيغن ، في ايلول ١٩٦٩ ، برئيس الوزراء الصيني ، شواين لاي ، في مطار بكين ، في طريق عودته بعد حضوره جنازة الرئيس الفيتنامي هوشي منه ، وقد فتح اللقاء الطريق امام لقاء استشاري ثنائي ، على مستوى نائب وزير الخارجية ، لمناقشة مشكلة الحدود · ولكن سرعان ما وصلت المفاوضات الى نقطة الجمود · واخيرا ، في خريف ١٩٦٩ ، تصاعد التوتر على الحدود السوفياتية ـ الصينية بشدة اكثر الى حد انه اتخذت اجراءات بمنع تجول الاجانب في المناطق المحيطة ببكين ·

كيف قيم المسؤولون الامريكيون العداء السوفياتي الصيني وكيف تعاملوا معه ؟ وفي هذا الشأن قال أ · دول بارنت ، الخبير الامريكي المرموق في الشؤون الصينية ، والزميل القديم في مؤسسة بروكنغز ، والوثيق الصلة بالادارة الامريكية :

« في محاولتها للتعامل مع المسائل المعقدة التي خلقتها العلاقة المثلثة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي والصين ، يجب على واشنطن الان ، ان تقبل بمقدمات منطقية اساسية معينة ، حول العلاقات بين موسكو وبكين ، من منظور المصالح الامريكية · واحدى هذه المقدمات المنطقية هو ان اي تقارب

في المستقبل البعيد ، الذي ربما يؤدي الى تجديد تعاون سوفياتي ـ صيني وثيق في اتخاذ سياسة معادية للولايات المتحدة الامريكية . سوف تؤثر سلبيا بشكل مفرط على المصالح الامريكية · والامر الثاني ، مع ذلك ، هو ان اي نزاع عسكري سوفياتي ـ صيني واسع النطاق لن يكون مرغوبا فيه على حد سواء · » (أ · دول بارنت » **السياسة الصينية ـ مشاكل قديمة وتحديات جديدة** ، معهد بروكنغز ، ص ٨٣)

ويشير **بارنت** بأن المسؤولين الامريكيين ، في مناقشتهم لمسألة توازن القوة بين الولايات المتحدة واليابان والصين والاتحاد السوفياتي في اسيا ، بعد حرب الهند الصينية ، كان عليهم ان يضعوا في اعتبارهم عامل الصراع السوفياتي ـ الصيني ·

وبعبارات اخرى ، فان المسؤولين الامريكين يستخدمون استراتيجية تفيدهم . بذكاء .من العداء السوفياتي ـ الصيني . لحساب مصلحتهم القومية · وكأمر واقع ، فان الصراع السوفياتي ـ الصيني يوفر للامبريالية الامريكية ظروفا ملائمة للنهوض ثم التقدم ، رغم انها تجد نفسها . عموما ، غارقة في تناقض خطير يتزايد باستمرار · ويجب ان نستوعب هذا الامر بشكل صحيح ، بسبب حاجتنا الى تطوير التلاحم والتضامن بين القوى الديمقراطية المعادية للامبريالية في جميع انحاء العالم من اجل السلام العالمي · والاستقلال القومي .والتقدم الاجتماعي ·

عملية التحول في العلاقات الصينية ـ الامريكية

لم تدع الصين خلال عملية التحول في العلاقات الصينية ـ الامريكية اعلانا رسميا بهذا الشأن · وفي الشهور القريبة الماضية ، قام بعض المسؤولين الامريكيين ، الذين اشتركوا مباشرة في هذه الشؤون ، بما فيهم الرئيس **نيكسون** ومساعده **هالدمان** ، بنشر مذكراتهم ، مما يوفر لنا بعض الضوء حول هذا الموضوع ·

يقول **نيكسون** في مذكراته ، مشيرا الى الخطط الامريكية التي ستصبح فعالة ايجابيا في تجسيد العلاقات الامريكية مع الصين :

« كانت المرة الاولى الي اطرح فيها فكرة اهمية العلاقات بين الولايات المتحدة والصين الشيوعية قد حدثت في مقالتي في **الشؤون الخارجية** عام ١٩٦٧ · وقد اشرت ، بشكل غير مباشر ، في خطاب تنصيبي رئيسا ، اليها حينما قلت (اننا نسعى في سبيل عالم منفتح ··· عالم لن يعش فيه شعب ، صغيرا كان ام كبيرا ، في عزلة مكروهة) » ·

وعلى اساس هذه الخلفية للصراع السوفياتي ـ الصيني المركز ، استلم **نيكسون** زمام المبادرة ، سعيا وراء التقارب مع الصين · وفي تقريره الى الكونغرس حول الشؤون العالمية ، في ١٨ شباط ١٩٧٠ ، ارسل **نيكسون** اشارة ايجابية الى الصين حين قال « الصينيون شعب عظيم وحيوي ، لا يجب ان يبقى معزولا عن المنظومة الدولية ··· وبالتأكيد . فانه لصالحنا ولصالح السلام والاستقرار في اسيا والعالم ان نتخذ ما نستطيعه من خطوات نحو علاقات محسنة مع بكين · » · بعد يومين وفي حديث على مستوى سفيري الصين والولايات المتحدة في وارسو ، اقترح الجانب الصيني بنقل مكان

المحادثات الى بكين ، واعرب عن ترحيبه بقدوم وفدا امريكيا عالي المقام · ونتيجة لذلك ، طار **هنري كيسنجر** من باكستان الى بكين ، في مابين ٩ـ١١ تموز ١٩٧١ ، واعلن **نيكسون** في ١٥ تموز عن خطته لزيارة الصين · ثم ذهب ليعقد مباحثات مع **ماوتسي تونغ** و **شو اين لاي** ·

يقول نيكسون في مذكراته حول موضوع المباحثات :

« (موجها حديثه للجانب الصيني) لماذا يحتفظ السوفيات بقوات على الحدود معكم اكثر من قوته على الحدود المواجهة لاوروبا الغربية ؟ ما هو مستقبل اليابان ؟ وهل هو افضل حسب وجهة نظر الصين ـ وهنا اعرف اننا غير متفقون ـ في ان تكون اليابان محايدة ، ولا تستطيع الدفاع عن نفسها تماما ، ام انه افضل من ان تكون لليابان علاقات دفاعية مشتركة مع الولايات المتحدة ؟ والسؤال هو ، اي خطر تواجهه جمهورية الصين الشعبية ؟ هل هو خطر العدوان الامريكي ـ ام العدوان السوفياتي ؟ هذه اسئلة صعبة ، ولكن يجب علينا ان نناقشها · »

« كان **ماو** متيقظا ومتتبعا لكل فارق دقيق في الحوار ، ولكنني استطيع القول بانه اصبح ايضا متعبا جدا · »

« بعد ظهيرة اليوم الثاني من رحلتي الى الصين ، شرحت في لقائي مع **شو اين لاي** الوضع الدولي ، وعلاقات الولايات المتحدة مع السوفيات واليابان»

« (موجها حديثه الى الجانب الصيني) انني اؤمن بأن مصالح الصين ، بالاضافة الى مصالح الولايات المتحدة ، تتطلب . بشكل ملح ، ان نصون مؤسستنا العسكرية على المستويات الحالية تقريبا · وانني اؤمن ، فيما عدا استثناءات معينة ، بانه يجب علينا ان نحمي تواجدنا العسكري في اوروبا ، واليابان ، وكذلك وجود قواتنا البحرية في المحيط الهادي · وبشأن توازن القوى النووية ، فان الاتحاد السوفياتي يتقدم الى الامام بمعدل ينذر بالخطر الشديد ، خلال السنوات الاربع الماضية· ولقد عزمت على الا تتخلف الولايات المتحدة وراء الاتحاد السوفياتي · واذا حدث هذا ، فان درع الحماية لاوروبا ودول المحيط الهادي التي لنا معها معاهدات ، سوف يكون عديم القيمة ·

« وقد خلف هذا التصريح ، كما قصدت ، حركة خفيفة بين الجانب الصيني على مائدة المباحثات · وبعد هذا ، قلت بأن الصين طالبت بانسحاب القوات الامريكية من اليابان ، والغاء **معاهدة الامن اليابانية ـا لامريكية** ، وهكذا نترك اليابان محايدة وغير مسلحة ·

« تستطيع الولايات المتحدة ان تخرج من المياه اليابانية ، ولكن سيبقى اخرون للصيد فيها · واذا كنا سنترك اليابان عارية وعاجزة عن الدفاع عن نفسها ، فانهم سيتوجهون لاخرين للدفاع عن انفسهم ، طلبا للمساعدة ، او لبناء قدرتهم الدفاعية الذاتية · واذا خرجت الولايات المتحدة من اسيا ومن اليابان فان احتجاجاتنا ، مهما علت ، ستكون مثل اطلاق نيران مدفع فارغ ·

« (الان ادرك بأنني رسمت هنا صورة تجعلني اشبه بمحارب هادىء قديم) ، واصلت حديثي ، وضحك شو اين لاي بنعومة · »

ولم ينف الصينيون اي من هذه

التصريحات ، التي ظهرت في **مذكرات نيكسون** ، بل ان كلمات وافعال الصينيون اللاحقة تؤكد صدق هذه المذكرات ·

التقارب مع الولايات المتحدة والصراع الداخلي

تناقلت الانباء بأن القيادة الصينية دخلت في صراع داخلي حاد من اجل التحول الكبير نحو التقارب مع الولايات المتحدة ·

بعد توقف الحرب الكورية ، عام ١٩٥٠ ، رفع **ماو** والقيادة الصينية ، بشموخ ، راية مناهضة سياسة العدوان والحرب الامبريالية الامريكية · وقد كانت نقطة الخلاف الرئيسية في جدالهم وعدائهم مع **خروتشوف** والقيادة السوفياتية هي ما اذا كان يتوجب شن نضال جاد ضد سياسة الحرب والعدوان الامبريالية الامريكية ام لا · وفي الستينات ، بدأوا يؤيدون شن النضال ضد كلا الامبريالية الامريكية و «التحريفية» السوفياتية ، مؤكدين على الحاجة الى جبهة عالمية متحدة ضد الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، معا · وكانت حجتهم في التصرف على هذا النحو ان مثل هذا النضال ضروري ، لان خروتشوف والقيادة السوفياتية فرضوا على الحركة الشيوعية العالمية خط النكوص عن النضال ضد الولايات المتحدة !

ومع ذلك . قام الصينيون في السبعينات بتحول مفاجىء في موقفهم من خط السياسة الخارجية هذه الى اخرى تسعى للتقارب مع الولايات المتحدة · وكما اوضح **الحزب الشيوعي الياباني** ، فان تحول السياسة الخارجية للصين الى اخرى متقاربة مع الولايات المتحدة اصبح واضحا من حقيقة ان القيادة الصينية ، كما او انهم على توافق مع القيادة السوفياتية ، عبرت عن ترحيبها للممثل الزائر للامبريالية الامريكية ، التي كانت ، في نفس الوقت ، منشغلة في استراتيجية تدمير عدو المرحلة في فيتنام ·

وهذا التحول في السياسة الخارجية، الذي جاء وكأنه مفاجأة ، اثار جدلا حادا لا مفر منه داخل القيادة الصينية ·

وحسب رأي **جاب فان جنيكين** ، الصحافي الهولندي الخبير بالشؤون الصينية ، فان القادة الصينيون وجدوا، في عام ١٩٦٩ ، ان من غير الملائم الاستعداد فقط لـ « حرب الشعب » ، في مواجهة «قوتين عظيمتين» ورأوا انه من المحتم عليهم ان يستعدوا لـ « حرب حديثة » · ولكن هذا اثار خلافا في الرأي في الميدان العسكري · واشار ان العديد من قادتهم العسكريين اصروا على تحديث متطور للقوات المسلحة بينما اظهر فريق اخر ، يقوده **لين بياو** و **هوانغ يونغ** ، ترددا بشان هذه الخطط ، باعتبارها متميزة عن « حرب الشعب » التي يؤيدونها · ولم يرحب ماو بالتطوير السريع لصناعة الاسلحة الحديثة على اساس ان ذلك سوف يضعف ، بشدة ، البناء الاقتصادي الشامل · وأيد **شواين لاي ماو** في رأيه · وفي مثل هذه الظروف ، كما يقول **جنيكين** ، اراد **شوان لاي** ومؤيدوه ان يراهنوا على السياسة الخارجية اكثر من سباق التسلح الباهظ التكاليف · ويقول **جنيكين** بانهم اختاروا التخلي عن وضعية الصين المعزولة ، التي حسب اعتقادهم تجعل اي عمل

عسكري من قبل الاتحاد السوفياتي اقل جاذبية ·

وفي الاشارة عن الخلاف في الرأي حول التحول نحو التقارب مع الولايات المتحدة ، قال جنيكين ما يلي :

« كل فرد يريد ان يستمر النضال الايديولوجي ضد الاتحاد السوفياتي – اذا دعت الحاجة لذلك حسب رأي لين بياو – الى جانب النضال ضد الولايات المتحدة · ولكن اذا توفرت الاولوية لاحدى هاتين المواجهتين ، فستكون من ثم النضال ضد الامبريالية : فالاشتراكي السيء افضل من الرأسمالي الجيد، ولهذا الحد كان لين بياو وزملاؤه متعقلين · ومن جهة اخرى ، كان شوان لاي ومسؤولون اخرون يؤمنون بأن (التحريفية) السوفياتية اخطر كثيرا ·

، مرة اخرى ، كان رأي ماو هو الحاسم هنا · فقد اختار الخط الذي ايده شوان لاي، ورفض خط لين بياو ، وحول الخط الاول الى دراسة وثيقة الصلة بالسياسة الخارجية » · (جاب فان جنيكين «صعود وسقوط لين بياو » دار نشر بيلكان ، ص ٢٥٢) ·

وحول الصراع الداخلي في القيادة الصينية، فانه لم تتوفر معطيات ومعلومات كافية في الوقت الحاضر ولا يمكن ايعاز « سقوط » لين بياو الى الاختلاف في الرأي وحده · ولكن بالنظر الى التطورات الفعلية ، قبل وبعد تلك الفترة، فان ما يقوله جنيكين يقترب فعلا من ما حدث ·



بعد رحيل ماوتسي تونغ وشوان لاي عن مسرح الاحداث ، والتصفية اللاحقة لـ « عصابة الاربعة » ، فان القيادة الصينية الجديدة الراهنة تسير نحو العودة الى ما قبل « الثورة الثقافية » ، بسرعة متزايدة على صعيد السياسة الداخلية · وفي نفس الوقت ، تتقدم الخطوات الموضوعة على اساس نظرية « العوالم الثلاثة » بسرعة اكبر ، وخصوصا التقارب مع الولايات المتحدة ، على صعيد السياسة الخارجية ·

ويتناقض مثل هذا التوجه ، بالكامل ، مع القضية الاشتراكية ، وبالتاكيد فانه سينهار يوما ما · ولكن في الوقت الحاضر، ليس هناك ما يدعو للتفاؤل ·

لقد انقضى اكثر من ستين عاما على انتصار ثورة اكتوبر ، وثلاثين عاما على نجاح الثورة الصينية · فمن جهة ، نجد ان ازمة بنية الدول الرأسمالية تستفحل خطورتها ، كما ظهر في قمة بون الاخيرة وما نشعر به كل يوم · بينما تلعب ، من جهة اخرى ، الدول النامية التي نالت استقلالها الوطني وسيادتها دورا كبيرا في المنظومة الدولية · وانجزت الطبقة العاملة وجماهير الشغيلة الاخرى في عدد من الدول الرأسمالية المتطورة خطوات مذهلة · وهناك عدد من الدول الاشتراكية التي تطورت جميعها اجتماعيا واقتصاديا ، رغم مواجهتها لمشاكل عديدة وصراعات داخلية منبعثة جزئيا من حقيقة ان الاشتراكية ما زالت جنينية وفي طور التكوين في سياق التاريخ العالمي · ان القوى الثورية الثلاث ، في منظور الافاق الواسعة ، قد لعبت دورا متزايدا في تقدم التاريخ العالمي ·

ان الانتصار التاريخي للشعب الفيتنامي قد علم العالم كله ،مرة ثانية، بان القوى الثورية ، اذا كانت متحدة وتحت قيادة صحيحة ، تستطيع خلق قوة عظيمة · وان التضامن الاممي ، رغم تمزقه بصراعات داخلية خطيرة ،

يمكن ان يلعب دورا ايجابيا ·

ليس ثمة شك بانه اذا قامت كل دولة اشتراكية ، وكل حزب شيوعي والقوى التقدمية الاخرى في كل دولة ، وكل القوى الديمقراطية المعادية للامبريالية، باحترام استقلال وحرية الاخرين وتطوير التضامن الاممي من منطلق انجاز المهام المتفق عليها جميعا ، فانها ستعجل بتقدم التاريخ العالمي نحو السلام والاستقلال الوطني ، والديموقراطية ، والتقدم الاجتماعي والاشتراكية ·

ولكن ، عبر نظرة على الحقائق القائمة كما هي اعلاه ، يستدعي انجاز هذه المهام في شكلها الملح تطوير نشاطاتنا بقوة في بلادنا بهدف نجاح القوى التقدمية الحقيقية، والعمل باستمرار من اجل تضامن اممي اقوى على اساس مبادىء الاستقلال ، والمساواة ، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للاخرين ·

أحداث الأردن

ملامح وتفصيلات

صالح قلاب

احداث الاردن الاخيرة ، التحرك الجماهيري ومواجهة النظام له ، اثارت جدلا واسعا في الساحة الفلسطينية وفي الاوساط المعنية · وقد انبرت وسائل اعلامية عربية واجنبية لتضفي على هذه الاحداث انماطا متنوعة من التحليلات والمقولات ، التي ارتدت لتؤثر في قناعات قوى معنية جدا بالوضع الاردني وتطوراته ·

لقد خلصت معظم الاراء ، في هذا الصدد ، الى نتيجة واحدة تقريبا ، وهي ان الولايات المتحدة الامريكية ، طباخ الصلح المنفرد ما بين **السادات** والعدو الصهيوني تتجه الان الى اجراء تغيير في الساحة الاردنية بحيث تقضي على نظام **الملك حسين** وتحل مكانه نظاما يقبل الدخول ، والانخراط فورا في دائرة الحل المنفرد الذي يرعاه رئيس الولايات المتحدة **كارتر** ·

وقد ذهب بعض الذين خاضوا في تطورات الساحة الاردنية ، الاخيرة ، الى ان توقيع **السادات** للمعاهدة مع العدو قد بلور في الاردن تيارين احدهما يقوده **الملك حسين** وموقفه انعكس في الرفض الرسمي للمعاهدة وفي المواقف التي اتخذتها الحكومة الاردنية في مؤتمر **قمة بغداد** ، ومن ثم في مؤتمر وزراء الخارجية والاقتصاد العرب الذي انعقد في بغداد ، ايضا ، بعد توقيع **السادات** للمعاهدة ، والثاني يقوده شقيقه وولي عهده ، **الأمير حسن** ، وموقفه اتضح من خلال التصدي للتحركات الجماهيرية الاخيرة وقمعها على النحو الذي اشارت له مذكرة **التجمع المهني الاردني** التي رفعها الى رئيس مجلس الوزراء الاردني **مضر بدران** ·

ويجري الحديث ، لتحديد الهوية السياسية للتيار الثاني ، بالقول ، أنه يرى ضرورة التحاق **الاردن** بالمعاهدة ، وانه نظرا لعدم قدرته على اشهار رأيه يحاول الحد من تطرف الملك حسين ويحاول دفعه للقبول بالحل الوسط في الوقت المناسب ·

وقد بادر **الملك حسين** من جهته ، اثناء وجوده في انكلترا ، الى تاكيد انه يواجه ضغوطات ضخمة وشديدة ومكثفة من قبل الولايات المتحدة الامريكية وانه لا يستبعد اي شيء قد يجري ضده · وقد وصفت تصريحات **الملك حسين** بانها اعلان مبكر عن سقوط مملكة الهاشميين في الاردن التي مضى على تأسيسها نيفا ونصف قرن ·

لا الملك حسين رافض ولا خلافه مع شقيقه صحيح

ان خطورة هذا التحليل ، الذي اتكأ على معلومات خاطئة ، تكمن في ان بعض الجهات الوطنية والتقدمية المعنية باحداث تغيير جذري في الاردن قد تبنته، وبالتالي اخذت تطرح ضرورة المحافظة على **الملك حسين** وتدعيم حكمه والحؤول دون الاتيان ببديل امريكي له · وبالطبع فان موقف هذه الجهات ، لان لها امتداداتها التنظيمية والجماهيرية على الساحة الاردنية يؤدي الى بلبلة واضطراب في صفوف الجماهير في الاردن وسوف يؤثر تاثيرا وافرا على طبيعة الصراع في ساحة من اهم الساحات العربية في المرحلة النضالية الراهنة ·

ومن هنا فان مسألة ملاحقة هذه الطروحات حول الاردن ، التي ازدهرت مؤخرا ، اصبحت امرا ضروريا وهاما وواجبا وطنيا وقوميا ملحا ·

لذلك فان المسألة الاولى التي يجب توضيحها هي مسألة الصراع داخل الاسرة الحاكمة وبالتحديد ما بين **الملك** وولي عهده ·

في حزيران عام ١٩٧٠ ، عندما اشتد الصدام ما بين المقاومة الفلسطينية والنظام ، وكانت موازين القوى وقتها لمصلحة المقاومة ، انتشرت اشاعات غمرت البلاد من اقصاها الى اقصاها تقول ان داخل النظام تياران ، تيار يمثله الملك حسين وتيار يمثله **ناصر بن جميل** ، خال الملك ، **وزيد بن شاكر** ، ابن عمه ، بالاضافة الى **شقيقه حسن وامه زين** ·

التيار الاول يريد المحافظة على علاقات جيدة مع المقاومـــة ، ويتحاشى الصدام معها ، ويحرص على الاتفاقات والمواثيق المبرمة فيما بينه وبينها ·

والتيار الثاني هو الذي يصعد المواجهـة مع المقاومـة ، وهو الذي يريد اجتثاثها وضربها وانهاء وجودها ·

وقد اثرت تلك الاشاعات ، وقتها ، على الموقف السياسي لقيادة المقاومـة الفلسطينية ودفعتها الى اتخاذ قرارات ، لو انها لم تتخذهـا لتغيرت الخريطـة السياسية للمنطقة تغييرا كاملا · فقيادة المقاومة الفلسطينية التي وقعت اسيرة تلك الاشاعات ، المطبوخة ، قصرت مطالبها السياسيـة بعدما حسمت معركـة حزيران ١٩٧٠ عسكريا لمصلحتها ، على طرد **ناصر بن جميل وزيد بن شاكر** خارج البلاد ، بعد تجريدهما من مهامهما في الجيش الاردني ·

اما **الملك حسين** ، فقد استطاع ببراعتـه المعهودة في الاحتيال والمناورة ان يجنب نفسه سقوطا محتما · وتمكن تحت عباءة حياده المزعوم ، خلال ثلاثة شهور فقط ، من احداث خلل في موازين القوى عسكريا وسياسيا ، فجرد حملته الايلولية على الثورة الفلسطينية ، فكان ما كان ، وانتهى الوجود العلني على الساحة الاردنية · وعاد خال الملك وابن عمه الى مواقع اكثر اهمية ومسؤولية من مواقعهما السابقة داخل تركيبة الحكم في الاردن ·

ثم ، وبعد **قمة الرباط** ، التي اعترفت بحق منظمة التحرير الفلسطينيـة ، وحدها ، في تمثيل الشعب الفلسطيني عادت من جديد نغمة ظهور التيارات في الاردن · **فالملك حسين** ، الذي عاد مكبلا بقرارات الرباط ، اعلن وقتها عن نيته في اتخاذ اجراءات داخلية اطلق عليها « الاردنة » وكان هدفه، من ذلك الاعلان، هز قرارات الرباط قبل ان يجف الحبر الذي كتبت بـه ·

وحتى يحافظ على هوامش المناورة سرب **الملك حسين** ، من خلال اجهزته قصة وجود التيار الآخر الذي يتزعمـه ولي العهد ومعـه **احمد اللوزي** رئيس الوزراء ، آنذاك ، وبعض افراد العائلة مثل **ناصر بن جميل ، وزين ، وزيد بـن شاكر** ·· وغيرهم ·

لماذا بروز التيارات الموهومة الآن

بعد مؤتمر كامب ديفيد الاول، مباشرة ، دعا **الملك حسين** عددا من الضباط

الذين يثق بهم ويعتمد عليهم الى اجتمـاع ، لتدارس الوضع ، بعدمـا تبين ان **السادات** قد نقل رجله الاخرى الى داخل دائرة التسوية المنفردة · ومما قاله **الملك حسين** لضباطـه في ذلك الاجتماع ، ان الاردن امام خيـارات صعبة · فالتسوية المطروحة التي يقبل بها مناحيم بيغن لا تعطيه شيئا · وهو اذا دخلها سوف يواجـه وضعا صعبا ، ربما يؤدي الى سقوط النظـام وانهيـاره · وهو « الاردن » اذا لم يقبل بالتسوية المنفردة بمواصفاتها الحاليـة ، واذا تردد في الانخراط في دائرة الحل المنفرد ، فانـه سيواجـه الولايات المتحدة بجبروتها وبتاثيرها الداخلي والخارجي على النظام · وقد انتهى الاجتماع بالاتفاق على ان لا يدير النظام ظهره نهائيا للولايات المتحدة ، وان لا يدير وجهـه نهائيا الى تيار الرفض · وبالفعل فقد نهج **الملك حسين** هذا النهج في كل مواقفه وتصريحاته، حتى بعد توقيع السادات على المعاهدة في السادس والعشرين من آذار الماضي ·

دوائر بريجنسكي الثلاث

ويظهر مدى انسجام هذا الموقف ، مع السياسة الامريكية الحقيقية ازاء مسالة انجاز حلول لازمة المنطقة ، اذا عدنا لاستذكار مخطط التسوية الامريكية الذي اعلنـه مستشار الرئيس الامريكي لشؤون الأمـــن القومي · لقد اوضح **بريجنسكي** بعد زيارة **السادات** الى **القدس المحتلة** ان ادارة بلاده تنفذ حلا في المنطقة ، وفقا لثلاث دوائر متباعدة الاقطار ولكنها متحدة المركز :

ـ الدائرة الاولى ، انجاز تسوية منفردة ما بين مصر واسرائيل ·

ـ الدائرة الثانيـــة انجاز تسويـــة مشابهـــة الضمان التحاق الاردن والفلسطينيين المعتدلين **بالسادات** ·

ـ الدائرة الثالثة ، سوريا والاتحـاد السوفييتي « ان امكن » ، الاقتباس وارد اصلا في كلام **بريجنسكي** ويمكن تسمية هذه الدائرة ، دائرة جنيف ·

وبهذا يتضح ان موقف **الملك حسين** المتاني ، ليس انتظارا لسقوط شجـاع عن طريق السياسة الوطنية المعادية للمخططات الامريكية ـ الاسرائيلية ، كما تصور البعض ، وانما انتظارا للحظة المناسبة حتى تفرغ الولايات المتحدة مـن وضع اسس الانتقال الى الدائرة الثانية ·

ومن هنا ، وحتى يبقي الملك حسين نفسه في الموقع الاقوى ، حتى لا يحرق « برفع الياء وفتح الراء » سلفا في مرحلة تحضير الادارة الامريكية للخطوة الثانية في الشرق الاوسط ، فقد جدد نغمة التيارات مرة اخرى ٠

فاظهار تيار أميل الى الموقف الساداتي ـ الامريكي ـ الاسرائيلي وضاغط باتجاه الدخول في التسوية ، يمثله ولي العهد الامير حسن ، وتيار « متطرف » لا يقبل حتى بالحل الوسط يمثله الملك حسين يجعل الاخير ، موقع القرار الفعلي، حرا وطليقا ، قادرا على الحركة ٠ ويحمل الاول ، وحده ، مسؤولية اية اجراءات داخلية لا تنسجم مع الموقف الرسمي للنظام على الصعيد العربي ٠

وهذا ، ما تم بالضبط وما اثبتته التطورات الاخيرة في الاردن ٠ فعندما خرجت الجماهير لتعبر عن رفضها للمؤامرة ، وعن تمسكها بضرورة استمرار الصراع العربي حتى ينتزع شعبنا حقوقه، انبرت اجهزة النظام القمعية وواجهت الجماهير العزلاء بالرصاص والقنابل المسيلة للدموع وبالمطاردات والاعتقالات٠

وكان من المفترض ، لو أن النظام صادق في رفضه ومنسجم مع مواقفه الرسمية ، ان يقف الى جانب الجماهير ويساعد على انهاضها وتطوير مواجهتها للمؤامرة ٠ لكنه ، بدل ذلك ، سلط عليها اجهزته القمعية واختلق فورا قضية التيارات ، حتى يحمل غيره وزر المذبحة التي ارتكبها ، وحتى يبقي للمدافعين عنه او المخدوعين به ، مجالا لتحميل الطرف الاخر المسؤولية ومجالا للحديث عن مؤامرة وهمية تحيكها الولايات للاطاحة به ، والاتيان بالتيار الآخر على رأس النظام ٠

ان اسئلة متعددة يثيرها الحديث عن مؤامرة امريكية ضد الملك حسين ٠

اولا : لماذا تريد الولايات المتحدة اسقاط الملك ٠٠٠ الأنه يرفض الانخراط في سياستها في المنطقة ٠٠ اننا نعتقد جازمين ان غير الملك ، ومهما كان موقعه، ومن اية جهة محتضن ، لا يستطيع القيام بمهمة لم يقدر الملك حسين على القيام بها ٠

ثانيا : هل تنوي الولايات المتحدة ، اقامة وطن بديل ، مهمته امتصاص

المشاعر الوطنية الفلسطينية وتجيير هذه المشاعر باتجاه التعايش مع العدو من خارج حدود فلسطين .

ان وطنا كهذا ، لا يمكن ان يكون قادرا على امتصاص المشاعر الوطنية الفلسطينية ، ولو بحدود ، الا اذا كانت منظمة التحرير الفلسطينية والثورة الفلسطينية بالتحديد هي صاحبته ٠

وبما ان الثورة الفلسطينية ، غير مقبولة ، لا من بعيد ولا من قريب ، حتى ولو وافقت على ما وافق عليه السادات ، فان حكاية الوطن البديل تبقى خرافة جرى نسجها لابراز الملك ، في المرحلة الانتقالية ما بين حلقة بريجنسكي الاولى وحلقته الثانية ، كبطل قومي حتى ولو سجلت اجهزته القمعية الجماهير ولجمتها وطاردتها ٠

من حرب الجنوب ٠٠ حتى هبوب الرياح الخمينية

من المعروف ان الساحة الاردنية عاشت قرابة ثمانية اعوام تحت كابوس ذكريات ايلول ١٩٧٠ ، فخلال هذه الاعوام بقيت الحالة الجماهيرية مقموعة ، وغير قادرة على الاستجابة لاية تطورات تقع على اي من الساحات العربية ٠

لكن حرب الجنوب اللبناني التي خاضتها المقاومة الفلسطينية ، وحدها ، خلال اثني عشر يوما فجرت في الساحة الاردنية حالة نهوض جديدة ، تمثلت بالمظاهرات وحملات التطوع للقتال في صفوف المقاومة ٠

وقد حاول النظام ، في البداية ، مسايرة هذا الوضع الجديد لامتصاصه وتطويقه ٠ لكنه ما لبث ان لجأ الى القبضة الحديدية عندما تجاوزت حركة الجماهير مرونته وهوامش وطنيته المزيفة ٠

لقد افزعت انتفاضة اذار ١٩٧٨ النظام وألجأته الى اعادة اشهار سيف الاقليمية ما بين فلسطيني واردني ٠ لكن الثورة الايرانية داهمت النظام ، وهو في غمرة انهماكه بترتيب اوضاعه فقلبت كل ما خطط له رأسا على عقب وخلقت حالة جماهيرية جديدة اكتسحت كل حواجز الخوف والرعب التي اقامها النظام٠

ومن جديد ، وجد النظام نفسه ، وجها لوجه ، امام وضع جماهيري متفجر ٠ لذلك لم ير بدا اولا من ركوب موجة الوطنية بالهروب الى الامام ٠

وثانيا اختلاق مسالة التيارات لتحميلها كل ممارساته القمعية . وثالثا تغذية النعرات الاقليمية لضرب الوحدة الوطنية بين ابناء الشعب الواحد .

ويظهر ، ان النظام قد حقق نجاحات محدودة ، فقد اندفعت جهات ، حتى داخل المقاومة الفلسطينية ، ترفع شعار ضرورة المحافظة على **الملك حسين** تفاديا لانقلاب اميركي مزعوم ، قد ياتي ببديل له ، لن يلبث ان ينخرط في التسوية الاميركية الاسرائيلية الساداتية .

ان رفع مثل هذا الشعار تتضح خطورته ، كما سلف وذكرت ، في خلق حالة احباط لدى الجماهير وبلبهاة وارباكها ، وبالتالي تفريغها من حالة الاحتقان الثوري الحالية ، الامر الذي سيهيىء الاجواء ، لتنفيذ الحلقة الثانية من المخطط الامريكي في المنطقة ، وهي انضمام الاردن والفلسطينيين المعتدلين الى ركب التسوية الامريكية الاسرائيلية الساداتية .

وثائق

رسالة من فلسطين

الوضع الاقتصادي للكادحين العرب ★

يعاني السكان العرب ، من عمال وفلاحين وبدو وحرفيين ، من ازمة اقتصادية خانقة ، وبشكل خاص من ازمة زراعية ، اذ ان الجوع والفقر والاوضاع المتردية للجماهير هي محصلة للاحتلال الانجلو ــ صهيوني . ووصل الاستغلال والسلب درجة لا تصدق ، وفي الوقت نفسه تعيش الهجرة اليهودية حالة « نهوض عال » ، وينوي الصهاينة الاستفادة من الوضع الذي اوجده هتلر في المانيا ، والقيام بتنظيم هجرة يهودية واسعة في الاشهر القليلة القادمة .

وتدهورت اوضاع الفلاحين في الفترة الآخيرة بسرعة . ويعاني مئات الالوف من الفلاحين من وطأة الفقر والحرمان ، بفعل الاستغلال الثلاثي من جانب الامبرياليين والصهيونيين والاقطاعيين ــ المرابين . وقد سببت الازمة العامة والزراعية هجرة واسعة من الارياف . ويبحث الفلاحون ، عبثا ، عن عمل في المدينة . فبعد بناء الموانىء الحربية في حيفا والاعمال الاستراتيجية الاخرى (الطرق والمطارات الحربية ... الخ) تفشت البطالة من جديد . ومع ان بضعة الوف من الفلاحين وجدوا عملا لهم في « **شركة النفط العراقية** » ، الا ان القسم الاعظم من هذه الاعمال كانت تجري خارج فلسطين (وعلى سبيل

★ عن مجلة « **الشرق الثائر** » (باللغة الروسية) ، موسكو ، العدد الثالث ، لسنة ١٩٣٤

وثانيا اختلاق مسالة التيارات لتحميلها كل ممارساته القمعية · وثالثا تغذية النعرات الاقليمية لضرب الوحدة الوطنية بين ابناء الشعب الواحد ·

ويظهر ، ان النظام قد حقق نجاحات محدودة ، فقد اندفعت جهات ، حتى داخل المقاومة الفلسطينية ، ترفع شعار ضرورة المحافظة على الملك حسين تفاديا لانقلاب اميركي مزعوم ، قد ياتي ببديل له ، لن يلبث ان ينخرط في التسوية الاميركية الاسرائيلية الساداتية ·

ان رفع مثل هذا الشعار تتضح خطورته ، كما سلف وذكرت ، في خلق حالة احباط لدى الجماهير وبلبهاة وارباكها ، وبالتالي تفريغها من حالة الاحتقان الثوري الحالية ، الامر الذي سيهيىء الاجواء ، لتنفيذ الحلقة الثانية من المخطط الامريكي في المنطقة ، وهي انضمام الاردن والفلسطينيين المعتدلين الى ركب التسوية الامريكية الاسرائيلية الساداتية ·

وثائق

رسالة من فلسطين

الوضع الاقتصادي للكادحين العرب*

يعاني السكان العرب ، من عمال وفلاحين وبدو وحرفيين ، من ازمة اقتصادية خانقة ، وبشكل خاص من ازمة زراعية ، اذ ان الجوع والفقر والاوضاع المتردية للجماهير هي محصلة للاحتلال الانجلو ـ صهيوني · ووصل الاستغلال والسلب درجة لا تصدق ، وفي الوقت نفسه تعيش الهجرة اليهودية حالة « نهوض عال » ، وينوي الصهاينة الاستفادة من الوضع الذي اوجده هتلر في المانيا ، والقيام بتنظيم هجرة يهودية واسعة في الاشهر القليلة القادمة ·

وتدهورت اوضاع الفلاحين في الفترة الآخيرة بسرعة · ويعاني مئات الالوف من الفلاحين من وطأة الفقر والحرمان ، بفعل الاستغلال الثلاثي من جانب الامبرياليين والصهيونيين والاقطاعيين ـ المرابين · وقد سببت الازمة العامة والزراعية هجرة واسعة من الارياف · ويبحث الفلاحون ، عبثا ، عن عمل في المدينة · فبعد بناء الموانىء الحربية في حيفا والاعمال الاستراتيجية الاخرى (الطرق والمطارات الحربية ··· الخ) تفشت البطالة من جديد · ومع ان بضعة الوف من الفلاحين وجدوا عملا لهم في « **شركة النفط العراقية** » ، الا ان القسم الاعظم من هذه الاعمال كانت تجري خارج فلسطين (وعلى سبيل

★ عن مجلة « **الشرق الثائر** » (باللغة الروسية) ، موسكو ، العدد الثالث ، لسنة ١٩٣٤

المثال كـان يعمل حوالي ٦٠٠ عامل فـي مـد انابيب النفط) ٠ وبسبب جـوع الفلاحين واوضاعهم المزرية العديد مـن الانتفاضات والاصطدامات والنزعات مع موظفي الحكومة والصهاينة والاقطاعيين ٠ فقد نشبت الاصطدامات الدموية مع العصابات الصهيونية ، التي كانت الشرطة تهب لمساعدتهم كالعادة ، في كركور ووادي الحوارث ٠ ففي كركور حاول البدو انزال مواشيهم في اراضيهم التي انتزعها الصهاينة ٠ وانتهى الامر باشتباك ادى الى مقتل بدوي واحد ٠ وفي وادي الحوارث حاول البدو الهاربون من ملاحقة الجنود الانجليز ، نصب خيامهم في اماكن تجمع الصهاينة ٠ وحصل قتال مـات بسببه معمـر صهيوني متأثـرا بجراحـه ، واعتقـل خمسـة مـن البدو ٠ واراد الصهاينـة البقـاء في الاراضي التي اشتروها في ام خالد وشات ، فلاقوا مقاومة عنيفة من قبل الفلاحين واضطروا، مؤقتا الى العدول عننواياهم ٠ وحاول البدو انزال مواشيهم في اماكن تجمع الصهاينة ٠ ولكنهم طردوا مـن قبل الشرطة ، بعد تجريدهم مـن السلاح ٠ وفي كفـر سابا حـاول البدو نصب خيامهم في الاراضي التي اشتراها الصهاينة ٠

واتسمت هذه النزعات بطابع الحدة والشمول ٠ فقد شرع الفلاحون والبدو باسترداد اراضيهم السليبة من الصهاينة ٠

واشترك كل اهالي قرية الدمون ، في ضواحي حيفا ، في مقاومة محصلي الضرائب ، ووصل الامر الى وقوع اشتباكات عنيفة بين الفلاحين والشرطة ، واستعملت القـوة ضد الفلاحين وتعرضوا للضرب ، مما يـدل علـى تصاعد مقاومتهم ضد الاستغلال الامبريالي ٠

وقتل الفلاحون مختار قرية المالحة ، قرب القدس ٠ اما في قرية الملاح ، شمال فلسطين ، فقد ضرب الفلاحون اعوان احد الاقطاعيين العرب ، الذين جاءوا لتحصيل الضرائب٠وفي ضواحي مدينة نابلس،العربية العريقة،حصلاكثر من ٣٠٠ حادث ، وصفت كلها بأنها في مجال قطع الاشجار ، نتيجـة لخلافات الفلاحين حول حدود قطع الارض ، واعلنت المنطقة كلها بأنها في «حالة توتر» ، وعوقب جميع سكانها بغرامات جماعية ـ ووضعت الشرطة مسؤولية ذلك على عاتق الدعاية الشيوعية ٠ فقد صرح بذلك ممثل الشرطة في اثناء محاكمـة ١٤ شيوعيا في حيفا بتاريخ ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ من اذار (مارس) ٠

وشن البدو غارات فدائية في شرقي الاردن وواديه٠ في حين قامت السلطات هناك بمحاولات لجمع البدو ، وتجريدهم من السلاح ، وتحريم حمله ٠ وذلك كله من اجل التمهيد للتوغل الصهيوني الاستعماري ٠ وكانت انابيب البترول بحاجة الى حراس امناء واعتبر الصهـاينة افضل من يصلح للقيام بهذا العمل وبهذا الصدد اجرى الانجليز والصهاينة مفاوضات سرية مـع ا لامير عبد الله في موضوع تاجير منـاطق واسعـة في غور الكوبوت (وادي الاردن) ، غير ان المفاوضات توقفت بسبب الاحتجاجات الشعبية العارمة ٠

سياسة الحكومة الزراعية

اتخـذت الحكومة على ضـوء الانتفاضات الفلاحية المتصاعدة ، عـدة اجراءات منها : ١ ـ **تخفيض ضريبة العشر** ، من ١٠٪ الى ٥ر٧٪ ، وانخفضت في السنة الاخيرة بنسبة ٤٥٪ والمعروف ان هذه الضريبة تدفع حسب المعدل الوسطي للمحاصيل في اعوام ١٩٢٤ ـ ١٩٢٨ ، وحسب اسعار الحبوب في ذلك الـوقت ، دون النظر الى تذبذب الاسـعار وقلة المحاصيل بنسبة عشر المحصول غير ان الهبوط المدمر للاسعار اثناء الازمة (×) ثم قلة المحاصيل ، وما رافق ذلك من انتفاضات فلاحية ـ قد اجبر الحكومة على تخفيض عبء هذه الضرائب ٠

٢ ـ بما ان المعدمين والفلاحين لم يستطيعو دفع حتى الاعشار المخفضة ، وافتقدوا البذور والخبز ، **اضطرت الحكومة ان تسلف الفلاحين** بمقدار ٧٠ الف جنيه استرليني لاسترداد ضريبة العشر والديون المتبقية عند الفلاحين ، وكان التسليف بفائدة تبلغ ٦ ـ ٩٪ (كان هذا الاجراء خدعة مكشوفة ٠ اي تحويل ضريبة العشر غير المدفوعة الى دين ٠ وهذا منصالح الحكومة طبعا ، اذ انه يقيد الفلاحين بسلاسل اثقل لفترة اطول) زد على ذلك ان الحكومة عوضت **المجلس الاسلامي الاعلى** بمبلغ ٣٥ الف جنيـه استرليني ، بسبب العجـز في مداخيله ، الناتج عن اراضي الوقف التي تكونت بسبب تخفيض ضريبة العشر ٠

(×) بلغ انخفاض اسعار المنتوجات الزراعية ٦٠ـ٧٠ ٪ بالمقارنة مع اعوام ٢١ ـ ١٩٢٦ بينما ازدادت الضرائب ٥ ـ ٦ مرات ٠

٣ ـ نظمت الحكومة حملة واسعة **لانشاء تعاونيات عربية** (للاقطاعيين والكولاك طبعا)في جين وعدت الفلاحين بالخير العميم ٠

٤ ـ قامت الحكومة ، بشكل مستمر ومثابر ، **بتجزاة الاراضي المشاعة ، ووضعت حدا ادنى للملكية** لا يجوز تقسيمه فيما بعد ، واذا ما حدث ذلك ـ تنتقل الارض الى الملاكين الاغنياء بالرغم من ارادة الفلاحين ٠ اي ان موظفي الحكومة هم الذين يقررون لمن تباع او تعطى هذه القطعة من الارض ٠

٥ ـ حاولت الحكومة حمل الفلاحين والبدو ، الذين سلبت اراضيهم في وادي الحوارث وام خالد ، **على عدم مقاومة الصهاينة المستعمرين ، ووعدتهم باعطائهم اراض** في اماكن اخرى ٠ في ضواحي كفار سابا ٠

٦ ـ **فرضت الحكومة ضرائب جمركية** (بنسبة خمسة جنيهات استرلينية عن الطن) **على القمح المستورد** ٠ وذلك من مصلحة الاقطاعيين والمرابين والكولاك ، اذ انهم يحتكرون توريد القمح الى السوق ٠

ـ وبجانب هذه الاجراءات ، تواصل الحكومة انتزاع اراضي الفلاحين وتقديمها الى الصهاينة ، فقد اعلن المندوب السامي البريطاني **في جنيف** ان الصهاينة جردوا ٧٠٠ فلاح عربي من اراضيهم ٠ وذلك **يخالف الحقيقة ، ويتناقض حتى مع معطيات اللجان البريطانية العديدة (شووسيمبسونوفرنش)**٠ وبالرغم من ان المندوب السامي نفسه قد وافق على عدم وجود اراضي حرة للاستيطان لصهيوني ، فقد فتحت ابواب فلسطين على مصراعيها ، وجاء اليها ، في شهر شباط (فبراير) ، وحده وبشكل علني ، **حوالي ١٥٠٠ مهاجر صهيوني،** زد على ذلك الهجرة السرية ٠

وتم عملية تجريد الفلاحين من اراضيهم بمساعدة الجنود الانجليز ، فقد نهب معظم اراضي الفلاحين الصالحة لزراعة البرتقال ، وفي عام ١٩٣٢ ـ ١٩٣٣ قفز تصدير البرتقال من فلسطين الى اكثر من اربعة ملايين صندوق ، وكانت المزارع الصهيونية اكثر من النصف ٠

وفي ذات الوقت يستحوذ التجار الاغنياء والملاكون العقاريون والكولاك والمرابون على اراضي الفلاحين الفقراء ، لاقامة مزارع البرتقال عليها ٠ ووصلت ارباح اصحاب المزارع ، في السنة ، ٢٠ ـ ٢٥ ٪ من راس المال الموظف اما العامل الزراعي ، اي الفلاح والبدوي ، فكان يعمل باجرة لا تسد الرمق

(ـ ٢ شلن لقاء ١٠ ـ ١٢ ساعة في اليوم) ٠ اما النساء والاطفال فيتقاضون نصف شلن في اليوم ٠

وفي الخامس والعشرون من اذار (مارس) اصدرت الحكومة البيان التالي :

« بما ان فلسطين عانت في الاعوام الثلاثة من الجفاف وتضررت من فئران الحقل والجراد ، واخذا بعين الاعتبار لحاجات الفلاحين في مختلف مناطق البلاد ، فان المندوب السامي قد توصل الى قناعة بان ديون الحكومة على الفلاحين وكذلك ضرائب العشر والضرائب غير المدفوعة حتى عام ١٩٣٠ ، يجب ان تلغى فيما اذا تبيين ان الفلاحين لا يقدرون على دفعها » ٠

وهكذا ، وبايعاز من وزارة المستعمرات ، اعفى المندوب السامي الفلاحين من ١٧٣ الف جنيه استرليني من ضرائب العام الحالي (١٩٣٣) ، والغاء الديون القديمة حوالي (٨١٥٨٢ جنيه استرليني) ، كما عفاهم من التسليفات الزراعية التي كانت مترتبة عليهم حتى عام ١٩٣٠ ، ومقدارها ٢٦٥٢٩ جنيه استرليني ، وكذلك من ضريبة العشر ، ومقداها ٥٤١٦٣ جنيه استرليني ، ومن ١٠٨٩٠ جنيه استرليني ضرائب اخرى غير مدفوعة ٠ ويكون المجموع ٩١٥٨٢ جنيه استرليني ، وشكل مجموع الضرائب التي تخلص الفلاحون من دفعها ٥٠ ٪ من المجموع العام للضرائب والديون على الفلاحين ، حتى ٣١ كانون الثاني (يناير) عام ١٩٣٣ ٠ واعلنت هذه الاجراءات الحكومية قبيل الاجتماع الشعبي الكبير الذي عقده العرب ، والذي كان من المقرر عقده في يافا ٠ حيث كان سيتخذ القرارات ضد الهجرة اليهودية والاستعمار الصهيوني ٠ وهكذا ، فان تفسير اجراءات الحكومة هذه يكمن في خوفها من الانتفاضات الفلاحية ٠

ويمكن تحديد طبيعة التعاونيات التي كانت الحكومة تنوي اقامتها بالعوامل التالية « تبنى التعاونيات من اجل حماية ملكية الفلاحين الاغنياء » اي من اجل الابقاء على الملكية الخاصة ، ومنع « تسميم المواشي » ، وحرق مخازن الحبوب ، وقطع الاشجار ٠ وكان على اعضاء التعاونيات ان يدافعوا عن ملكية بعضهم البعض ٠ وفي حالة الحاق اضرار بهم يعوض المتضرر ٦٠ ـ ٧٠٪ من الاضرار التي لحقت به ، وهكذا يتبين ان التعاونيات اقيمت اساسا ، للكولاك والمرابين ، وضد مصالح فقراء ومتوسطي الفلاحين ٠ زد على ذلك ان هذه « التعاونيات » لها حق فض نزعات الفلاحين بالقوة ٠

وضع الطبقة العاملة

تلف العمال العرب بطالة واسعة ، ومع الانتهاء من بناء المنشئات الاستراتيجية المختلفة اكتملت البطالة بعناصر جديدة من العاطلين · وكان يجب ان يطرد ١٧٠ عاملا من عمال السكك الحديدية في حيفا ويافا · زد على ذلك ان المدن امتلأت بالفلاحين النازحين من الريف · وتساعد التضييقات الصهيونية على زيادة **البطالة بين العمال العرب** ، والعاملين في الزراعة ، وغير ذلك من الاعمال · ويطبق ، بشكل مستمر وثابت ، شعار « **العمل اليهودي** في المؤسسات اليهودية » ، وهو شعار صيهوني لئيم · ويمارس زعماء الهستدروت اضطهاد العمال العرب وطردهم ، ويجبرون الصهيونيين المهاجرين الجدد المنضمين الى الكيبوتسات على محاربة العمال العرب ·

ففي نيس تسيون وجان – حشرون دفع الصهاينة لمقاومة العمال العرب بعنف ، وبطرد العمال العرب من عشرات المستعمرات الصهيونية بالقوة ليحل محلهم الصهاينة · واصدرت الحكومة اوامرها الى السلطات المحلية بايكال ثلث الاعمال الى اليهود المهاجرين ·

وانخفضت اجرة العمال العرب اثناء الازمة واصبح يوم عملهم اطول من السابق ·

كما ان انخفاض سعر الجنيه ادى الى انخفاض المداخيل الحقيقية الى الثلث ، زد على ذلك ان ارتفاع اجور الشقق واسعار المواد الغذائية – بسبب الهجرة الصهيونية الى فلسطين ادى استفحال الازمة وتردي احوال العمال العرب · كما انخفضت ، ايضا ، اجور العمال اليهود بسبب انهيار العملة ، والغلاء الفاحش ، وتفاقم الازمة · وانطلاقا من مواقف سياسية لم تخفض البرجوازية اليهودية اجور العمال اليهود الى مستوى العمال العرب ، وبقي وضع العمال اليهود يتمتع بأفضلية خاصة · فعلى سبيل المثال ، كانت اجرة العمال العرب في البيارات ٥ قروش للاطفال ، و ١٠ – ١٥ للرجال · ولليهود ١٠ قروش للاطفال و ٢٠ قرشا للرجال · اما يوم العمل العربي فكان ١٤ ساعة ، وللعامل اليهودي ٨ ساعات · ونجد هذه الفروق في مجالات العمل الاخرى · فكان الحد الاقصى لعامل البناء العربي ١٢ قرشا ، ويوم عمله ١٣ ساعة ، بينما كان عامل البناء اليهودي يتقاضى ٣٠ قرشا ، و٨ ساعات يوم عمل · وفي **شركة البحر الميت** يتقاضى العامل العربي ١٥ قرشا ، بينما تتراوح اجرة العامل اليهودي ما بين ٣٠ – ٣٥ قرشا في اليوم ·

وبعد انتهاء اعمال البناء في ميناء حيفا طرد العمال العرب من العمل ، دون اي تعويض وحل محلهم عمال يهود ·

وحسب تقديرات البرجوازية اليهودية كانت الفروق بين اجور العمال العرب واليهود ٧٥٠ الف جنيه استرليني في العام · وتنفق البرجوازية الصهيونية مبالغ طائلة على استمالة العمال اليهود · ويلجأ قادة الهستدروت الاصلاحيون ، في مثل هذه الاوضاع ، الى رفع اجور العمال اليهود ·

الحركة الاضرابيه بين العمال العرب

نظم العمال العرب اكثر من عشرين اضرابا في السنة ونصف السنة الماضية · ونتيجة لغياب التنظيم النقابي ، فقد كانت تلك الاضرابات عفوية ، كما ان بعضها حصل تحت قيادة **الهستدروت** · فعلى سبيل المثال ، قام ١٥٠ عاملا باضراب في معمل الاسمنت « **نيشير** » في حيفا · وحدثت بعض الاضرابات تحت قيادة **جمعية العمال العربية** في حيفا ، شارك فيها حوالي اربعة الاف عامل عربي – واتسمت هذه الاضرابات بصلابة وثبات العمال العرب · ولم يكن **للحزب الشيوعي** تأثيره الكبير في حركة الاضرابات هذه ، غير انه خلال اضراب عمال النسيج ، الذي يعتبر نقطة تحول في تاكتيك الحركة الاضرابية ، استطاع الشيوعيون اقامة علاقة وثيقة مع المضربين · وعملوا على ايجاد صندوق للمضربين ، بحوالي ٢٥ جنيه استرليني ، وجمعوا حولهم مجموعة من المؤيدين للحزب ·

واسس **الهستدروت** فروعا له في حيفا والناصره – حيث ضم اليها عمال الاسمنت والموانىء والسكك الحديدية · وقام **الهستدروت** بمحاولات لايجاد علاقة مع عمال القدس ويافا · كما ان توجه بعض العمال العرب للانضمام الى **الهستدروت** المناهض لمصالحهم يفسر بـ :

واسس **الهستدروت** فروعا له في حيفا والناصرة – حيث ضم اليها

٢ – يضلل العمال بوعوده المادية المغرية ، حالما يصبحون اعضاء فيه ·

اما **جمعية العمال العربية** في حيفا فيسيطر عليها عملاء الحكومة وارباب العمل ، الذين شلوها عن الحركة ولم يسهموا بفتح فروع لها في بقية المدن ·

وحسب معطيات « **الى الامام** » لسان حال **الحزب الشيوعي الفلسطيني** ، في أيار (مايو) عام ١٩٣٣ ، حصلت في فلسطين في الفترة الممتدة من ١٩٣١ – ١٩٣٢ الاضرابات التالية المثبتة في هذا الجدول ·

الاضراب	مكان الاضراب	التاريخ	عدد المضربين	ايام الاضراب	الايام المفقودة	النتيجة
عمال المزارع	بنيامين	ايلول (سبتمبر) ١٩٣١	٨	٣ و	٢٤	فشل
السائقون	كل البلاد	تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣١	٣٠٠٠	١١	٣٣٠٠٠	فشل
شركة التبغ	حيفا	ايلول (سبتمبر) ١٩٣٢	٢٠	٧	١٤٠	نجح
شركة الكبريت (نور)	عكا	شباط (فبراير) ١٩٣٢	٩٣	٢٠	١٨٦٠	فشل
الميناء	حيفا	نيسان (ابريل) ١٩٣٢	٤١	١٢	٥٥٢	فشل
شركة النفط (شل)	يافا ـ تل ابيب	حزيران (يونيو) ١٩٣٢	١٥	٨	١٢٠	نجح
المزارع	بتاح ـ تكفا	حزيران (يونيو) ١٩٣٢	١٥	١٠	١٥٠	نصف ناجح
شركة المياه المعدنية (سبينى)	عكا	كانون ٢ (يناير) ١٩٣٢	١٥	٧	١٠٥	نجح
المخابز	حيفا	ايلول (سبتمبر) ١٩٣٢	١٥	٧	١٠٥	نجح
المقالع	القدس	اب (اغسطس) ١٩٣٢	١٥٠	٨	١٢٨٠	نجح
مصنع الاسمنت (نشير)	حيفا	ايلول (سبتمبر) ١٩٣٢	١٥٢	١٨	٢٢٢٦	نجح
المقالع	حيفا	حزيران (يونيو) ١٩٣٢	١٥٠	٢	٣٠٠	نجح
شركة كامل جدا	حيفا	كانون اول (ديسمبر) ١٩٣٢	٢٢	١٨	٢٢٢٦	نجح
شركة سبينى	عكا	كانون اول (ديسمبر) ١٩٣٢	٢٤	٢٠	٤٨٠	فشل
الميناء القديم	حيفا	ايلول (سبتمبر) ١٩٣٢	٥	١٩	٩٥	نجح
عمال البلديات	المجدل	ايلول (سبتمبر) ١٩٣٢	١٧	٧	١١٩	نجح

وفشلت الاضرابات التي كانت تتوسطها هذه الجمعية ، وقد ابدع قـــادة الجمعيـــة فـي تشويـــه مـواقف **الحزب الشيوعي** ، ومناصبتـــه العـداء وحتى الان لـم يتمكـن الشيوعيـون مـن تشكيـل معـارضـة جـادة في هذه **الجمعية** ، بالرغم من حدوث عدم ارتياح فيها ، في الفترة الاخيـرة · وأضرب في الايام الاخيرة ، ثلاثون عاملا عربيا في مصنع الصابون بيافا ضد اطالـــة يوم العمل ، تعرض ثمانية منهم الى الطرد التعسفي ، وانتهى اضراب عمـــال الغزل بالفشل ·

ويضرب في بتاح ـ تكفيا ، في الوقت الحاضر ، العمال اليهود ، بقيـــادة **الهستدروت** ، وقد دام حوالى الشهر حتى الان · وحصلت اصطدامات بين العمال المضربين والعناصر المخربـة المنضمة الى « اتحادات » **جابوتينسكي** ـ قائـــد الانتهازيين (الفاشيين ـ الصهاينة) · ويقود **الهستدروت هذا الاضراب** ، وينوي القادة الاصلاحيون افشاله ، **بأحكام تعسفية** ·

ويضم **الهستدروت** القومي حوالي ثلاثين الف عامل · وشارك في انتخابات المؤتمر الاخير لهذه المنظمة ٢٢ الف عامل ، منهم ١٢٠٠ مأجور · كما ان عمل **النقابة الامية** ضعف في **الهستدروت** ، ويمكن توضيح ذلك بالفصل التعسفـــي للعمال الثوريين في هذه المنظمة · زد على ذلك الارهاب الفظ والضغط الاقتصادي الذي يتبعه الاشتراكيون الفاشيون ضد العمال ، والارهاب الوحشي الامبريالي، وللتأكيد على ذلك اعتقل، في عام ١٩٣٢ فقط، ٢١٠ عمال ثوريين، وابعد جزءكبير منهم ، كما اعتقل في الاشهر الثلاثة الاولى من العام الحالي حوالي ٤٥ رفيقـــا تحت ضغط « القسم الاممي » النقابي · وعلى اثر ذلك ظهرت نزعة مقاطعـــة مفادها ان العمل في **الهستدروت** لا يجدي نفعا · وظهرت هذه النزعة أثنـــاء الانتخابات في المؤتمر الاخير للهستدروت ، عندما أصر بعض اعضاء الكتلـــة العمالية على وجهة النظر القائلة بأن تشكيل قائمة تضم ١٠٠ شخص ليس عملا مجديا · وفي اثناء الانتخابات صوت حوالي ٥٠٠ عامل لصالح القائمة الملفية « القائمة الطبقية » ـ النقابة الثورية المعارضة ·

الحركة المناهضة للامبريالية

حدثت تغيرات كبيرة في حركة التحرر الوطني الثورية المعادية للامبريالية تحت تأثير الازمة ، وتصاعد موجة الظلم الامبريالي والصهيوني للسكان · وقد اصابت خيبة الامل فئات واسعة من الشعب ازاء سياسة **اللجنة التنفيذية للمؤتمر**

العربي • فقد اخذت **الهيئة التنفيذية** ، التي حصلت على نفوذ واسع ابان وبعد انتفاضة عام ١٩٢٩ ، تفقد نفوذها شيئا فشيئا ، وأخذ هؤلاء القوميون الاصلاحيون يميلون اكثر فأكثر الى التعاون مع الامبريالية ، بشكل مكشوف • فقد جرت بين هذه اللجنة والمندوب السامي البريطاني « **الجنرال فوكون** » ، محادثات سرية ، بخصوص ايجاد **مجلس تشريعي** يضم ٣٠ شخصا (١٦ مسلما و ٦ مسيحيين و ٨ يهود) • وسن قانون جديد حول البلديات • وتميل غالبية المؤتمر العربي الى الاتفاق مع الامبريالية البريطانية ، وتطالب هذه الأغلبية الحكومة البريطانية باصدار قانون يمنع الصهاينة من شراء الاراضي وايقاف الهجرة • وقد اثار رفض هؤلاء القاطع للنضال ضد الانتداب **ووعد بلفور** موجة من السخط بين الفئات الواسعة من السكان العرب • وقد منيت بالفشل اقتراحات **الهيئة التنفيذية** لتأسيس **صندوق الامة (الصندوق القومي)** لمكافحة نهب الصهاينة للارض عن طريق الشراء • وكذلك حول انشاء **الجمعية الوطنية** ، لنفس الغرض • وجمع **الصندوق القومي** اقل من ١٠٠٠ جنيه استرليني ، اما اسهم **الجمعية الوطنية** فقد بيعت بمبلغ ١٥٠٠ جنيه استرليني فقط • وبعد طلب ذلك ذهب وفد **اللجنة التنفيذية للمؤتمر العربي** الى المندوب السامي بناء على اقتراح من **حزب الاستقلال** ، مطالبا بالقوانين المدرجة اعلاه ضد الصهاينة • وكالعادة ، أجل المندوب السامي هذه المطالب • والمح **عوني عبد الهادي** ، زعيم **حزب الاستقلال** في خطابه، باسم الوفد، الى انتفاضة ١٩٢٩، وأشار الى ان الاسباب التي أدت الى تلك الانتفاضة لا زالت قائمة حتى الان •

وقام **حزب الاستقلال** ، التي تمثل قيادته الرأسماليين والملاكين العقاريين أمثال **رشيد الحاج ابراهيم وعوني عبد الهادي** ، بنشاطات كبيرة ، مطالبا بعدم التعاون مع السلطة ، ومقاطعة البضائع البريطانية والصهيونية ،والامتناع عن دفع الضرائب • وبمبادرة من هذا الحزب دعي ، في ٢٦ اذار (مارس) ١٩٣٣ ، في يافا الى اجتماع شعبي عام ، اشترك فيه حوالي ٥٠٠ مندوب من كافة انحاء البلاد ، بما في ذلك شيخ البدو في الجنوب • وظهر في هذا الاجتماع الشعبي عدم ارتياح المندوبين لسياسة **المؤتمر العربي** • واتضح ، في هذا الاجتماع ، ثلاثة اتجاهات هي : **حزب الاستقلال** ، الممثل في شخص **عوني عبد الهادي** ، والمطالب بلاعلان ، فورا ، عن « عدم التعاون » ، وموافقة **اللجنة التنفيذية** على هذه المطالب من حيث الاساس • على ان تطرحها على **الهيئة العليا** • **أما اللجنة التنفيذية** فقد اعتمدت اساسا على اغنياء التجار والمزارعين• وكان موقفها المطالبة الفورية بالاتفاق مع الامبريالية ، وعبرت عن رفضها لشعار « **عدم التعاون** » مع الامبريالية • اما البرجوازية الصغيرة في **حزب الاستقلال**

فلم يكن لها اي رأي خاص متبلور • في حين عبرت عن مواقف الفلاحين ، الذين قدموا من القرى ، هتافاتهم بوجه قيادات **اللجنه التنفيذية** ، واعداء شعار « عدم التعاون » : « ايها الجواسيس انكم تؤيدون الحكومة وتبيعون الارض والبلاد •• » وقد اتخذ الاجتماع القرارات التالية :

١ ـ بث الدعاية لبيع اسهم **الجمعية الوطنية** ، وارسال الوفود الى البلدان العربية الاخرى ، لهذا الغرض •

٢ ـ عبر الاجتماع ، من حيث الاساس ، عن شعار « عدم التعاون » ، وأقر بضرورة تأسيس لجنة تأخذ على عاتقها الاعداد لمشروع مفصل لحملة واسعة ، وادخاله في **الهيئة التنفيذية للمؤتمر العربي** •

٣ ـ الدعوة الى اجتماع جديد بعد ثلاثة اشهر وعليه ان يحل ، بشكل واضح ، مسألة « عدم التعاون » •

وهكذا، فقد امتنع القادة الاصلاحيون في الواقع عن الاخذ بشعار «**عدم التعاون**» اما **حزب الاستقلال** ، الذي يختلف في الحقيقة عن **اللجنة التنفيذية** ، فكان يحرر نفس السياسة في الواقع ، ويجهض النضال من أجل الاستقلال الوطني • ومما لا شك فيه ان العمل الخياني لزعيم « **حزب الاستقلال** » سيؤدي الى تفسخ صفوف هذا الحزب • فقد لوحظ في قواعد هذا الحزب اتجاه لتأسيس حزب وطني ثوري سري • غير ان قادة البرجوازية الصغيرة في هذ الحزب ليس لهم نفوذ على سياسته • وان كان تأثيرهم على المثقفين كبيرا • وتجري بين البرجوازية الصغيرة عملية مزدوجة • فقسم منها يميل الى جانب القوميين الاصلاحيين • والقسم الاخر يميل الى المثقفين العاطلين والحرفيين الفقراء ••• الخ ، وهؤلاء يفتشون عن طريق الى كفاح ثوري وطني • أما سياسة الحكومة أزاء الحركة الوطنية ، فهي كالاتي : من جهة تقوم بأجراء مفاوضات مع قادة الاقطاعيين والاكليركيين حول الاتفاق على تعويضات مادية ، ومثال ذلك ، فقد منحت في العام الماضي ٥٣ الف جنيه استرليني الى **المجلس الاسلامي** ، وتم توظيف ابناء الاقطاعيين في المناصب الحكومية ، التي كان الانجليز يحتلونها سابقا• (وظيفة سكرتير المندوب السامي للشؤون الخاصة، ومناصب حكام مختلف الالوية العربية) ومن جهة اخرى مارست سلطات الانتداب القمع الفظ ضد الحركة الوطنية الثورية والشيوعية ، واتخذت تدابير وحشية ضد محرري الصحف ، واصدرت القوانين التي تهدف الى سحق الروح الوطنية في

المدارس وبرامج التعليم ، وسنت قوانين تنص على انزال العقوبات الصارمة بحق اولئك الذين يقومون بالدعاية المناهضة للحكومة، وقمعت العمال المضربين ونظمت اعتقالات جماعية للمشتبه بانتمائهم للحزب الشيوعي .

نشاط الحزب الشيوعي

ركز الحزب اهتمامه الرئيسي على : الحركة الاضرابية والعمل النقابي ، فقد تمكن الحزب اثناء اضرابات العمال في عكا من اقامة صلات مع المضربين ، وانتخاب لجنة للاضراب ، وانشاء صندوق للعمال المضربين ، وتطوير حركة التضامن معهم . وعبر التضامن مع العمال بارسال وفد من مدينة عكا الى المضربين لدعمهم . ولكن الحزب لم يتمكن من انتزاع قيادة الاضراب من الاصلاحيين . وتأسست لجنة علنية لدعم اضربين اصدرت نداء باللغة العربية الى كافة عمال فلسطين . ومنعت الحكومة هذه اللجنة في الحال . واتخذت التدابير لاقامة صلات مع ثلاثين مضربا في يافا . وتجري ، حاليا ، محاولة لتأسيس معارضة في اتحاد عمال السكك الحديدية العرب . وحاول الحزب اثناء اضراب سائقي السيارات في سورية ان يثير حركة تضامن مع المضربين بين اخوانهم الفلسطينيين . ويعاني مجمل عمل الحزب في العمل النقابي من قلة التجربة والكوادر العمالية ، ومن بقاء الكثير من العمال العرب ضمن نطاق العمل الحزبي الضيق ، والانعزال عن اللاحزبيين والجماهير . وفضلا عن ذلك ، فان العمل النقابي كان يعاني من ضعف « **الكتلة العمالية** » ، الا ان الوضع تغير في الوقت الحاضر . فقد تأسست لدى اللجنة المركزية لجنة نقابية ، وتكونت سكرتارية جديدة للاتحاد المركزي للكتلة العمالية ، وينبغي ان تتحول هذه الكتلة العمالية الى معارضة واسعة في « **الهستدروت** » ونوقش في اجتماع اللجنة المركزية موضوع الحركة الاضرابية بين العمال العرب . وأشير الى تأخر الحزب في هذا الوضوع . وجرى التنبيه الى تعزيز العمل النقابي في **الهستدروت** .

نشاط الحزب في الريف

ان الانتفاضات الفلاحية في الريف ، والنهوض العام للحركة الوطنية الثورية حتما معالجة المسألة الفلاحية ، بما فيه الكفاية . وقام الحزب بعمل تحريض واسع بين الفلاحين ، ولكنه لم يحقق اي نجاح تنظيمي . وكان الحزب يصدر بياناته ، أثناء الانتفاضات الفلاحية ، يدعو فيها الى مقاومة الاستحواذ

الصهيوني على الاراضي العربية . ونشأت ضرورة توطيد النفوذ التنظيمي للحزب في الريف ، وصياغة أشكال النضالات الفلاحية .

وازاء ما كان يبيته الصهاينة للاستحواذ على اراضي الفلاحين في قرى المثلث والقرى المجاورة لها ، انشئت سبع لجان لدفاع عن اراضي الفلاحين . واصدر الحزب بيانا يدعو فيه الفلاحين الى النضال ضد النهب الصهيوني للارض ، وعدم دفع الديون والضرائب وأجرة الارض . ويفترض ان يعقد اجتماع قريب للجان الفلاحية .

واثناء الاصطدامات في وادي الحوارث ، صدر نداء يدعو الفلاحين والبدو الى الاستفادة من تجربة فلاحي هذا الوادي . ودعا الى عقد مؤتمر فلاحي في ضواحي القدس ، حيث سيكون جدول البحث الرئيسي : النضال ضد الضرائب الامبريالية ، وأجرة الارض ، والمرابين . وهذه المسائل تهم الفلاحين في المنطقة .

وتتلخص نقاط الضعف الاساسية في الحركة الفلاحية في :

١ ـ تشتت الحركة ، ٢ ـ خلوها من شعارات سياسية ذات اهمية وطنية عامة . وسيحاول الحزب اعارة هذه المسألة الاهتمام الجدير بها .

حركة التحرر الوطني

بمناسبة الحملة التي نظمها حزب « **الاستقلال** » الاصلاحي ، في المجلس الوطني بتاريخ ٢٦ اذار (مارس) ، اصدر الحزب بيانا يدعو فيه الى اضراب سياسي عام ، ورفع الشعارات التالية :

١ ـ **جلاء القوات البريطانية ، الغاء الانتداب ووعد بلفور** ،

٢ ـ **استرجاع الاراضي التي انتزعها الصهاينة ، وتوزيعها على الفلاحين الفقراء** بدون مقابل ،

٣ ـ **توزيع كافة الاراضي** العائدة للحكومة والصهاينة والجمعيات الاجنبية والوقف على الفلاحين الفقراء ؛

٤ ـ ايقاف الهجرة الصهيونية فورا ؛

٥ ـ عدم دفع الضرائب وضرائب العشر والغرامات وديون الحكومة الامبريالية ؛

٦ ـ عدم دفع اجرة الارض للاقطاعيين وديون المرابين والنسب المئوية لهم ؛

٧ ـ ٨ ساعات يوم العمل ؛

٨ ـ توفير الخبز والعمل والضمان الاجتماعي للعاطلين ؛

٩ ـ اطلاق سراح كافة السجناء والمعتقلين السياسيين ، اثناء الانتفاضات الفلاحية ، **وعدم دفع الضرائب والديون ؛**

١٠ ـ الغاء القوانين ضد الصحافة والمدارس وحرية التكتل والاجتماعات ٠

وكما اشرنا ، فقد انتهى اجتماع المجلس الوطني بخيانة تامة نفذتها **اللجنة التنفيذية للمؤتمر العربي وقادة حزب « الاستقلال »** ، فقد اجلت حملة« **عدم التعاون** » الى ثلاثة اشهر ٠ ومن الواضح ان هذا التأجيل يخلق التذمر لدى البرجوازية الصغيرة ، ويتيح لحزبنا امكانية جيدة يفضح ، من خلالها ، مرة اخرى ، قادة حزب « **الاستقلال** » **والمؤتمر العربي** ٠

يافا (فلسطين)

نيسان (ابريل) ١٩٣٣

المستقبل الفلسطيني التربية، والطاقة البشرية *

انطوان زحلان

سأحاول في هذه الدراسة تعريف الحاجات الثقافية ، والتربوية الفلسطينية وتحليلها ٠ وكذلك وصف بعض نواحي الوضع الفلسطيني وتأكيد أهمية فكرة التربية المناسبة ٠

الوضع الحالي :

لكي نحدد الاحتياجات الاجتماعية ـ التربوية يجب أولا الاحاطة بالظروف الحالية ، وانجازات الفلسطينيين والعقبات التي واجهتهم ٠

خلال الفترة الممتدة بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٦٧ ، بقي الفلسطينيون متجمعين في المناطق التي وجدوا أنفسهم بها بعد نكبة عام ١٩٤٨ ٠ وبعد حرب حزيران عام ١٩٦٧ حدث تنقل واسع للفلسطينيين بين ضفتي الاردن الغربية والشرقية ٠ ونزح ١٠٪ منهم من فلسطين ، والاردن وسوريا ، ولبنان، وبشكل أضحى فيه توزعهم كما يلي : ٤٥٪ منهم في فلسطين ، ٣١٪ في الاردن ، و ٨٪ في لبنان ، و ٥٪ في سوريا ٠ ويظهر من المعلومات الناقصة ازدياد نسبة هجرة الفلسطينيين الى الخليج والعربية السعودية ، منذ عام ١٩٦٧ ، وبشكل

---

* هذا المقال مترجم عن :
The Palestinian Future : Education and Man Power . A. B. and Rose Marie Zahlan , pp. 103 - 112 . Journal of Palestine Studies, Vol. VI , No. 4 , Summer 1977.

٤ ـ ايقاف الهجرة الصهيونية فورا ؛

٥ ـ عدم دفع الضرائب وضرائب العشر والغرامات وديون الحكومة الامبريالية ؛

٦ ـ عدم دفع اجرة الارض للاقطاعيين وديون المرابين والنسب المئوية لهم ؛

٧ ـ ٨ ساعات يوم العمل ؛

٨ ـ توفير الخبز والعمل والضمان الاجتماعي للعاطلين ؛

٩ ـ اطلاق سراح كافة السجناء والمعتقلين السياسيين ، اثناء الانتفاضات الفلاحية ، وعدم دفع الضرائب والديون ؛

١٠ ـ الغاء القوانين ضد الصحافة والمدارس وحرية التكتل والاجتماعات ٠

وكما اشرنا ، فقد انتهى اجتماع المجلس الوطني بخيانة تامة نفذتها اللجنة **التنفيذية للمؤتمر العربي وقادة حزب « الاستقلال »** ، فقد اجلت حملة« **عدم التعاون** » الى ثلاثة اشهر ٠ ومن الواضح ان هذا التأجيل يخلق التذمر لدى البرجوازية الصغيرة ، ويتيح لحزبنا امكانية جيدة يفضح ، من خلالها ، مرة اخرى ، قادة حزب « **الاستقلال** » **والمؤتمر العربي** ٠

يافا (فلسطين)

نيسان (ابريل) ١٩٣٣

المستقبل الفلسطيني التربية، والطاقة البشرية *

انطوان زحلان

سأحاول في هذه الدراسة تعريف الحاجات الثقافية ، والتربوية الفلسطينية وتحليلها ٠ وكذلك وصف بعض نواحي الوضع الفلسطيني وتأكيد أهمية فكرة التربية المناسبة ٠

الوضع الحالي :

لكي نحدد الاحتياجات الاجتماعية ـ التربوية يجب أولا الاحاطة بالظروف الحالية ، وانجازات الفلسطينيين والعقبات التي واجهتهم ٠

خلال الفترة المتدة بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٦٧ ، بقي الفلسطينيون متجمعين في المناطق التي وجدوا أنفسهم بها بعد نكبة عام ١٩٤٨ ٠ وبعد حرب حزيران عام ١٩٦٧ حدث تنقل واسع للفلسطينيين بين ضفتي الاردن الغربية والشرقية ٠ ونزح ١٠٪ منهم من فلسطين ، والاردن وسوريا ، ولبنان، وبشكل أضحى فيه توزعهم كما يلي : ٤٥٪ منهم في فلسطين ، ٣١٪ في الاردن ، و ٨٪ في لبنان ، و ٥٪ في سوريا ٠ ويظهر من المعلومات الناقصة ازدياد نسبة هجرة الفلسطينيين الى الخليج والعربية السعودية ، منذ عام ١٩٦٧ ، وبشكل

---

* هذا المقال مترجم عن :
The Palestinian Future : Education and Man Power . A. B. and Rose Marie Zahlan , pp. 103 - 112 . Journal of Palestine Studies, Vol. VI , No. 4 , Summer 1977.

وخلال هذه الفترة لم يكن للفلسطينيين حكومتهم ، او المؤسسات التي تهتم بتوفير الخدمات الاجتماعية والاقتصادية ، وأدت منظمة التحرير الفلسطينية دور حكومة في المنفى مركزة نشاطها وبشكل واسع على العمل السياسي ٠ لقد أدى فراغ المؤسسات هذا الى قيام الفرد الفلسطيني بتدبير شؤونه بنفسه ، وفي فلسطين ذاتها ، لم يتبق سوى المجالس البلدية ٠ وهكذا ظل النشاط الفلسطيني ، بشكل أساسي ، بلا جذور ، سواء اتخذ هذا النشاط شكل حرب العصابات او متابعة التحصيل التربوي ، ومن الطبيعي أن مصادر هذا النشاط كانت دعم الدول العربية ، والجامعات العربية او الاجنبية ، (وتغاطي) الاسرائيليين بالنسبة لنشطات المجالس البلدية ٠ وكل ما تم تحقيقه ، وتحصيله من قبل الفلسطينيين كان نتيجة الجهود الفردية ، ومع ذلك فقد تعددت تلك الانجازات ، ففي المجال التربوي وحده أدت مبادرات الفلسطينيين الى وجود (٧١) الف خريج جامعي فلسطيني ، وفي المجال السياسي فان الفلسطينيين لم ينجحوا فقط في ابقاء قضيتهم حية ، ولكنهم عززوها في وجه مصاعب هائلة ٠ ويمكن التوصل الى استنتاج هام وهو أن الفلسطينيين نجحوا ، بامكانيات بسيطة ومتواضعة ، في تحقيق انجازات كبيرة ٠

الطاقة البشرية والهجرة :

لا تتوفر معلومات دقيقة عن استخدام الفلسطينيين ، وعلى أية حال فانه يمكن تكوين صورة عامة : لقد شكلت قوة العمل الفلسطينية ، عام ١٩٧٥ ، نسبة ٢٨ ٪ من عدد السكان البالغ (٤ر٣) مليون نسمة ، هذه النسبة تجاو النسبة العامة في المنطقة ، والبالغة ٢٥٪ ٠ ذلك أن أكثر من ٥٠٪ من السكان هم دون سن ١٨ عاما ، و ٥٢٪ منهم من الاناث (حيث ٣٪ منهن يمكن اعتبارهن قوى عاملة) ، وهذا الوضع يشبه ما هو سائد في لبنان ، وهد فهناك ٩٥٢ الف شخص يشكلون القوى العاملة الفلسطينية ، و ٣٠٪ منهم يعملون في الدول المنتجة للنفط ، الكويت ، والامارات العربية المتحدة ، ليبيا ، وقطر ، والعربية السعودية ٠ حيث يتمتعون هناك بوظائف دائمة ٠ و ٥٠ ٪ من الطاقة البشرية الفلسطينية موجودة في فلسطين ، والاردن مقابل ٧٦٪ من عدد السكان يتركز فيهما (وهذا يعني أن العمال المهاجرين يتركون عائلاتهم في بلادهم) ٠ وهناك ١٢ الى ١٥ ٪ من هذه القوى العاملة في سوريا ، ولبنان ،

و ٥ ــ ٨٪ موزعين في أماكن أخرى ٠

ويعاني اكثر من ٥٠ ــ ٦٠٪ من الطاقة البشرية الفلسطينية الموجودة في كل من لبنان وسوريا ، من البطالة ، أو يعملون في أعمال غير دائمة ، ذلك أن معظمهم يعمل بشكل يومي ، و ٥ ٪ من القوى العاملة الفلسطينية تعمل في حركة المقاومة ٠

وهناك ٧١ الف فلسطيني يحملون شهادات جامعية ، ويمكن اعتبارهم طاقة بشرية عاملة رفيعة المستوى ، ٥٠٪ منهم يعملون في التربية ، و ١٧٪ في الهندسة ، و ١٠٪ في المجال الطبي ، و ١٥٪ في الادارة ، وهكذا فان الفلسطينيين يشكلون عاملا اساسيا هاما في تطوير العالم العربي ، حيث انهم يشكلون ١٠٪ من القوى العاملة المؤهلة تأهيلا علميا عاليا ٠

ولقد حدث تطور سريع في سوق العمل في الشرق الاوسط ، وحتى عام ١٩٧٣ كان هناك فائض في القوى العاملة في المنطقة ٠ ولكن تطور البرامج السريعة في بلدان الخليج ، والعراق والعربية السعودية ، وحاجتها الى قوى عاملة ماهرة (سائقين ، وعمال بناء ، وعمال ، ومزارعين ، وأساتذة جامعات) ، خلق وضعا جديدا أدى الى ظهور تنافس للحصول على القوى العاملة الماهرة ، وبسبب توفر تلك القوى لدى الفلسطينيين التي تتميز بالمهارات ، ووضوح الأهداف ، فقد بحث عنهم ، من قبل المتعاقدين ، المسؤولين حاليا عن أكثر من ٩٠٪ من مشاريع التنمية في الشرق الاوسط ، والقطاع الخاص العربي ٠

ولا شك أن أحد المصادر الرئيسية غير المستغلة استغلالا كاملا في سوق العمل هو المرأة ، وبالرغم انها لعبت دورا نشطا في حركة المقاومة بأعداد قليلة ، فان دور النساء في المجتمع الفلسطيني لا يشير الى تحسن ملحوظ عن بقية العالم العربي ، ومن المتوقع على أية حال أن يترك تزايد دخول الفتيات الى مرحلة الدراسة الابتدائية أثرا على مشاركة المرأة في قوة العمل عام ١٩٨٥ ٠ ومع أن عملية الفصل بين الرجل والمرأة في المجتمع السعودي في مجال العمل كمعلمات ، وكفتيات ، ستضعف من وتائر على هذا التطور ٠ الا أن نسبة القوى العاملة لعدد السكان سترتفع ببطء من الرقم الحالي ٢٨٪ الى ٣٥٪ عام ٢٠٠٠ ٠

وهناك اعتبار آخر هو الزيادة المستمرة في نسبة السكان الذين ينهون

المرحلة الثانوية ، والدراسة الجامعية · ان زيادة نسبة دراسة الفتيات والتسهيلات الجامعية في الدول العربية ، ستؤدي الى تركيز عملية متابعة الدراسات العليا ، وحتى عام ٢٠٠٠ سيكون هناك اكثر من ٤٠٠ الف فلسطيني (٥٠٪ من فئة ١٨ ـ ٢٤ من السكان) مسجلين في كليات وجامعات في العالم ، وعندها سيساهم الفلسطينيون بتقديم (٣) ملايين عامل الى قوة العمل العربية ، ٢٠٪ منهم من خريجي الجامعات ·

وهكذا تتطور على المستوى الفردي فعاليات التغيير ولكن المجتمع الفلسطيني ككل سيواجه نواقص ، اذ أن تطور المؤسسات ، والتنظيمات سيكون محدودا · فالفلسطينيين في الضفة الغربية ، وقطاع غزة ، وفي المخيمات المختلفة ، لم تبرز منهم الفعاليات الادارية الضرورية لمواجهة مشكلاتهم الاجتماعية ، والاقتصادية · وتنشأ الصعوبة ، من حقيقة عدم وجود مراكز مدنية كبيرة · ذلك أن تلك المناطق لا تضم سوى مدن صغيرة لا يتجاوز عدد سكان الواحدة منها (٧٠) الفا ، وخضعت تلك المناطق لحكم بريطاني ثم اردني ومصري وأخيرا لحكم اسرائيلي · وحافظت تلك السلطات المختلفة على سلطات (الوجهاء) كأداة للسيطرة المحلية ·

تكيف نمو قوى العمل الفلسطينية مع حاجات السوق الشرق اوسطية بدلا من انسجامه مع حاجات الشعب الفلسطيني ، فالعمال والفنيون والمعلمون الفلسطينيون هم أداة التغيير في كل مكان · ولكن عندما يتعلق الامر ببلادهم وجماعاتهم ، فان مساهمتهم في هذا التغيير قليلة · أدت احتياجات بلدان الخليج لقوى عمل متزايدة بعد عام ١٩٧٠ الى استنزاف الطاقة البشرية الفلسطينية في لبنان ، وسوريا ، والاردن ، وبشكل خاص غزة والضفة الغربية ، وجعل غياب نمو اقتصادي مستقل في المناطق التي يعيش فيها الفلسطينيون تلك القوى معتمدة على العمل خارج جماعتها · وكل انشطتها الاقتصادية موجهة للخارج ، ولذلك فليس هناك ارتباط للقوى العاملة الفلسطينية على المستوى الاقتصادي بمخيماتها ، في غزة او في الضفة الغربية ·

وبكلمات أخرى ، فان المجتمعات الفلسطينية في فلسطين ، والاردن ، وسوريا ، ولبنان ستواجه نزفا سكانيا ، وهجرة جماعية ، وتحولات سكانية ، خلال فترة قصيرة نسبيا ، ويتميز نمط التغير هذا بمرحلتين :

١) هجرة الفرد النشط اقتصاديا خارج الجماعة بحثا عن العمل ، تاركا

خلفه عائلته التي تعتمد في معيشتها على عمله ·

٢) خلال ٥ الى ١٠ أعوام يصبح باستطاعة هذا الفرد جمع شمل عائلته وتربيتها في مكان نشاطه الاقتصادي ·

وحتى نهاية عام ١٩٦٠ أصبح ربع اوحتى ثلث الطاقة البشرية الفلسطينية يمر بالمرحلة الاولى والباقون مرتبطون بعائلاتهم ، ومنذ الاحتلال الاسرائيلي للضفة الغربية ، وغزة عام ١٩٦٧ ، وبشكل خاص منذ عام ١٩٧٠ ازدادت الفئة التي تندرج في اطار المرحلة الاولى الى أكثر من الثلث وبعد ذلك أصبح جزءا كبيرا من تلك القوى العاملة يسير باتجاه المرحلة الثانية ، ونتيجة لارتفاع تكاليف المعيشة في بلدان الخليج بالمقارنة مع كل من لبنان وسوريا والاردن وفلسطين ، فان الافراد ، والأزواج الشباب ، يميلون الى الهجرة معا ، ويستطيعون تحمل تكاليف المعيشة المرتفعة في بلدان النفط لان كليهما يعملان ، ويمكن رؤية هذا النمط بوضوح من خلال تحليل المعلومات المتوفرة عن البيئة السكانية للقوى العاملة الفلسطينية في الكويت · ان الكسبة الذين لا تعمل زوجاتهم او اولئك الذين تزوجوا حديثا يتركون زوجاتهم وعائلاتهم خلفهم ، ويقصدون تلك البلاد لوحدهم ·

ويمكن اعطاء فكرة عن الطاقة البشرية الفلسطينية في غزة والضفة الغربية من خلال الاحصائيات الاسرائيلية التالية :

السكان : ١,١٥ مليون (ما عدا عرب القدس)
القوى العاملة : ١٤٣٠ الف يعملون في اطار الانشطة الاقتصادية العربية ·
٦٥ الف يعملون في الاقتصاد الاسرائيلي ·

واذا اعتبرنا ان الطاقة البشرية الفلسطينية تمثل ٢٨٪ من عدد السكان ، فان هذا يعني بان هناك اكثر من ١١٤ الف فلسطيني يعملون خارج اطر الاقتصاد الاسرائيلي ، واقتصاد الضفة الغربية ، وقطاع غزة · وبكلمات اخرى فان ٣٨,٥ من قوة العمل المقدرة بـ ٣٢٢ الف تعمل خارج فلسطين ، كما تشير هذه الارقام الى الازمات السكانية التي يواجهها الفلسطينيون

لقد أشار كل من زحلان وهاغوبيان الى هجرة اكثر من ١ر١ مليون فلسطيني من غزة والضفة الغربية بين عامي ١٩٥٢ ـ ١٩٧٣ ، وذلك بسبب عدم قدرة

النظام الاقتصادي السائد في تلك المناطق على استيعابهم ·

وهكذا فان التحدي الرئيسي للقيادة الفلسطينية ، وكذلك للمخططين التربويين يتجلى بكيفية اقامة توازن بين الحاجات الاساسية للجماعة الفلسطينية وبين الميل الراسخ لتلبية متطلبات النمو للطاقة البشرية في البلدان العربية ، وسنناقش هذا الموضوع في اطار عنوانين :

أ ـ الحاجات الاجتماعية ، والاقتصادية للسكان العرب في فلسطين ·

ب ـ تماسك الجماعة الفلسطينية ، وتنظيمها

أ) الحاجات الاقتصادية والاجتماعية للسكان العرب في فلسطين :

ان العوامل الاقتصادية ، والاجتماعية التي تحافظ على سكان فلسطين ، وتطورهم ، هي نفس الدرجة من الاهمية بالنسبة لكل من الفلسطينيين والعرب ، ويمكن للوضع السكاني ان يؤثر على كيانهم مستقبلا ، واليوم فان ٤٥٪ من الفلسطينيين يعيشون في فلسطين ، بما في ذلك الضفة الغربية ، وغزة ، وهذا الرقم يقارب ١,٦ مليون نسمة · وحتى عام ٢٠٠٠ سيصبح عددهم حوالي ٣,٥ ميلون (نسبة تزايد سنوية تقدر ٣,٥٪ ، وهي نسبة تزايد السكان الفلسطينيين في الاردن) ، اذا لم تحدث هجرة · ان هذا العدد من السكان ، وبغض النظر عن الحلول السياسية المطروحة اليوم ، سيشكل انتصارا رئيسيا في الصراع من اجل الوجود السكاني العربي في فلسطين · وبالطبع ، فان سياسة واعية تسعى للحد من الهجرة ومقاومة الضغوط الاسرائيلية التي تدفع الفلسطينيين خارج بلادهم ، هي امر مهم بالنسبة للمستقبل · واذا رغبنا باستمرار تزايد الساكن العرب في فلسطين ، فينبغي وضع حد لهجرتهم الحالية ·

ثانيا ، وترتبط هذه النقطة ارتباطا وثيقا بالنقطة الاولى ، فان ظهور المراكز المدنية سيترك تأثيرا كبيرا على تراجع ارقام الهجرة الحالية · اذ انه بدون بني تحتية مدنية مناسبة لا يمكن حدوث تماسك منتج للسكان· واكبر نقاط الضعف التاريخية للفلسطينيين هي الطابع الريفي للمجتمع الفلسطيني ، ويمكن لسياسة واعية تقوم على تطوير المراكز المدنية الصغيرة ، كنابلس وجنين ، ان تؤدي لظهور مدينة كبيرة حتى عام ٢٠٠٠ ·

ثالثا، وهذا العامل مرتبط بالعاملين السابقين، ويمكن للشخصية الوطنية الفلسطينية في المنفى ان تزدهر على عدة مستويات مختلفة ، لقد اشرنا الى ان اهم التطورات في ربع القرن الماضي كانت ظهور نشاطات بلا جذور قوية، واذا توفر لهذه النشاطات المناخ الملائم (عدم وجود هجرة كبيرة ، نمو المراكز المدنية) فيمكن ان تتبلور تلك النشطات في مؤسسات شعبية · فالسلطات المحلية ستكتسب طابعا ديمقراطيا ، معتمدة على ذاتها ، بحيث تقدم الخدمات الصحية ، والتربوية والتعاونيات الزراعية ، والصناعية للسكان ، وتمثل الانتخابات البلدية ، عام ١٩٧٦ ، في كل من الضفة الغربية وغزة ، بوضوح ، بداية ميل للتخلص من سلطة الوجهاء ، ويمكن للصناعات المنزلية الصغيرة ان تتطور بشكل يسمح بتشغيل القوى العاملة ولايجاد الاسواق في العالم العربي، كما يمكن لصناعات الصابون والفواكه ، والزيتون ان تشهد تطورا هائلا ، ومجالا للتصدير حتى عام ٢٠٠٠ ·

ويرتبط التطور الجدي لاقتصاد الشعب الفلسطيني بتحولات اجتماعية ـ اقتصادية · اذ ينبغي خلق علاقات اقتصادية جديدة تربط القوى العاملة بالمصادر من اجل تمتين البنى الاجتماعية ، وتحسين الانتاجية ، وتلبية الاحتياجات · ويمكن تخطيط نمو البلدان الصغيرة الريفية ، والنمو الاقليمي للحصول على انتاجية زراعية أفضل ، وامتصاص اليد العاملة الزائدة ، من خلال الصناعات الغذائية ، والصناعات الخفيفة ، وهكذا يمكن تمويل هذا النمو الصناعي ، والزراعي من خلال تصدير المنتجات ، والخدمات ، وتشغيل اليد العاملة الفلسطينية بدلا من هجرتها الى بلدان الخليج والعربية السعودية ·

ويمكن الاستفادة من الثروات الزراعية المحدودة بشكل مركز لانتاج قسم كبير من حاجات المنطقة من الأجبان والمعلبات ، وأنواع العصير ، والخضروات المبردة الخ ··· وفي قطاع الملابس ثمة حاجة كبيرة لوجود صناعة ملابس ضخمة ، ذات انتاج حسن النوعية ، وصناعة اثاث ، وتجهيزات البيوت والمكاتب ، ولقد برع الفلسطينيون منذ عام ١٩٥٠ في مهن متعددة ، كالعمل في المصارف ، والتأمين ، والصناعات الميكانيكية ، وكذلك صنع الالعاب والوسائل التربوية ، والأسمدة والاسمنت ، ويمكن تطوير هذه الصناعات لتحقيق نجاحات محدودة ·

ان سياسة تطويرية كهذه تتطلب أبحاثا كثيرة ، وليس هناك شك بالحاجة للأسواق والتقنية الضرورية لجعل الجماعات الفلسطينية في حالة اعتماد على

ذاتها ، متوازنة ، متماسكة ، وفعالة ، ومندمجة في وحدات موجودة اليوم· ان استخدام ذلك من أجل بناء ظروف اقتصادية، واجتماعية مناسبة لتطور الشعب الفلسطيني سيعتمد على مساهمات الجيل الحالي وقيمه ·

ب) ترابط الجماعة الفلسطينية وتماسكها :

ليس للفلسطينيين سوى سيطرة محدودة على النظام التربوي الذي يربى الأطفال في اطاره ، ويمكن التدليل على ذلك من خلال الارقام المتعلقة بتوزعهم الجغرافي في فلسطين ، وهم مقسمون الى ثلاثة اقاليم ، وكل منها يخضع لنظام تربوي مختلف ، وبالتالي لخلفيات ثقافية او تاريخية مختلفة ·

الضفة الغربية : نظام تربوي اردني : وكالة الاغاثة الدولية (الأونورا) والسيطرة التربوية الاسرائيلية ·

غزه : نظام تربوي مصري (وكالة الاغاثة) مع سيطرة تربوية اسرائيلية·

اسرائيل : النظام التربوي في ايام الانتداب مع سيطرة اسرائيلية·

وبالرغم من وجود مدارس خاصة في كل تلك الاقاليم ، **إلا أنه** يتوجب على تلك المدارس، أيضا ، تقديم تربية تنسجم مع السياسات الثقافية والتربوية الاسرائيلية الموجهة للسكان غير اليهود ·

ويعيش ثلث الشعب الفلسطيني في الأردن ، وهنا أيضا ، فان الاطفال الفلسطينيين يتلقون تربية لها علاقة بسيطة باهتماماتهم ، وهي مزيج من نظامي الوكالة ، والنظام الاردني التربويين · وفي لبنان يتلقى الاطفال في مخيمات اللاجئين علومهم في مدارس الوكالة ، ويرسل افراد الطبقة المتوسطة ابناءهم الى مدارس خاصة · وبالنسبة للبقية، أي ١٠٪ الذين يعيشون في أقطار أخرى، لا يختلف الحال ، أي أن الاطفال الفلسطينيين يربون بطريقة لا تنسجم مع وضعهم الفلسطيني ·

ومع أن معظم الاطفال الفلسطينيين يتلقون تعليمهم من خلال مدرسين فلسطينيين (سواء تحت الاحتلال الاسرائيلي ، او في مدارس الأونروا، أو في المدارس الأردنية) فان المناهج والمقررات ، لا تخضع لتخطيط فلسطيني · وبالنسبة للغالبية العظمى من الفلسطينيين ·· اولئك الذين يعيشون في الاردن

او في فلسطين المحتلة ، فانه من الصعب على مؤسسة فلسطينية ، أعداد المدرسين وتدريبهم لتحويلهم الى أدوات أفضل لعمل تربوي فلسطيني ·

ومع ذلك فهناك برنامج مدرسي محدد يقع تحت السيطرة التامة للفلسطينيين ، يشمل (مدرسة ابناء شهداء الثورة) في لبنان ، والعمل التربوي الذي يتم (بعد الدوام المدرسي) ، وصفوف تضم اولاد الفلسطينيين الذين يعملون في الكويت ، حيث تسمح الحكومة الكويتية لمنظمة التحرير بتطبيق برامج فلسطينية في بعض مدارسها العامة · وبشكل عام فان المدرسين في مدارس (ما بعد الدوام المدرسي) هم موظفون يعملون بدوام كامل في مكان آخر ، ويتطوعون بساعات اضافية · ولم تتول منظمة التحرير سوى مسؤوليات قليلة بالنسبة للتربية ، والقليل الذي تتولاه يعاني من نقائص جدية · ومع أن ربع الطلاب الفلسطينيين يتلقون تعليمهم في مجالات تمكن منظمة التحرير من التدخل في عملية تعليمهم ، الا أن المنظمة لم تقم بأي عمل جدي ، للاستجابة للفرص والحاجات التي تطرحها هذه المسألة ·

البرامج والسياسات المطلوبة للاستجابة للحاجات التربوية :

ان هدف السياسات التربوية والثقافية هومساعدة الجماعة على اكتساب المهارات المناسبة ، والقيم والمعارف لتطوير الأدوات الضرورية للمحافظة على حياة الجماعة ، وتقدمها · ولا يمكن انجاح صراع الفلسطينيين من أجل البقاء على المستويين السياسي والاجتماعي ، بوسائل بسيطة · ان ضخامة القوى ، وتعقد الظروف التي تعمل ضدهم تفرض متطلبات ملحة ·

ويجب ان يعتمد البرنامج الواقعي والناجح ، على الفرد الموجود من جهة وعلى الجهود مقطوعة الجذور وعلى ما تقدمه منظمة التحرير ، والمؤسسات الخاصة المتوفرة حاليا او تلك التي ستخلق في المستقبل ، من جهة اخرى ·

والاعتبار الأول الذي ينبغي مراعاته هو توحيد المناهج الفلسطينية في المرحلتين الابتدائية والاعدادية ، وبالطبع سيواجه ذلك صعوبات سياسية يجب تجاوزها · وبما أن تحقيق هذا الانجاز يبدو بعيدا ، فيجب اللجوء الى مراحل وسيطة للوصول الى الهدف النهائي · وينبغي البدء في المدارس التي تديرها الأونروا ، سواء كانت في غزة ، او في الضفة الغربية ، او في كل من الاردن ولبنان وسوريا ، وذلك من خلال تحليل شامل للمناهج المستعملة ، وتشكيل لجنة

تربوية مشتركة من الاونروا ، ومنظمة التحرير لتحديد العمل المطلوب لتشكيل نظام تربوي موحد · بحيث يشكل هذا النظام أساسا لأي عمل مدرسي لتعليم الفلسطينيين ·

ويتوجب الا يطور الفلسطينيون فقط النواحي الكمية في النظام التربوي الحالي في المرحلتين الابتدائية والاعدادية خلال العقدين القادمين · بل ينبغي أيضا، تطوير النواحي النوعية ، ذلك أنه في عام ٢٠٠٠ سيكون هناك حوالي ٣ ملايين فلسطيني في سن الدراسة ، وهم بحاجة الى أبنية مدرسية جديدة ، والى ١٥٠ الف مدرس مؤهل ، والى تغذية مناسبة والعاب ، وكتب مدرسية ، وعناية طبية الخ ··· ومن الصعب تخيل قدرة منظمة التحرير على الاستجابة لهذه الحاجات حينذاك · لذلك ، ينبغي أن تبدأ بهذا العمل منذ الآن ·

وأما الخطوة الثانية فيمكن أن تكون تأسيس (الجامعة الفلسطينية المفتوحة) والتي ستكون الأداة التي يمكن بواسطتها التوصل الى منهاج فلسطيني تربوي موحد · ان الجامعة الفلسطينية المفتوحة والتي يخطط الآن لقيامها ، ستفسح المجال للفلسطينيين وللعرب الآخرين للتعلم باسلوب تربوي غير تقليدي ، يجمع بين التوجيه النظامي من خلال الأساتذة والنصوص ، والمختبرات مع أدوات جديدة كالراديو ، والتلفزيون ، والفيديوتيب ، والصحف ·· الخ · والهدف منذلك كله هو جلب التربية للطالب بدلا من احضاره لمركز التعلم · ان دلالات هذا النوع من العمل التربوي بالنسبة للفلسطينيين على درجة كبيرة من الوضوح، اذ أنها ستوحد التدريب الأكاديمي للطلاب دون الأخذ بعين الاعتبار وضعهم الجغرافي ·

ولكي تحقق هذه الجامعة المفتوحة هدفها الاساسي ، فانه يتوجب عليها تربية الشباب لكي يصبحوا أعضاء فعالين ومنتجين في المجتمع الفلسطيني · ولم تتوفر حتى الآن مثل هذه المواد التوجيهية او البرامج الجامعية ، ولذلك ينبغي تحضيرها وتجريبها · ولا ينبغي فقط تدريب الاساتذة على تعليم المواد ، بل يتوجب أيضا تدريبهم على استعمال المنهاج الجديد · فعلى المهندسين المدنيين مثلا أن يعلموا كيفية معالجة مشكلات الهندسة المدنية في القرية ، والمزارع الصغيرة ، واجادة استغلال المواد المتوفرة ، والطاقة البشرية ·

وعليهم أيضا تصميم منازل لأناس لا يتجاوز دخلهم السنوي من ١٠٠ ـ ٣٠٠ دولار · ولن يكون هدف هذه الجامعة تخريج نخبة ، ولكن تربية افراد

مهرة يكرسون حياتهم لخدمة شعبهم · وبالنسبة للعلوم الادارية فمن الممكن أن يكون الطالب موظفا في بلدية نابلس او في مركز اداري في مخيم للاجئين · ويكون التحدي الذي نواجهه هو كيفية اكسابه الأدوات التي ستمكنه من معرفة محيطه بشكل يمكنه من المساهمة في تحسينه · أي أن المطلوب هو انسجام العلوم الادارية مع حاجات الجماعة، بدلامن تعليم الناس معلومات عامة لخدمة جماعات مختلفة · وهذا ينبغي تطبيقه على بقية الميادين ·

وأخيرا ، فان تدريب المعلمين في المرحلتين الابتدائية ، والثانوية واعادة تدريبهم ، ينبغي ان يكون من المهمات الرئيسية للجامعة المفتوحة وخاصة في أيامها الأولى· واذا تم هذا الآمر فان ذلك سيجلب فوائد عظيمة للعمل التربوي الفلسطيني ، ويمثل مشاركة لا تقدر للنضال الوطني ·

ترجمة عدنان عبد الرحيم

في الذكرى الـ ١٠٩ لميلاده :

نموذج التحليل الطبقي عند لينين

اعداد: عبد الله خالد

ما هي القوى الثورية في مجتمع ما ؟ ما هي القوى المستفيدة من الثورة ؟

ما هي القوى المضادة للثورة، في مجتمع ما ؟ ما هي القوى المتضررة من الثورة ؟

ما هي الاشكال الملائمة، تنظيميا، وتحالفيا، للقوى الثورية لتصل الى اقصى درجات الفاعلية الممكنة ؟ ثم ما هي الاشكال، التنظيمية والتحالفية، التي يمكن للقوى المضادة للثورة ان تلجأ اليها لتكون اكثر فاعلية في مواجهتها التاريخية؟

هذه الاسئلة وغيرها، مما يتلخص في السؤالين المزمنين : من هو الصديق ؟ ومن هو العدو ؟ كان الثوريون يواجهونها باستمرار · وفيما عدا تلك الحالات التي يكون الحدس والتنبؤ هو الاداة المستعملة لاكتشاف الاجابة او الاجابات المطلوبة، فان الثوري لا يجد امامه من مناص عن العودة الى المجتمع نفسه، ودراسته وتحليله في محاولة للوصول الى صورة واضحة، وخالية من التشويش، والعموميات، والاحكام المسبقة عن طبيعة هذا المجتمع، وانقساماته الاجتماعية · بحيث يمكن، بالتالي، السعي الى تحديد طبيعة ونوعية العلاقات ما بين مختلف القوى الاجتماعية، في المستقبل المنظور والبعيد، باعتبار ان هذا التحديد ينطلق من تحليل، يستند الى معرفة دقيقة بقوانين الحركة الاساسية في ذلك المجتمع ·

ان التحليل الطبقي، بهذا المعنى، هو احد اهم ادوات الباحث الاجتماعي - او - الكادر السياسي، في سعيه لسبر غور الحركة الاجتماعية بشكل عام، وتحديد اطراف الصراع الاجتماعي، بشكل خاص·

فمن خلاله يمكن الاجابة على السؤالين الجوهريين : **من هو العدو ؟ ومن هو الصديق ؟** ·

لست في حاجة الى الاشارة الى نوعية المشاكل التي واجهت وتواجه الحركة اليسارية، باشكالها المختلفة، في منطقتنا من جراء تجاهل التحليل الطبقي، او من جراء الانطلاق من تعميمات اسقاطية لا علاقة لها بالواقع الاجتماعي، بحركته وتعقيداتها، او من جراء تجاهل استنتاجات هذا التحليل · وبالمقابل، فلست في حاجة الى التأكيد على بديهية ان التحليل الطبقي، مهما كان دقيقا وامينا فانه لن يكون بالنسبة للثوري كما كان المصباح السحري بالنسبة لعلاء الدين، يفركه قليلا ليحصل على الخط السياسي السليم » · ان خبرة الطبقة العاملة في بلدان كثيرة، وفي مقدمتها خبرة حزب لينين، تؤكد ان التحليل الطبقي السليم هو شرط ضروري لقيام الثورة ونجاحها وللتطبيق الثوري الناجح، ولكنه ليس الشرط الوحيد ·

فهنا تبرز اهمية التقييم الواقعي للاوضاع السياسية واهمية التكتيك واهمية دور القيادة السياسية ومبادراتها، وتحالفاتها المبدئية الصحيحة ·

ان احد افضل نماذج التحليل الطبقي من وجهة نظر دراسي علم الاجتماع، هو بحث لينين حول «تطور الراسمالية في روسيا» · والذي تمر هذه الايام السنة الثمانين على صدوره ·

ففي هذا البحث يبرز لينين بكل قدراته على ان يمزج دقة الباحث العلمي ومثابرته، مع بعد نظر الكادر الثوري وواقعيته ·

يعتبر كتاب «تطور الراسمالية فيروسيا» احد اهم كتب لينين خاصة لانه يشكل بالنسبة للبلاشفة، الارضية النظرية التي استند اليها وعليها نضالهم · ففي هذا البحث ومن خلاله اصبح من الممكن الاجابة على تساؤلات عديدة، ابرزها تلك المتعلقة بما هي قاعدة الثورة وطابعها، وتركيبتها وامكاناتها التنظيمية بذاتها وعبر التحالفات ·

وفي هذا الصدد، فلا يجاري هذا البحث، من حيث القيمة العلم اجتماعية والاهمية التاريخية، سوى كتاب اخر للينين، ايضا، هو «الامبريالية اعلى مراحل الراسمالية» · فلقد شكل هذا البحث، ايضا، بالنسبة للاممية الشيوعية، الكومنترن، الارضية النظرية لتجديد قاعدتها، وتركيبتها، وامكاناتها التنظيمية، بذاتها، وعبر التحالفات ·

ففي الكتابين، كان لينين فذا، بقدرته على ربط النظرية الاقتصادية الماركسية بتحليل الرأسمالية الروسية، من جهة، وبتحليل الامبريالية، من جهة اخرى، جامعا، في الحالتين، ما بين دقة الباحث العلمي وبعد نظر القائد الثوري ·

رغم ان البحث لم يصدر في شكل كتاب الا في اواخر مارس ١٨٩٩، الا ان العمل فيه كان قد امتد لفترة طويلة، ناهزت الثلاث سنوات · فلقد بدأ لينين عمله في هذا البحث في ١٨٩٦، بعد اعتقاله في قضية «لجنة النضال في سبيل تحرير الطبقة العاملة»، وانهاه في المنفى · ويشير لينين، باعتزاز واضح في عدة مجالات الى الجهد الذي اضطر لبذله، لكي ياتي البحث بالصورة الدقيقة التي اتى بها، رغم الظروف الخاصة لحياته في السجن وفي المنفى : فهو يذكر انه قام، خلال الثلاث سنوات، التي قضاها يعمل من الكتاب، وتحليل كل ما كتب في علم - الاقتصاد الروسي · وبالفعل فان الكتاب يحوي على اشارات وانتقادات واقتطافات من ما لا يقل عن خمسمائة عمل، عدا تلك التي لم تتم الاشارة اليها او الاقتطاف منها ،(*) ·

ما هي الاستنتاجات الرئيسية «تطور الرأسمالية في روسيا» ؟

يستعرض الكتاب تشويهات صورة المجتمع الروسي، الناجمة عن تبني الباحثين، يمينا ويسارا، تعميمات غير دقيقة وغير مدروسة، ليوضح ان الاسلوب الرأسمالي من الانتاج، هو الاسلوب الغالب، في روسيا اواخر القرن التاسع عشر · وان الانتشار السريع للصناعة، سواء اكانت المعملية الكبيرة ام الصغيرة، ترافق مع اتساع قاعدة الطبقة العاملة الروسية، ومع ادخال تغييرات نوعية على طبيعتها ·

كما سعى لينين للبحث عن الميكانيزم الذي حرك هذه التطورات، الا وهو تنامي السوق المحلية المتوافرة للصناعة الروسية المتنامية · من جهة اخرى، فان اهتمام لينين قد توجه، ايضا، الى دراسة عملية

★ راجع هامش الطبعة الانجليزية لتفاصيل اخرى رافقت كتابة البحث ·

التمايز الاجتماعي ، في الريف الروسي. هذا الريف الذي شهد نموا للبورجوازية الزراعية ، مترافقا ، مع نمو البروليتارية الزراعية . وهو ، اذ يهتم بهذا الشكل من التمايز ضمن مجموعة العلاقات المتشابكة للريف ، بشكل عام ، فانه يسعى لدحض الافكار الطقوسية للاقتصاديين الشعبيين (النارودنيك) . والتي انطلقت من تلك التعميمة ، التي لم يسع احد لاثباتها وتأكيدها ، والقائلة بتجانس الفلاحين ، باعتبارهم كتلة اجتماعية واحدة .

ولم تكن مثابرة **لينين** ، عبر صفحات عديدة ، على متابعة واثبات وتسجيل هذا التمايز الاجتماعي وتحليله ، ناجمة عن رغبة «اكاديمية» في البحث للبحث ذاته ، او هي ناجمة عن رغبة في ممارسة تمارين ذهنية ، تؤكد الذات ، وانما كانت ذات جانب سياسي «يومي» . لقد كان لهذا الجزء من تحليل **لينين** جانبه السياسي «اليومي» ، في مواجهة منظري الشعبية (النارودنيك) ، وخاصة فيما يتعلق بتصوراتهم حول امكانية الانتقال من الاوضاع «الاقطاعية» ، التي كانت تهيمن على اجزاء رئيسية من الريف الروسي ، الى الاشتراكية ، دونما الحاجة للمرور عبر الرأسمالية .

لقد كان ممكنا بالنسبة **للينين** ، ان يفعل كما يفعل العديد منا ، (بالرغم من ان الادوات المتاحة لنا والتراث الذي نستند اليه هو اكبر بكثير، واحيانا افضل بكثير، مما كان متاحا له في السجن او المنفى) وان يبسط الامور عليه، ليقول ان روسيا، في اواخر القرن التاسع عشر ، كانت تنقسم الى مستغلين ومستغلين (احداهما بكسر الغين) دون الدخول ،كما يفعل العديد منا ، في مشكلة التدقيق في ميكانزم هذا الاستغلال وطبيعته ، وانقسامات كل من الفئتين الرئيسيتين وتمايز شرائحهما ، وتحديد الفئات الوسطية واتجاهاتها ... الخ .

لا داعي للقول ، في صيغة متكررة ، ان فهم لينين للمجتمع الروسي ، عبر مثابرة ودقة تحليله الطبقي لذلك المجتمع ، كان شرطا ضروريا ، وان لم يكن وحيدا بالطبع ، لنجاح ثورة اكتوبر ، بكل ما حملته تلك الثورة ، وتحمله ، من تغييرات جذرية وثورية .

يشكل النص الذي قمنا بترجمته (لجهلنا بوجود ترجمة لهذا الكتاب الهام والحيوي) ، صفحات كتبها **لينين** في١٩٠٨ كاضافة على القسم الخامس ، من الفصل السابع ، في النص الاصلي ، في الطبعة الثانية لكتابه ، والصادرة في العام نفسه .

لا يشكل النص المترجم ، (الاضافة) ، تلخيصا لبحث ضخم وهام بالشكل الذي ذكرنا ،ولكن هذه الاضافة تشكل اعادة موجزة لاهم استنتاجات **لينين** بعد ان توافرت له معطيات جديدة ، لم تكن متوفرة في فترة كتابة النص الاصلي .

وفي الصفحات التالية ، يقدم **لينين** نموذجا مدرسيا واضحا لمقدار الاستنتاجات النظرية والعملية التي يمكن للباحث الخروج بها ، عبر دراسة المعطيات الاحصائية ،والتي تحتويها عادة ، نتائج تعداد السكان . هذه الاحصائيات التي تم جمعها ، اصلا لاغراض ممارسة الدولة مهماتها المختلفة ، فعليا او شكليا ، ولم تجمع لكي توضع في خدمة الباحث الاجتماعي - او - الكادر الثوري ، لكي يقوم «بتحليل طبقي اكثر دقة وجدية» .

لقد تعامل **لينين** مع هذه الاحصائيات ، كما تشير بايجاز شديد ، الصفحات التالية، بعد ان تمكن من تحديد ماهية الاسئلة التي يرغب في الحصول على اجابات لها .

بالطبع لا تغني قراءة هذه الاضافة ، عن قراءة البحث بكامله للمهتمين بمشاكل التحليل الطبقي ، او الذين لا يملكون اجوبة جاهزة ونهائية لهذه المشاكل .

« **اضافة على الطبعة الثانية :**

تتوافر لدينا الآن نتائج التعداد القومي للسكان لعام ١٨٩٧ ، والتي تحوي احصائيات حول مهن كافة السكان . فيما يلي نورد تلخيصا ، قمنا بوضعه لكافة المعلومات المتوافرة عن الامبراطورية الروسية . (انظر الجدول رقم ١. الارقام بالملايين) .

الجدول رقم ١ (*)

المهن	مستقلين	افراد عائلات	المجموع
أ) موظفي حكومة وافراد قوات مسلحة	١ر٥	٠ر٧	٢ر٢
ب) رجال دين واصحاب مهن حرة	٠ر٧	٠ر٩	١ر٦
ج) اصحاب املاك ومتقاعدين	١ر٣	٠ر٩	٢ر٢
د) مساجين وبقايا غير معروفين واصحاب مهن غر محددة	٠ر٦	٠ر٣	٠ر٩
مجموع السكان غير المنتج	٤ر١	٢ر٨	٦ر٩
هـ) التجارة	١ر٦	٣ر٤	٥ر٠
و) السكك الحديد والمواصلات	٠ر٧	١ر٢	١ر٩
ز) الخدمات الخاصة وخدم المنازل والعمال المياومين	٣ر٤	٢ر٤	٥ر٨
مجموع السكان شبه المنتج	٥ر٧	٧ر٠	١٢ر٧
ح) الزراعة	١٨ر٢	٧٥و٥	٩٣ر٧
ط) الصناعة	٥ر٢	٧ر١	١٢ر٣
مجموع السكان المنتج	٢٣ر٤	٨٢ر٦	١٠٦ر٠
المجموع الاجمالي	٣٣ر٢	٩٢ر٤	١٢٥ر٦

(★) « الموجز العام لعموم الامبراطورية لنتائج التعداد العام الاول للسكان ، ٢٨ يناير ١٨٩٧ ، الصادر عن الهيئة الاحصائية المركزية . المجلد الثاني الجدول ٢١ ، ص ٢٩٦. لقد قمت بترتيب مجموعات المهن كما يلي : ١) ١و٢و٤ ب) ٣و٥ الى ١٢ حـ) ١٤و١٥ ، هـ) ١٦و٦٣ الى ٦٥ ، هـ) ٤٦ الى ٦٢ و ٤١ الى ٤٥ ، ز) ١٣ ، ح) ٧ الى ٢١ ، ط) ٢٢ الى ٤٠ .

لا داعي لان نقول بان هذه المعلومات ، تؤكد تماما ما قلناه فيما سبق ، حول عدم صواب اسلوب الشعبيين (النارودنيك) في مقارنة عدد عمال المصانع والمعامل مع عدد السكان ، ككل .

سيكون مفيدا ، اولا ، وقبل كل شيء ، تجميع المعلومات حول التوزيع المهني لجميع سكان روسيا ، بطريقة تسمح بتوضيح **تقسيم العمل الاجتماعي** ، باعتباره قاعدة الراسمالية ومجمل الانتاج البضائعي في روسيا . ومن وجهة النظر هذه ، يتوجب تقسيم السكان الى ثلاثة اقسام رئيسية : ١) الزراعي ، ٢) التجاري والصناعي ، ٣) غير المنتج (او بتحديد اكبر ، الذين لا يشاركون في النشاط الاقتصادي) . ومن بين المجموعات التسع المذكورة اعلاه (من ا ــ ط) لا توجد سوى مجموعة واحدة لا يمكن ضعها ، بشكل كلي ونهائي ، ضمن احد الاقسام الثلاثة الرئيسية . وهذه المجموعة هي مجموعة (ز) التي تضم عمال الخدمات الخاصة ، وخدم المنازل ، والعمال المياومين . يجب توزيع هذه المجموعة **بشكل تقريبي** ما بين القسم التجاري/الصناعي والقسم الزراعي . لقد اضفنا الى القسم الاول ذلك الجزء من المجموعة الذين ، حسبما هو متوافر من معطيات ، يسكنون في المدن (حوالي ٥ر٢ مليون) واضفنا الى القسم الثاني الذين يسكنون ، حسبما هو متوافر من معطيات ، في المناطق الريفية . (٣،٣ مليون) . عند ذاك امكن الحصول على الصورة التالية لتوزيع مجموع سكان روسيا :

السكان الزراعيين في روسيا	٠ر٩٧ مليون
التجاريين والصناعيين	٧ر٢١ مليون
غير المنتجين	٩ر٦ مليون
المجموع	٦ر١٢٥ مليون

يمكننا ، من خلال هذه الصورة ، ان نرى ، بوضوح ، من جانب ، ان الحركة البضائعية وبالتالي الانتاج البضائعي ، قد اكتسب جذورا قوية في روسيا . وان روسيا هي دولة رأسمالية . ومن جانب آخر ، يمكن الاستنتاج ان روسيا ما زالت دولة متخلفة ، فيما يتعلق بالنمو الاقتصادي ، اذا ما قورنت

بغيرها من الدول الراسمالية .

حسب التحليل الذي قمنا به في هذا البحث ، فانه يمكن ، بل ويجب ، استخدام الاحصائيات المتعلقة بعموم روسيا ، بهدف التحديد، على **وجه التقريب**، الاقسام **الرئيسية** التي ينقسم اليها السكان ، حسب الوضع **الطبقي** . اي بحسب وضعهم ضمن التنظيم الاجتماعي للانتاج .

من الممكن تحديد هذه الاقسام ، بشكل تقريبي فحسب طبعا ، لاننا نعرف الفئات الرئيسية التي ينقسم اليها الفلاحون . فمن الممكن احتساب جميع سكان الريف في روسيا كفلاحين ، وذلك لان عدد الملاكين لا يشكل الا نسبة صغيرة جدا من العدد الاجمالي . كما ان عددا كبيرا من هؤلاء الملاكين قد تم احتسابهم ضمن فئات اصحاب الاملاك ، وموظفي الحكومة وكبار الاعيان الخ . الا ان المرء يجب ان يفرق ما بين ثلاث مجموعات رئيسية ضمن الكتلة الفلاحية : المجموعة الدنيا ، وهي الشرائح البروليتارية ونصف البروليتارية والمجموعة الوسطى التي تضم الملاكين الصغار والفقراء ، والمجموعة ، العليا والتي تضم الملاكين الصغار حسني الحال . لقد حللنا ، فيما سبق ، السمات الاساسية لهذه المجموعات كعناصر **طبقية** متميزة . فالمجموعة الدنيا والتي لا تملك شيئا ، تحصل على قوتها ، بشكل رئيسي ، او نصفه ، من خلال **مبيع قوة العمل** . وان المجموعة الوسطى تضم الفلاحين المالكين الفقراء . ومع ان هؤلاء الفلاحين المتوسطين لا يكادون ، حتى في السنوات الممتازة ، ان يتمكنوا من اشباع حاجاتهم ، الا ان الوسيلة **الرئيسية** لاكتسابهم معيشتهم هي الفلاحة الصغيرة « المستقلة » . (المستقلة مجازا ، بالطبع) . واخيرا ، فان المجموعة العليا تضم المالكين الصغار حسني الحال ، والذين يقومون ، بشكل او بآخر ، باستغلال عدد لا بأس به من العمال الزراعيين والعمال المياومين ، وكافة الاشكال الاخرى من العاملين بأجر ، بشكل عام .

تبلغ نسبة كل من هذه المجموعات ، بالترتيب المتوالي ، ٥٠ بالمئة و ٣٠ بالمئة و ٢٠ بالمئة ، من المجموع الكلي . لقد كنا ، فيما سبق ، نحتسب حصة كل مجموعة على اساس عدد المنازل والمزارع . اما الآن فسوف نبدأ من احتسابها على اساس نسبتها من السكان ، ككل . سيؤدي هذا التغيير الى تعاظم المجموعة الدنيا وتقلص المجموعة العليا . ان هذا ، بدون شك ، هو التغيير الذي طرأ على روسيا في السنوات العشر الماضية ، كما يشهد على ذلك ، وبدون جدل ، انخفاض عدد الخيول المملوكة ، وتدهور مستوى الفلاحين ، وتزايد الفقر

١٦

والبطالة في المناطق الريفية ، الخ · ان هذا يعني ان لدينا ، بين سكان الريف ، حوالي ٤٨ر٥ مليون بروليتاري ونصف بروليتاري ، وحوالي ٢٩ر١ مليون فلاح مالك صغير فقير وعائلاتهم ، وحوالي ١٩ر٤ مليون فلاح مالك صغير حسن الحال ·

والآن يمكن التساؤل ، كيف سيتم توزيع المجموعة التجارية الصناعية والمجموعة غير المنتجة · تضم المجموعة الثانية اقساما من السكان تنتمي ، بوضوح ، الى البورجوازية الكبيرة : جميع اصحاب الاملاك (« الذين يعيشون على مردود الرأسمال او العقاد » وهم القسم الاول من المجموعة رقم ١٤ من الاحصائيات اي ٩٠٠ر٠٠٠ فرد) ، وكذلك قسما من الانتلجنتسيا البورجوازية وكبار رجال الدولة والقوات المسلحة ·· الخ ويبلغ تعداد كل هؤلاء حوالي ١½ مليون ·

في الجانب الآخر من هذه المجموعة من السكان غير المنتجين ، هناك المراتب الدنيا في الجيش والبحرية والجندرمة والشرطة (حوالي ١ر٣) ، وخدم المنازل وامثالهم (حوالي ½مليون) ، وما يقارب نصف مليون شحاذ وعاهرة ·· الخ الخ ·

هنا لا نستطيع ، الا بشكل تقريبي ، ان نوزع المجموعات التي تتشابه مع النماذج الاقتصادية الرئيسية : ـ سينضم حوالي مليونين الى المجموعة البروليتارية ونصف البروليتارية (وخاصة البروليتاريا الرثة) ، وسينضم حوالي ١ر٩ مليون الى المالكين الصغار الفقراء وحوالي ٠ر٥ مليون الى المالكين الصغار حسني الحال ، بما في ذلك اغلب الكتبة وموظفي الادارات والمثقفين البورجوازيين ، الخ ·

من بين اولئك ، ضمن المجموعة التجارية الصناعية ، فان البروليتاريا هي القسم الاكبر ، بدون شك · وتبلغ المسافة مداها اتساعا ما بين البروليتاريا والبورجوازية الكبيرة · لكن نتائج تعداد السكان لا تقدم لنا اية معلومات حول توزيع هذا القسم الى اصحاب اعمال ، ومنتجين فرديين وعمال ، الخ · لهذا فليس لدينا خيار آخر عدا الاعتماد على ما سبق لنا الاستناد اليه من معطيات حول سكان بطرسبورغ الصناعيين ، والذين تم تقسيمهم حسب موقعهم من الانتاج ·

اعتمادا على هذه المعطيات يمكننا ، بشكل عام ، ان نقول ان البورجوازية

الكبيرة تشكل ٧ بالمئة ، وان البورجوازية الصغيرة حسنة الحال تشكل ١٠ بالمئة ، وان المالكين الصغار الفقراء يشكلون ٢٢ بالمئة ، بينما تشكل البروليتاريا ٦١ بالمئة ·

ان الانتاج الصغير هو اكثر انتشارا في روسيا ، ككل ، مما هو عليه من بطرسبورغ ، بالطبع · الا اننا ، بالمقابل ، تحاشينا ان نضيف الى القسم نصف البروليتاري ، جماهير المنتجين الفرديين والحرفيين الذين يعملون في بيوتهم لحساب السادة · لهذا ، فان النسب المأخوذة لن تكون ، في كل الاحوال ، مختلفة عما هي عليه في الواقع · اننا سنحصل ، بالنتيجة ، للقسم الصناعي التجاري على حوالي ١ر٥ مليون بورجوازي كبير ، وحوالي ٢ر٢ مليون حسني الحال وحوالي ٤ر٨ من المنتجين الصغار المحتاجين ، وكذلك حوالي ١٣ر٢ مليون ينتمون الى الشرائح البروليتارية ونصف البروليتارية من السكان ·

عبر جمع الاقسام الزراعية والتجارية الصناعية وغير المنتجة ، فاننا سوف نحصل على التوزيع التقريبي التالي لمجموع سكان روسيا ، حسب وضعهم الطبقي :

	مجموع السكان من الجنسين
بورجوازية كبيرة ، مالكي اراضي وكبار رجال الدولة ، الخ	حوالي ٣ مليون
مالكين صغار حسني الحال	حوالي ٢٣ر١ مليون
مالكين صغار فقراء	حوالي ٣٥ر٨ مليون
بروليتاريا (*) ونصف بروليتاريا	حوالي ٦٣ر٧ مليون
المجموع	١٢٥ر٦ مليون

★ لا يقل هؤلاء عن ٢٢ مليون · انظر ما يلي :

لا نشك في ان الاقتصاديين والسياسيين من **الكاديت** او اصدقائهم سوف يرفعون اصواتهم عاليا ، احتجاجا على هذا الفهم « شديد التبسيط » للاقتصاد الروسي · فلقد كان على كل حال ، مريحا ومفيدا ، تجاهل عمق التناقضات الاقتصادية ضمن تحليل اقتصادي تفصيلي ، في نفس الوقت الذي ترفع الشكوى من « فجاجة » وجهات النظر الاشتراكية حول هذه التناقضات بشكل عام ·

ان مثل هذا الانتقاد للاستنتاج الذي توصلنا اليه ، هو انتقاد بدون قيمة علمية ، بطبيعة الحال ·

الا انه من الممكن ، بالطبع ، ان تظهر اختلافات في الرأي حول **درجة التقريب**

لمختلف الارقام ·

لهذا ، فلربما كان من المفيد ان نذكر بحث السيد **لوسيتسكي** ، « دراسات حول سكان روسيا ، مبنية على تعداد السكان لعام ١٨٩٧ » (**في ميربوجي** ١٩٠٥ ، العدد الثامن) · لقد استفاد الكاتب من الارقام الواردة في هذا التعداد حول عدد العمال والخدم ، وقام بتقدير حجم بروليتاريا في روسيا بـ ٢٢ مليون، والفلاحين ومالكي الارض بـ ٨٠ مليون ، واصحاب الاعمال والكتبة في القطاع التجاري والصناعي بـ ١٢ مليون ، والسكان غير الناشطين اقتصاديا بـ ١٢ مليون ·

ان الارقام الخاصة بالبروليتاريا قريبة كثيرا من الارقام التي توصلنا اليها (*) ان نكران وجود جماهير واسعة من انصاف البروليتاريا في اوساط الفلاحين ، والتي تعتمد على « استخدامها » من قبل الحرفيين وغيرهم ، ما هو الا استخفاف بكل معطيات الاقتصاد الروسي · فما على المرء الا ان يتذكر ان هناك ، في روسيا الاوروبية وحدها حوالي ٣¼ مليون عائلة لا تملك خيولا ، وان هناك ٤ر٣ مليون عائلة بحصان واحد فقط ، وان يتذكر احصائيات **زيمستفو** حول الاراضي المؤجرة ، وحول «التشغيل» وحول الميزانيات ··· الخ ، لكي يتخلى عن كل شكوكه حول الحجم الهائل لانصاف البروليتاريا · لهذا فان افتراض ان البروليتاريا ونصف البروليتاريا ، يشكلون مجتمعين ، نصف عدد الفلاحين ، ليس افتراضا مبالغا فيه لا تكبيرا ولا تصغيرا · ويبقى ان البروليتاريا ونصف البروليتاريا خارج القطاع الزراعي ، يشكلون ، بدون شك ، نسبة اكبر من النصف ·

علاوة على كل ما سبق ، واذا ما اراد المرء ان يتحاشى وضع التفاصيل الصغيرة في مكان الصورة الكلية للاقتصاد · فان علينا ان نضيف الى المالكين الصغار قسما كبيرا من العناصر الادارية في قطاع الصناعة والتجارة ، والكتبة ، والمثقفين البورجوازيين ، وموظفي الدولة ، وغيرهم · لربما كنا ، هنا ، حذرين اكثر من اللازم ، عندما حددنا رقما مرتفعا لهذه المجموعة من السكان : فلربما كان من الواجب ان نضع رقما اعلى للمالكين الصغار الفقراء، ورقما اصغر للمالكين الصغار حسني الحال · الا ان المرء ، بالطبع ، لا يدعي

* ليس هذا هو مجال الدخول في التفاصيل حول الاحصائيات المتعلقة بالعمال والخدم التي استعملها السيد لوستيسكي · فهذه الاحصائيات تخطىء بتقديرها الناقص لعدد العمال ·

الدقة الاحصائية المطلقة ، حين يقوم بوضع مثل هذه التقسيمات ·

يجب استعمال الاحصائيات كوسيلة لتوضيح العلاقات الاجتماعية الاقتصادية التي تم التوصل اليها من خلال تحليل شامل ، بحيث لا تصبح غاية في حد ذاتها ، كما هو الحال عليه في بلادنا ·

ان تجاهل وجود اعداد كبيرة من الشرائح البورجوازية الصغيرة ضمن سكان روسيا ، ما هو الا تزييف واضح لصورة وضعنا الاقتصادي الحقيقي ·

V. I. Lenin, *The Development of Capitalism in Russia*, Collected Works, Vol. 3, Progress Publishers, Moscow, 1964. pp. 501 - 507.

إسرائيل وجنوب أفريقيا
دراسة في المشترك والتطابق

صبحي طه

توطئة :

ثمة تواز تاريخي رافق بدايات الغزو الاستعماري الصهيوني لفلسطين ، والاستيطان العنصري في جنوب القارة الافريقية · فانشاء **اتحاد جنوب افريقيا** ، بزعامة الاقلية البيضاء ، عام ١٩١٠ ، واصدار **وعد بلفور** : الخاص بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، عام ١٩١٧ ، مدينان ، بمولدهما ، الى زعماء بريطانيا العظمى ، في اوائل القرن الحالي · وما كانت بريطانيا لترتبط بالمشروع الصهيوني والحكم العنصري في جنوب افريقيا ، لو لم تقتنع ان مثل هذا الارتباط كان ينسجم مع مصالح بريطانيا الاستعمارية ، آنذاك· فقد وجد الاستعمار البريطاني في سيطرة الصهيونيين على فلسطين والمستوطنين البيض في جنوب افريقيا الضمانات الكافية لحماية الداخل الاستراتيجية الهامة ، التي تكفل للامبريالية بسط نفوذها على مناطق ما وراء البحار·

واذا كانت المواقع الاستراتيجية قد شكلت الدافع الاهم للاستعمار في دعم الكيانين العنصرين ، في فلسطين وجنوب افريقيا، فان اكتشاف المواد الخام، وخاصة اليورانيوم والماس والذهب ، في جنوب القارة الافريقية واكتشاف منابع النفط في الشرق الاوسط قد ضاعف من اهتمام الدول الامبريالية في تقوية ودعم كلا الكيانين ليحتلا مكانة سياسية وعسكرية هامة في استراتيجية الدول الاستعمارية، في الحفاظ على مواقعها في العالم ·

من هنا وجدت الحركة الصهيونية والعنصرية الدعم الكافي والمساندة المطلقة من قبل الدول الاستعمارية ، لتحقيق أهداف تلك الحركات في خلق كيانات خاصة بها · بل أن الامبريالية العالمية اصبحت معنية في انجاح تلك الاهداف ، نظرا للدور الذي يمكن أن يلعبه هذين الكيانين في خدمة مخططاتها الاستعمارية ومصالحها الاستراتيجية ، بخسارة أقل ، سواء كانت أقتصادية أم بشرية · ولم يساور الاستعماريون أدنى شك بأن الكيانات التي يصنعوها ستأتي على حساب السكان الاصليين ، **فهي تدرك** ، سلفا ، بأن ليس ثمة وسيلة سوى القوة العسكرية واستخدام اساليب القهر والاستغلال والتمييز لتحقيق هذه الاهداف · بل أن تلك السياسات شكلت الاساس المادي الذي تقوم عليه السياسات الاستعمارية، بمختلف أشكالها · لقد كان **آرثربلفور** ـ وزير خارجية بريطانيا العظمى الاسبق ـ صريحا عندما خاطب مستوطنيجنوب افريقيا العنصريين بقوله: « انكم تفكرون مثلنا ، فانتم لا تستطيعون اعطاء السكان الوطنيين (سودا وملونين) حقوقا مساوية للبيض ، من غير تهديد البنية الكاملة لحضارة البيض » · وكان هذا الموقف ينطبق على المستوطنين الصهاينة في فلسطين عندما سمي **بلفور** (كما جاء في

نص الوعد الذي قطعته بريطانيا على نفسها بانشاء الوطن القومي اليهودي) السكان الفلسطينين الاصليين ، « بالسكان غير اليهود » · وهكذا أكد بلفور الصيغة العنصرية الاستعمارية لكل من الصهيونية والحركات العنصرية للأقلية البيضاء في جنوب افريقيا ، والتي كانت مقبولة من الجهاز التنفيذي الاستعماري البريطاني (١) ·

وهكذا نما الكيانان العنصريان في فلسطين وجنوب افريقيا في كنف الاستعمار البريطاني · وكان من الطبيعي أن يتجه النظامان العنصريان نحو الولايات المتحدة الاميركية بعد الانهيار والضعف الذي أصاب الامبراطورية البريطانية ، في أعقاب الحرب العالمية الثانية وفي ظل التغيرات التي طرأت على موازين القوى الدولية· واذا كانت اسرائيل قد استطاعت كسر القيود البريطانية عليها ، بعيد انشاء الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨ ، فان الحكم العنصري في جنوب افريقيا ظل أسير السياسة البريطانية حتى عام ١٩٦١ ، عندما استطاع الخروج من عضوية **الكومنولث** البريطاني · ورغم ان كلا النظامين طالبا « بالاستقلال » عن الدول الاستعمارية ، الا ان تلك المطالبة أفتقدت الى اية أسس موضوعية نظرا للدور الذي أوكلته الدول الاستعمارية لهما ، باعتبارها قواعد حراسة للمرات الاستراتيجية وأدوات الامبريالية في حماية مصالحها في المنطقة · وهكذا ، فان المسار الطبيعي لكل من « اسرائيل » و « جنوب افريقيا » أن يلجئا الى الولايات المتحدة الاميركية زعيمة « العالم الحر »، التي لولا المساندة الفعالة والدائمة لهما لما تمكنا من الصمود والاستقرار ·

وهكذا فان « الاستقلال » ، الذي طالما تغنى به كلا النظامين العنصريين ، يترجم فقط بنوع من الاستقلال الذاتي الخاص · اما في المبدأ الاقتصادي والسياسي والعسكري ، فالنظامان يظلان تابعين للدول الامبريالية · بل ان مصيرهما يتوقف على مدى حاجات الدول الامبريالية لهما في حماية مصالحها الاستراتيجية ، السياسية والاقتصادية (٢) ·

ان عالم الامس الذي تقبل ـ الى حد ما ـ وجود كيانات عنصرية ، نظرا للمد الامبريالي الواسع في العالم وسيطرته على الشعوب في الدول النامية ، يصطدم بعالم اليوم الذي اضحى اكثر قدرة على مواجهة الاستعمار وتصفية اثاره في اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية · ان هذا التغيير المستمر في موازين القوى قد ادخل الانظمة العنصرية ـ بشكل خاص ـ في مأزق العزلة الدولية ، وهدد ، بالتالي ، مصيرها · الامر الذي وضعها امام مرحلة تاريخية جديدة ، تسير ـ حتما ـ في غير صالحها · لقد تجلى ذلك ليس فقط بتنامي القوى التحررية لمواجهة كافة اشكال الاستعمار واشتداد النضال المسلح من قبل الشعوب المقهورة والمضطهدة ، بل ايضا في ارتفاع مستوى التضامن الكفاحي بين الشعوب في الدول النامية ، وتعزيز التحالف مع المعسكر الاشتراكي ، والسعي لدعم النضال التحرري للشعوب التي لا زالت تقع تحت الاستعمار المباشر ، في كفاحها العادل والمشروع ، والذي كان من اهم نتائجه انتقال الامبريالية من مواقع

١ ـ **البعث** (دمشق) ١٢ ـ ١٢ ـ ١٩٧٧ ·
٢ ـ ماثيو ، اليزابيت · اسرائيل وجنوب افريقيا ، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٧٢ ، تشرين الثاني ١٩٧٧ ·

الهجوم الى مواقع الدفاع ، بما في ذلك بالنسبة الى مساندتها للانظمة العنصرية والفاشية ·

لقد ادت تلك التغييرات الى وضع صعوبات مختلفة امام تأييد الامبريالية العالمية للاستعمار العنصري الاستيطاني ، بل ان نضالات الشعوب واستقلال الدول جعلت الامبريالية غير قادرة على فك العزلة الدولية المستمرة المفروضة على الانظمة العنصرية · بل ان ثمة اتجاهات قوية داخل الدول الاستعمارية نفسها ترفع شعار المساومة مع دول العالم الثالث ، في اطار محاولاتها لاطالة امد سياستها الاستعمارية ، واحداث تغييرات جوهرية في سياستها ولعل **سولزبيرغر** ، أحد الاستراتيجيين الاميركيين ، عبر عن تلك التغييرات عندما قال :

«يتجه التقليد الراهن الى تقسيم الارض الى خمسة عوالم جيوبولوتيكية ، الاول : الاقطار الصناعية الغربية، الثاني: الاقطار المتنوعة الواقعة تحت الحكم الشيوعي ، الثالث : عالم الامم الفقيرة المتخلفة ، الرابع : هو العالم الغني ذو الامم النامية شأن ايران ، والخامس : **امم شاذة ، مثل اسرائيل وجنوب افريقيا والصين الوطنية** » (٣) ·

من هنا ، نستطيع فهم اسباب التحالف الذي يجمع بين كلا النظامين العنصريين في فلسطين وجنوب افريقيا · وفي هذه المرحلة فان ازدياد التحالف بينهما تفرضه مواجهة مصيرهما التاريخي · الامر الذي اصبحت فيه تلك الانظمة مصدر تهديدات للسلام العالمي · فثمة هدف مشترك يجمعهما ، وهو الحفاظ على وجودهما امام العزلة الدولية المستمرة · ولكنه سيبقى ضمن اطار المداورة من اجل تأخير الاجل المحتوم لنظاميهما ، ومن اجل المحافظة على هياكلهما التمييزية والعنصرية، واطالة امد استغلالهما للسكان ، بحيث اضحى من الصعب عليهما قبول اية حلول تتعارض مع طبيعتهما العنصرية ، المستندة الى مفاهيم ومقولات عرقية او دينية آيلة الى الزوال ، عاجلا ام آجلا ·

السمات المشتركة بين النظامين

ان البحث في العلاقات القائمة بين النظامين ، لا بد وان ينطلق من المنطلقات الايديولوجية ، ومن ممارساتهما الداخلية ، ودورهما في شبكة الامبريالية العالمية ، صعيد المنطقة المحيطة ·

(١) **التشابه الايدولوجي** : جاء التشابه الايدولوجي بين الصهيونية والعنصرية الذي مثلها البويريين (مستوطني جنوب افريقيا من اصل هولندي ابيض) نتيجة تفاعل العوامل الثقافية والسياسية والاقتصادية والامبريالية، في علاقة مثلثية جمعت الزعامات الصهيونية والاقلية العنصرية البيضاء والامبريالية العالمية · فالاساس العقائدي التي استندت اليه الاقلية البيضاء في استعمارها الاستيطاني في جنوب افريقيا هو نفسه الذي استندت اليه الحركة الصهيونية في احتلالها الارض الفلسطينية وانشاء كيانها الاستيطاني · فكلا الحركتين العنصريتين تقمصتا ، على اعلى مستوى ، «الحضارة الغربية»

٣ ـ **السفير** (بيروت) ٢٦ ـ ٥ ـ ١٩٧٧ ، نقلا عن مقال للمعلق الامريكي سولزبيرغر في **الهيرالد تريبيون** ·

(كشعار رفعته الدول الرأسمالية في حركاتها الاستعمارية) على تقديم المسوغات النظرية والمادية للسيطرة والاستغلال والاحتلال ، باعتبار ذلك « مهمة حضارية مسيحية » او انها تحقيق للتفوق العنصري اليهودي ـ المسيحي · فالصهيونية والحركات العنصرية طرحت نفسها بنفس الطريقة التي بررت بها الدول الاستعمارية توسعها في الاميركيتين واسيا وافريقيا ·

وتؤسس كل من الحركة الصهيونية والاقلية العنصرية (البيض) ايديولوجيتهما في ان شعبيهما عانا من العذاب والمرارة ، وكلاهما شعب شديد التدين · يستقي تعاليمه من كتاب واحد ، هو التوراة (الانجيل ـ العهد القديم) ، لتبرير خصوصية اليهود والجنوب افريقيين وتميزهم عن غيرهم من الشعوب · (٤)

لقد اصطدمت الايديولوجيات العنصرية هذه بمعارضة قوية من قبل حركات تقدمية واصلاحية ، بل انها خلقت انقسامات داخل الحركات الدينية · فقد رفضت الجماعات الدينية اليهودية ، في بداية الامر ، الايدولوجية الصهيونية ، لانها تتناقض مع جوهر الديانة اليهودية ، وتشوه اهدافها وغاياتها ، وفي الوقت نفسه فان الدعوات العنصرية للبويريين البيض سببت انقساما في الكنيسة المسيحية الهولندية ، بشكل خاص ، والتي طالما قدمت هذه الكنيسة ، قبل نشوء حركة البويريين العنصرية ، سندا فكريا هاما للحكم ·

وقادت الايدولوجيات العنصرية الى ايجاد مكانة اساسية لمسألة العرق اليهودي والمسيحي ، متأثرة بالحركات القومية الفاشية التي شهدتها اوروبا آنذاك · فمكانة الفرد ، بفعل هذه الايديولوجيات ، ارتبطت بعرقه ، اكثر مما ارتبطت بدينه · وترتكز الى ما يسمى مفهوم الشعب المختار · فكما ادعى الصهاينة ان لهم قومية يهودية ترتكز الى الدين ، كذلك الافريقانيين ادعوا ان لهم ، ايضا ، قومية مسيحية ، ولدت من جراء حركة النزوح الكبرى الى جنوب افريقيا ، التي قام بها مزارعون هولنديون على النمط البطريركي ، ويعتبرون انفسهم محط امال الحضارة الغربية ·

وهكذا ، استند الاستعمار الاستيطاني في فلسطين وافريقيا الى مفاهيم وافكار متشابهة ، شكلت القاعدة الاساسية لايديولوجية الزعامات الافريقانية والزعامات الصهيونية ، على السواء · واستطاع اتباع هذه السياسات استغلال هذه المفاهيم والافكار ، الى اقصى حد ، حين توجه اليهود والمسيحيون ، ضحايا هذه السياسات ، في هجرات متتابعة الى جنوب افريقيا وفلسطين لبناء كيانين عنصريين ، في ابشع اشكال الاستعمار الذي عرفها التاريخ الوسيط والحديث ·

لذا فان الصهيونية تنسجم مع الافكار اللاسامية ، رغم محاولاتها اليائسة · ما دامت تهدف الى اخراج اليهود وقذفهم الى اراض بعيدة (فلسطين) عن موطنهم الاصلي ·

٤ ـ ماثيو ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ ·

وعلى الرغم من استناد كل من الصهيونية والحركات العنصرية الافريقيانية الى عوامل ايديولوجية متشابهة ، من حيث الجوهر ، الا انهما حاولتا – لاعتبارات خاصة بالمصالح السياسية والاجتماعية والاقتصادية والوظيفة التي يؤديها كل منهما في خدمة الاستراتيجية الامبريالية – بتمييز انفسهما من خلال نظرتها الى الشعب الذي يمثلونه . فالافريقيانيون لا يخفون انتماءهم الى اللاساميين ، المفترض فيهم ان يكونوا على نقيض كامل مع الحركة الصهيونية ، التي تعتبر نفسها حركة سامية . كما يفترض من الصهيونيين – ايديولوجيا – ان يكونوا على نقيض كامل مع الافريقيانيين البيض، باعتبارهم لا ساميون ، وتاريخهم حافل بالنشاطات اللاسامية في اوروبا ، وبسبب علاقاتهم التاريخية القوية مع الحركات النازية والفاشية .

بيد ان التحالف الفعلي القائم بين الكيان الصهيوني والنظام العنصري في جنوب افريقيا يؤكد على الارضية المشتركة ، ايديولوجيا وسياسيا ، التي تجمع بينهما ، من جهة ، ويدحض ادعاءات كلا النظامين في تمييز نفسه عن الاخر ، من جهة اخرى .

ان ذلك يبطل مزاعم الحركة الصهيونية ومنطلقاتها التي تمثلت بما يلي :

١) ان الصهيونية ، كايديولوجية زعمت انها تهدف الى تحرير « الشعب اليهودي » من الاضطهاد العرقي واللاسامية . كما انها طالما استندت ، في دعوتها ، الى اقامة وطن قومي خاص « الشعب اليهودي » . وقد استغلت في ذلك ، اسوأ استغلال ، ما تعرضت له الجماعات اليهودية في اوروبا من اضطهاد عرقي بشع على يد النازية الهتلرية .

واذا كانت دعوات الصهيونية هذه صحيحة، فانه يفترض باسرائيل (الدولة اليهودية المجسدة للصهيونية) والتي اعطت لنفسها الدور المعادي للضمير المعادي للعرقية ، ان تكون اشد الدول عداء للنظام العنصري في جنوب افريقيا ولاي تمييز عرقي ، اينما وجد . بيد ان شدة تاييدها وتحالفها مع هذا النظام العنصري يبطل هذا الادعاء ، بل يضعها في مصاف اشد الدول العنصرية .

٢) وعلى صعيد اخر ، فان **الحزب القومي** الحاكم في جنوب افريقيا معروف بميوله النازية ، بل وبنزعته اللاسامية ايضا ، اذ ان رئيس الجمهورية السابق **فورستر** ، هو نفسه الذي اعلن ، عام ١٩٤٢★ « اننا نؤمن بالقومية المسيحية الحليفة للاشتراكية القومية ... التي يسمونها الفاشية في ايطاليا والنازية في المانيا والقومية المسيحية في جنوب افريقيا » ، بل ان **فورستر** دأب على مهاجمة « الديمقراطية اليهودية والرأسمالية اليهودية وآلة الحرب الامبريالية اليهودية ... الخ » .

ظلت النزعة اللاسامية لدى **الحزب القومي** قائمة حتى عام ١٩٤٥ . وكانت ابواب **الحزب القومي** مغلقة في وجه اليهود في جنوب افريقيا ، الذي لم يسمح لهم بالدخول في الحزب الا عام ١٩٥١ . بيد ان التحالف الوطيد بين النظامين يكشف عن حقيقة التشابه الايديولوجي بينهما . وما رفع شعار اللاسامية والفاشية سوى محاولات لتضليل الرأي العام العالمي بينما الواقع يؤكد وجود تحالف تاريخي وطيد بين الصهيونية واللاسامية ، التي خدمت بعضهما بعضا ، في سبيل اقامة الانظمة العنصرية القائمة .

ان « التناقض » بين الصهيونية واللاسامية في كل من جنوب افريقيا واسرائيل يطل برأسه ، كلما دعت الضرورة ، حكمته مصالح كلا النظامين اكثر مما تحكمه المبادىء . وكان العنصر المشترك الذي يهددهما هو الذي يتحكم في حجم العلاقة بين النظامين (سنتعرض الى هذه النقطة فيما بعد) .

وهكذا ، فان التعارض الشكلي ، الذي يحرص كل طرف ان يبقيه الى جانبه ، ويتحين الفرص لاستخدامه ، لم يقف امام اهتمام كلا الكيانين في اعطاء الاولوية لتقوية الروابط بينهما ، سياسيا واقتصاديا وعسكريا . ومع ان هذه الفروقات قائمة ، الا ان الكيانين نجحا في تجاوزها ، واستطاعا التوصل الى درجة التحالف والتضامن الحقيقي الذي يمليه التورط في المأزق ذاته : الاقلية الصغيرة ضمن محيط واسع يكن لها العداء الشديد (٥) .

(٢) التشابه في الدور السياسي

للكيانين العنصريين في فلسطين وجنوب افريقيا ، دورا رئيسيا في حماية المصالح الاستعمارية في افريقيا والشرق الاوسط . ولم يكن اختيار مواقعهما الجغرافية مصادفة ، فقد جاءت الدعوة لاقامة كيان صهيوني في افريقيا في بدايات ولادة الحركة الصهيونية . كما ان الاطماع الاستعمارية في احتلال فلسطين كانت من ضمن اولويات السياسات الامبريالية ، سواء في عهد الامبراطورية الفرنسية (نابليون) التي فشلت ، او في عهد الامبراطورية البريطانية ، التي حققت نجاحات فيما بعد . ومن هنا ، حرصت الدول الاستعمارية على اختيار الطرف الاقصى الشمالي والطرف الاقصى الجنوبي للقارة الافريقية كمناطق جغرافية استراتيجية ، تقام فوقهما كيانات خاضعة ، تماما ، لنفوذها وتقوم بحماية المداخل الاستراتيجية الهامة للمصالح الامبريالية . وقد اعترف وزير دفاع جنوب افريقيا بهذه الحقيقة عندما قال : « ان اسرائيل هي الحارس على المدخل الاستراتيجي الهام للعالم الحر » (٦) ، انطلاقا من النظرة القائلة : « بأن جنوب افريقيا واسرائيل تحاربان سويا ، في عالم معادي من اجل وجودهما . فاسرائيل وضعت معها سور الدفاع الشمالي في افريقيا ضد الامبريالية الروسية كما ان جنوب افريقيا هي السور الجنوبي » (٧) .

★كان انذاك رئيسا للوزراء .

٥ – **المصدر نفسه** . ص ١٠٤ .

٦ – **هاتسوفيه** (الاسرائيلية) ٤ – ٦ – ١٩٧٤ ، ترجمة مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

٧ – **المصدر نفسه** .

ولتبرير وجودهما ، انطلق النظامان من مواقف سياسية متشابهة ، فكلاهما يرفع شعار تفوقه « الحضاري » و « تقدمه » على الشعوب التي يسيطر عليها او المحيطة به · فقد حددا مهماتهما الاساسية في منع تطلع الدول المحيطة بهما نحو ما يسمونه « بالشيوعية » · وقد عبر احد المعلقين الاستراتيجيين عن ذلك عندما قال : « ان كلا البلدين يريان في انفسهما الدول المتطلعة بحماس نحو الغرب والمعادة نحو (الشيوعية) ، وان الدول الاوروبية والولايات المتحدة تستطيعان الاعتماد عليهما في تحقيق اهدافهما المشتركة » (٧) ·

وضمن هذا الاطار تنظر الامبريالية بارتياح الى العلاقة القائمة بين اسرائيل وجنوب افريقيا « فثمة شراكة ملحوظة بين اسرائيل وجنوب افريقيا ، ولهذه العلاقة بين الدولة التي تسيطر على الطرف الجنوبي للقارة الافريقية ، والدولة التي لا زالت تمسك بالمدخل الى طرفها الشمالي اثار سياسية واقتصادية وعسكرية » (٩) ·

وهكذا فان النظامين العنصريين يقومان بمهمة واحدة في شبكة الامبريالية العالمية في كونهما يمثلان حلقتين اماميتين للامبريالية في افريقيا والشرق الاوسط ·

ونظرا لطبيعتهما الاستعمارية ، فان طموحات كلا النظامين لا تنتهي عند حدودهما الجغرافية ، بل ان لهما اطماع في السيطرة العسكرية والسياسية والاقتصادية على المنطقة المحيطة بكل منهما ·

● فجنوب افريقيا تقيم سياستها الخارجية منذ تأسيسها ، على اساس التحالف مع الدول الاستعمارية ، والسيطرة غير الشرعية على ناميبيا (جنوب غرب افريقيا) ، وتأييد نظام ايان سميث في روديسيا وجعل عدد من الدويلات الصغيرة المحيطة بها تدور في فلكها ؛ مثل سوازيلاند ولوسيتو وبوستوانا وملاوى · وهي لا تخفي تهديدها المستمر لزامبيا · وهكذا ، فان دور جنوب افريقيا ليس مقتصرا على الاسهام في قمع حركات التحرير الافريقية ، بل تعمل ايضا ، على اقامة علاقات كولونيالية مع دول افريقية ، مما يجعلها تلعب في القارة الافريقية الدور الذي لعبته الولايات المتحدة في امريكا اللاتينية ·

● ومن ناحية اخرى فان اسرائيل لا تخفي اطماعها التوسعية التي ترجمتها عمليا ، بالاستيلاء على اراضي سيناء والجولان واستكملت احتلالها للارض الفلسطينية في حرب ١٩٦٧ · وهي تسعى ، في نفس الوقت ، الى اقامة تحالفات مباشرة مع بعض الدول القريبة ، كما حصل مع النظام المصري ، حيث تحاول اسرائيل بتحالفها الوثيق مع الولايات المتحدة الامريكية ، فرض كامل شروطها لاقامة العلاقات السياسية

٨ ـ ناشن ماغازين (الامريكية) ١٩ ـ ٨ ـ ١٩٧٨ (انظر : نيكولاس ر· بورنيت · العلاقة بين اسرائيل وجنوب افريقيا ، منقولة عن ترجمة لمركز التخطيط لمنظمة التحرير (بيروت) بتاريخ ١٩ ـ ٨ ـ ٧٨) ·

٩ ـ مركز الابحاث « دراسة غير منشورة عن علاقات اسرائيل بجنوب افريقيا بتاريخ ٣٠ ـ ٥ ـ ١٩٧٣ » نقلا عن المعلق سولزبيرغر الامريكي ·

والدبلوماسية والاقتصادية مع مصر وباقي الدول العربية · في وقت تعمل فيه على استمرار نفوذها واحتلالها للضفة الغربية وقطاع غزة ، واخذ كل الضمانات الامنية والمساعدات العسكرية والاقتصادية لضمان تفوقها العسكري ، بهدف تكريس احتلالها وتهيئة المناخ امام تحقيق اطماعها التوسعية · كما ان اسرائيل ، التي شكلت ـ ولسنوات طويلة ـ الاداة الامبريالية الضاربة في المنطقة ، قد الزمت نفسها بالدفاع عن النظم الرجعية العربية ·وذلك ـ كما حدث في الاردن ، عندما اعلنت بانها ستتدخل عسكريا اذا ما تعرض النظام الاردني للخطر · كما وهي تعمل دوما على خدمة الامبريالية من خلال استعدادها لان تلعب الدور الرئيسي في حماية منابع النفط والمصالح الامبريالية في الشرق الاوسط · والواقع ان اسرائيل لا تخفي دورها الامبريالي هذا· وهي تقوم ، بشكل سافر ، بتغذية وتقوية القوى الانعزالية في لبنان ضد المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية ، بهدف اقامة كيانات شبيهة لها في المنطقة ، تستطيع من خلالها تسهيل مهمتها في تمزيق الدول العربية وشل قدراتها · وهي ، اليوم ، تستمر في بسط سيطرتها واحتلالها لقسم من الجنوب اللبناني ، في اطار مشروعها الخاص للوصول حتى منابع نهر الليطاني ·

ويدرك كلا الكيانين اهمية الدور الذي يلعبانه في خدمة المصالح الامبريالية ، وقد عبرت صحيفة داى فادرلاند ، المقربة من حكومة جنوب افريقيا عن ذلك بقولها « ان بقاء اسرائيل في الشرق الاوسط هو جزء اساسي في امننا الذاتي، فهي تسيطر لدرجة مهمة ، على ممر الشيوعية الروسية الى شرق قارتنا الافريقية وبحارنا الاستراتيجية» (١٠)وفي اعقاب حرب تشرين ١٩٧٣ قال رئيس وزراء افريقيا بصراحة « ان هزيمة اسرائيل تعرض جنوب افريقيا لنتائج خطيرة » (١١) ·

وطالما اكدت اسرائيل على اهمية تحالفاتها مع جنوب افريقيا ، واهمية الحفاظ على اوضاعها ، انطلاقا من المصلحة الاسرائيلية في دعم النظام العنصري · فقد صرح دايان · وزير خارجية الكيان الصهيوني ، ان «اسرائيل ستستمر في دعم جنوب افريقيا رغم ادانة الولايات المتحدة والبلدان الاخرى لها» · وقال : «لقد كانت جنوب افريقيا دولة صديقة ، ونحن لن نتخلى عنها» · واردف بأن «التعاون مع جنوب افريقيا، في مجال الاسلحة ، عمل شرعي وسيستمر» (١٢) ·

وتجسدت مواقف كلا النظامين من خلال قيامهما بخطوات عملية في دعم كل منهما للاخر ففي عام ١٩٤٨ قاتل طيارون من جنوب افريقيا الى جانب العصابات الصهيونية ، وكانت جنوب افريقيا من اوائل الدول التي اعترفت بالكيان الصهيوني · حيث وضع موسى شاريت ، عام ١٩٥٠ ، ومالان (الذي كان رئيسا للوزراء في جنوب افريقيا) عام ١٩٥٣ حجر الاساس في بناء

١٠ ـ المصدر نفسه ·

١١ ـ الاهرام (المصرية) ٢١ ـ ٤ ـ ١٩٧٦ ·

١٢ ـ النهار ٨ ـ ١١ ـ ١٩٧٧ ·

التحالف الذي قام بين البلدين ، والذي ازداد في مجال التعاون العسكري والسياسي والاقتصادي . وفي عام ١٩٦٧ ارسلت جنوب افريقيا نحو ٨٠٠ متطوع للقتال بجانب اسرائيل . والجدير بالذكر ان الجالية اليهودية في جنوب افريقيا قدمت مساعدات مالية فاقت في قيمتها مجموع ما قدمته الجاليات اليهودية في العالم (بما في ذلك الولايات المتحدة نفسها) . فخلال عام ١٩٦٧ قدمت ما يقدر بـ ٣ مليون دولار، هبة لاسرائيل . وقد عبر وزير العمل في جنوب افريقيا عن مدى تعاطف حكومته مع الكيان الصهيوني خلال حرب ١٩٦٧ عندما قال : « ان فشل العرب في هزيمة ١٩٦٧ يدعم موقف جنوب افريقيا، اذ سوف يجعل الزعماء الافريقيين يعيدون النظر فيما يتعلق بتهديداتهم ضد حكومة جنوب افريقيا » (١٣) . وفي المقابل ، فان اسرائيل قدمت مساعدات مالية عسكرية وتكنولوجية عديدة لجنوب افريقيا ، كما ساهم الخبراء العسكريون الاسرائيليون في تدريب قوات النظام العنصري ، في مواجهة حركات التحرر الافريقية . ومن المعروف ان اسرائيل تصدر طائرات ومدافع رشاشة الى جنوب افريقيا، عدا المساعدات العسكرية الاخرى في مجال اسلحة الجو والصواريخ . وبالرغم من قرارات الامم المتحدة بحظر التعامل العسكري مع جنوب افريقيا فان اسرائيل كانت من بين الدول القليلة التي لم تلتزم بهذا القرار ، من خلال استمرار تزويد جنوب افريقيا بالاسلحة والمساهمة، بطرق مختلفة ، في مساعدة القوات العنصرية في محاولات قمع حركات التحرر الوطني الافريقية .

(٣) التشابه في الممارسة العنصرية:

تنبع سياسات كلا الكيانين في معاملة السكان الاصليين من موقف عنصري مشترك . فالتمييز العنصري في جنوب افريقيا هو بين البيض والسود ، وفي اسرائيل بين اليهودي والعربي ، والاسود والعربي يخضعان ، تقريبا ، لنفس القوانين واساليب المعاملة . ومن الطبيعي ان تشمل تلك السياسة التفرقة داخل الشعب نفسه ، ففي اسرائيل ثمة درجات في التعامل، فاليهودي الاشكنازي (من اصل اوروبي) يتمتع بامتيازات عديدة عن اليهودي السفاردي (من اصل شرقي) ورغم ان اليهود السفارديم يشكلون الاغلبية والاشكناز يشكلون الاقلية ، الا ان المناصب العليا في الدولة والاحزاب والجيش والقيادات تقتصر على اليهود الاوروبيين . ثم يلي ذلك اليهود السود (الذين عادة ، يجري طردهم خارج البلاد) ، ثم العرب الذين يأتون في الدرجة الرابعة .

ان هذا التمييز ينطبق ، ايضا ، على جنوب افريقيا . فهناك الابيض من الاصل الهولندي ، الذي يحتل المرتبة الاولى ، يليه المستوطنون البيض من الدول الاخرى ، ثم يأتي الملونون ، واخيرا السكان السود الاصليون .

ليس غريبا ، اذن ، ان تكون القوانين

١٣ ـ **الاهرام** ٢١ ـ ٤ ـ ١٩٧٦ .

التي تؤكد التمييز العنصري في كل من اسرائيل وجنوب افريقيا تقريبا واحدة، في جميع ميادين الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقانونية . فحسب ما ذكره المؤرخ الامريكي ، **دون بترس** ، فان ، هناك اكثر من ١٠٠ قانون في جنوب افريقيا و ١٤٧ قانونا في اسرائيل ، تنظم الحياة في الكيانين ، وجميعها ترتكز على اسس نبذ واضطهاد العنصرين العربي والافريقي، ومعاملتهما معاملة لا تليق بالانسان » (١٤) .

وتجلت السياسة العنصرية في كلا الكيانين بالسمات التالية :

١ ـ غزو الاراضي وتهجير اهلها :

يقوم الاستعمار الصهيوني والعنصري في كل من اسرائيل وجنوب افريقيا على اساس الاستيلاء على اراضي الغير واقامة كيانات ونظم تهدف الى تكريس الاحتلال الاجلائي . وسياسة « الامر الواقع » هي الشعار الذي يرفعه كلا النظامين، في تبرير احتلالهما للاراضي ؛ فقد اعتبرت الاراضي التي استولت عليها جماعات استيطانية جزءا من « الوطن » او « اراض محررة » ، وحدود « موسعة » ، وهذا ما يسمونه ، عادة، بسياسة الامر الواقع ، بالذرائع الدينية او الضرورات الامنية والتفوق الحضاري .

ولم يخف المستوطنون الصهاينة والاقليات البيضاء ان استخدام القوة والقمع كان السبب في تكريس كياناتهما العنصرية ، فنجد **دايان** يقول بصراحة : « نحن جيل من المستوطنين . وبدون الخوذة الفولاذية والمدفع لا نستطيع غرس شجرة او بناء منزل ! ... ان العرب يعتبروننا غزاة استولوا على بلد عربي وحولوه الى دولة يهودية ، هم على حق ... اننا لم نأت الى هنا لنقيم دولتنا . » (١٥) . وبالمنطق نفسه قال **فيرورود** ، عام ١٩٦٣ : « ان المشكلة ، في ابسط صورها ، هي اننا نريد ان تبقى جنوب افريقيا بيضاء ، وبقاؤها بيضاء يعني شيئا محددا : السيطرة البيضاء . ليس القيادة ولا الارشاد فحسب ، بل السيادة والسيطرة » .

لقد تميز هذا الاستعمار بأنه ذو طبيعة اجلائية . فهو لم يهدف ، كغيره من اشكال الاستعمار ، الى استغلال الموارد الطبيعية والبشرية للبلاد فحسب، بل استهدف الاراضي ذاتها شبه الخالية من سكانها الاصليين . وهكذا فان العنصرية الصهيونية انكرت الوجود الحضاري والمادي لشعب فلسطين. وفي جنوب افريقيا ينظر الى السكان الاصليين باحتقار ، ويوضعون في مصاف دوني ، كما جرى استلاب الارض وابعاد اهلها الشرعيين. فالفلسطينيون يقذفون الى خارج فلسطين ، وسكان جنوب افريقيا يبعدون الى مناطق توطين جديدة داخل بلادهم. ويهدف كلا النظامين الى الحفاظ على ما يسمى « بالنقاء العنصري » ، « اليهودي في فلسطين ، والابيض في جنوب افريقيا .

واذا كانت كل المدن والمستوطنات اليهودية قد قامت على انقاض مدن وقرى عربية ، فان النظام العنصري في جنوب افريقيا قد استولى على معظم البلاد ، حيث خصصت للسكان الاصليين حوالي

١٤ ـ **البعث** ٧ ـ ٨ ـ ١٩٧٧

١٥ ـ **المصدر نفسه** ، نقلا عن الصنداي تايمز ٢٣ ـ ٣ ـ ١٩٦٩ .

١٣٪ من مساحة اراضي جنوب افريقيا فقط ، في حين يفوق عددهم على ٨٠٪ من مجموع السكان ·

وادت تلك السياسة الى تشريد اكبر عدد ممكن من السكان الاصليين · ولولا النقص البشري الذي يعانيه النظامان العنصريان لاستكملت عمليات التشريد بشكل كامل ضد السكان الاصليين · ان عملية غزو الاراضي ما زالت مستمرة ، تبعا لمصالح الكيانين وظروفهما · ففي عام ١٩٦٨ تقرر ترحيل ٤ ملايين من اصل ٦ ملايين من جنوب افريقيا ، بحجة « ان مليونين فقط يمارسون نشاطا اقتصاديا » (١٦) ، اما الصهيونية فتاريخها حافل في الاستيلاء على الاراضي ، وهي لم تزل تقيم المزيد من المستوطنات على الاراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧ · ولم تخف اطماعها في ضم الضفة الغربية وقطاع غزة الى كيانها العنصري · كما انها تحاول عزل ما تبقى من فلسطينيين داخل البلاد ، من خلال مشاريع الحكم الذاتي ، التي تشبه ــ الى حد كبير ــ **نظام الباستونات** الذي تنتهجه حكومتي جنوب افريقيا وروديسيا العنصريتين · وتحت الحجج « الامنية » و « المناطق المحرمة » او « الاراضي المتروكة » تعمل اسرائيل على انشاء المئات من المستوطنات العسكرية، والصناعية ، والزراعية · وما مشروع **تهويد الجليل** ، الذي عبر عنه بوضوح «**مشروع كينغ**» ، اضافة الى مشروع « الحكم الذاتي » الخاص بالضفة الغربية وقطاع غزة ، الا استكمالا لهذه السياسة · وقد اتخذت سياسة الاستيطان ابعادا جديدة بعد عام ١٩٦٧ ، واعتبرت لاراضي المحتلة جزءا من الاراضي المحررة او حدودا موسعة · كما ان «اسرائيل» لم تتردد في الاستيلاء الكامل على مدينة القدس ، وضمها الى كيانها الاستعماري ، وهو ما عادة تسميه سياسة الامر الواقع ، تحت تبرير الدوافع الدينية او «الضرورات الامنية»·

٢ ــ استغلال الايدي العاملة العربية والافريقية :

ان الاجراءات المتبعة من قبل النظامين في اسرائيل وجنوب افريقيا جعلت الاغلبية العظمى من السكان السود والعرب طبقة من العمال المتجولين غير الثابتين في مواقع عمل انتاجية، المجبرين على بيع قوة عملهم بابخس الاسعار ، لخدمة اقتصاد الكيانين العنصريين · وبالاضافة ان هذه الايدي العاملة ترزح تحت قوانين التفرقة العنصرية فهي تقوم بالاعمال الثانوية التي يأبى المستوطنون القيام بها · لذا ، فان النظامين يحرصان على تجهيل الطبقة العاملة وابقائها في اطار اعمال شاقة وموسمية مقابل اجور زهيدة ، وضمن واقع يحرمهم من الامتيازات العديدة التي يتمتع بها العمال اليهود او البيض · ففي جنوب افريقيا نجد ان السلطات العنصرية سنت قوانين، منها قانون تقسيم الوظائف بالنسبة للسود ، وفحواه تحريم كل وظيفة تتطلب شيئا من المبادرة الذاتية او تحمل مسؤولية · وعلى غرار ما هو متبع في الكيان الصهيوني ، فان ثمة مكاتب عمل لتشغيل السود ، حسب احتياجات ارباب

١٦ ــ ماثيو ، **المصدر السابق** ، ص ١١٥ ·

العمل · وقد ادت ظروف الطبقة العاملة في جنوب افريقيا الصعبة الى اضطرابات عدة في مناطق « الغيتو » ، التي خصصتها السلطات العنصرية ، حيث يقيم ويعمل مليون عامل على بعد ٣٠ كلم عن مدينة جوهانسبرغ « البيضاء » ، (وتعتبر جنوب افريقيا من اغنى البلدان بالذهب والماس والبلاتين والمنغانيز ··· الخ) · وبالرغم من غنى البلد ، فان العمال هناك من افقر العمال في اي بلد اخر ، فالفرق في الاجور يتراوح بين ١٠ ، ٢٠ مرة لصالح العمال البيض ، كما ان هناك تزايدا في اصابات العمل· ويطبق قانون الصرف التعسفي ، وبقساوة ، حتى على العامل الاسود الذي يصاب بمرض او بعاهة اثناء العمل ·

وفي اسرائيل فان قاعدة « العمل اليهودي » او « المحافظة على نقاء العمل العبري » والمقاطعة الاقتصادية للعرب ، لم تصمد طويلا ، ونظرا للحاجات الملحة للعمال بسبب الحروب والطابع الطفيلي للمجتمع الصهيوني القائم على اساس من الة الحرب العسكرية ، وانصراف الاغلبية العظمى للمستوطنين للتفرغ للحرب ، والعمل في المهن والوظائف المريحة ، اتجه الكيان الصهيوني نحو العمال العرب واستثمارهم في خدمة عجلة الاقتصاد الاسرائيلي · وقد استخدمت قاعدة التمييز العنصري في بداية الامر ضد اليهود الشرقيين ، من خلال استخدامهم في المهن الوضيعة والصعبة ، ومع توسع حركة التصنيع والاستيطان ، بعد عام ١٩٦٧ ، ازدادت الحاجة الى الايدي العاملة العربية ، وفق نظم استغلالية· سواء من ناحية الاجور · او ساعات العمل ، او الشروط المطلوبة · وبفعل سياسة الالحاق الاقتصادي ، فقد تزايد عدد العمال العرب الذين يعملون داخل المؤسسات الاقتصادية الاسرائيلية · وانتشرت مكاتب العمل على طول مدن وقرى الضفة الغربية وقطاع غزة · كما ان سياسة العدو في ضرب الزراعة في الاراضي المحتلة ، ادت الى بطالة متزايدة وهجرة المزارعين لاراضيهم ، مما خلق للعدو فرص استغلالهم وتسخيرهم لخدمة عجلة الاقتصاد الاسرائيلي · ويمكن تلمس سياسة التمييز العنصري ازاء الطبقة العاملة العربية من خلال الفرق الشاسع في الاجور بين العامل العربي ونظيره اليهودي ، والذي يصل ما بين ١٠ ــ ١٥ امثال ، لصالح العامل اليهودي · كذلك تطبيق قانون الفصل الكيفي والتعسفي، اضافة الى ما يتعرض له العمال العرب من اجراءات القمع والاعتقال بسبب اعمال المقاومة الفلسطينية · كما ان العمال العرب محرومون ، بشكل كامل، من كافة الامتيازات التي يتمتع بها العمال اليهود ، سواء لجهة الضمان الصحي ، او الاجتماعي ، او التعويضات · وتتزايد ايضا ، اصابات العمل التي يتعرض لها العمال العرب ، اضافة الى سياسة التجهيل المتبعة ضدهم · وثمة هدف اخر من وراء ذلك وهو حملهم على الهجرة خارج الوطن المحتل · ودلت الاحصاءات الاخيرة على زيادة نسبة المهاجرين · وهذا يخدم اغراض العدو في اطار سياسة التفريغ والتهجير التي ينتهجها ازاء الاراضي المحتلة ·

٣ ــ اشكال التفرقة العنصرية الاخرى :

التربية والتعليم : في مجال التربية والتعليم تتجلى صورة التفرقة العنصرية· ففي جنوب افريقيا تقوم سياسة التفرقة على عزل السود عن البيض ، وعدم

تقبلهم في « المجتمعات الاوروبية » . وتعليمهم يكون متماشيا مع سياسات الدولة، فالتعليم ليس الزاميا ولا مجانيا، بينما هو كذلك للبيض ، ومن الطبيعي ان يتناقص عدد الذين يواصلو تعليمهم الثانوي او الجامعي بشكل مذهل ، خاصة وان عدد التلاميذ الابتدائيين منخفض اساسا . كما ان التعليم المهني ناقص للغاية . وانسجاما مع السياسات الاستعمارية القديمة فانه يجري تعليم لغة قبيلة واحدة لتازيم وتوتير الاجواء بين القبائل المختلفة بهدف تغذية صراعات القبائل ، كعامل هام يساعد النظام العنصري على السيادة من جهة، وبهدف منع القبائل من التقارب واضعاف شعورها الوطني من جهة اخرى . ومن الطبيعي ان النظام يضع برامج ومناهج تعليمية تهدف الى ترويج الايديولوجية العرقية ، وتكريس السياسة العنصرية.

ويحدث الشيء ذاته في الكيان الصهيوني . فقد دأبت سلطات الاحتلال على تقليص اعداد المدارس، وفتح المجال امام الاولاد دون سن الرابعة عشرة للعمل داخل المؤسسات الاقتصادية الاسرائيلية . وامام الصعوبات الاقتصادية التي واجهها السكان بسبب الاحتلال ، فقد اضطرت الاف العائلات الى عدم استمرار تعليم ابنائها وبناتها في المدارس ، تحت ضغط الحاجة الاقتصادية . كما انتشرت المدارس الخاصة داخل الارض المحتلة ، والتي لا تستطيع سوى الاسر الميسورة تأمين دراسة ابنائها فيها ، الامر الذي ادى الى تناقص عدد التلاميذ في الصفوف الثانوية والجامعات . وادى ذلك الى انخفاض هائل في عدد الطلاب والطالبات في المدارس ، بسبب القيود المختلفة التي تفرضها سلطات الاحتلال على المواطنين العرب ، مقابل التسهيلات المتعددة التي تمنحها للمستوطنين اليهود . ومن مقارنة عدد المدارس والمهنيات المخصصة للعرب بالنسبة لليهود ، يظهر الفرق شاسعا مما يؤدي الى تخلف اجتماعي كبير في القطاع العربي . خاصة وان سلطات الاحتلال تستخدم شتى الوسائل لتطبيق سياسة التجهيل ضد السكان العرب ، منها : رفض اقامة مدارس جديدة ، ووضع قيود مختلفة على البلديات او المؤسسات الدولية للاطلاع على اوضاع التعليم وتطويرها ، وكذلك عرقلة فتح جامعات عربية ، خاصة في الضفة والقطاع ، مما يضع صعوبات عديدة امام الطلاب لمواصلة تعليمهم الجامعي. كما جرى فرض قيود امام انشاء معاهد مهنية خاصة بالسكان العرب .

ومن ناحية اخرى ، فقد تلاعبت سلطات الاحتلال فيكافة المناهج التعليمية التي كانت متبعة في الضفة والقطاع قبل احتلالهما ، بهدف تشويه التاريخ العربي، وطمس التراث والحضارة العربية الفلسطينية ، مقابل وضع مواد الزامية تمجد التاريخ اليهودي ، اضافة الى نشر اللغة والثقافة العبرية .

الصحة :

كما شملت سياسة التفرقة العنصرية المجالات الصحية في كلا الكيانين ، فثمة فروق شاسعة بين ما يتمتع به المستوطن الافريقاني واليهودي وبين السكان الاصليين ،العرب والسود ، في مجال الرعاية الطبية والصحية . ويدل على ذلك ازدياد نسبة الوفيات وانتشار الامراض ونقص التغذية . فبسبب سياسة التجهيل نجد نقصا شديدا في عدد الاطباء السود ، بالنسبة لعدد السكان، وينطبق الشيء ذاته في اسرائيل، اذ ان عدد الاطباء في نقص متزايد ،

خاصة بعد ازدياد هجرة الاطباء من الضفة الغربية وقطاع غزة ، وقد تم وضع قيود عديدة من شانها تعطيل الخدمات الطبية ،منها ازدياد ارتفاع اسعار الدواء والمعاينة في العيادات الخاصة ، فالمساعدات التي تخصصها سلطات الاحتلال للمستشفيات العامة ضئيلة للغاية . كما ان السلطات غالبا ما تمنع اية مساعدات خارجية (عربية او دولية) لتحسين الظروف الصحية للسكان داخل الاراضي المحتلة .

معاملة السجناء والمعتقلين

السياسيين : وبالنسبة لمعاملة السجناء والمعتقلين السياسيين ، فان كلا النظامين يعتمد على اجهزة بوليسية قمعية وتشريعات تعسفية ، تعمل على تقويتهما باستمرار . واذا كان نظام جنوب افريقيا مفضوحا ، بشكل كامل ، كنظام بوليسي قمعي ، فان سلطات الاحتلال الصهيونية تحاول عبثا الظهور بصورة مغايرة لما تقوم به فعلا . فالسلطات الاسرائيلية تحاول ، عن طريق عدم تطبيق احكام الاعدام ، الظهور بمظهر الدولة الديمقراطية ، بيد ان تلك المزاعم ما لبثت ان تكشفت اثر الاجراءات القمعية المنظمة التي اقترفتها سلطات الاحتلال بحق المواطنين العرب . فتطبيق قانون التوقيف الاداري التعسفي شمل عشرات الالوف من المواطنين العرب . كما ان سياسة الابعاد والطرد شملتالعديد من المواطنين ، اضافة الى ملف المخالفات العديدة التي اقترفتها سلطات الاحتلال بحقوق الانسان وبالمواثيق والاعراف الدولية .

ان السياسة العنصرية شملت السجناء والمعتقلين السياسيين ، الذين يعانون ظروفا صعبة قل نظيرها في العالم ، فالسجين العربي والاسود تطبق عليهما قوانين خاصة، تميزهم عن باقي السجناء والمجرمين العاديين اليهود والبيض . ذلك ان القوانين المطبقة على السكان الاصليين هي غيرها القوانين المطبقة على المستوطنين الصهاينة والعنصريين. كما ان المحاكم التي تنظر في قضايا المعتقلين والسجناء السود والعرب غير تلك التي تنظر في قضايا اليهود والبيض . وفي حين تحرم القوانين الصهيونية والعنصرية ممارسة التعذيب ضد اليهود والبيض ، نجد السلطات في كلا الكيانين تستخدم مختلف اشكال التعذيب الجسدية والنفسية ، والتي لا يمكن مقارنتها الا بالمعتقلات الفاشية والنازية التي شهدتها اوروبا ابان الحكم النازي . لقد نجم عن تلك السياسة وفاة العديد من المعتقلين ، عدا الاف اخرين اصيبوا بعاهات دائمة ومؤقتة، بسبب اساليب التعذيب البشعة، علاوة على الامراض العديدة التي اصيب بها السود والعرب في السجون العنصرية .

ويمكن لمس التشابه في قوانين الاعتقال في كلا النظامين . ففي جنوب افريقيا تسن قوانين عديدة يستطيع البوليس ، بموجبها ، ايقاف اي شخص مشتبه به او – حتى شاهد – لمدة سنة او اكثر دون تقديمه لمحاكمة . اما في اسرائيل فثمة صلاحيات مطلقة للحكام العسكريين والشرطة ، فيكفي ان يوجه اتهام بان القضية مرتبطة بأمور امنية ، حتى يصار اتخاذ سلسلة من العقوبات، كالتوقيف الاداري (الذي يستمر الى ٥ سنوات واكثر) دون محاكمة ، وتدمير المنازلوالقيام بعمليات ابعاد فردية واتخاذ عقوبات جماعية ، ولا سيما منع التجول.

ومن ناحية اخرى ، فان ظروف

الاقامة للسجين العربي والاسود متشابهة ، من حيث التمييز العنصري ، بالمقارنة مع السجناء اليهود والبيض · فثمة ازدحام شديد في السجون والمعتقلات العنصرية ، اضافة الى تردي الظروف الصحية والاجتماعية ، وضيق مدة الزيارات ، وتخلف شؤون الاكل والمنامة ··· الخ· وكانت تلك السياسة محط ادانة كاملة من قبل الهيئات والمؤسسات الدولية ، وهي تحتوي على مخالفة صريحة وواضحة لكافة بنود حقوق الانسان، كما نصت عليها المواثيق والاعراف الدولية ، وهذا ما دفع حكام كلا الكيانين الى رفض اي هيئات دولية او منظمات انسانية ، للاطلاع على اوضاع السجناء والمعتقلين داخل السجون · ورفض استجابة سلطات كلا الكيانين للمطالب العديدة التي نادت بتحسين احوال السجون ، وتطبيق المواثيق الدولية الخاصة بهؤلاء السجناء ·

علاقات اسرائيل بجنوب افريقيا ؟

١ ـ العلاقات السياسية والدبلوماسية:

تعود العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا الى السنوات الاولى من قيام الكيان الصهيوني ، وكان الدكتور **مالان،** اول رئيس وزراء من جنوب افريقيا يزور اسرائيل بعد تأسيسها· على ان العلاقات السياسية والدبلوماسية بين الكيانين شهدت حالة من التذبذب وعدم الاستقرار، حتى عام ١٩٦٧ على ان ذلك لم يؤثر على نمو العلاقات الاقتصادية والتجارية بينهما ·

وترجع بدايات العلاقات الدبلوماسية الى عام ١٩٤٩ ، بعد زيارة **موسى شاريت** ، وزير خارجية اسرائيل آنذاك لجنوب افريقيا · حيث فتحت اسرائيل اول قنصلية لها في جوهانسبرغ الى جانب مفوضية لها في بريتوريا · كما وضع **مالان** . رئيس وزراء جنوب افريقيا عام ١٩٥٣ ، حجرا اخر في بناء العلاقات عند زيارته لاسرائيل · وشهدت السنوات اللاحقة ازديادا كبيرا في مجالات التعاون الاقتصادي والعسكري والسياسي ، ولعل ابلغ دليل على قيام مثل هذا التعاون هو معارضة اسرائيل وجنوب افريقيا معا لكافة قرارات الامم المتحدة التي تدين سياساتها التوسعية العنصرية والعدوانية ·

بيد ان تلك العلاقة شهدت ازمة عام ١٩٦١ ، عندما فضلت اسرائيل تنمية نفوذها في القارة الافريقية ، على حساب علاقاتها مع جنوب افريقيا . بعد ان ازدادت الادانات الافريقية والدولية للاخيرة بسبب سياستها العنصرية · وكان سبب الازمة عندما صوتت اسرائيل، عام ١٩٦١ ، الى جانب قرار الامم المتحدة الذي استنكر سياسة التمييز العنصري التي تتبعها جنوب افريقيا ضد الوطنيين الافارقة · وعلى الرغم من ان اسرائيل قد اوضحت دوافع اتخاذها هذا القرار ، وحرصها على استمرار العلاقات مع جنوب افريقيا ، الا ان الحكم العنصري لم يتحمل تصويت اسرائيل ضده ، فعمد الى مهاجمة اسرائيل· وقد كشفت الازمة عن طبيعة كلا النظامين ، لدرجة ان **فيرورور** اعلن « ان اليهود اغتصبوا فلسطين من العرب ، بعد ان ظل العرب يقطنوها الف سنة · وبذلك تكون اسرائيل دولة تفرقة عنصرية » (١٧) ·

١٧ ـ **البعث** ٨ ـ ٧ ـ ١٩٧٧ ، نقلا عن **نوفوستي** ·

ان التفسير الوحيد لموقف اسرائيل هذا يعود ، بالاساس ، الى حرص اسرائيل على تنمية علاقاتها مع الدول الافريقية · الامر الذي جعلها حذرة في علاقاتها مع جنوب افريقيا ، وذلك بعدم القيام بأية خطوة قد تغضب الدول الافريقية ، واثارة رد فعلها · وحمل ذلك اسرائيل الى درجة التبرع بمبلغ ١٠ الاف ليرة لمنظمة الوحدة الافريقية، مما اضاف تعقيدات سياسية مع جنوب افريقيا ، التي اوقفت ، من جانبها ، تدفق تبرعات الجباية اليهودية الى اسرائيل ، كما اوقفت عدة امتيازات في العلاقات التجارية · وحسب تحليل صحيفة **هاتسوفيه** الاسرائيلية : نجد « ان الاعتبار في تقديم التبرع كان مرتكزا على ان العرب قد عينوا انفسهم طيلة السنوات الماضية كحماة حركات التحرر الافريقية ، وقد استغلوا جميع المناسبات لكي يضعوا اسرائيل مع الدول الاستعمارية ، وهنا سنحت لاسرائيل فرصة لخرق هذا الرأي وضرب الدعاية العربية ، عن طريق تبرع رمزي لمنظمة الوحدة الافريقية ، (١٨) ·

ويطبق هذا الوضع ايضا ، وفي مرحلة محددة ، على مواقف جنوب افريقيا ، التي تملصت (بعد قيام اسرائيل مباشرة) من اقامة علاقات دبلوماسية مع اسرائيل ، حتى لا تضر بعلاقاتها الدبلوماسية مع مصر ودول عربية اخرى · بيد ان ذلك لم يمنع من تطور العلاقات التجارية والاجتماعية بين البلدين ، والذي لعبت فيه الجالية اليهودية في جنوب افريقيا دورا رئيسيا ·

الا ان الخلاف بين الكيانين سرعان ما زال ، بعد عدوان ١٩٦٧ ، عندما فقدت اسرائيل كل مرتكزاتها في القارة الافريقية ، وقطعت الدول العربية علاقاتها الدبلوماسية مع جنوب افريقيا ، خلال ١٩٦٤/٦٣ · ولم تجد كل من اسرائيل وجنوب افريقيا سوى تعزيز علاقاتهما· وقد تعززت هذه العلاقات خلال حرب ١٩٦٧ ، عندما ارسلت جنوب افريقيا نحو ٨٠٠ متطوع ، للقتال الى جانب القوات الاسرائيلية ، ومنحت تسهيلات ضخمة للمساعدات المالية التي تقدمها الجالية اليهودية لاسرائيل ، والتي قدرت بنحو ٣٠ مليون دولار (١٩) ·

وعلى صعيد العلاقات الدبلوماسية تم رفع مستوى التمثيل الدبلوماسي بينهما· وجرى تعيين قائم بالاعمال على مستوى سفارة في جوهانسبورغ ، عام ١٩٦٩ · واتخذت حكومة جنوب افريقيا ، من جانبها ، تدابير مماثلة ؛ فاقامت في تل ابيب اول قنصلية لها ، عام ١٩٧١ · في الوقت الذي التزمت اسرائيل بالامتناع عن التصويت او التغيب عن الجلسات في كل مشاريع القرارات التي تناولت قضايا التمييز العنصري في هيئة الامم المتحدة ، والادنات الدولية لحكومة جنوب افريقيا ·

١٨ ـ **هاتسوفيه** ٢٣ ـ ٣ ـ ١٩٧٤ ·
١٩ ـ **الاهرام** ٢١ ـ ٤ ـ ١٩٧٦ ·

وقبيل حرب تشرين ١٩٧٣ ، شهدت العلاقات بين الكيانين تطورا ملموسا · ففي ايار ١٩٧٣ زار اسحق **رابين** جنوب افريقيا ، وفي ايلول ١٩٧٣ قام وزير داخلية جنوب افريقيا ، **مولدر** ، بزيارة خاصة لاسرائيل · وخلال حرب ١٩٧٣ انكشف اشتراك جنوب أفريقيا في القتال، الى جانب القوات الاسرائيلية · فقد اعلنت الحكومة المصرية عن اسقاط طائرة ميراج غربية فوق قناة السويس ، وذكرت صحيفة **ديلي تلغراف** اللندنية ان جنوب افريقيا كانت قد ارسلت ، عبر الجزر البرتغالية في المحيط الاطلسي ، طائرات ميراج ، لدعم اسرائيل في حرب اكتوبر (٢٠) · فقد ورد في صحيفة **راند ديلي ميل** ان « ١٥٠٠ يهودي من جنوب افريقيا انضموا الى القوات الاسرائيلية خلال الحرب ، واشترك ٨٠٠ منهم في عملية الثغرة التي تمت على قناة السويس ، كما اسر السوريون من يهود جنوب افريقيا ، هو **الدكتور كوفلسكي** ، الذي زار اهله في جنوب افريقيا بعد اطلاق سراحه » (٢١) ·

وادت حرب تشرين ١٩٧٣ الى توسيع العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا ، وبعد ان تطورت علاقاتهما العسكرية والسياسية والثقافية ، تم رفع مستوى التمثيل الدبلوماسي الى مستوى سفارة ، ايام ١٩٧٥ · وفي نهاية العام نفسه (١٩/١٢/١٩٧٥) قررت حكومة جنوب افريقيا رفع درجة التمثيل الدبلوماسي الى مستوى سفارة ·

٢) العلاقات الاقتصادية :

اخذت العلاقات الاقتصادية بين اسرائيل وجنوب افريقيا في النمو السريع ، منذ عام ١٩٦٧ ، ورغم ان الازمة السياسية التي شهدتها العلاقات بين الكيانين ، في اعقاب تصويت اسرائيل على قرار الجمعية العمومية للامم المتحدة عام ١٩٦٢ بدعوة جميع الدول الاعضاء الى قطع اية علاقة دبلوماسية او تجارية او عسكرية او ثقافية مع جنوب افريقيا ، فان الموقف الاسرائيلي لم يكن سوى موقفا لفظيا ، اضطرت اسرائيل الى اتخاذه ، فقد بدأت العلاقات الاقتصادية تتطور بشكل ملموس ولصالح اسرائيل · وكانت اسرائيل في السابق تستورد من جنوب افريقيا اكثر مما تصدر اليها · ومنذ عام ١٩٦١ ارتفعت الصادرات الاسرائيلية من (ربع) مليون دولار الى اربعة ملايين دولار عام ١٩٦٧، في حين بلغت الواردات من جنوب افريقيا ٣ر٤ مليون دولار ، في نفس العام · واتسع التبادل التجاري بين البلدين زيادة ملحوظة ، وتضاعف حجم التبادل التجاري حوالي ثلاثة اضعاف بين عامي ٦٧ ، ٧٠ · **وفيما يلي جدولا** يبين تطور العلاقات الاقتصادية **في** جنوب افريقيا منذ عام ١٩٦٧ :

٢٠ ـ **الديلي تلغراف** ٣١ ـ ١٠ ـ ١٩٧٣ ·
٢١ ـ **راند ديلي ميل** ٧ ـ ١٢ ـ ١٩٧٤ ·

تجارة اسرائيل مع جنوب افريقيا (بملايين الدولارات) (٢٢)

السنة	صادرات اسرائيل الى جنوب افريقيا	واردات اسرائيل من جنوب افريقيا
١٩٦٧	٤	٣ر٤
١٩٦٨	٥ر٧	٥ر٢
١٩٦٩	٢ر٨	٤ر٦
١٩٧٠	١٠ر٧	١٠ر٢
١٩٧١	٩ر٤	٨ر٢
١٩٧٢	٨ر٨	١٠ر٦
١٩٧٣	١٢	٥ر٢٧
١٩٧٤	٧ر٢٨	٤ر٣٨

ولم تقتصر هذه العلاقات على التبادل التجاري ، فقد بدأت شركات جنوب افريقية تشجع ، رسميا ، توظيف اموالها في اسرائيل · كما عمدت حكومة جنوب افريقيا الى تخفيف القيود على الاستثمارات ، وسمحت للشركات هناك باستثمار ١٤ مليون دولار في اسرائيل، في اعقاب افتتاح اعتماد مبلغ قدره ١٥ مليون دولار ، من قبل **مصلحة الانماء الصناعي في جنوب افريقيا** ، في تموز ١٩٧٠ ، لتصدير بضائع الى اسرائيل (٢٣) ·

واهم ما تشتريه اسرائيل من جنوب افريقيا **هو الماس** غير المصقول ، بالاضافة الى المعادن والاصواف · ومن المعروف ان اسرائيل تحصل على اكثر من نصف حاجتها من الماس من جنوب افريقيا · ويحتل الماس المصقول المرتبة الاولى في صادرات اسرائيل الصناعية؛ اذ تأتي اسرائيل في المرتبة الثانية بعد بلجيكا في تصدير الماس المصقول ، على المستوى الدولي ·

وتزود اسرائيل جنوب افريقيا بالمنسوجات والملابس والكيماويات والمواد الطبية ، وتساعد فروع شركات جنوب افريقيا في اسرائيل على زيادة صادرات جنوب افريقيا الى الاسواق العالمية · وقد اعلنت **وزارة التجارة والصناعة الاسرائيلية** ، في نيسان ١٩٧٥ ، بأن جنوب افريقيا، تعتبر بصورة رسمية ،لها الاولوية بالنسبة الى الصادرات الاسرائيلية · وازدادت صادرات اسرائيل الى جنوب افريقيا ، خلال اعوام ٧٣/٧٤/٧٥/١٩٧٦ ، اكثر من ثلاث مرات · اما واردات اسرائيل من جنوب افريقيا فقد ازدادت بنسبة ٥٠٪ (٢٤) ·

٢٢ ـ نشرة « معلومات الارض المحتلة » التابعة لحركة فتح ، نقلا عن صحيفة **جروسالم بوست** ٢ ـ ٣ ـ ١٩٧٦ ·
٢٣ ـ **المصدر نفسه** ، نقلا عن جريدة مالية رسمية في جنوب افريقيا بتاريخ ٢٨ ـ ٥ ـ ١٩٧٦ ·
٢٤ ـ **«تشرين»** (السورية) ٣١ ـ ٨ ـ ١٩٧٧ ، نقلا عن صحيفة **ستار ـ جوهانسبرغ** الجنوب افريقية ·

وتشير الاحصاءات الى ان واردات جنوب افريقيا من اسرائيل قد تضاعفت اكثر من مرتين ، اذ ارتفعت من ٦٧ر١٠ مليون دولار لعام ١٩٧٣ ، الى ٩٦ر٢١ مليون دولار لعام ٧٤ . اما صادرات جنوب افريقيا الى اسرائيل فقد ارتفعت ، ايضا ، وان بنسبة اقل ، كما هو مبين في الجدول السابق . وقبل ثلاث سنوات تم توقيع اتفاقية للتعاون الاقتصادي ، وقعها **فورستر** ، رئيس وزراء جنوب افريقيا ، خلال زيارته لاسرائيل في ١ نيسان ١٩٧٦ . ومنذ ذلك الوقت نرى ان التبادل التجاري قد بدأ يميل ، وبشكل ملحوظ ، لصالح جنوب افريقيا، وتوازن اسرائيل العجز في ميزان التبادل التجاري عن طريق التحولات التي تاتيها من الجالية اليهودية في جنوب افريقيا ، اضافة الى استثمارات رؤوس الاموال الجنوب افريقية في اسرائيل .

وعلى صعيد العلاقات التجارية فقد تم عقد عدة مؤتمرات لدراسة كيفية تطور العلاقات ، منها اجتماعات **لجنة الصداقة الاسرائيلية لجنوب افريقية ، ومؤتمر الملايين ، وجمعية التجارة ؛** مما ادى الى ازدياد حركة النقل ، واقامة مكاتب سياحية ، وافتتاح حسابات جارية وقعتها شركة التنمية الصناعية ، كما ان ثمة اتفاقات تعمل على تسهيل التبادل التجاري للمعادن الخام والمنتوجات النصف جاهزة ، التي تصنع في كلا البلدين . وفي عام ١٩٧٤ انشئت **غرفة التجارة المشتركة** (في تل ابيب اولا ، ثم في جوهانسبورغ) وارتفعت الاستثمارات للشركات الجنوب افريقية في اسرائيل من ١٧ الى ٢٠ مليون راند ، اما في عام ١٩٧٥ فقد اعتبرت جنوب افريقيا الشريك التجاري المفضل لاسرائيل .

وعلى صعيد الاستثمارات ، فقد رافق هذا التوسع ازدياد حجم الاستثمارات الجنوب افريقية في اسرائيل ، وهو غير معروف ، وتقوم بها شركات خاصة وعامة ، توظفها في مصنع انابيب الحديد والصلب وصناعة الالبسة والقطنيات ، وفي الصناعات الميكانيكية الثقيلة ، ومد خطوط حديدية ، ومجمع بيتروكيمائي ، ومعمل للمنتجات الزراعية الكيمائية ، وتصنيع العلف ، ومصنع اخر للمعدات الكهربائية .

وخلال عام ١٩٧٥ ، ادركت اسرائيل انها بحاجة الى مساعدة اقتصادية وعسكرية من مصادر غير الولايات المتحدة . وتقربت اكثر نحو جنوب افريقيا ، وقد اتخذت سلسلة تدابير بين البلدين ، فتزايدت التجارة بنسبة ٩٢٪ ، ما بين ١٩٧٢ ـ ١٩٧٥ ، وبنسبة ٣٢٪ ، عام ١٩٧٦ ، وبنسبة مماثلة عام ١٩٧٧ . واذا كانت قيمة الزيادة قد بلغت اقل من ١٠٠ مليون دولار في السنة . فان هذه التجارة ليست ذات اهمية مادية ، بالنسبة للبلدين ، بالمقارنة مع الصفقات التي يقيمانها مع الدول الصناعية ، ولكن الارقام تستثني عبارات معينه ومهمة ، وحتى المعلومات المنشورة ، فانها تذكر ان التجارة بين البلدين مقتصرة على البضائع الضرورية لبناء البلدين .

وتفيد الارقام الاحصائية بان حوالي ٦٠٪ من مجموع ما تصدره جنوب افريقيا لاسرائيل هو مواد خام وبضائع مصنعة من **شركة الحديد والصلب** التي تملكها الدولة ، وفي مقال نشرته مجلة **ناشن** الامريكية يتضح ان من اهم نقاط ضعف اسرائيل الاقتصادية هو النقص في القوى المحركة المحلية . وتزود افريقيا اسرائيل ، حاليا ، **بالفحم** ،

وشاركت في مشروع اسرائيلي هيدروكهربائي ، وربما وافقت على تزويدها باليورانيوم . ان جزءا ضخما من التجارة المتبادلة بين البلدين هو الماس ، حيث تملك اسرائيل اكبر مصانع الصقل بواسطة وكالة دوبيرز اللندنية الضخمة (٢٥) .

التعاون العسكري بين اسرائيل وجنوب افريقيا :

يعتمد النظامان على الدول الغربية كمصدر للسلاح ، وفي الوقت نفسه يعملان على تنمية قدراتهما الخاصة بسرعة ، ليكون لهما انتاجهما الحربي المستقل . وتولي الدول الاستعمارية اهمية كبيرة لتعاون كلا النظامين في مجال التنسيق العسكري بينهما . ففي كتاب « الصهيونية ضد اسرائيل » يقول « ناتان فاينشوك » ، ان المشروعات الفرنسية ـ الاسرائيلية في ميدان الذرة، كانت تقوم على ضمان تعاون جنوب افريقيا ، فللبلدين مصلحة مشتركة في القارة الافريقية ـ سد الطريق على ثورة المستعمرات . وهذا هو بالضبط السبب الكامن وراء رغبة كل منهما في اقامة درع ذري مستقل » (٢٦) .

وبدأ التعاون العسكري منذ فترة طويلة ، ومن المؤكد ان حجم التعاون الحقيقي في مجال التصنيع الحربي بين اسرائيل وجنوب افريقيا اكبر بكثير مما يتضح من خلال الارقام الرسمية ، حيث ان الطرفين يؤكدان ، باستمرار ، تنوع احتياجاتهما العسكرية . وقد ذكرت مجلة **تراي كونتننتال** « عدد حزيران ١٩٦٨ » انه على الرغم من ان جنوب افريقيا تنتج الطائرات الحربية ، فقد اصبحت اسرائيل احدى الدول التي تمولها بالطائرات ، لكي تستخدم ضد المناضلين الافريقيين » . ومن ناحية اخرى اعلنت اسرائيل « ان حكومة جنوب افريقيا بدأت بتصدير الدبابات الى اسرائيل ، مفتتحة بذلك صفحة جديدة في حقل التعاون العسكري بين البلدين (٢٧) . كذلك فان جنوب افريقيا تقوم ، منذ عام ١٩٧١ ، بصنع البندقية الاسرائيلية الرشاشة من طراز « **عوزي** » ، عن طريق ترخيص معطى لمصنع في بلجيكا (٢٨) .
ويحتل التعاون العسكري المرتبة الاولى، في مجال العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا . وهذا **فورستر** ، رئيس وزراء جنوب افريقيا السابق يقول ، اثناء زيارته الاخيرة لاسرائيل « ان امكانات التعاون كبيرة وان كل المؤشرات تشير الى انها تستغل ، وهكذا فان سلاح الجو في جنوب افريقيا مجهز بمقاتلات من طراز ميراج ، كما ان مؤسسة التصنيع الجوي في جنوب افريقيا تخطط لانتاج

٢٥ ـ **ناشن ماغازين** ، مصدر سبق ذكره .

٢٦ ـ مركز الابحاث ، **المصدر السابق** .

٢٧ ـ **المصدر نفسه** ، نقلا عن وكالة البرق اليهودية بتاريخ ٢٠ ـ ٢ ـ ١٩٧٠ .

٢٨ ـ **نيويورك تايمز** ٣٠ ـ ٤ ـ ١٩٧١ .

طائرة الميراج ـ ١ ، بموجب امتياز منذ عام ١٩٧٧ ·

وبالاضافة الى المعدات العسكرية فان اسرائيل تبيع ، مبدئيا ، لجنوب افريقيا معلوماتها العلمية والتقنية في المجال العسكري ، وعلى حد تعبير صحيفة **نيشن** ، يحرص النظامان على ابقاء حجم المبيعات العسكرية سريا ، لكن معلومات متوفرة من « **نشرة مؤسسة الدراسات الاستراتيجية** » و « **التوازن العسكري والاقتصادي** » ، (في ٥ تشرين الثاني ١٩٧٧) تبين ان فرنسا واسرائيل هما الممولان الرئيسيان لجنوب افريقيا · وعلى الاقل قبل حظر التسلح من قبل الامم المتحدة ، اواخر ١٩٧٧ ، حيث استلمت جنوب افريقيا من اسرائيل ثلاثة من اصل ستة زوارق حربية من طراز « **رشاف** » ، مسلحة بصواريخ كابيريل ارض ـ ارض ، كذلك زودت اسرائيل جنوب افريقيا بالالكترونيات العسكرية ، وصواريخ جو، وهاوتزر (انطلاق ذاتي) ، ومعدات مضادة للثوار ، المستعملة في ناميبيا وهي الان تطور دبابات سنتوريون العائدة الى جنوب افريقيا ·

وفي المقابل ، قامت جنوب افريقيا بتزويد اسرائيل بمعادن خاصة لتسلح خزانات شاريوت ، كذلك زودتها بالتكنولوجيا اللازمة لتطوير صناعة اسرائيل الثقيلة التي بطل استعمالها ، نسبيا (٢٩) ·

وتجدر الاشارة في هذا المجال ، **كما ورد في مجلة التجارة الخارجية الاسرائيلية** (عدد ٢ اذار ١٩٧٨ ، ان مؤسسة الصناعات الجوية الاسرائيلية تقوم باعمال الصيانة والترميم ، واعادة تشغيل سلاح الجو الاسرائيلي ، كما ان هذه المؤسسة تقدم خدمات شبيهة لبعض طائرات النقل واسلحة الجو لدول اجنبية · ومن المؤكد ان جنوب افريقيا من بين تلك الدول ، ومن مزايا مثل هذه الاتفاقيات ان تكاليف الصيانة بموجبها تبقى اقل التكاليف في الدول المنتجة للطائرات ، كما انها لا تدفع بالعملة الصعبة ·

وفي نيسان وقع توقيع اتفاق مشترك بين **فورستر ورابين** ، يقضي بتزويد جنوب افريقيا بطائرات **كفير** الاسرائيلية، الا ان هذه الصفقة لم تتم بسبب معارضة الولايات المتحدة لها فطائرة **كفير** مزودة بمحركات جنرال الكتريك الاميركية ، مما يتعارض مع الاتفاق الاميركي ـ الاسرائيلي القاضي بمنع تزويد هذه الطائرة الى دول اجنبية الا بموافقة الولايات المتحدة ·

بالاضافة الى الادوات العسكرية التي اشترتها اسرائيل من جنوب افريقيا فقد ارسلت مستشارين متخصصين في الحرب ضد الثوار والوطنيين الافريقيين (٣٠)·

وفي مجال التسليح ، زادت مصاريف التسلح في جنوب افريقيا، فبلغت ١ر٣٥٠ مليون راند ، للفترة ٧٦ ـ ١٩٧٧ وقد استطاعت ان تقترب من **الاكتفاء الذاتي** في السلاح والذخيرة ، بما فيها انتاج الصواريخ وغاز الحرب · وقد سنت « **قانون الدفاع الوقائي** » وملاحقة « الارهابيين » ، في اية بقعة جنوبي خط الاستواء ·

٢٩ ـ **ناشن** ، المصدر السابق ·

٣٠ ـ «**تشرين**» (السورية) ٣١ ـ ٨ ـ ١٩٧٧ ، نقلا عن **التايمز** البريطانية ·

وفي اسرائيل ازدادت شحنات الاسلحة الاميركية ، اضافة الى المنح والقروض التي وافق عليها الكونغرس الامريكي · **وهي** تشمل احدث المعدات العسكرية وخاصة صفقة الطائرات الضخمة من طراز ف ١٥ ، ف ١٦ · وازدادت مبيعات الاسلحة الامريكية لاسرائيل الى ٣٢٠ مليون دولار ، سنة ١٩٧٦ · وتأتي **جنوب افريقيا** على رأس الدول التي تستورد الاسلحة الاستراتيجية الامريكية·

الخيار النووي :

نتيجة للمازق الذي يعيشه كلا الكيانين ، فقد لمحا ، اكثر من مرة ، الى امكان لجوئهما للسلاح النووي ،وانسجاما مع مواقفهما فهما يرفضان توقيع اية اتفاقية دولية للحد من انتشار هذا السلاح · ويزيد من خطورة الوضع ان اليورانيوم متوفر في جنوب افريقيا · وهي تعتبر اول دولة منتجة له في العالم · وقد حصلت على اول مولد نووي صالح للاستعمال في سنة ١٩٦٥ ، عن طريق المانيا الغربية ، وتستطيع جنوب افريقيا توفير التقنية اللازمة لها · اما فرنسا فقد باعت لها مولدين ، تستعملهما لتوليد الكهرباء ، ولانتاج البلاتينيوم ، الذي يمكن استخدامه لغايات حربية ·

اما اسرائيل فقد باشرت بانشاء اول مولد نووي في صحراء النقب · ثم انشأت **محطة ديمونا النووية** ، وفي عام ١٩٧٤ بدأ حديث المسؤولين الاسرائيليين حول الخيار النووي · وثمة تقديرات بأن اسرائيل تمتلك ما بين ١٠ ـ ١٣ قنبلة نووية من مثيلات قنبلة هيروشيما·

وانطلاقا من تطلع النظامين الى بناء قوة نووية فانهما يتجهان الى زيادة التعاون الفني والعلمي ، بينهما ، والى توثيق العلاقات التي يقيمها كل منهما مع البلدان التي تظهر استعدادها لمساعدتهما في هذه المهمة ·

وقبل نحو عامين كشفت نشرة **اكسكلوسيف دانيست** ، التي تصدر في بون ، عن اتفاقية سرية بين جنوب افريقيا واسرائيل ، وقعت خلال زيارة **فورستر** لاسرائيل ، تقضي بمد جنوب افريقيا بالخبرة التكنولوجية في صناعة الاسلحة النووية ، مقابل حصول اسرائيل على الكروم واليورانيوم من جنوب افريقيا · (٣١)

٣١ ـ «**تشرين**» (السورية) ٣ ـ ٨ ـ ١٩٧٧ ·

ملحق :

ادانات دولية للنظام العنصري في جنوب افريقيا والتعاون الصهيوني – العنصري

تصدت الامم المتحدة لمعالجة قضية العنصرية في جنوب افريقيا ، منذ اول جلسة للجمعية العمومية للامم المتحدة عام ١٩٤٦ · ومنذ ذلك التاريخ ادانت المنظمة الدولية سياسة جنوب افريقيا العنصرية ، مرارا وتكرارا ، دون ان يستجيب النظام العنصري للنداءات المتكررة التي صدرت عن اجهزة الامم المتحدة المختلفة وكان من الطبيعي ان يعيش النظام العنصري في عزله عن العالم ، وان تلاحقه الادانات من قبل اعضاء منظمة الامم المتحدة ووكالاتها المتخصصة ، وقد ترتب على هذا ان اضطرت جنوب افريقيا الى الانسحاب من **منظمة الاغذية والزراعة الدولية** ، عام ١٩٦٣ ومن **منظمة العمل الدولية ومنظمة الصحة الدولية** ، عام ١٩٦٤ ، ومن **الاونيسكو** ، عام ١٩٦٥ · كما تم طردها من عدة مؤتمرات ، منها **اتحاد البريد العالمي والمواصلات السلكية واللاسلكية ومنظمة الطيران المدني** · وفيما يلي اهم القرارات الدولية ضد الحكم العنصري والتعاون الصهيوني العنصري ·

١ – **قرار رقم ١٧٦١** (تشرين الثاني عام ١٩٦٢) ، صادر عن الجمعية العمومية للامم المتحدة ، يطلب فيه جميع الدول الاعضاء ان تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع نظام الحكم العنصري في جنوب افريقيا ، وان تقاطع بضائعها ، وتمتنع عن التصدير اليها ، وبالاخص الاسلحة والعتاد الحربي ·

وقد صرح الامين العام للامم المتحدة ، عام ١٩٦٨ ، بان حكومة جنوب افريقيا لم تتبع سياستها العنصرية بعناد فقط ، بل انها سعت الى توطيد عقيدتها العرقيه وتوسعها ، حتى تشمل الاراضي المجاورة ، وعلى الاخص ناميبيا وروديسيا ·

٢ – **قرار رقم ٣١٥١** (كانون الاول ١٩٧٣) ، الذي يشير الى التحالف الاثيم بين العنصرية بافريقيا الجنوبية والصهيونية ·

٣ – **قرار رقم ٣٣٢٤** (كانون الاول ١٩٧٤) ، الذي تدين فيه الهيئة الدولية العامة تعزيز الروابط السياسية والاقتصادية والعسكرية وغيرها ، بين اسرائيل وجنوب افريقيا ·

٤ – **قرار رقم ٣٤١١** (عام ١٩٧٥) الذي ادانت فيه هيئة الامم المتحدة التعاون الصهيوني العنصري، الذي يتخذ شكل التعاون السياسي والعسكري والاقتصادي، بالاضافة الى التعاون في امور شتى اخرى ·

٥ – **اعلان المكسيك** بشان مساواة المراة ، **في المؤتمر العالمي للسنة العالمية للمراة** (١٩ حزيران ١٩٧٥) الذي جاء فيه بان « التعاون والسلم الدوليين يتطلبان تحقيق التحرر والاستقلال القوميين ، وازالة الاستعمار والاستعمار الجديد ، والاحتلال الاجنبي ، والصهيونية ، والفصل العنصري ، والتمييز العنصري ، بجميع اشكاله · بما في ذلك الاعتراف بكرامة الشعوب وحقها في تقرير المصير » ·

٦ – **قرار ٧٧** (٦ – ١٢) صادر عن منظمة الوحدة الافريقية ، في دورتها الثانية عشرة ، المعقودة في كمبالا (٢٨ تموز الى اب ١٩٧٥) الذي رأى « ان النظام العنصري الحاكم في فلسطين المحتلة والنظامين العنصريين الحاكمين في زمبابوي وافريقيا الجنوبية يعود الى اصل استعماري مشترك ويشكل كيانا كليا ، وهيكل عنصري واحد ويرتبط ، ارتباطا عضويا ، في سياسته الرامية الى اهدار كرامة الانسان وحرمته » ·

٧ – **قرار الجمعية العامة للامم المتحدة رقم ٣٣٨٩** (١٠/١١/٧٥) ، بشان الصهيونية والعنصرية ، باعتبار الصهيونية شكل من اشكال العنصرية والتميز العنصري ·

٨ – **قرار مؤتمر دول عدم الانحياز** (سيلانكا اب ١٩٧٦) القاضي بتطبيق حظر نفطي ضد اسرائيل ، وذلك بسبب قيامها بتزويد النظام العنصري بالسلاح والعتاد الحربي ·

٩ – **قرار الجمعية العامة للامم المتحدة** (تشرين الثاني ١٩٧٦) ، بادانة العزل والفصل – الابارتيد – الذي يمارسه النظام العنصري في جنوب افريقيا ، ضد الاغلبية الساحقة من السود · وتوجيه اللوم لكل من اسرائيل وبريطانيا والمانيا الغربية والولايات المتحدة بسبب تزويد جنوب افريقيا بالسلاح ·

١٠ – **قرار المؤتمر العالمي لمكافحة العنصرية والتمييز العنصري** ، التابع للامم المتحدة (٢٨ – ٨ – ١٩٧٨) ، بادانة العلاقات المتزايدة بين اسرائيل والصهيونية والانظمة العنصرية في جنوب افريقيا ، وخاصة العلاقات في المجالين الاقتصادي والعسكري · وابدى المؤتمر اسفه الشديد للتعاون بينهما في المجال النووي وحذر منه ، وطالب القرار المجتمع الدولي بذل كل الامكانيات لتحقيق العزل الكامل للنظام العنصري في جنوب افريقيا ، حيث ان التعاون مع الانظمة العنصرية هو اختيار متعمد وعمل عدواني ضد الشعوب المقهورة في جنوب افريقيا ، وتحديا لقرارات الامم المتحدة ومجهود المجتمع الدولي في تحقيقه الحرية والسلم في جنوب افريقيا · واعتبر القرار بأن العنصرية « جرائم ضد الضمير والكرامة » ، ينبغي القضاء عليها ·

ما الانتهازية؟!

اضحت كلمة « **الانتهازية** » من اكثر العبارات شيوعا بين صفوف «اليسار التركي » في السنوات الاخيرة ٠ واذا شاع استخدام اي شيء في تركيا كثيرا ، فمن المؤكد ان يغدو ذلك الشيء من اكثر الاشياء غموضا ، حتى يصبح « بعبعا » يثير الخوف في النفوس٠فما كانت تعنيه كلمة «الكاور (الكافر)» في زمن السلاطين وكلمة « الشيوعي » في عهد الجمهورية ، لا يزال يحمل المعنى نفسه بالنسبة للاكثرية الساحقة عندنا ٠ او بالاحرى : تمثل كلمة « الكافر » بالنسبة للتاجر المرابي ما تمثله كلمة « الشيوعي » في نظر صاحب رأس المال المالي ٠ اما في صفوف اليسار فقد اصبحت كلمة « الانتهازي » مرادفة للكلمتين السابقتين، معا٠

التقينا بشباب كانت الصفة البشعة التي يستخدمونها لانزال الشخص – الذي يثير عندهم اشد الوان الكراهية – اسفل سافلين هي صفة الانتهازي ٠ ويستخدم الشاب عبارة « الانتهازي » في الموقف الذي سبق لجده ان استخدم كلمة « الكافر » ، ولابيه ان استخدم لفظة « الشيوعي » ٠ وعندما سألنا هذا النوع من الشباب او اولئك الذين طرحوهم ارضا بعواصف « الانتهازية » ، في المناسبات ، عن المعني الذين يرمون اليه وهم يستخدمون او يسمعون هذه الكلمة، لم نجد جوابا عندهم سوى احاسيس العداء التي تستثيرها عندهم ٠

وكاد الجميع يجمعون على ان « الانتهازي » هو الذي يثير اشمئزازهم ٠ وعلى الاغلب لم يكن حتى افتقار هذا الشخص او ذاك الى « دواعي الأعجاب » ناتجا عن اقتناع خاص لدى الآخر الذي الصق به دمغة « الانتهازية » ، بل سمعها في مكان ما ، واعتقد بأن ذلك الشخص الذي اعتبر انتهازيا « انتهازي » يستحيل شفاؤه ٠ ورد الفعل هذا شبيه ، تماما ، برد الفعل الذي ينشأ عند

فلاحينا عندما يسمعون كلمة « الكافر » ، وعند حرفيينا وهم يسمعون كلمة « الشيوعي » (او الفوضوي في الايام الاخيرة) ٠ ولطالما ظلت هذه الوصمة او السبة تستعمل ، مع اعتبار البحث في اسبابها وماهيتها واوجهها الداخلية الكامنة ، نوعا من « الخطيئة الكبرى » « المحرم الاكبر » ٠

وكان الشباب معذورا ، لان ما من احد شرح لهم ماهية «الانتهازية» ، بل كان الجميع يشيرون بالسبابة على قطيع كامل من «الانتهازيين»٠ وعند توفر الشخص الذي هو المثل المجسد للصفة فما من حاجة تدعو الى المزيد من بذل الجهد للتعمق ٠ هذا فضلا عن ان هؤلاء الشباب لم يكونوا ليجدوا وقت الفراغ اللازم الذي يوفرونه من دروسهم اليومية وامتحاناتهم المتلاحقة ، ولا سيما من عملياتهم المثيرة في الايام الاخيرة ، من اجل دراسة ماهية هذه الانتهازية ٠ وكان الاكثر صدقا واستقامة ، من بين هؤلاء الشباب ، يسألون جادين كل من يلتقون به ، وهم يتلوون في الكثير من عذاب الضمير ، طالبين تعريفا يمكن فهمه ، بسهولة ، من قبل الجميع لهذا اللغز : « الانتهازية » ٠

وسيكون من المناسب البحث عن جواب شامل لمثل هذا التساؤل الشائع ، وتلبية مثل هذه الحاجة العامة ، مما يدفعنا لان نسعى الى بلوغ ذلك ٠

الانتهازية بصورة عامة – موضوعيا وذاتيا

فما هي الانتهازية ؟

للاجابة نقول : **هناك الوان مختلفة ومتعددة من الانتهازية ، باختلاف وتنوع الطبقات والفئات والزمر والتيارات في المجتمع ، على الاقل** ٠ فوضع قائمة تشمل كل انواع الانتهازية يتطلب ملء مجلدات اكبر من مجلدات دليل الهاتف ٠ وبكلمة واحدة نقول : ان الانتهازية هي **الانحراف** نحو المصالح **الفئوية**، بدلا من المصالح **الطبقية** ٠

وعلى العموم نجد ان للانتهازية مفهوما موضوعيا طبقيا من جهة ، واخر ذاتيا (شخصيا اذا جاز التعبير) ٠ وكل فكر او سلوك ذي مظهر **شخصي** في المجتمع الطبقي ، لا بد له من ان يكون **طبقيا** ، اذ يكون توجها فئويا ، كتلويا ، او حلقيا ، على الاقل ٠ وليس هناك شك ، ابدا ، في حقيقة تجسد التوجهات النابعة من اصول الانقسامات الطبقية في الاشخاص ٠

١ – **الانتهازية الموضوعية** : وهي عبارة عن الفكر والممارسة البعيدين عن البروليتاريا (الطبقة العاملة) في الاشتراكية ، ويكون هذا الابتعاد عن البروليتاريا باحد الشكلين التاليين :

أ) اما التفكير والممارسة وفق توجهات الطبقات والفئات والزمر الاجتماعية **التي هي** خارج الطبقة العاملة ، اي حسب ما تمليه التوجهات

الاقطاعية ، او الملكية الكبيرة ، او البرجوازية ، او البرجوازية الصغيرة بجميع تفرعاتها والوانها ··· فكل هذه التوجهات تمهد الطريق الى مثل ذلك الانحراف·

ب) او الانحراف عن التوجه العام لكل الطبقة العاملة · وفي هذه الحالة يظل الاتجاه حاملا دمغة « البروليتارية » ، او « العمالية » ، الا ان العامل (البروليتاري) شيء ، والطبقة العاملة (البروليتاريا) شيء آخر · لان العامل شخص فرد ، في حين ان البروليتاريا هي الطبقة العاملة · وهناك فئات مختلفة داخل اطار الطبقة العاملة · ويمكن لهذه الفئات المختلفة ان تقع تحت تاثيرات البرجوازية او البرجوازية الصغيرة او الاقطاعيةوبقاياها · كما يمكنها ان تتجاوب مع مصالح فئة متميزة داخل الطبقة العاملة، مما يوقعها على طرفي نقيض مع البروليتاريا ، ككل · من الممكن ان تظل شريحة من العمال معاكسة او معادية للطبقة العاملة ، بصورة عامة ·

٢ ـ **الانتهازية الذاتية** : يمكن اعطاء تعريف مقتضب لهذه الانتهازية بالقول : انها عبارة عن عدم تطابق **القول** مع **الفعل** · « فالاشتراكي الحقيقي ليس هو ذلك الاشتراكي بأقواله ، بل بأفعاله ···» (**لينين** ، كلمة امام جلسة مشتركة في ٢٩/ ٧/ ١٩١٨ « مترجمة عن التركية ») ·

« ··· حتى اولئك الذين يزعمون ، الآن ، بانهم شيوعيون ، يعترفون ، كلاما بمبدأ الاممية ، اما بالفعل فهم يستعيضون عن ذلك بالقومية والسلبية » (**لينين** ، مسودة اطروحة حول القومية وقضايا الاستعمار ، ٤/ ٧/ ١٩٢٠ (مترجمة عن التركية) ·

وللانتهازية الذاتية شكلان ، ايضا ، هما :

أ) **الانتهازيات المكشوفة التي تهرب الى الوراء** : وهي التى يتجلى انحرافها لدى النظر اليها ، ونستطيع ايراد قائمة من هذه الانتهازيات فما يلي :

(١) **انعدام الفلسفة** ـ طرح المسائل بصورة مجردة تماما ·

(٢) **التردد** ـ العجز عن استخلاص النتائج من عمليات النقد ·

(٣) **اليوتوبيا** (الغرق في الاحلام والخيالات) ـ الوقوع في اسار سكرة النصر ·

(٤) **النظر الى الوراء** ـ الوقوع بسرعة في لجة الجزع والخوف ··· الخ

ب) **الانتهازيات المقنعة التي تهرب الى الامام** : وهي تبعث على الحيرة من النظرة الاولى ، ويمكننا وضع قائمة بهذه الانتهازيات على الشكل التالي :

(١) **عدم القدرة على الامساك بالاكثر اهمية** ـ التوهم بان اطلاق الشعار يكفي ·

(٢) **طرح القضايا من زاوية شخصية** ـ الظهور بمظهر السلطة القيادية المعصومة عن الخطأ ·

(٣) **الحرد الشديد لدى تلقي النقد** ـ اتباع اسلوب الاكراه بدلا من الاقناع ·

(٤) **عدم الاعتراف بالخطأ** ـ التصفح بالتصحيحات الانتقائية ··· الخ·

بعد الاستعراض المقتضب والعام لمختلف انواع الانتهازية ، الموضوعية منها والذاتية ، التي لا تعد ولا تحصى ، نستطيع تجميع نماذجها التي تبرز امامنا ، يوميا ، بصورة خاصة ، لكي تبقى حية في الاذهان ، في ثلاث مجموعات رئيسية هي : (١) **الانتهازية المكشوفة** ، (٢) **الانتهازية ذات الوجهين** ، (٣) **والانتهازية الثورية المتذبذبة** ·

الانتهازية المكشوفة

تقوم الانتهازية المكشوفة بنسج الاضاليل ، التي مؤداها رفض حقيقة كون **الطبقة العاملة** هي **القوة الحاسمة** او انكارها · وهذا هو السبب في اطلاق اسم الانتهازية عليها : اذ انها تخفي حقيقة كونها تدافع عن الطبقة المستغلة (بكسر الغين) وعن نظامها ، وراء قناع · وهي ، وان كانت تخفي عداءها للبروليتاريا في قالب « عدم الثقة » ، سهلة التحديد ، لان انتهازيتها مفضوحة تماما · وكل من « الكادرية » التي يراد بعثها من جديد في تركيا ، و «اليونية» التي احترقت في نيران الثورة الاولى ، هما مثالان قديمان ومتجددان عن هذه الانتهازية المكشوفة ، التي اضحت معروفة حتى لدى باعة الانقاض في شارع محمود باشا باستانبول ·

لنقرأ بضعة اسطر من احدى « فلسفات » الكادرية التي تعرضت للنسيان منذ امد طويل لتكون مثل المــــازة : « اخيرا ظهر الاضراب عندنا ايضا ···

واسبابه كامنة في بنية المجتمعات العصرية بالذات · ففي هذه المجتمعات يؤدي عدم « تنظيم » العمل الذي اصبح ضروريا بهذا الشكل او ذاك ، او بالاحرى ايصاله الى درجة التفريط ، الى ان يغدو سببا في تفجر مثل هذه الازمات ·

«ولكن هل وصلنا نحن في تركيا (سنة ١٩٢٨ حيث كان يجري تشغيل العامل من ١٢ ـ ١٤ ساعة ، ح · ق ·) الى مرحلة تستوجب منا البحث في التفريط بالعمل من اي نوع كان ؟ حتى انه يجدر بنا ان نتساءل : ترى هل بدأت عندنا عادة استثمار الطبقة العاملة التي تشتغل لصالح رؤوس الاموال الكبيرة بالمعنى الاوروبي للاستثمار ، وبصورة غير انسانية ؟ لكي نستطيع الاجابه بـ « نعم » على هذا السؤال ، ينبغي ان نسلم بوجود **الصناعة الثقيلة** في تركيا · فكما **لا توجد** عندنا **طبقة عمالية** بمفهومها الاوروبي ، لا توجد عندنا حتى فئة محددة تتألف من **اصحاب رؤوس الاموال** نستطيع تسميتها باسم **طبقة ارباب العمل** · ولا نستطيع ان نطلق على جميع الذين يعملون في بعض الاحتكارات والمؤسسات الصناعية ، بما فيها شركة خطوط الحافلات (الترام) ، من المدراء العامين وحتى الأذنة ، سوى اسم واحد هو : **الموظفين** » · (ي·ك· حول الاضراب، اشارات التوكيد من الدكتور ح· قتلجملي) ·

لقد تمزقت الزاوية التي تحمل التاريخ من الجريدة ، الا اننا لا بد وان نكون في ايام « ثورة الأحرف الهجائية، ذلك لان جانبا من الجريدة يبدأ بالأحرف العربية ، ولأن الحافلات ما تزال في ايدي « الشركة » ، وليست الموضوعة الرئيسية المطروحة في الاسطر ، مثلها مثل كاتبها ، الا نموذجا حيا عن « الايديولوجية الفاسدة » المعروفة باسم « الكادرية » **وما من حاجة تدعونا** الى التوقف عندها ·

الانتهازية ذات الوجهين

تعجز الانتهازية ذات الوجهين عن الاستمرار في الزعم بـ « عدم وجود العمال » ، بل تبادر ، على النقيض من ذلك ، الى قلب الأرض رأسا على عقب، من خلال ظهورها على المسرح مدعية : **« انما الطبقة العاملة ، هي أنا ! »** · وتتحدى الثوريين العلميين الأكثر وزنا منها ، عن طريق توزيع أطنان الكلمات المعسولة عن الاشتراكية الزاهية الاكثر بريقا ، **ذات اليمين وذات الشمال · وهي**، عندما تدعو الحاجة ، **تنقض « الاطروحات المقابلة التي تعترض سبيلها ، عن**

طريق اقتطاع بعض المقتطفات المجتزأة من ماركس وانجلز ، « وتؤكد » على انها **هي ، وحدها ، التي تمثل « الاشتراكية العلمية » الارثوذكسية (الصافية تماما)** ·

انتهازية الثورية المترجرجة (المتأججة المتذبذبة)

ان يتظاهر المرء بالثورية ، او حتى ان يكون ثوريا ، لا يكفي لان يكون انتهازيا · بل ، على العكس من ذلك ، فان النمط الثالث من انماط الانتهازية واكثرها خطرا ، لبروزه على السطح يوميا ، هو النمط الذي يدخل في قالب : **الثورية المترجرجة** ، وتخدع الناس · وتتجلى انتهازية الثورية المترجرجة بمفهومها التقليدي ، في منحنيين رئيسيين : (١) **التردد النظري** (عدم الثبات النظري)، (٢)**التردد العملي** (عدم الثبات العملي) ·

(١) **الثورية المترددة نظريا** : وهي لا تعني ان يكون صاحبها جاهلا جهلا مطبقا في النظرية ·فعدم معرفة ما ليس معلوما يؤدي الى اشد انواع التردد النظري بعثا على الخوف · ويمهد منحيان رئيسيان من عدم الثبات النظري ، مرة اخرى ، الطريق امام انواع لا حصر لها من الانتهازيات : أ) المدرسة النظرية ، ب) اصطناع النظريات (ابتداعها) ·

أ) **المدرسية النظرية : (السكولاستيكية) :**

بالنسبة للثوري المدرسي ، وردت الاشتراكية العلمية على شكل متون خالدة وكاملة على ألسنة او اقلام اكبر المعلمين · ومن العبث ان يحاول احدنا البحث عن أي شيء مع وجود هذه « العقيدة » الكاملة المحاطة بالحرس من جوانبها الاربعة والشامخة امامنا مثل القلعة · فـ « علم الاشتراكية » قد اكتمل منذ امد بعيد · واكثر اشكال الثورية حكمة وتعقلا لا يعدو ان يكون استظهار صيغ تلك العقيدة الجاهزة ومعادلاتها ·

ان اعتبار الماركسية نظرية « منتهية » على هذه الصورة ، شبيه بقول شيخ الطريقة البكتاشية : « ان صلاتنا قد انجزت ، وانتهى الامر ! » ويجري أفساد طرفي المدرسية النظرية بالتحول اما الى عرقلة الواقعية الثورية ، او عرقلة الكلية الثورية ·

(١) **عدم التحلي بالواقعية** : يكون الثوري قد تبين هذا الجانب الفكري أو التطبيقي أو ذاك من جوانب الاشتراكية العلمية ، غير انه لم يتعرف على

مكان وزمان وسبب نفاذ الصيغة المجردة التي حصل عليها · لذا يعجز عن معرفة قيمة ما تعلمه ، كما ينبغي له ان يفعل ، فيتجمد ويتكلس ازاء جريان الاحداث ·

مثلا : « لا مجال للمساومة حول المبدأ !» ما هو هذا المبدأ ؟ انه الثورية ـ اذا كان الامر كذلك ألا يستطيع هذا الثوري او ذاك ان يلتفت الى اي شيء آخر سوى الثورة ؟ وهل ينبغي له ان يتصدى لكل اصلاح لا يعتبر ثورة ؟

ان الاستفادة من الامكانيات التي توفرها الاصلاحات ، شريطة ان تكون هذه الاصلاحات طريقا لتدريب الجماهير ولفل حدة تحكم المستغلين (بكسر الغين) ولزيادة قوة اندفاع الحركة العمالية ، مثل هذه الاستفادة تصبح قضية ضرورية بل وحتمية ومفيدة · فالثوري الواثق من كفاءته في المناورة يتبع تكتيك الاندفاع في وقته ، وتكتيك التراجع المنظم في حينه · فشعار « لا مساومة ! » «ليس الا هراء فوضويا » كما قال **لينين** فـ « عند ارتقاء جبل ظل حريزا حتى الان، نمتنع سلفا عن السير المتعرج احيانا او النكوص على الاعقاب احيانا اخرى ، او الانصراف عن الاتجاه الذي سبق ان اتخذناه واختبار اتجاهات مختلفة ، » « ان ذلك لمن المضحك للغاية » (لينين ، مرض « اليسارية » الطفولي في الشيوعية)·

(٢) **انعدام الكلية (الاجتزائية ان صح التعبير)** : ان الثوري الذي لا يقبل على تحمل مشقة دراسة النظرية بكليتها « من الفبائها الى رياضياتها العليا » بصبر واناة ، ومن خلال التجربة ، محكوم بان يخلط المسائل بعضها ببعض ، مرة بعد الاخرى بتأثير معارفه المجتزأة والانتقائية (على طريقة من كل واد عصا) · ويتعرض لخطر اقتطاع احدى الحلقات من سلسلة القضايا وهو يزعم انه يحاول الامساك بحلقة احدى القضايا · فيسقط ، مثلا في وضع من يضع هوة فاصلة بين الثورتين : الديمقراطية من جهة والاشتراكية من جهة ثانية ·

« ان محاولة اجاد عقبة مصطنعة بين الثورة الديمقراطية والثورة الاشتراكية ··· ليس الا تحويلا للماركسية الى قالب جامد ، واحلالا لليبرالية محل الاشتراكية العلمية » (**لينين** ، الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي) ·

ب) اصطناع النظريات (ابتداعها) :

ان الطرف المقابل للمدرسية النظرية موجود في الاصالة المصطنعة ···او

بالاحرى ، هناك هوة اخرى يسقط فيها الثوري المتأرجح (غير الثابت) ، الا وهي عدم الاكتفاء بالحقائق التي يعرفها الجميع · وسناتي ، فيما يلي ، على ذكر عدد من النماذج الكثيرة لـ « النظريات » المبتدعة :

١) **الانتقائية** : وهي ترقيع اجزاء الافكار الناقصة ، ولو كانت تدحس بعضها بعضا ، ولملمتها من خلال تخريجات « منطقية » مصطنعة · والمثال التقليدي على هذه الانتقائية نجده في نظرية « الثورة الدائمة » المزعومة الشهيرة والتي اطلق عليها **لينين** اسم « نصف المنشفية »· وجه ماركس ، في عام ١٨٥٠، الى « **رابطة الشيوعيين** » نداء يبين يبين فيه انالبرجوازيةالصغيرة، فور تحقق (مطالبها الديمقراطية الثورية) لا تريد وقف « الثورة الدائمة » الى هذا الحد أو ذاك وابعاد المالكين عن السلطة · وهو يوضح ضرورة حصول البروليتاريا على السلطة وقلبها رأسا على عقب · وبعض الثوريين المتطرفين المزعومين الذين قرأوا هذا الكلام اعطوا اسم نظرية « الثورة الدائمة » لاوهام عدم امكانية اقامة السلطة البروليتارية الحقة دون المرور بمرحلة الثورة الديمقراطية البرجوازية في البلاد التي يؤلف فيها الفلاحون طاقة ثورية كبيرة ·

وهؤلاء ، في الوقت الذي ينسبون فيه الى أنفسهم نداءات الثوريين الاشتراكيين الحقيقيين للنضال من اجل اقامة سلطة البروليتاريا ، يتبنون افكار الاشتراكيين المتذبذبين الذين ينفون دور القوة الاحتياطية الكبرى للجماهير الفلاحة في الثورة الاجتماعية (بحجة التمسك بالطبقة العاملة وحدها) ولا يفهمون حقيقة كونهم يبعدون الطبقة العاملة عن السلطة عن طريق حرمانها من أكبر قواها الاحتياطية ·

وأمثال هؤلاء العابثين اصحاب التخريجات يتوهمون بأنهم قادرون على اخفاء ألوان عبثهم من خلال ايراد بعض الأفكار الصحيحة من حين لآخر · ويعطي **لينين** صورة كاريكاتورية رائعة لهؤلاء القطط وعن طرائقهم « الثورية » في اصطياد الفئران في كتابه « الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي » حيث يقول : « هنا وقع كاوتسكي على فكرة واحدة صحيحة (···) ولكنه وقع عليها دون قصد منه ، ككليب اعمى يشتم ويفتش كيفما اتفق ، هنا وهناك ··· »

فبمقدار ما تستطيع فكرة صحيحة واحدة مضافة الى خمس افكار خاطئة احداث عددا لا يحصى من الارباكات كذلك تماما نجد ان اشكال البدع النظرية الانتقائية اشكال لا يحصرها عد ·

٢) **انعدام الجذور** : وأشكـــال الانتهازية هذه أكثر عـــددا حتى مـن الانتهازيات الانتقائية · ومن بينها الافتعــــالات الكاذبة بغية الظهور بمظهر الاصالة ، بدلا من الاعتراف بأن النقد الصحيح موجه الى جملـــة من المزاعم التي لا جـــذور لهـــا ·

ولا يتردد هذا النوع من الانتهازية في امطار اللعنــات على الانتهازيات المنافقة او المرتدة · وهو يرد سبب ذلك الى المزيد من الغرق في « الانضباط » او المغالاة في التمسك بـ « النظرية » في حين ان نظام الطاعة (الديسبيلين) ليس جديرا بأن يأخذ هذا الاسم الا اذا تمكن من تكنيس الانتهازيين · أما اذا استطاع الانتهازيون انهاء الثوريين وتكنيسهم فذلك يأخذ اسما آخر · والنظرية هي الدواء الشافي الوحيد ضد مرض التحريفية · أما أنماط التحريف فتعرف باسم : التضليل (الديماغوجية) لا باسم النظرية · ان هذا ليس الا انتهازيـة « قلع العين بحجة تكحيلها » ·

عندما تشن ايطاليا ، التي خاضت حربا تحررية في السابق ، هجومـا امبرياليا ضد ليبيـــا (طرابلس الغرب) ، لا يتـــردد أناس انتهازيون مثـل **آ·لامبريولا** في اعتبار ايطاليا هذه « ثورية » لانهـــا « أمـــة بروليتارية » و « امبريالية للفقراء والمعوزين » ، ولا يتورعون في صياغـــة « موضوعة علمية » (كما فعل كل من **آ·باربوني** و **ميشيلز**) مهيئين القاعدة « الفكرية » لموسوليني وامثاله · واذ ذاك نجد ان الانتهازية ذات الوجهين تقفز لتصل الى الفاشية ·

يجري الترويج لخرافة امكانية تحقيق «استقلالية» مختلف البلدان الداخلة في النظام الامبريالي ، ولا سيما عندما يكون البلد متخلفا ، فنجد قطيعا مـن « الحركات الثورية » المتصارعة « صراع الديكة » حول « الفرضيات العلمية » المزعومة عن توفر او عدم توفر « الظروف الموضوعية للثورة » وامكانية بنـاء « التنظيم الخاص » بالبروليتارية ·

وكلما ذهبنا ابعد نحو الشرق نجد ان امثلة الثوريـة المتأرجحة المتفاقمة تغدو أكثر من أن تحصى · وهناك واحد من أكثرها انتشارا الا وهو ادعاء العلم الذي يتناوله **لينين** ، عندما يقول : « ان اقصر الطرق لتشويه عقيدة ما ، هـو طريق الدفاع عنها دفاعا مبتذلا » ·

والمثال التركي الخالص على ذلك هو موقف « ممثل السلطة » « القيادة » ازاء الأخطاء · فالذي يتعرض للنقد يعتبر تجاوز خطئه عن طريق تصحيحـه ، أي الخلاص من الكذب والتدجيل لتدبير أموره ، امرا أسوأ من الموت · ويجري ترويج كلماته الصائبة «شريطة الا تمس احدا»·ومن ذا الذي قال بامكانية وقوع « الثوري » في الخطأ ؟؟ ويتم اقحام جوهر الحقيقة ، كما لو كانت هذه القيادة هي التي أوجدته ، الى مواقع مفهوم ذيلي احتياطي يصوب الخطأ المصاغ داخل قالب مصبوب ·

ولا يكتفي بهذا القدر ! فالحقائق والأباطيل المصبوبة في قالب واحد مثـل الموزاييك ذي اللونين : الابيض والاسود يروج لها كما لو كانت أحدث مـا قالتـه الاشتراكية « العلمية » ، ويعتبر كل الذين لا يوافقون على مثل هذا الرأي مذنبين المسؤولين عن كل التراجعات والهزائم ، بحيث يغرق صاحب البيت في بحـار الحيرة من تصرفات اللص المحترف الذي اتاه ضيفا !

(٢) **الثورية المترددة عمليـا (في الممارسة)** : جدليـة (ديالكتيكية) الممارسة : ترى الاشتراكية العلميـــة التقليديـة في الثورية العملية « اسلوبين للعمل » على طرفي نقيض هما :

١ · **الثورية العاصفة** (الاندفاع الثوري على الطريقة الروسية)

٢ **الثورية الدؤوبة** (اتباع اسلوب رجل الاعمال الامريكي)

والاشتراكية العلمية التقليدية (الكلاسيكية) نفسهـا تميز بين هذين النمطين الرئيسيين من الثورية عـن طريق الاستشهـاد بشعبين آخرين بهدف توضيحهما بالامثلة الملموسة وذلك عند ممارستهما تطبيقا :

١ · **تكتيك الهجوم** (الثورية العاصفة) : « التكلم بالفرنسية » ،

٢ · **تكتيك الدفاع** (الثورية الدؤوبة) : « التكلم بالالمانية » ،

وقبل الشروع في تعريف هذين النوعين من الثورية ، يتضح على الفور ، لمجرد ايراد اسميهما ، أن ايا منهما ليس خاصا بشعب محدد وامتيازا كاملا له دون غيره · فكلا الثوريتين ـ الهجومية العاصفة ، والدفاعية الدؤوبة على حد سواء ـ ليستا سوى نمطين للفكر والسلوك الانسانيين بصورة عامة ، أو بالاحرى لحظتين جدليتين لهما ·

ان وقائع التفكير والممارسة الثوريين ، مثلها مثل جميع وقائع الوجود والمجتمع ، لا بد لها من ان تعمل وفقا لخطتي الديالكتيك الرئيسيتين وضمن اطارهما ، ومن هنا نرى :

١ · وان ثورية الهجوم العاصف هي التعبير عن لحظة القفز نحو الصيرورة (الثورة) في الديالكتيك ·

٢ · ان ثورية الدفاع الدؤوب هي التعبير عن لحظة التراكم (التطور البطيء) على شكل صراع بين الاطروحة والنقيض ، في الديالكتيك ·

اذا طرحنا المسألة على هذه الصورة ، فان كلا شكلي العمل أو التكتيك ، التفكير والممارسة ، يكونان قد دخلا في الاطار الصحيح لمعنييهما وتعريفيهما ، ويصبحان أكثر قربا ممن يريد فهمهما وتطبيقهما ·

وما اقتران لحظتي الديالكتيك الانسانيتين الشاملتين باسم هذه الامة او تلك الا من قبيل جعلهما اكثر قربا من الفهم ، واكثر تشخيصا وملموسية ، والا فمن المعروف ان تاريخ كل امة حوى كلا الشكلين وكلتا الطريقتين في فترات محددة ·

ان ثورية الهجوم العاصف المقترن بالروس (١٩١٧) وبالافرنسيين (١٨٧١)، وثورية الدفاع الدؤوب المقترنة بالامتين الامريكية والالمانية ليستا صفتين فطريتين لتلك الامم لا تعرف اسبابهما ولهما جذور خفية ، انما جرى تجسيد لحظتي الممارسة الثورية المتناقضتين باسم هذه الامة ا وتلك لان تاريخ هذه الامة او تلك اشتهر باحتوائه على هذه اللحظة او تلك على هذه الطريقة او تلك ، تفكيرا او ممارسة · فمثل هذا التجسيد يجعل فهم الديالكتيك اكثر سهولة بالنسبة لمن هم على مقاعد الدراسة كما يساعد على تثبيت المواقف في الذاكرة ·

السبب الاجتماعي الكامن وراء التفكير والسلوك المدرسيين والمتافيزيقيين

بقي عقل الانسان ، بمقتضى منطق **ارسطو** ، الذي ظل سائدا طوال ٢٥٠٠ سنة على الاقل ، دائبا على الفصل بين لحظتي الديالكتيك : القفز (الهجوم العصف ، الخ) والتراكم (الدفاع ، الدأب الخ) ، كما لو كانتا لا تجتمعان ·

هذا هو المنطق القديم · غير ان الرأسمالية العصرية ايضا ، بوصفها مجتمعا طبقيا ، دأبت على تشغيل المنطق الميتافيزيقي الذي يجزىء الحقيقة الحية الى جزأين ، يعادي احدهما الآخر ، احدهما مطلق والآخر لا وجود له ، منذ خمسة قرون · وهي لم تكتف بذلك بل عرفت كيف تقحم مثل هذا المنطق الميتافيزيقي الخاطىء في كل مجالات الفكر والممارسة الانسانيين ، كما لو كان قانونا محتوما لا بد منه ·

ان هذا المنطق الذي اوجدته الحضارة منذ سبعين قرنا من الزمن ، لتوصله الى اعماق الوعي منذ خمسة وعشرين قرنا ، لابد له من ان يحدد شكل عقل الانسان بعد تمزيقة بمخالبه اللاولادية في كل المجتمعات ، سواء منها العصرية او القديمة ، وفي مختلف الامم · فجميع اشكال الحياة والعلاقات الاجتماعية ، مثل الابوة والامومة والاسرة والشارع والمدرسة والمعمل والثكنة والمسجد والمقهى والملعب والمنتدى ، الخ ··· دائبة على استخدام منطق ارسطو القديم ، او منطق طبقة ارباب العمل الميتافيزيقي العصري ، بوصفهما قانوني التفكير الرئيسيين · كما انها دائبة على تجميد كل الوان الممارسة ·

فعند اي من الناس سيترك مبرد الدماغ او منشار التفكير هذا الذي لا يخطر ببال احد ، من مهده الى لحده ، ان يحاكمه ليرى ما له وما عليه ، منطقا صحيحا معافى، منطقا جدليا (ديالكتيكيا)؟؟ وبما ان الانسان يتصرف بعد ان يضع مخططا ذكريا ، الى هذا الحد او ذاك ، قبل الاقدام على اي سلوك ، فكيف يستطيع الخلاص من الوجهة التي تتحدد امامه بمقتضى احد المنطقين : الارسطوطالي القديم ، او الميتافيزيقي البرجوازي الحديث ، في اي من تصرفاته واعماله ونضالاته ومساعيه وابداعاته ؟؟

هذا هو الواقع الاجتماعي اليوم ، اما في الغد فمن المؤكد ان كل شيء سيتغير · ولكن من هو ذلك « البطل » الذي استطاع ، امس واليوم ، ان يتخلص بسهولة من ذلك الواقع الاجتماعي ؟ للاجابة ، نقول اذا لم نضع في الحسبان واحدا او اثنين لا في المليون بل في المليارات من البشر فما من احد ! حذار من الخوف ! والابتعاد عن الاقرار بهذه الحقيقة والاعتراف بها مسايرة لفرح هذا وتحاشيا لحرد ذاك ، اوليس المخلوق الذي يعرف باسم « الثوري » « انسانا » في نهاية المطاف ؟ فمهما حولنا الحديث ، على طريقة **ستالين** ، عن ان الثوري « مصنوع من معدن مغاير » ، فان جوهر ذلك « المعدن » ليس الا الواقع الاجتماعي اخر الامر ، ليس ذلك الثوري سوى انسان · وكل الناس متشابهون ، او

قريبون بعضهم من بعض ، الى هذه الدرجة او تلك ·

ندرة الديالكتيكيين تفكيرا وسلوكا ، وعلاج الامر

للاسباب السابق ذكرها ، نجد ان اصعب نضالات اكثر الثوريين حدة هو : نضالهم ، قبل اي شيء آخر ، في سبيل تحرير فكرهم وممارستهم من المنطق والمنهج المدرسيين والميتافيزيقيين· ويعبر الاسلام عن الكثير من بعد النظر والرؤية المستقبلية عندما يؤكد على ان اكبر النضالات المقدسة (الجهاد الاكبر) هو : نضال الانسان ضد « نفسه » (ضد عالمه الداخلي – ضد سيكولوجيته – ضد لاشعوره) · والنفس في التفكير والممارسة انما تعني : « التوجه » او « الميل » وتنبع من اللاشعور · اما الشعور او الوعي ومرحلته الاعلى ، التي هي الادراك والعرفان ، فيجري توجيهه واستحصال النتاج منه بواسطة كل من المنطق (قانون الفكر) ، والمنهج (قانون الممارسة والتطبيق) ·

ان الثوري مضطر الى عدم نسيان منطق ومنهج المجتمع الطبقي الذي له سبعون قرنا من العمر ، ذلك « الشيطان الابدي الازلي » الكامن في لاشعور· ، المعبر عن ميوله واهوائه ، او شعوره المستند الى المنطق والمنهج ، على حد سواء ولو للحظة واحدة · فأكبر مناحي جهاده المقدس (الجهاد الاكبر) يجب ان يكون موجها ضد المنطق والمنهج المدرسيين الميتافيزيقين ، اللذين توغلا الى اعمق اعماقه وصار مثل « ابليس عليه اللعنة » · ان البعبع الاسطوري الرهيب لمختلف انواع الانتهازية ، مهما كانت – مكشوفة ام خفيـة – هذا البعبـع الذي ينمو لـه سبعة رؤوس فور قطع رأسه الواحد ، انما هو : عين ابليس ، او شيطان الفكر والسلوك المدرسيين او الميتافيزقيين ·

لقد تمت صياغة المادية الجدلية (الديالكتيكية) مـن خـلال اعظم اعمال المعلمين ، كما تم تطبيقها منذ قرن كامل مـن الزمان · صحيح ان بوسعنا تعلم المادية الجدلية ، بأكثر اشكالها دقة لان مثل هذا الشيء امر ممكن · ولكننا عندما نترك هـؤلاء واولئك من الذين تعلموا المادية الجدلية واستظهروها ، جانبا ، يواجهنا سؤال : كم هو عـدد الاشخاص الذين تمكنوا من تطبيق تلك المادية الجدلية دونما خطأ او نقصان خلال فترة المئة والخمس والعشرين سنه المنقضية ؟ للاجابة نقول : وجد في القرن التاسع عشر شخصان ، ذابا في شخصية انسان واحد ، هما : **ماركس – انجلز** · اما في القرن العشرين فلم يظهر على المسرح سوى انسان واحد هو : **لينين** ··· اما الآخرون فلم يكونوا ، مهما فعلوا ، سوى تلامذة هؤلاء الثلاثة ·

بهذه الندرة يكـون ظهور المفكرين والممارسين الماديين الجدليين الثوريين الحقيقيين في المجتمع العصري · لا ريب في ان هناك ملايين الناس ، في ايامنا هذه ، من الذين يعيشون ويناضلون بعد ان تعلموا المادية الجدلية ، على وجه كرتنا الارضية · ولكننا عاجزون عن تعداد ولو عشـرة اشخاص – اذا تركنا المئات والالآف جانبا – يعرفون تطبيق المنطق والمنهج الجدليين دونما نقصان او خطأ ، بين صفوف المتعلمين او « الاساتذة » في كل من الفكر والسلوك الماديين الجدليين ، ممن يعدون بالملايين ·

ما اكثر ما يصادفنا هذا المادي الجدلي « الداهية » في تلك البلاد المتميزة وقد صعد ، لفترة من الزمن ، الى مواقع الشهرة مثل « الشب البستوني في ورق اللعب » ، غير انه بعد مواجهته بالقليل مـن عقد الفكر والممارسة سرعان مـا يختلط باوراق اللعب الأخرى ليضيع دون اثر · ففي كل بلد متمدن نجد ان اية حركة او منظمة تعجز عن ان تخطو ولو خطوة واحدة بصورة تلقائية اذا مـا افتقرت الى انماط « القادة » الذين يشبهون رؤساء العشائر ومشايخها · انها الحقيقة بالنسبة للحركة الثورية ، مثلها مثل كـل اشكال السياسة الاخرى · وهذا يعني ان ما من احد يولد نبيا ·

لا يجوز قطعا ، التذرع بندرة « الرجال » للعمل على نشر روح التشاؤم ، مهما كان سبب تلك الندرة · ففي مجال الثوري ايضا تم ايجاد اسلوب مجرب للتنظيم يخضع لقوانين حضارية ، مؤهل لضمان تحاشي الوقوع في اوحال خلق الستالينات والبابوات اللاخاطئة غير الضرورية وغير الثابته للانشغال بها فيما بعد · ان التنبيه والحفز الذاتيين ليسا كافيين ، مما يوجب التعامل مع الاعضاء داخل اطار النظم والقواعد المحددة معالمها ·

ولهذا السبب نرى ان تقسيم العمل على مختلف مستويات التنظيم ، والتحرك الجماعي المنظم الديناميكي الاكثر ثباتا ودواما مما يجري في العصابة ، هما القادران على تشغيل ذراعي عتلة الثورية العاصفة والدؤوبة مع اقل الاخطاء ، وايصال الاخطاء الى اكبر فرص تجاوزها قبل ان تغدو انحرافات وتيارات خارجة على التنظيم · واذ ذاك ، فقط ، تزداد فرص الابتعاد عـن قطبي الانحراف ، اللذين كثيرا مـا يطرآن فيتمسك بهما الناس ، مثل تمسك الاعمى بعكازته ، ليصبحوا اما ثوريين عاصفين عموما (متبنين تكتيك الهجوم – يتحدثون بالفرنسية) او ثوريين دؤوبين بصورة عامة (متبنين تكتيك الدفاع – يتحدثون بالالمانية) ·

الثورية الدؤوبة (الدائبة ـ ذات النفس الطويل)

ان الثورية الدؤوبة او (ذات النفس الطويل) هي : طريقة «الكلام بالالمانية» المتناسبة مع تكتيك (الدفاع) اللازم والملائم في لحظات التطور الاجتماعي البطيء (لحظات التراكم الكمي) · هذا ومن الممكن ، ايضا ، ان يطلق على مثل هذه الثورية اسم طريقة « التحدث باللغة الامريكية » · يقول **لينين** عن الثورية الدؤوبة التي هي على طرفي نقيض مع الثورية الفارغة ما يلي : « قدر اقل من العبارات الرنانة والبراقة وقدر اكبر من العمل اليومي ··· قدر اقل من الصراخ السياسي الهائج ، ولكن شريطة ايلاء قدر اكبر من الانتباه الى ابسط قضايا بناء الاشتراكية الملموسة ··· » ·

ان هذه العبارة التي قيلت بصدد بناء الاشتراكية صحيحة تماما ومنطبقة على مسألة التنظيم في سبيل الاشتراكية تحت ضغط أكثر أشكال ظلم الرأسمالية رجعية وشوفينية واحتكارية · ف « عبارة التحدث باللغة الالمانية » متبقية عن قيام الطبقة العاملة الالمانية في القرن التاسع عشر في ظل أسوأ ارهاب ثلاثي الوجـه : (عسكر ـ بنكر ـ يونكر) ، مسترخصة أرواح منتسبيها ، بأصغر الاعمال وأتفهها دونما ضجيج وبصورة يومية من غير انحراف نحو أية هاوية من مهاوي انحراف الركض وراء الشهرة · ويطلق **ستالين** على مثل هذا النضال اسم : النضال المستند الى « الروح العملية الامريكية » ·

« ان الروح العملية الامريكية تشكل مناعة (···) ضد مرض الخيالية « الثورية » · ان طاقة دؤوبة لا تعترف بوجود المستحيل ، تتغلب على كل العقبات بالصبر · كما انها لا تترك أي عمل بدىء به ، مهما كان صغيرا ، حتى النهاية ، الا بعد ايصاله الى نهايته » (**ستالين**) ·

اذا ما جرى تطبيق الثورية الدؤوبة في المكان والزمان المناسبين ، فـان جوانبها الايجابية التي تأتي مها تكون على هذا القدر من القوة · الا انه مـا من شيء في جدلية الاحداث قادرا على الحفاظ على عملية التراكم الكمي ، خطوة بعد خطوة ، دونما تغيير ، الى ما لا نهاية · فالدأب والمثابرة سرعان ما يتحولان الى اشياء سلبية بصورة مفاجئة ، ليجري تتويجها بالقفز والعاصفة ·

وحين نبادر الى تحديد طابع اسلوب العمل الخاص عند هذا الشخص الثوري او ذاك ، فاننا نعاني من ضياع طرف الخيط الذي ينبغي لنا ان نمسك به ·

« اذا لم تستطع تلك المثابرة ، من خلال سيرها المقدر والمحتوم ، ان تتحد مع الثورية العاصفة سرعان ما تتعرض للفساد والتشويه حتى تصل الى الثرثرة الفارغة · ومثل هذا التشويه المتميز ، مصور في قصة « الجوع » التي كتبها « بيلينياك ب » · ان الشخصية المصورة في تلك القصة هي شخصية « بلشفي » روسي ذي ارادة وحزم ، غير انـه مفتقر الى أفق الرؤية · فهو لا يرى أبعاد أفعاله ، ولا يبصر الاهداف التي يجب عليه ادراكها ، وبالتالي ينحرف عن الطريق الثوري · وما من احد ناضل أكثر من **لينين** ضد مثل هذه المثابرة · وكان يطلق على المتصفين بها اسم : « التطبيقيين ضيقي الأفق الخالين من التفكير » · ومقابل هذا الانحراف كان يضع الثوريين الملهمين ، وبعيدي النظر من الثوريين في أقل المهمات اليومية شأنا ، مبينا بذلك مدى تناقض وعداء مثل تلك المثابرة مع الاشتراكية الحقة ، مثلها في ذلك مثـل الخيالية (الثورية) » (**ستالين**) ·

ذلك يعني ان الاكتفاء بترديد عبارة **ضياء غوكلاب** التي ملتها الاسماع) « أغمض عيني وأقوم بما يترتب علي من واجب ! » في الاشتراكية العلمية يؤدي الى اقحام الانسان في وضع رجل الآلة الأعمى · وأمثال هؤلاء يتوهمون بأنهم يفعلون الكثير ، ويقلبون الجبال رأسا على عقب · ولكننا ، اذا ما قمنا باصدار بيان احصائي عن جذوع الاشجار التيدحرجوها طوال سنيحياتهم ، فاننا نتبين، بالكثير من المرارة ، ان كل الذين قضوا أعمارهم فيه لا يعدو أن يكون « عبثا في عبث ، ولهوا دون طائل ليس الا ، جعجعة بلا طحن ! » · فوا أسفاه على **سليمان افندي** الذي مات من كثرة الجهود المضنية التي بذلها !

الثوريـة العاصفـة

ان الثورية العاصفة هي « طريقة التحدث باللغة الفرنسية » ، هذه الطريقة المتناسبة مع تكتيك الهجوم اللازم والنافذ في لحظات القفز (الثورة) الاجتماعية· هذا ويطلق على هذه الثورية اسم « التحدث بالروسية » ايضا ، ولكن القضية ليست في اطلاق الأسماء ، بل في فهم اللحظة فهما صحيحا جيدا ·

« ان الثورية العاصفة تشكل مناعة ضد التمسك بالأشياء ، تمسك الاعمى بعكازته ، ضد المحافظة ، وضد الركود المستنقعي في ميدان الايديولوجية ، وضد الخنوع للتقاليد المتبقية عن الآباء والأجداد · انها طاقة توقظ الفكر وتدفع الى

الأمام ، وتحطم الماضي ، وتفتح آفاق المستقبل الواسعة ، طاقة تبعث الحيـاة يستحيل بدونها توفر امكانية لاي نوع من انواع التقدم (**ستالين**) ·

لقد رأينا مدى حيوية الجوانب الايجابية التي توفرها الثورية العاصفة عندما تطبق في مكانها وزمانها المناسبين · غير اننا واقفون على حقيقة ان جدل الاحداث لا يتيح لاي شيء ان يستمر على ما هو عليه الى ما لا نهاية ، فضلا عن أن مثل ذلك الشيء ينقلب ، بعد الوصول الى حدوده القصوى ، الى عكسه ، ليتحول الى شيء سلبي تماما بعد أن كان ايجابيا · فهذا القانون الديالكتيكي (الجدلي) العام صحيح بالنسبة للثورية العاصفة ، اي بالنسبة لـ « التحدث بالفرنسية » ، ايضا ·

اما اذا تداخل الموضوع في مجالات العمل الخاصة والممارسات الثورية المحددة للاشخاص الثوريين ، فان من المحتمل أن يمهد الطريق لألوان متعددة من العبث و « التخبيص » و « الثورية الطائرة » · فعندما تسير الثورة خطواتها الاولى ، ويتحول الثوريون كل الى « **عبد الرحمن الشلبي** حيث لا وجود لقطعان الاغنام » لا بد للامور من أن تزداد تعقيدا · واذ ذاك يتحول الثوري العاصف البطل الى زوبعة لا قرار لها · وعلى الرغم من النواحي الايجابية للثورية العاصفة في العديد من التجارب الثمينة :

« ولكنها لو لم تعرف من الناحية التطبيقية ، كيف تتوحد مع العمليـة الامريكية ، لفسدت من خلال التحول الى العبارات « الثورية » الفارغة · وأمثال هذا النوع من الفساد لا تعد ولا تحصى · فمن منا لا يعرف ذلك المرض ، مرض المهندسين « الثورجيين » المتوهمين بأن كل الامور والعقد ، تحل عن طريق اصدار الارادات والاوامر المناسبة ، وعن طريق وضع الخطط السليمة والمحكمة ؟؟ لقد تحدث **ايليا اهرنبرغ** ، في مقال له بعنوان الانسان الشيوعي الكامل ، ولو على حساب شيء من المبالغة ، عن نمط بلشفي مصاب بهذا المرض ، بصورة جيدة : فهذا الرجل يلبس لبوس الانسان المبدئي ، ويظهر بهذا المظهر ·· ثم يغرق في هذه « الورطة » حتى أذنيه · وما من أحد كان اكثر سخرية بمثل هذا الشخص من **لينين** الذي أعطى صفة « الشيوعية الفارغة » ، مثل الطبل ، لعادة الايمان المرضي بالقوة الخارقة والمهيمنة ، لقدرة الخطط والارادات السنية (الصادرة من الاعلى) ·

«ان الفراغ الشيوعي (الطبل الاجوف) ، هو المرض الذي يصيب الاشتراكي الذي يتوهم بأن جميع المهمات يمكن انجازها عنطريق اصدار الاوامر

او الارادات الشيوعية ، (**لينين** ، خطاب في مؤتمر فرع التثقيف) (**ستالين**) ·

ذلك يعني ان الثورية العاصفة سراط ادق من الشعرة واحد من السيف · فعندما تغدو هدفا وحيدا لا تتأخر عن ايهام من يؤمن بها عبر نجاحها احساسه في الصراع ضد التقاليد والمحافظة والركود ، بأنه قادر على تخريج الثورة التي يرغب فيها في كل يوم بل وفي كل ساعة · وهي توهم بان « خطة » موجزة و « ارادة » سنية هما من اقصر الطرق ، دون اخذ التراكم المتعب والجهد الدؤوب بنظر الاعتبار ، وهي قادرة على قلب الامور الى جنات تجري من تحتها الانهار · وفي الحقيقة ، تنحرف الثورة الثورية العاصفة هذه الى « النراغ الشيوعي » ثم يتفاقم هذا « الفراغ » حتى يصبح مرضا عضالا ·

والمصاب بهذا المرض يتوهم بانه يصوغ نظرية مثالية بمعنى الكمال ، مع أنه لا يتجاوز ، في الحقيقة ، وهم الانحراف الناظر الى الجماهير نظرة حيرى، مقطوعا عن الواقع · ان الشيء الذي يتراءى قمة ثورية عالية في النظرية منبعا للقرارات الحاسمة ، لا يمكن بلوغها ، في حال بقائه وحيد الجانب ، ليس سوى « ثورية فارغة كالطبل الأجوف » ، وهوة عميقة ليس لها قرار ·

الدكتور قفلجملي

ترجمها عن التركية : فاضل جتكر ·

قضايا الحريات الديمقراطية في الوطن العربي

٣ ـ تونس

سياسة "الترغيب والترهيب" تعيد إنتاج القمع

اعداد : الصافي سعيد

المحامون الذين عادوا الى بلدانهم بعد ان اشتركوا في الدفاع عن النقابيين، سواء الذين كلفتهم « **منظمة العفو الدولية** » ، او الذين كلفتهم **منظمة النقابات الحرة** ، او الذين تطوعوا بأنفسهم ، او الذين ارسلتهم منظمات نقابية اخرى في بلدان شقيقة ... كانوا قد اجمعوا على ان المخيلة القانونية التي يمتلكونها لم تسعفهم على تفسير ما يحدث امامهم في تونس . فالمحاكمات كانت صورية ، الى حد الفضيحة . كل شيء معد قبل ان تبدأ المحكمة اولى جلساتها ، بحيث لم يبق امام النقابيين الا ان ينصتوا ، جيدا ، للاحكام الصادرة في حقهم ، ولم يبق للمحامين الا ان يعتذروا لموكليهم . فكلمات رئيس المحكمة كانت مقتضبة ، ولم يكن في وسعه ان يضيف اي كلمة للورقة التي حررت في مديرية **حزب الدستور** الحاكم ، والوحيد الذي كان يتمتع بكل حرياته هو **مدعي الحق العام** ، الذي طالب بالاعدام ، كذلك الشرطي الذي يستطيع ان يسكت اي صوت ، او الحاجب ، ذلك الواقف عند الباب ينادي على المتهمين بصوت عال ، وكأنه يدرك ان الزنزانات قد فعلت فعلها في اذانهم .

يضيف صحفي حضر المحاكمات شهادته الى هذه اللوحة السوداء ، قائلا « لقد صادف ان حضرت كثيرا من المحاكمات في كثير من البلدان التي يحكمها العسكر ، ولكن لم اشاهد لا في الارجنتين ، ولا في المغرب الاقصى ، ولا حتى في ايران ، ما شاهدته بأم عيني في تونس ، ذلك البلد الذي يسميه العرب بـ « **تونس الخضراء** » ، انه شيء لا يمكن اختزاله الى كلمات قصيرة ، فخارج **ثكنة باردو** ، حيث جرت مراسيم المحاكمة ، كانت فرق الشرطة المجهزة بأسلحة امريكية ، والمدعومة بفرق من الجيش ، تقوم بواجب قمع كل من جاء يتفرج على « العدالة » . اما داخل الثكنة فكانت تجري اكبر عملية مسخ لهذه «العدالة » وفعلا ، لاول مرة ارى ان المحامين يمكن ان يحاكموا مع المهمين دون احراج » !

★★★

الشعارات التي رددتها جماهير « انتفاضة ٢٦ يناير » في تونس ، كان يمتزج فيها النقابي المطلبي بالسياسي والوطني بالقومي ، وهي بهذا لم تترك اي منفذ امام اعداء الجماهير ، ومن بينها :

ـ « بالروح بالدم نفديك يا نقابة »

ـ « العامل والفلاح اقوى منك يا صياح * » .

ـ « الارض والحرية والكرامة الوطنية»

ـ « برّ ** حارب اسرائيل .. يا بورقيبة يا عميل » .

ـ « يا نظام يا جبان .. يا عميل الامريكان » .

★★★

ضمن هذا الافق ، كانت « **انتفاضة الخميس الاحمر** » ـ التي قدمت ، في يوم واحد ، حوالي ٦٠٠ شهيدا ـ تعلن القطيعة التامة بين جماهيرها ، من عمال وفلاحين وطلبة ، وبين سلطة الجلد والقمع والارهاب ، على مدى ٢٣ سنة .

ـ انها جولة من جولات الجماهير الكادحة ، التي لا زالت تحمل دم المنازلة والمقارعة ، مع اعدائها ، الى حين ايداعهم قبرهم الابدي .

وانها الدرس المادي العنيف الذي تجاوز « اخلاقيات السياسيين » ، وواقع المهادنة والوساطات ، الذي استطاع ان يذهب في تعرية طبيعة النظام البورقيبي الى الجذور . (عندما نضبت كميات قنابل الغاز الخانق والمسيل للدموع بحوزة البوليس ، تولت بواخر الاسطول الامريكي السادس الراسية بمينائي « تونس » و « حلق الوادي » تزويدهم بكميات وافرة من هذه المواد السامة ، وقد شاهد المواطنون العربات التي تحمل تلك الغازات السامة تأخذ طريقها من الميناء الى وزارة الداخلية) .

وبالمقابل ، كانت « **انتفاضة الخميس الاحمر** » تعلن تجاوزها ، وهي في لحظات زخمها العفوي ، لطليعة لا زالت تتلمس طريقها بين ركامات التفريخ ، وتزحلق النظريات والترجمات ، واذ تبدو باحثة عن تأسيس نفسها ، فهي عاجزة عن القفز بنفسها الى رحاب الممارسة العميلة ، حيث تتفتح حدود النظرية الثورية عبر واقع متحرك ، له خصوصياته ومميزاته .

★★★

ها هي سنة تمضي على تلك الانتفاضة المجيدة ، واذ تظل الجماهير الشعبية تترصد لحظة الوثوب القصوى على عدوها الطبقي ، يمضي النظام البورقيبي في تنفيذ مخططاته القمعية والارهابية ، ماسكا العصا من الطرف ، رافعا شعار الابوة والوصاية : « العصا لمن عصا » .

وتطبيقا لسياسة « الترهيب والترغيب» ، يحاول النظام القمعي في تونس ان يعيد بناء نسيجه المتفكك على اثر « الإنتفاضة الجماهيرية » ، ليعيد انتاج القمع استمرارا في خطه ومخططاته .

★ هو محمد الصياح ، مدير الحزب الدستوري الاشتراكي التونسي .

★★ بر تعني اخرج .

لم تكن الانتفاضة حدثا عابرا يمكن تجاوزه بمجرد اعادة النظر للوضع الامني في البلاد ، وانما كانت حلقة متقدمة في نضالات الجماهير ضد جلاديها طرحت مستجدات الازمة التي يغرق فيها ذلك النظام كل يوم ·

ان الازمة ليست الحدث الفريد في تاريخ البرجوازية الكمبرادورية التونسية وانما ازمة من نوع الذي حدث في ٢٦ يناير ، كانت تطرح على النظام سؤال التعسف حول شرعية وجوده ، على مدى ٢٣ سنة ·· وهي اذ تشكل النتيجة المنطقية لتعاقب فشل كل سياسته الرجعية ، المرتبطة عضويا بالامبريالية ، فهي تضع مقدمات انهياره موضع الجد ، باعتبار ان جوهر الازمة ، التي يتخبط فيها ، ما هي الا تكريس لافلاس الاختيارات اللاوطنية واللاديمقراطية ، التي جسدتها مؤتمرات **حزب الدستور** ، ومواثيقه ، بدءا **بمؤتمر صفاقس** (١٩٥٥) ، وانتهاء بـ «**مؤتمر الوئام**» الذي سينعقد في ايلول القادم ، مرورا بـ « **ميثاق الرقي** » ، القائم على مواصلة ادماج اقتصاديات البلاد ، ادماجا كليا، في بوتقة الاقتصاد الرأسمالي والسوق الامبريالية ، الهادفة الى تمكين البرجوازية الكمبرادورية من تأييد نفسها ·

★★★

اذا كانت الانتفاضة قد اعطت درسا ماديا عنيفا لسلطة البرجوازية البيروقراطية ، وبالمقابل ، فقد اعلنت تجاوزها لطليعة الحركة الوطنية والثورية ، التي ثبت انها لا زالت تغط في نوم النضال المحدود والمتواضع ، فهي - من جهة ثالثة - اكدت عجز القيادة البرجوازية **للاتحاد العام التونسي للشغل** عن مواكبة تطور النضال العمالي، وقيادته في النهج الموضوعي الذي يحتمه الوضع ·

لقد ظلت سجينة محوالاتها الاصلاحية التوفيقية بين مصالح العمال ونضالاتهم الثورية ، وبين مصالحها الجوهرية ، كقيادة تنتمي ، عضويا وتاريخيا ، الى بنية النظام الحاكم ·

فبينما كان **الحزب الدستوري** يتجه نحو الهجوم ، نجد قياديي الاتحاد العام يتجهون نحو الدفاع · وهكذا ، عمل **الحزب الدستوري** على مهاجمة العمال وتفكيك صفوفهم ، وتكسير مقاومتهم ·· وحتى تلك اللحظات ، كانت قيادة الاتحاد لا تزال تعلن عن دفاعها عن منظمتها ، محاصرة نفسها بنفسها بمنطق الدفاع ·

وفي حين فهمت البورجوازية الحاكمة ان الاضراب العام هو تحرك سياسي لطبقة ضد طبقة ، فعمدت الى الهجوم ، ظلت قيادة الاتحاد تتمنطق بمطلبيتها ودفاعيتها ، التي انتهت الى تفكيك المنظمة ، وتكسير هياكلها ، وسجن كوادرها ·

وكان طبيعيا ان لا يؤدي تكتيك الخجل والمساومة الى غير ما ادى اليه حين دفعت الطبقة العاملة والشعب ثمنا باهظا جدا في الاضراب العام الاول ، في عهد النظام الدستوري الاستعماري الجديد ·

واذا كانت معركة الانتفاضة قد انتهت الى هزيمة العمال ، اذ لم يحرزوا اي انتصار ملموس ، فان ما سجلوه من زخم في العطاء ، من اجل حقوقهم ومكاسبهم ، يعتبر مقدمة لانتصاراتهم القادمة ·

وهكذا ، فقد ادى « تكتيك الدفاع عن المكاسب » الى « ضرب تلك المكاسب النقابية والديمقراطية » ، التي كانت

تتمتع بها الطبقة العاملة قبل الاضراب العام · وبهذا يستطيع العمال ، الان ، ان يميزوا ، جيدا ، بين من يمثلهم وبين من يتاجر بتمثيلهم ، عبر ازدواجية مقيتة وقاتلة ، كانت تحاول التوفيق والحفاظ على مراكزها داخل **المكتب السياسي للحزب** ، وداخل **المكتب التنفيذي للاتحاد** وذلك للحفاظ على مصالح نسيج تلك الطبقة الحاكمة ·

★★★

ان خرق الحريات العامة والقمع والتعسف هو ركيزة اساسية من ركائز النظام منذ قيامه ، وبالخصوص منذ عودة **الحبيب عاشور** على رأس قيادة الاتحاد ، في سنة ١٩٧٠ ، عندما ضربت تجربة « التعاونيات » وتم صعود البرجوازية البيروقراطية ، بالتحالف مع كولاك الريف وشرائح البرجوازية التقليدية ·

ان السبع سنوات الاخيرة كانت حافلة بالايقافات والمحاكمات ، فقد انتصبت **محكمة امن الدولة** ومحاكم اخرى ، في هذه الفترة ، ما يقارب من ٢٥ مرة ، لمحاكمة مناضلين ديمقراطيين ، منهم العديد من العمال ، بدعوى ممارساتهم لحقوقهم الشرعية ، في التعبير ، والتفكير ، والتنظيم ، والاضراب ·

نذكر محاكمةانتفاضة مارس(اذار)١٩٧٠

- محاكمة انتفاضة فيفري (شباط) (حوالي ٢٠٠٠ سجين) ·

محاكمة اوت (اب) ١٩٧٢ احتجز على اثرها ما يقارب ١٠١ مناضلا سياسيا من منظمة العامل التونسي) ·

- محاكمة اوت (اب) ١٩٧٣ (ما يقارب من ٢٠١ مناضلا من **منظمة العامل التونسي** ، دخلوا السجن) ·

- محاكمة ١٩٧٣ ، الثانية (٢٤ مناضلا سياسيا) ·

- محاكمتا ١٩٧٤ ·

- محاكمة ربيع ١٩٧٥ (مجموعة من المناضلين القوميين) ·

- محاكمة ١٩٧٦ ·

- محاكمة ١٩٧٧ (مجموعة من تنظيم **الوحدة الشعبية**) ·

- محاكمة ١٩٧٨ (محاكمات النقابيين في جميع محافظات الجمهورية)

وكان النظام التونسي قد نصب قيادة خارجة عن جسم الاتحاد ، لمحاولة تدجينه ، وترويضه ، بعد سجن **الحبيب عاشور** ، المحكوم عليه بعشر سنوات · وبعد انتهاء المحاكمات النقابية ، التي تمت في جو من التكتم والعسف في « **ثكنة باردو** » العسكرية ، حيث بلغ وزن ملف التهمة الموجهة اليهم الى حدود ١٥ كلغ ، وعشرة آلاف صفحة ·

وصل عدد المحامين الى الاربعين ، ولم يتوصلوا الى قراءة ملف الدعوى ، لان المحكمة لم تمكنهم منه الا قبل يومين من فتح الجلسة الاولى ·

احتج المحامون ، وخرجوا في مسيرة صامتة ، رافعين علامات النصر ، مطالبين بتأجيل المحاكمة ، مدة تمكنهم من الاطلاع على ملف التهمة · فالتهم كثيرة وخطيرة واثباتاتها ربما تحتاج الى كثير من الاركان غير المتوفرة · ولكن لم يكن في وسع المحامين ، رغم ضخامة عددهم، وعلى اختلاف جنسياتهم ، واختلاف اجتهاداتهم في القانون ، ان يثبتوا عكس ما اثبته الملف المقدم من « لجان تنسيق » **حزب الدستور** الجهوية ·

وبعد انتهائه من المحاكمات لقيادي **الاتحاد العام للشغل** ، وبعد تركيز قيادة خائنة للعمال ، ولمنظمتهم ، مجسدة في شخص **التيجاني عبيد** ، يحاول الان ، ومع افتتاح الدراسة الجامعية ، ان يرمي بكل ثقله من اجل تكسير نضالات الطلبة وهياكل نقاباتهم ، التي ذهبت في سبيلها

كثير من دماء الطلبة ، في انتفاضات ١٩٦٧ و ٦٨ و ٧٢ و ١٩٧٨ ·

بعد محاولاته المتكررة لاجهاض الحركة الطلابية ، التي تمثلت في ضرب **الاتحاد العام للطلبة** ، وقد رمى بكل مناضليه ، على امتداد تاريخ هذا الاتحاد في تصديه لسلطة **حزب الدستور** ، في السجون وفي مؤسسات جيشه والمنفى ·

ان المشروع الذي يطرحه ، الان ، **حزب الدستور** ، والذي يسمى بـ «مجلس الكلية» ، هو اخر محاولات ضرب الحركة الطلابية ، ومكاسبها ، وهياكلها النقابية ·

وفي « **مؤتمر قربة ٧١** » ، عندما عمد الى دس عناصره الاستفزازية ، كان النظام يحاول ضرب الاتحاد ضربة قاضية تلهيه عن نضالاته التي حولت الجامعة الى بؤرة ثورية وشعبية ، غير انه ، وبمجرد افتتاح الجامعة ، هبت جماهير الطلبة ، في شتاء ٧٢ (شباط)، لتواصل مسيرة الاتحاد ، الذي لا يمكن التهاون في الدفاع عنه · وكونت « الهياكل النقابية المؤقتة » كمنظمة نقابية اعطتها نضالات الطلبة شرعيتها ، واحقيتها في التواجد والتمثيل ·

ما يحاول ان يقدمه النظام ، حاليا كبديل«للهياكل النقابية المؤقتة» ، يتجسدفي ما اسماه بانشاء « مجلس الكلية » ، حيث يصبح لكل كلية مجلسها المستقل ، الذي يتكون من ٢١ مقعدا ، منها اربعة مقاعد ، فقط ، للطلبة والبقية للاساتذة والقيمين وجوقة النظام ···

وهذا ما ترفضه « الهياكل النقابية المؤقتة » ، بحزم ، رغم تهافت بعض المترددين والاصلاحيين الذين يوهمون انفسهم لا غيرهم بجدوى محاورة النظام ·

وفي الفترة الاخيرة ، واستعدادا لمؤتمر الحزب الحاكم الذي سيعقد في ايلول القادم ، يحاول الجناح المتصلب داخل السلطة (**جناح الصياح - عبد الله فرحات - نويرة**) الانفتاح ، مع اعتبار تؤامه الثاني « جناح الليبراليين » الذي تمثله منظمة « الديمقراطيين الاشتراكيين» **(احمد المستيري - الحسيب بن عمار)** ضمن هذا الانفتاح الترغيبي كانت عودة **الحبيب الشطي** ، وزير خارجية تونس الذي استقال تضامنا مع الوزراء المستقيلين ، انذاك ، **والمنجي الكعلي** ، وزير الصحة ، كعضويين في **الحزب الدستوري الحاكم** ، حيث شوهدا خلال اجتماع للمجلس النيابي ، في ١٠ كانون الاول ١٩٧٨ ·

الا ان خطوة الترهيب ، التي الحقت بخطوة الترغيب ، كانت عاجلة ، اذ تمثلت في منع صدور جريدة « **الراي** » لسان حال مجموعة **المستيري** ، لمدة ثلاثة اشهر ، وذلك كرد فعل على افتتاحيتها ، التي وصفت من قبل الحزب الحاكم « بالعنف » ، بمناسبة سنة على صدور اول عدد منها ·

وكانت « **الرأي** » (باللغة العربية) قد برزت الى الوجود يوم الخميس ٢٩ كانون الاول ١٩٧٧ · وصادف صدورها تصعيد الموقف في تونس ، وبعد اقل من اسبوع على اقالة وزير الداخلية **(بلوخوجه)** وفي فترة سجلت استقالة عدد من الوزراء ، من بينهم **الشطي** (الخارجية)، واجراء تعديل حكومي مع كثير من الاضرابات ·· ثم تلاحقت التطورات بسرعة ، لتنتهي باحداث انتفاضة ٢٦ يناير · وبرغم احداث الانتفاضة العنيفة، استمرت **الراي** في الصدور بل سمح النظام « للديمقراطيين الاشتراكيين » باصدار صحيفة « باللغة الفرنسية » اسموها « **الديمقراطية** » ، بدأت في الظهور منذ اواخر حزيران الماضي · اي بعد نصف شهر من تقديم **المستيري**

وجماعته طلبا للنظام الحاكم لترخيص انشاء حزب سياسي ، وكما تنص لوائح **حزب الدستور** ، اذا لم تأت الاجابة في مدة اقصاها ثلاثة اشهر ، يعتبر الطلب مرفوضا ، فكان الصمت من قبل السلطة، قابله صمت مجموعة **المستيري** ·

وقبل منع جريدة **الرأي** ، والتي لم يستسغ النظام لهجتها ، وقبل محاكمة النقابيين ، كان النظام قد اصدر ما اسماه بـ « **قانون الخدمة المدنية** » ، المصادق عليه يوم ٧ مارس (اذار) الماضي ، يخول للنظام حق اجبار الشبان (ما بين ١٨ و ٣٠ سنة) على دفع ما ادعى تسميته بـ « ضريبة العرق والحرمان » ، وذلك بالزامهم على الشغل ، رغم ارادتهم ، في اي ميدان يمكن توجيههم اليه ·

هذا القانون يحتم على الشبان الالتحاق بمعسكرات الخدمة المدنية ، حيث يجبرون على شغل يجهلونه ، باجر يجهلونه ، لمدة يجهلونها ، وفي مكان يجهلونه ، ايضا · ومن يرفض هذا « الواجب » يعامل كمجرم ، ويحكم عليه بالتشغيل الاصلاحي ، او بالسجن ·

وقد صرح **الهادي نويرة** ، عند مناقشة القانون في **مجلس الامة** ، قائلا « ··· وغاية القانون هي توفير اليد العاملة الموجودة والعازفة عن القيام ببعض الاعمال » · وهكذا ، فان غاية النظام من اصدار هذا القانون هو السيطرة على جيش الشبان ، وخاصة اولئك العمال والطلبة الذين تركوا دراستهم واشغالهم مكرهين على البطالة ، بواسطة الطرد التعسفي من المعامل ومؤسسات التعليم ، وذلك عقابا على وقوفهم في الصفوف الامامية دفاعا عن حقوقهم ومنظماتهم الجماهيرية ·

***

كتبت مجلة « **السياسة الاسبوعية** » الفرنسية ، تصف الوضع عشية الانتفاضة، تقول«لقد بلغ الرعب والارهاب، الذي يمارسه النظام الدستوري ، درجة لا يمكن مقارنتها الا بما يحدث في فلسطين المحتلة او في جنوب افريقيا ، فالصهاينة والعنصريون هناك يرتكبون كل الجرائم ، وهم يأكلون قطع الشكولاته ، ويقتلون الاطفال والشيوخ وهم يشربون زجاجات الشمبانيا · في تونس وفي شوارع العاصمة وساحاتها العمومية ، تتمركز فرق الكومندوس المتوحشة والجيش والبوليس يترصدون المارة ويطلقون النار بين سيجارة وسيجارة ، مرة بين الاقدام وعشر مرات في الرأس ·· حيث يسقط الشهيد في مكانه ·· وكثيرا ما كانت الضحية طفلا قفز من جوار امه الى الشارع ، وهو لا يعرف معنى حالة الطوارىء ·

ففي يوم ٢٩ كانون الثاني (يناير) ، بعد ثلاثة ايام من الانتفاضة ، كان الجيش ، الذي اخذ مواقعه في كل مدن تونس ، يتلذذ باصطياد الاطفال · ودفعة واحدة ، سقط ثلاثة اطفال ، كثلاث حمامات ، قرب « باب سويقة » (حي شعبي) · وفي مساء اليوم نفسه ، كان طفلان (٩ سنوات) يسقطان ، على اثر طلقتين من بندقية « ام سكستين » الامريكية ، انطلقت كل منهما من زاوية واستقرتا في جسدي الطفلين في نفس اللحظة » ·

وهكذا ، ظلت فيالق مرتزقة **الحزب الدستوري** ، يرافقها اعوان البوليس ، جاثمة على صدر الشوارع والساحات العامة ، لمدة تتراوح بين سبعة وثمانية اشهر ، وفي كل يوم تتم اعتقالات جديدة وايقافات جديدة للعمال والطلبة· بل وصل الامر الى السطو على المنازل ،

واخراج ساكنيها ، بالجملة ، الى السجن وكثيرا ما وقعت بعض المطاعم او بعض صالات السينما تحت الحصار ، لتبدأ عربات الشرطة في ايصال روادها الى مراكز الشرطة ، للتحقيق معهم واستجوابهم ·

ولا زالت هذه الاساليب ، الى الآن ، هي الطريقة المفضلة لدى النظام في بث الرعب في المواطنين ·

تورد مجلة « **السياسية الاسبوعية** » قصة تحمل كل انواع الفاجعة والطرافة ، في آن ··· « في الكوليزي ، حيث توجد قاعة سينما ومقهى كبير ، وكثير من صالونات الحلاقة ومحلات (النوفوتيه) ·· وبعد بدء عرض الفيلم·· كان الفيلم الذي يواصل عرضه ،للاسبوع الرابع ، هو فيلم **انغمار برغمان** ، (وجها لوجه) ، بدأت فيالق الشرطة والجيش يتدفقون لحصار - الكوليزيه - من ابوابه الثلاث · ليبدأ تفتيش الجالسين في المقهى · منتظرين نهاية الفيلم ، حتى تبدأ عربات الشرطة في ايصالهم الى السجن الجماعي · غير ان ما حدث كان بمثابة الطلقة التي ارتدت على صاحبها · فعندما بدأوا في تفتيش المقهى ، تبين ان كل الجالسين هم من اعوانهم المدنيين · والتفتوا الى العاملين في المقهى ، فتبين ان صاحبها له علاقات وطيدة مع وزير الداخلية · وعندما انتهى فيلم (وجها لوجه) كانت فرق الشرطة التي ضربت الحصار لم تفعل سوى ان حاصرت بعض الشرطة الذين يتمتعون باجازتهم اليومية· وهكذا كان فيلم(وجها لوجه) قد وجد امتداده خارج قاعة السينما » ·

***

وتروي ، **جين راي** ، مسؤولة قسم الشرق الاوسط في منظمة العفو الدولية ، التي ارسلت لمراقبة مجريات محاكمة ثلاثين نقابيا مثلوا امام **محكمة امن الدولة** بتهمة قلب نظام الحكم والركض به نحو الهاوية ··· تروي **جين راي** كثيرا من التفاصيل حول الانتهاكات ضد المساجين السياسيين ، وكذلك تفاصيل ما حدث لها طيلة مدة اقامتها ، والتي استغرقت عشرة ايام · فتقول « بلغ عدد النقابيين الذين قدموا للمحكمة في تونس وصفاقس وسوسة ١٤٣ نقابيا ، بالاضافة الى عدد آخر غير محدد قدم للمحكمة في مناطق اخرى من البلاد ·

« وبرغم من اننا لا نستطيع تحديد رقم السجناء الحقيقي ، الا اننا نعتبر ان كلهم « سجناء سياسيين » ولقد انصب اهتمامنا كله على ضرورة ان يحصل جميع الذين قدموا للمحكمة على محاكمة عادلة ، اي بمعنى آخر : محاكمة علنية ، حيث يتوفر فيها حق الدفاع عن النفس · الا ان هذا ، ورغم جهودنا المضنية ، نعتقد انه لم يحصل منه شيئا · فقد كانت المحاكمات سريعة ، وعلى وتيرة جامحة ، تخللتها انتهاكات واساءات للسجناء المعتقلين وعائلاتهم ·

« - لقد اعلن عدد من النقابيين السجناء انهم تعرضوا لنوع من التعذيب يدعى « المرجحة » · وهذا التعذيب يتم بتعليق الضحية الى الاعلى بواسطة قضيب حديدي ، يمر وراء الركبتين مع الايدي مربوطة الى الخلف · كما قال النقابيون انهم عذبوا بالحرق باعقاب السجائر والضرب على مناطق حساسة من اجسادهم ، وقد تبين ان احد السجناء قد تعرض للتعذيب بواسطة الكهرباء ، وذكر هؤلاء ايضا ان وسائل التعذيب هذه لم تستعمل ، فقط ، في السجون ، بل مورست ، ايضا ، في مراكز الشرطة اثر اعتقالهم » ·

وتمضي **جين راي** في روايتها « الانتهاكات لم تلحق بالسجناء فقط ، بل كانت من نصيب المحامين ، ايضا ، « فقد حرم رئيس **محكمة امن الدولة** محامي الدفاع ، **محمد بللونة** (وهو وزير العدل سابقا) من ممارسة مهنته لمدة سنتين ، بناء على المادة ١٧ من قانون ٢ تموز ١٩٦٧ ، الذي انشأ محكمة امن الدولة (وهي محكمة انشأت خصيصا لمحاكمة مظهرات حزيران ٦٧ ، التي اندلعت على اثر الهزيمة ، احرقت خلالها سفارتي بريطانيا وامريكا) ·

« وجاء قرار رئيس المحكمة هذا بسبب موقف **بللونة** في الجلسة الاولى للمحاكمة ، عندما اعلن انسحابه ، وترك قاعة المحكمة ، وتلقى المحامي **نور الدين بودالي** نفس العقوبة لنفس الاسباب ·

« وبشأن عائلات النقابيين المعتقلين، فقد تعرض هؤلاء ، عمدا ، لمضايقات ، فبعضهم يخضع لمراقبة دائمة من قبل الشرطة ، التي تراقب ، ايضا ، اجهزة هاتفهم ، بالاضافة الى ذلك ، القت الشرطة القبض على قرابة ثلاثين شخصا من اقرباء المساجين ، بالقرب من **محكمة امن الدولة** ، في الثامن والعشرين من ايلول الماضي · وبعد يومين ، فقط ، حكم على ١٣ منهم بالسجن لمدة سنة، وعلى بعضهم بالسجن لمدة ١٨ شهرا ··· » ·

··· هذه الصورة ، التي تحاول ان ترسمها **جين راي**، بكل دقائق تفاصيلها، تضيف اليها مراسلة « **السياسة الاسبوعية** » ، التي منعت من الدخول الى قاعة المحاكمة في الجلسة الثانية : « بعد ان تمكنت من الدخول في المرة الاولى ، حاولت ان اسجل بعض الشيء لكني منعت بقسوة · في الجلسة الثانية ، اعدت الكرة ، فاخرجوني بالقوة ، بعد ان سحبوا مني الورقة والقلم والحقيبة···

« وفي مركز الشرطة ·· لم استطع استرجاع حقيبتي ، الا عندما تذرعت بتذكرة الاياب ، وذلك بعد مضايقات وانتهاكات ، كنت اقابلها دوما بخفة روح ، لم استطع الاستمرار فيها فانفجرت، وكان الشرطي قاسيا فكان انفجاره اقوى · تلقيت لطمة على خدي · وتلقيت حزمة من السباب والشتائم بلغة فرنسية ملغومة بعربية شوارعية ··· » ·

***

وبعد ، فاذا كان لنا درس نستخلصه من الاحداث الاخيرة ، وما واكبها وصاحبها من قمع وارهاب واستفزاز بوليسي واعلامي · فانه يجب ان نتذكر ، دوما ، الانتفاضة العمالية كانت قد رسمت قطيعة تامة بين الجماهير الشعبية وبين سلطة الكمبرادور والارهاب ، التي لا يجب التعاون معها ، او التعاون في مسايرة اقتراحاتها ، وبرامجها ، واصلاحاتها ·

ان استحالة « التعايش السلمي » بين جماهير « انتفاضة الخميس الاحمر » وبين نظام **حزب الدستور** ، هو الدرس الذي ارتسم في آفاق تلك المعركة الحاسمة، التي تجاوزت حدود الاخلاقيات واساليب اهون السبل ·

ودائما كان طريق الاسهل ·· هو طريق الارتطام بالممرات المسدودة ، وفي المقابل كان طريق الاصعب هو القادر على دك سلطة الكمبرادور ، الدك العنيف والنهائي ·

بعض قوانين القمع والتعسف في تونس

● **قانون ابريل ١٩٧١** ، المصادق عليه من قبل مجلس الامة ومن وزارة الداخلية ووزارة العدل ، والذي ينص على تكوين فرق خاصة للامن ، تسمى « قوات

النظام العام » ، مهمتها قمع التظاهرات وحفظ الامن في البلاد ، وهي تمتلك جميع المؤهلات لان تحقق مع من تشاء او تسجن من تشاء ٠

● **قانون شباط ١٩٧٢** ، المصادق عليه من قبل مجلس الامة ، والذي تعدى حدوده الاقتصادية في ادماج تونس ، ادماجا كليا ، مع السوق الامبريالية ٠ وذلك طبقا للتسهيلات التي منحها للاستثمارات الاجنبية ، والنسب العالية جدا للفوائد التي تحصل عليها البنوك الخارجية ، الى جانب ذلك يسمح هذا القانون لدخول المواطن الاوروبي الى تونس ببطاقة الهوية فقط ، كذلك يسمح للمواطن التونسي ان يحمل جنسية ثانية الى جانب الجنسية الاصلية ٠

● **قانون مارس ١٩٧٣** ، المصادق عليه من قبل الحزب ومن مجلس الامة ، وهو ينص على تشكيل ميليشيات مسلحة تابعة **للحزب الدستوري** ، وتقوم بعملها بمقتضى الحالة الامنية للبلاد ٠ (وقد شاركت هذه الميليشيات الخاصة في قمع جماهير الانتفاضة ، مع البوليس والجيش) ٠

● **قانون يوليو ١٩٦٧** ، المصادق عليه من قبل مجلس الامة ووزارة العدل ووزارة الداخلية ، والقاضي بانشاء « **محكمة امن الدولة** » ، وهي محكمة تتولى الحكم في القضايا السياسية ، وكل ما يمس النظام ، انشئت على اثر انتفاضة حزيران ١٩٦٧ ٠

● **قانون ٧ مارس ٧٨** ، وهو قانون الخدمة المدنية الذي يخول للنظام حق اجبار الشبان ، ما بين (١٨ ـ ٣٠ سنة) ، على دفع ما اسماه ضريبة العرق والحرمان ، وذلك بالزامهم على الشغل ، رغم ارادتهم ، في ميدان يمكن توجيههم اليه ، لمدة غير محدودة ، ومن يرفض يعامل كمجرم ، ويحكم عليه بالسجن ٠

● **قانون اب ١٩٦٩** ، **(قانون المطبوعات الاستثنائي)** المصادق عليه من مجلس الامة ، من الوزارة الاولى ، من وزارة الداخلية ، ومن وزارة الثقافة ، والقاضي بمنع اي مطبوعة غير مرخص بها من قبل الهيئات المشار اليها ومن قبل ادارة

الحزب الحاكم ، وهو يقضي ، ايضا ، بمنع أي صحيفة تضع نفسها في موضع الهيئات الحاكمة في البلاد ٠٠٠ وهذا القانون الاستثنائي يلغي البند الثامن من دستور البلاد ، الذي ينص على حرية التعبير والتفكير ٠

● **قانون ابريل ١٩٧٣** ، المصادق عليه من مجلس الامة ووزارة الداخلية ومديرية الحزب ، والذي يسمى قانون « **الامن استثنائي** » ، ويسمح لرجال الشرطة ان يقوموا بمهمات تفتيشية في المنازل والمحلات العامة دون اذن من « **وكيل الجمهورية** » ، وهو ، ايضا ، يسمح لرجال الامن ان يطوقوا قاعة سينما ، مثلا ، ويشرعوا في التحقيق مع روادها ، دون سابق انذار ، ودون سابق تهمة ٠ والشرطي الذي يحمل بطاقة مهمة امن استثنائي يستطيع ان يسجن أياً كان ، في اي مكان ، واي زمان ٠

ميزانيات وزارات الداخلية والدفاع والثقافة في سنة ٧٦ ـ ٧٧

الوزارة	ميزانية المصروفات بالدينار **	النسبة المئوية من الميزانية العامة	
الداخلية	٤٨ر٧٩٠ر٠٠٠	١٨ر٢ بالمئة	٣١ر٥ بالمئة
الدفاع	٣٧ر٨٨٠ر٠٠٠	١٣ر٣ بالمئة	
الشؤون الثقافية	٣ر٤٣٨ر٠٠٠	٠ر٨٩ بالمئة	

★ نلاحظ ان ميزانية الداخلية والدفاع تتجاوز ثلث الميزانية العامة للبلاد بينما وزارة الثقافة وبالمقارنة لا تحصل الا على ٥،٨٩ ٠ هذه الارقام كفيلة ان تأمرنا بالصمت لتواصل هي الكلام عن القمع البورقيبي ٠

★★ الدينار التونسي = حوالي ثلاثة دولارات ٠

ملاحظات اميل حبيبي على مقال احمد فرحان:

هل "الحزب الشيوعي الفلسطيني ضحية التطرف القومي المزدوج"؟

كانت مجلة **«الكاتب الفلسطيني»** التي تصدر في بيروت نشرت ، في عددها رقم٦ (كانون الاول ، ديسمبر، ١٩٧٨) ، دراسة بقلم احمد فرحان بعنوان : «الحزب الشيوعي الفلسطيني ضحية التطرف القومي المزدوج» · وفي هذه الدراسة ورد ذكر الكاتب الفلسطيني **اميل حبيبي** ، الذي واكب الحركة الشيوعية الفلسطينية منذ الاربعينات وهو ، الان ، احد اعضاء المكتب السياسي في الحزب الشيوعي الاسرائيلي **(راكاح)** · ولما كان مقيما ، حاليا ، في براغ ، فقد توجه اليه احد الاصدقاء ان يقدم رأيه في هذه الدراسة ، وفي المعلومات التي جاءت فيها ، بشأن نشاطه هو نفسه ·

وفيما يلي نقدم أجمالا لملاحظات **اميل حبيبي** على هذه الدراسة ·

لنبدأ بملاحظات عامة حتى ننتهي الى ملاحظات عينية :

فقد لاحظنا الاهتمام ، في السنوات الاخيرة ، بدراسة تاريخ **الحزب الشيوعي الفلسطيني** · حتى لا ينقضي شهر، تقريبا، الا ونتلقى فيه رسالة من طالب جامعي فلسطيني ، من حيثما القى عصاه ، يطلب فيها معلومات او تصحيح معلومات عن **الحزب الشيوعي الفلسطيني** ·

ولا يقتصر الامر على الجامعيين الفلسطينيين · فنحن نعرف عن العديد من اليهود ، الاسرائيليين وغير الاسرائيليين انهم جعلوا من تاريخ **الحزب الشيوعي الفلسطيني** موضوع اطروحاتهم· وبعضهم ترجمت دراسته الى لغات اوروبية وامريكية شمالية لكي يستفيد منها غير المؤرخين ايضا ·

فكيف نفسر هذه الظاهرة ؟

اننا نرى في هذه الظاهرة – مستثنين منها الدراسات «المباحثية» – ظاهرة ايجابية· وذلك لاننا نعزوها الى اقتناع الاجيال المتنورة الجديدة بفشل الايديولوجيات والممارسات القديمة – القومية البرجوازية – في ايجاد حل للقضية الفلسطينية ، المزمنة والمأساوية · فامام اعين هذه الاجيال ، وفي عمرها ، قامت الرجعية العربية الحاكمة في عدد من الاقطار العربية ، ممثلة بانور السادات ، بدورة حتمية كاملة : من رفض الحلول «غير القومية» حتى الخيانة القومية الفعلية ·

ولا تنطلي على هذه الاجيال المتنورة الشابة محاولات زملاء السادات ، طبقيا وايديولوجيا ، غسل ايديهم من دم القضية الفلسطينية · الان اصبح واضحا انه ما من شيء خارق او غير طبيعي في طريق **انور السادات**· انما هو الحصيلة الطبيعية لعدم قدرتهم ولعدم رغبتهم (الطبقية) في الانطلاق من دائرة «الوساطة» الامبريالية والممارسات القومية البرجوازية ·

ويقينا ان المسؤول الاول والاساس في ظهور المأساة الفلسطينية ، وفي استمرارها الان حوالي نصف قرن ، هو الامبريالية والصهيونية ، ولكن الموضوع ، الذي تجري معالجته الان ، هو غير ذلك · ان السؤال المطروح في اذهان الجماهير واوساطها الوطنية ، هو : كيف لم تنجح هذه القيادات القديمة في التصدي لهؤلاء الاعداء ، وفي وضع حد ولو جزئي لمأساة الشعب العربي الفلسطيني العريق، الذي لم يبخل بدمه ، في يوم من الايام ، في حين استطاعت شعوب اخرى ، بقيادات اخرى ابعد افقا من عائدات نفطية ومنافع نفعية ، ان تنتزع حريتها ؟

ولذلك نعزو هذه الظاهرة الى قيام الاجيال المتنورة الجديدة بالبحث ، ولو بدافع المثل السلبي · عن الطريق الاخر طريق الوطنية البروليتارية (ونسميه : الاممية البروليتارية) الذي ثبتت نجاعته في حل القضايا القومية في انحاء العالم الاخرى · ان تعاظم الرغبة في دراسة تاريخ **الحزب الشيوعي الفلسطيني** راجع الى تعاظم الشعور بان **«الحجر ، الذي رفضه البناؤون ، اصبح رأس الزاوية»** !

ولنا، في الوقت نفسه ، مأخذ على هذه الدراسات · وأهمها ، كما لاحظنا ، ان غالبية هؤلاء الباحثين (وهناك ، بالطبع، استثناءات قيمة) تبحث عن «الطريق الاخر» ، طريق الوطنية البروليتارية – الاممية البروليتارية – دون ان يكون واضحا لها الامر الاساس ، الذي يميز هذا الطريق عن الطريق القديم ، طريق القومية البرجوازية الفاشل · ان العيب الاساس ، في غالبية هذه الدراسات ، ان اصحابها يبحثون عن «الطريق الجديد» في معالجة القضية الفلسطينية ، دون ان يتخلصوا من مفاهيم القومية البرجوازية الضيقة ·

نحن الماركسيين اللينينيين ، نسمي وطنية الطبقة العاملة وغيرها من الفئات المحرومة : الاممية البروليتارية· ونرى ان الاممية البروليتارية هي الامر الاساس ، الذي يميز «الطريق الجديد» –البروليتاري– من الطريق القديم البرجوازي ·

ولا ضرورة لان يهولنا هذا التعبير – الاممية البروليتارية – مثلما كان الاقدمون تهولهم ظواهر الطبيعة فيقدمون لها القرابين · يقينا انه ما من شعب ، منذ الحرب العالمية الثانية ، قدموه قربانا لمثل هذا الجهل الجاهلي كما قدموا الشعب العربي الفلسطيني !

ليست الاممية البروليتارية امرا مجهولا او خارقا · وليست نقيض الوطنية الصادقة انما هي ارتفاع بهذه الوطنية الى اسمى معانيها – الاخلاقية والسياسية ، في وقت معا · وكان هوشي منه يؤكد ، دائما ، ان اخلاصه لقضية شعبه ووطنه هو الذي قاده الى تبني الماركسية اللينينية والاممية البروليتارية ·

وفي اول برنامج للشيوعيين – **«البيان الشيوعي»** – اوضح **ماركس وانجلز** عمق الخيانة الوطنية التي يرتكبها النظام الرأسمالي ، كل نظام رأسمالي **استغلالي**، حين يجرد العمال (البروليتاريا)

وكل الكادحين المعدمين من جميع خيرات الوطن ـ المادية والثقافية والروحية ـ حتى يشعروا بالاغتراب في وطنهم ، وبانه «لا وطن لهم » · وتأتي الكولونيالية والامبريالية ، فيما بعد وبكل ما فيهما من حملات الاستيطان الابيض ، والتشريد ، والاحتلال ، وابادة الشعوب ، حتى تجعل المعدمين اقتصاديا معدمين وطنيا ، ايضا· ان هذه الجريمة التاريخية الكبرى هي التي تحدد وطنية الرأسماليين والكولونياليين والامبرياليين ، من جهة ، ووطنية الاكثرية الساحقة من المعدمين من جهة اخرى · ففي حين تكون وطنية الفريق الاول مقتصرة على المصالح المادية المعينة والضيقة للفريق الاول . وعلى حساب شعبه نفسه والشعوب الاخرى · فان وطنية المعدمين . الذين ليس لهم في الوطن من ملك خاص حتى ولا القبر الخاص ، لا يمكن الا ان تشمل الوطن كله : اما ان يكون او ان لا يكون . واما ان يكونوا فيه او ان لا يكونوا ! ومن هذا المنطلق الوطني الشامل انطلقت صيحة **فيدل كاسترو : الوطن او الموت !**

واذكر ، في تفسير هذا الامر ، واقعتين: الاولى ـ ما كنا نسمعه ونقرؤه ، في زمن الانتداب البريطاني في فلسطين ، من حجج الزعماء العرب الرجعيون يلتجئون اليها، لتبرير استئثارهم بقيادة الحركة الوطنية الفلسطينية · فكانوا يقصرون هذه القيادة ، جهارا ، على «اصحاب المصالح الحقيقية في البلاد» · هذا كان تعبيرهم بالضبط · فمن هم ، في رأيهم ، «اصحاب المصالح الحقيقية » ؟ ملاك الارض والتجار ·

والثانية ـ واقعة وقعت في العام الماضي في بلادنا ، في اثناء الانتخابات للمجالس المحلية · وكانت جبهتنا الديمقراطية قد رشحت لرئاسة المجلس المحلي في قرية كابول العربية الكاتب المعروف والمربي ، **محمد علي طه** · وكان **محمد علي طه** لاجئا في كابول ، من قرية مجاورة ، هدمها الحكام الصهيونيون ، وشردوا اهلها، وصادروا اراضيهم · ومع ذلك فان منافسيه الرجعيين في القرية لم يرعووا عن التنديد به لهذا السبب · قالوا: انه لا يملك في القرية اي شبر من الارض، فكيف نأتمنه على الدفاع عن اراضينا ؟ لقد اجبناهم ، حينئذ ، الجواب الشافي وقلنا: انه لا يملك ارضا يستطيع الناهبون ان يهددوه بنهبها ، او ان يسكتوه بالتعهد له بانهم لن ينهبوها · ليس **لمحمد طه** ولرفاقه اية قطعة ارض من الوطن · ولذلك ليس امامه من طريق ، ومن امل ، الا ان يدافع عن الوطن كله ·

وتقوم مبادىء الاممية البروليتارية على اساسين موضوعيين ومرتبطين :

الاول ـ انه في مقدور الكادحين تحقيق تحررهم القومي والاجتماعي ، والتصدي لجميع الامبرياليين ، والرأسماليين ، وكل الغاصبين · ولكن الشرط الذي لا غنى عنه لتحقيق ذلك هو ان يحققوا الوحدة في صفوفهم ، انهم الاغلبية ، وبدونهم لا يستطيع اي مجتمع ان يعيش واي جيش ان يقوم ·

والثاني ـ ان هذه الوحدة ممكنة التحقيق . لان مصالح الكادحين ، من كل الشعوب والامم والاقطار ، واحدة · في النضال ضد كل مظهر من مظاهر التمييز العرقي ، والاضطهاد القومي ، والعدوان والاحتلال ، والتنكر لحق اي شعب من الشعوب في تقرير مصيره بنفسه ، وفي السيادة القومية في وطنه ·

لقد كان **ماركس وانجلز** اول من اطلق الصيحة التي غيرت وجه العالم ـ «يا عمال العالم اتحدوا» ! **ولينين** ، في عصر الثورات الاشتراكية ، هو الذي ارشد الشعوب والامم المظلومة الى معين قوتها، الذي لا ينضب · فجعل هذا الشعار على الوجه التالي : « يا عمال العالم وايتها الشعوب المظلومة اتحدوا» !

فليس يكفي ان تكون وطنيا صادقا ، بل عليك ان تختار الطريق المجدي نحو تحقيق اهدافك الوطنية الصادقة · عليك ان تحشد الطاقات الوطنية (ان تخلص اكثرية شعبك الكادح من مشاعر الاغتراب في الوطن) وان تحشد الطاقات الدولية (ان تخلص قضيتك الوطنية من الاغتراب في عالم الثورة) · فالاممية البروليتارية تلزم عمال العالم ، وخصوصا اولئك الذين تسلموا مقاليد شعوبهم ودولهم (الاقطار الاشتراكية) ، بأن يمدوا يد العون الى الشعوب المظلومة · وهم يفعلون ذلك· ولا تلزم الاممية البروليتارية هذه الشعوب الا بأن لاتسمح للامبرياليين والرأسماليين بأن يعضوا هذه اليد ـ في مجال المواقف الداخلية وفي مجال المواقف الخارجية ·

ولقد وجدت انهمن الضروري الاستفاضة في توضيح الامر المميز للطريق الجديد ـ الاممية البروليتارية ـ عن الطريق القديم الفاشل ـ القومية البرجوازية ـلان هذا الامر المميز هو ما تفتقر اليه العديد من الدراسات عن تاريخ **الحزب الشيوعي الفلسطيني** . ومنها الدراسة التي نحن بصددها الان ·

وهنا نأتي الى الملاحظات العينية على دراسة **احمد فرحان** ·

فأول ما يثير الدهشة هو العنوان الذي اختاره لدراسته ـ «الحزب الشيوعي الفلسطيني ضحية التطرف القومي المزدوج» !

ان الامر المثير للدهشة ، في هذا العنوان ، ان الباحث الفلسطيني **احمد فرحان** يساوي ـ هكذا ، بجرة قلم ، بين التطرف القومي الفلسطيني وبين التطرف القومي الصهيوني · لقد رفضنا نحن الشيوعيين العرب واليهود ، دائما وطول الوقت والان ايضا، المساواة بين الامرين· فمع معارضتنا لكل تطرف قومي فاننا ميزنا ونميز بين القومية الموالية للامبريالية ـ قومية الصهيونية ـ التي تتنكر لحقوق الشعب العربي الفلسطيني وبين القومية المعادية للامبريالية ، قومية الشعب المعتدى عليه والذي اجلي عن وطنه ـ الشعب العربي الفلسطيني ، والامين العام لحزبنا الشيوعي ، **ماير فلنر** ، اوضح هذا الموقف الماركسي ـ اللينيني في كتيب خاص اصدره في العام ١٩٦٦ واضاف : «نحن الشيوعيين وجميع القوى التقدمية في اسرائيل ، نتفهم كل التفهم مشاعر الشعوب العربية ، وعلى وجه الخصوص مشاعر الشعب الشقيق ، الشعب العربي الفلسطيني الذي يعيش في مخيمات اللاجئين في اوضاع غير انسانية · ان شعور النفور من الاوساط الحاكمة في اسرائيل هو شعور مفهوم تماما ومبرر كليا · غير ان هذا الشعور يجب الا يقود الى نتائج متطرفة وضارة» ·

وليس سرا ان النظرية الاساس التي رفضناها، وباسمها حاول المنشقون(جماعة **ميكونس وسنيه**) ان يشقوا حزبنا ، هي نظرية ان الصراع الاسرائيلي ـ العربي هو صراع بين قوميتين وبين التطرف القومي الذي يميز كلا منهما ·

رفضنا ، دائما ، هذه النظرية شبه الصهيونية ، والتي سرعان ما قادت اصحابها (المنشقين) الى الغرق في مستنقع الصهيونية نفسها ·

ان تاريخ حزبنا، منذ نشوئه في فلسطين وحتى يومنا هذا ، يتميز عن جميع الاحزاب والمنابر السياسية التي ظهرت في بلادنا في انه دائما وقف في وجه تلك الاراء (والممارسات ايضا) التي ارادت ان ترى الصراع في فلسطين مجرد صراع بين قوميتين · لقد كان الصراع الاساس ولا يزال صراعا ضد الامبريالية (بريطانية ثم امريكية) حاولت ، وما تزال ، ان تثبت مراكزها ومراكز اعوانها في شرقنا بسياستها التقليدية ، سياسة «فرق تسد»، سيئة الصيت · انه صراع من اجل التحرر الوطني للشعب العربي الفلسطيني ولجميع الشعوب التي تقطن هذه الرقعة العريقة ·

ومن منطلق وطنيتنا البروليتارية ، التي هي ، في اعتبارنا وكما اثبتنا بتجربتنا نحن انفسنا ، اعلى مراتب الوطنية ، انتهجنا سياسات وممارسات كان هدفها، دائما، التصدي لهذه السياسة الكولونيالية والامبريالية وحشد العرب واليهود في جبهة واحدة ـ جبهة التحرر الوطني والاجتماعي ·

اما الصهيونية فقد اصبحت ، سياسة وممارسة ، شريكا للامبريالية واداتها الرئيسية · واما القيادة العربية القديمة (الرجعية) فلم تستطع ان تخرج ، ولا تستطيع ، حتى الان ويبدو انها لن تستطيع ابدا، الخروج من نطاق «الوساطة» الامبريالية والوهم الطبقي الضيق ، بأنها تستطيع، بتقديم التنازلات الى الامبريالية، ان تحل محل الصهيونية في تلك الشراكة او ان تكون الزوجة الثانية · وانه لمنظر مأساوي حقا ان نرى انور السادات يعود الان ، بدون ان يغير حرفا واحدا ، الى الممارسات المأساوية التي مارستها قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية في الاربعينات (بدعم الملوك والشيوخ والبشوات العرب) في مؤتمرات الموائد المستديرة وغير المستديرة في لندن · ان الانتقال الى كامب ديفيد هو مجرد تغيير موقع لا تغيير موقف !

وبتركيزنا على العدو الاساس ـ الامبريالية ـ لم نتجاهل ، ولا نتجاهل الان ، دور الصهيونية العدواني ، في محاولة اقتلاع شعب من وطنه وفي الاحتلال والتوسع · بل نريد ان نسجل لصالح حزبنا انه كان اشد الفئات السياسية تنبها لهذا الخطر وتحذيرا من الممارسات القومجية العقيمة، التي لم يكن من شأنها الا ان ترمي جماهير اليهود في فلسطين في احضان الصهيونية، موهمة اياهم ـ بجريرة مواقف عربية مزايدة ـ بأنه لا حياة لهم الا بالحديد والنار ·

ونرى الان مصير المواقف القومية البرجوازية . التي لم يتردد اصحابها ، دائما ، في تقديم التنازلات للعدو الامبريالي رافضين (علنا ، واما في السر فالامر مختلف جدا··) طرح برنامج وطني فلسطيني ، يضع امام جماهير اليهود في فلسطين بديلا ديمقراطيا ايجابيا عن طريق الصهيونية والامبريالية · فبأسم هؤلاء جميعا زحف انور السادات على ركبتيه الى الكنيست الاسرائيلية ، وبصم بأصابعه العشرة على التزييف الصهيوني التاريخي بأن اساس النزاع (او سبعين بالمئة منه··) هو ان العرب كانوا يريدون القاء اليهود في البحر ، والان جاء انور السادات ليطمئنهم بأن العرب تخلوا عن هذا «الهدف» ··· وهكذا «انتهت» المشكلة !!

لا داع لان نتحاكم الان : هل كان من الممكن ان يكون التطور في فلسطين غير ما هو عليه في الوقت الحاضر · ولكن امرين اثنين لا يستطيع دارسو التاريخ ان

يتجاهلوا العبرة منهما · الاول ـ ان الزعامة التقليدية (الرجعية) رفضت بعناد، في الماضي ، الاحتكام الى الرأي العام العالمي · لقد هرعوا ، في العام ١٩٤٦ ، الى الاحتكام امام لجنة التحقيق الانغلو ـ امريكية · فلما ارسلت الامم المتحدة ، بقرار خاص ، لجنة لتقصي الحقائق ، قاطعوها وفرضوا علينا جميعا، بالارهاب، مقاطعتها · وهذا ما يقوم به الان انور السادات ، بأسمهم جميعا ، بأصراره على محادثات كامب ديفيد وبمقاومته محادثات جنيف ·

والثاني ـ ان هذه الزعامة الرجعية (وبدفع مباشر من كل الرجعيات العربية الحاكمة آنذاك) فرضت على الشعب العربي الفلسطيني ، بأسمه وبدون مشاورته ، ان يقول «لا» لكل حل معاد للامبريالية ، لكل حل عادل وعقلاني ، كان يستطيع ان يوقف مأساة الشعب العربي الفلسطيني عند حد من الحدود ، وان يظلله بعلمه المستقل وان يحفظ له موطىء قدم في وطنه · ولم يطلبوا منه ان يقول «نعم» الان ، الا لذلك الحل الذي يزيله من الوجود ، قوميا وسياسيا ·

الشيوعيين في فلسطين، وفي «اسرائيل» لاحقا ، لم لم يطلبوا من الحركة الوطنية الفلسطينية ، او العربية عموما ، ان تعقد الصفقات او ان تجري التنازلات مع القيادات الصهيونية · وانما دعونا ، وندعو الان ، الى ان يكون القرار ـ وكما يقول ياسر عرفات نفسه ـ « قرارا فلسطينيا » ، اي قرار يعتبر الوضع الفلسطيني الخاص ويضع امام الشعب اليهودي الاسرائيلي البديل الديمقراطي عن الصهيونية وحراب الامبريالية · لقد رأينا في الحركة الوطنية الفلسطينية ، ونرى فيها الان ايضا ، الحركة الاساس في النضال من اجل التسوية العادلة ، المعادية للامبريالية · فهي المدعوة الى وضع الحل الايجابي للقضية القومية في مواجهة العدوان الصهيوني ـ الامبريالي ·

كذلك يثير الدهشة ، في العنوان المذكور اعلاه ، ان احمد فرحان اعتبر حزبنا «ضحية» ! لسنا ضحية الا بمدى ما هو شعبنا العربي الفلسطيني نفسه والجماهير اليهودية الاسرائيلية ضحية ·

ولقد حاولت الامبريالية ، وهي مستمرة في محاولتها ، ان توقع فينا الضحايا · ومن العجيب، حقا ، ان معظم الدراسات التي ظهرت عن تاريخ الحزب الشيوعي الفلسطيني تتجاهل واقعة ، لها دلالتها الكبرى ، وهي ان سلطة الانتداب البريطاني ، في ايامها الاخيرة في فلسطين ، وبعد ان دفعت الوضع الى الفوضى العامة ، لم تجد شيئا في فلسطين «يخل بالامن العام» سوى صحيفتنا «الاتحاد» فأوقفتها عن الصدور ، وألغت ترخيصها · ليش ؟ لانها كانت الصحيفة الوحيدة (العربية) التي كشفت عن كل المؤامرة المحاكة ضد الشعب العربي الفلسطيني ، ودعت الى وقف الاقتتال اليهودي ـ العربي ، والى توجيه المعركة ضد الامبرياليين · كانت « الاتحاد » الصحيفة الوحيدة التي دعت الى السلام العربي ـ اليهودي ، الى السلام في فلسطين · فأوقفتها سلطات الانتداب !

وعلينا ان نلاحظ ان غالبية الدراسات عن تاريخ الحزب الشيوعي الفلسطيني تهمل البحث في دور سلطات الانتداب البريطاني في تأجيج الاحتراب الدموي في فلسطين ، بل وبأفتعاله في احيان كثيرة· ويستطيع ابناء جيلي ، ممن بقوا على قيد الحياة ، ان يحكوا عما شاهدوه بأعينهم من مباذل الجيش البريطاني في هذا

المجال ·

اما وهذه هي الحالة ، لدى معظم اجيالنا الجديدة المتنورة ، فمن الصعب ان نلوم **احمد فرحان** على انه اورد في دراسته الفقرة التالية : «اما مجموعة **فؤاد نصار – اميل حبيبي** ، التي اخذت موقفا مؤيدا للتقسيم ، فاخذت تحرض ضد (الغزو العربي) بعد ان دخلت الجيوش والقوات العربية الى فلسطين ...» ·

هذا الكلام ساقط تاريخيا ، من اوله الى اخره · فلم تكن هناك مجموعة «اخذت موقفا مؤيدا للتقسيم » ،بل **عصبة التحرر الوطني** كلها ، وقفت هذا الموقف · بعد ان رأت عمق المؤامرة المحاكة ضد الشعب العربي الفلسطيني ، لاقتلاعه من وطنه وفداحة الخيانة التي اقدمت عليها **الانظمة** الرجعية القائمة في البلدان العربية انذاك · لا يمكن دراسة تاريخ حزب سياسي بأهمال الاوضاع السياسية التي عمل هذا الحزب في ظلها · فلماذا يتناسون ان **الجامعة العربية** ، انذاك ، عينت **الملك عبد الله** ، الاردني ، قائدا عاما للجيوش العربية التي دخلت فلسطين ، لا لتحريرها بل لمنع قيام الدولة الفلسطينية في القسم المخصص لها من فلسطين ؟

وكان هذا القائد العام، في اثناء قيادته، يقابل **غولده مئير** ، مرة ومرتين ، ويتفق معها على اقتسام القسم المخصص للدولة العربية الفلسطينية ·

ولم «تحرض» ضد «الغزو العربي» · ولا اذكر ان هذا التعبير ورد في اية نشرة من نشراتنا ، ولكننا شجبنا ما جرى من ترحيل للشعب العربي الفلسطيني في ظل الجيش الاردني (طبريا وصفد واللد والرملة، مثلا) وتسليم المثلث الى اسرائيل في **اتفاقية رودس** وما كانت اذاعة **الملك** **فاروق** تعلنه عن «بطولات غزو قرية اسدود» · وهل ، حقا ، لا يعرف الجيل الجديد كلمات الاسى التي كانت تنطلق من افواه الضباط والجنود العراقيين حين كان يسألهم القرويون العزل من السلاح: لماذا لا تدافعون عنا ؟ فكانوا يجيبون : ماكو اوامر !!

لقد طلبنا من ضباط وجنود البلدان العربية ان يحولوا حرابهم نحو حكوماتهم الرجعية المتآمرة مع الاستعمار على شعب فلسطين · **وسرعان ما فعلوا ذلك** · لقد هزهم زلزال المأساة الفلسطينية فقوضوا العروش العفنة ، وفجروا عهدا جديدا واعدا في الاقطار العربية ·

ونعتقد انه الان ، قد كشف **انور السادات** عن عورة الرجعية العربية ، وتحاول فصائل منها ، وعلى الرغم من ذلك ، الاستمرار في التظاهر بوطنيتها وبقوميتها · من الضروري التعمق بدراسة الدور الخياني ، بل الاجرامي ، الذي قامت به الانظمة الرجعية في الاقطار العربية في العام ١٩٤٨ : ماذا فعلت في فلسطين ، وماذا فعلت بفلسطين ؟!

لقد التجأ **احمد فرحان** الى دراسات باحثين سبقوه الى الكتابة في هذا الموضوع · فاذا اخطأوا اخطأ · وقدا اخطأوا في العديد من الوقائع · ولقد قام **الحزب الشيوعي الاسرائيلي** ، ويقوم الان، بنشر دراسات عن مراحل معينة من تاريخ **الحزب الشيوعي الفلسطيني** · ولا اجد نفسي مخولا او قادرا على التعليق على جميع الاخطاء ·

ولكن ، وحتى لا يبقى الامر في صدور الرجال ، ارى من الضروري تصحيح الوقائع التالية : –

– الخلاف الذي وقع في الحزب

الشيوعي الفلسطيني في العام ١٩٤٣ لم يكن سببه الاشتراك او عدم الاشتراك في الاحتفال بأول ايار ، بل حول موعد الاضراب الذي قرره عمال معسكرات الجيش البريطاني ، العرب واليهود · فقد حاولت **الهستدروت** ان تحتكر قيادة هذا الاضراب بدون ان تشارك **جمعية العمال العربية الفلسطينية** في قيادته · وبالفعل فاجأت العمال بأعلان الاضراب من جانب واحد ·

– ليس صحيحا ان الحزب ، على اثر ذلك انشق الى ثلاث مجموعات وان المجموعة الثالثة ساهمت بتأسيس عصبة **التحرر الوطني** · اما الذي ساهم بتأسيس العصبة هم الشيوعيون العرب جميعا ·

– ليس صحيحا ان المرحوم **رضوان الحلو (موسى)** انشأ مع شيوعيين يهود ، **الاتحاد التربوي الشيوعي** · ليست **لرضوان الحلو** اية صلة بهذا الاتحاد ، الذي لم يعمر طويلا ·

– ليس صحيحا ان نظام **العصبة** الاساسي «نص على ضرورة انشاء حزب مبني بكامله على الاسس الشيوعية » · انما كان واضحا منذ البداية ان **العصبة** هي تنظيم وطني ديمقراطي، وان الشيوعيين يعملون في داخله في الاوضاع المعقدة التي نشأت على اثر انشقاق **الحزب الشيوعي الفلسطيني** ·

– صحيح ان عددا قليلا من قيادة **العصبة** ترددوا في تأييد قرار التقسيم ، الذي نص على انشاء دولتين مستقلتين في فلسطين تربط بينها وحدة اقتصادية – دولة عربية ودولة يهودية – · ولكن الاسماء المذكورة ليست صحيحة كلها ، والاهم ان الاكثرية الساحقة في اللجنة المركزية وفي جميع تنظيمات **العصبة** ايدت قرار الامم المتحدة منذ اللحظة الاولى ، ونبهت الى ان الصهيونية انما تتظاهر بتأييد هذا القرار ، وهي تعمل على الغائه، وعلى التوسع وعلى اجلاء الشعب العربي الفلسطيني عن بلاده· ومؤتمر **العصبة في الناصرة** لم يعارض قرار التقسيم ، بل ايده بالاجماع · ولم يعقد بعد ذلك اي مؤتمر **للعصبة** لا في يافا ولا في غيرها· فالمعلومات التي اوردها **احمد فرحان** ، في هذا المجال ، **خاطئة كلها** ·

كذلك ليس صحيحا انه كان هناك اي نشاط لبضعة الرفاق الذين ترددوا في تأييد قرار الامم المتحدة ، لا في **مؤتمر العمال العرب ولا في رابطة المثقفين العرب** (الموجودة منذ العام ١٩٤٤) ولا في يافا ، ولا في حيفا ،ولا في غيرها · ان معلومات **احمد فرحان** هنا تدعو الى الدهشة ·

ومن غير الممكن الانتباه من هذه الملاحظات السريعة بدون العودة الى مستهل دراسة **احمد فرحان** حيث يقرر – دون اي تبرير – ما يلي : «يعود **الحزب الشيوعي الفلسطيني** في نشوئه، اساسا الى يسار الحركة الصهيونية ويعتبر امتدادا لها ونتيجة لصراعاتها · وظل محكوما بمأزقها التاريخي ، رغم كونه يشكل نقيضا نظريا لها » ·

كيف لم يلاحظ **احمد فرحان** ان نهاية جملته هذه تنقض بدايتها ؟ الا اذا كنا نجابه هنا ترجمة عربية لدراسات معادية لنا · ويستطيع هذا الاستنتاج ان يفسر العنوان العجيب الذي اختاره لدراسته ·

اما ان يكون مهاجرون يهود هم الذين حملوا الاشتراكية العلمية الى فلسطين ، فهذا امر لا يعيب الشيوعية ، ولا يعيب العرب ، ولا يعيب اليهود · والغزو الكولونيالي البريطاني في الهند ، مثلا ،

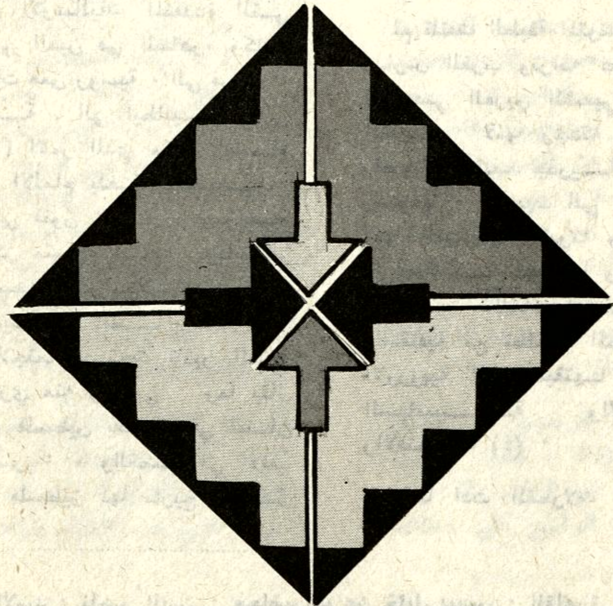
قد حمل اليها صناعات اوجدت اوائل الطبقة العاملة في الهند · فهل ، لسبب ذلك ، علينا ان نعتبر الطبقة العاملة الهندية ، او الطبقة العاملة الفيتنامية ، ظاهرة «اجنبية» !

اما اعتبار الحركة الشيوعية في فلسطين «امتدادا لحركة الصهيونية» وان الحزب الشيوعي الفلسطيني «ظل محكوما بمأزقها التاريخي» فهو ، ببساطة ، شبيه بالاعتبار الفلسفي ان « نفي النفي هو للنفي» · ولكنه يظل نفيا له · وانشاء خطوط السكك الحديدية في العديد من بلاد الشرق هو «امتداد» للكولونيالية ، ادى الى نشوء الطبقة العاملة ، التي بنموها وبوحدتها وبوعيها تنفي وجود الكولونيالية نفسها · وقديما انتبه كارل ماركس الى ان الرأسمالية ، بانشائها الطبقة العاملة ، تقيم حفار قبرها بيدها ·

يقينا ان الصهيونية في مأزق تاريخي · بل هي في اكثر من مأزق · انها تقف امام باب موصود ، فيما يختص بمستقبل الشعب الاسرائيلي نفسه ، ومستقبل الدور العدواني الذي اعدته الامبريالية لدولة اسرائيل · ولكن الحركة الشيوعية غير محكومة بهذا المأزق ، لانها الحركة الوحيدة التي في مقدورها ان تضع ، وتضع ، المخرج لشعب اسرائيل نفسه ، ولشرقنا من هذا المأزق الدموي · ونقاشنا الاساسي ، في هذا المجال ، مع القومية البرجوازية ، أنها فشلت وغير قادرة (طبقيا) على اخراج شرقنا وشعبنا العربي الفلسطيني من هذا المأزق الدموي · أن الشيوعيين الفلسطينيين ليسوا ضحية ، بل هم الحركة الوحيدة التي أثبتت كل التطور في تاريخ القضية الفلسطينية أن موقفها الاساس وخطها العام هما الوحيدان الصحيحان ·

واذا تغاضينا عن الفوارق الجذرية في الامثلة التالية ، نستطيع أن نقول ، وبكل اطمئنان : كما أن حركة التحرر الوطني الجزائرية الباسلة أدركت واجبها ، ومن أجل نفسها أيضا ، في أن تضع مخرجا ديمقراطيا وايجابيا امام المستوطنين الفرنسيين ، وكما أدركت الحركة الوطنية التقدمية في العراق هذا الواجب بالنسبة الى كردستان العراق ، فأن **منظمة التحرير الفلسطينية** ـ الممثل الشرعي الوحيد والمعترف به وطنيا وعالميا للشعب العربي الفلسطيني ـ تتوصل الى المزيد من الوضوح في هذا الادراك ، الصادر عن أسمى المسؤولية الوطنية ، بمدى ما تترجم الى واقع أصرارها على أن يكون القرار فلسطينيا·

مقالات ودراسات ادبية وفنية



خليل بيدس والقصة القصيرة في فلسطين

يوسف حداد

يعود نشوء القصة الحديثة في فلسطين الى عصرالنهضة نتيجة للاتصال بالغرب واطلاع البورجوازية الناشئة على ثقافته عبر مدارس الارساليات المتعددة التي جاءت بدعوى الدين في الظاهر، وكانت متعددة اللغات فمن روسية ، الى فرنسية، الى بريطانية ، الى ايطاليا ، الى المانية ، (١) الامر الذي مكن ابناء فلسطين من الالمام بلغات اجنبية ، والتعرف على فنون ادبية ، ومواضيع علمية لم تكن متوفرة لديهم . وبانتشار المطابع والصحف ، والمجلات بدأت تظهر بواكير جديدة في النتاج الفكري ، والادبي والاجتماعي تحت تأثير النتاج الغربي الفكري منه والادبي . وما يقال عن ذلك في فلسطين يقال في لبنان والشام ومصر . « والقصة في الادب الحديث في فلسطين لها تاريخ طويل يكاد في نشاته يواكب نشاة هذا الفن في لبنان ومصر او يتلوهما غير بعيد » (٢) .

لم تلتفت الطبقة المتوسطة الناهلة من مدارس الغرب وتراثه عندنا الى تراثنا القصصي العربي الشعبي منه وغير الشعبي . لأنها وجدته يعالج هموما وقضايا تختلف جذريا عن شؤونها وهمومها ، فاتجهت الى القصص الغربي لانها الفت فيها هموما ومشاكل مشابهة الى حد ما لهمومها ومشاكلها (٣) . وقد التقت تطلعاتها الفنية والفكرية والثقافية مع تطلعات الطبقة الوسطى الاوروبية التي سبقتها في تجاربها السياسية والاجتماعية والاقتصادية (٤) .

وكما ادت التحولات الاجتماعية في

١ ـ الاسد ، ناصر الدين . **محاضرات عن خليل بيدس** . القاهرة ١٩٦٣ ، ص ١٤
٢ ـ ياغي ، عبد الرحمن . **الادب الفلسطيني الحديث** . ١٩٦٩ ، ص ٧٤
٣ ـ ياغي ، هاشم . **القصة القصيرة في فلسطين والاردن** . ١٩٦٦ ، ص ١٤٦
٤ ـ ياغي ، عبد الرحمن . **الجهود الروائية من سليم البستاني الى نجيب محفوظ.** ١٩٧٢ ، ص ١٦

اوروبا عند قيام الطبقة الوسطى على انقاض النظام الاقطاعي الى تحول جذري في الفن القصصي بحيث لم تعد القصص محصورة في تصوير طبقة الفرسان وسيدات القصور بل اتجهت لتعبر عن اهتمامات نابعة من التركيب الجديد ، فلقد اخذت تطلعات الطبقة الوسطى عندنا تمتد الى افاق بعيدة وتجارب جديدة تتلاءم مع الواقع الجديد في المجتمع العربي المتحول عن البنى الاقطاعية . المتداعية واخذت القصة عندنا تعبر عن اهتمامات نابعة من الواقع المستجد (٥) .

واذا عدنا الى النتاج القصصي الذي اخذ يظهر في عصر النهضة على ايدي الرواد ـ وهو في غالبه بين مترجم ومقتبس ـ بدا واضحا اثر التقليد فيه في الشكل والمضمون رغم التحوير والاصباغ ، ورغم تضمينه الشعر وبعض الازياء الشرقية ، وتوشية الاسلوب باعتماد الزخارف البديعية، فلقد بقي مقطوع الصلة بالتراث العربي القصصي التقليدي ، ولا يمكن اعتباره امتدادا له ، وتفرعا منه . كما انه ليس امتدادا متطورا للمقامات التي بدت مع **اليازجي والشدياق** امتدادا للقديم وتقليدا له ، وهي بالتالي ليست امتدادا ناميا لتيار القصص الشعبي (٦) .

ومع ان لآخذين بترجمة او اقتباس القصص الغربية انذاك ، كانوا ملمين بلغة اجنبية واحدة في الغالب الا انهم تمكنوا من الاطلاع الواسع على مختلف القصص الاوروبية لاعتمادهم على الرجوع الى ترجماتها باللغات التي يعرفونها (٧) . وهذا ما نراه عند **خليل بيدس** فقد ترجم للعربية القصة الايطالية « الحسناء المتنكرة » **لاميل سلفاري** عن الترجمة الروسية ، و « شفاء الملوك » **لماري كورلي** الانكليزية المترجمة للروسية ، و « هنري الثامن وزوجته السادسة » **لمباخ** الالمانية عن ترجمة روسية. وهكذا يكون الرواد القصصيون قد استطاعوا الالمام بمختلف القصص الاوروبية المتنوعة والتي تعكس حياة المجتمعات الاوروبية المتعددة السياسية منها والاجتماعية ، والاقتصادية من كل جوانبها .

كانت الصحف والمجلات الميدان الرئيسي للقصص المترجمة والمؤلفة، حتى باتت بعض الصحف والمجلات مقتصرة على مادة الرواية القصصية وحدها ، فظهرت مجلة « **الجنان** عام ١٨٧٠ وشقت الطريق امام سواها في هذا المضمار ، وتبعتها في بيروت « **سلسلة الفكاهات في اطايب الروايات** » **لنخلة قلفاط** عام ١٨٨٤ ، وظهرت في مصر « **حديقة الادب** » **لنجيب غرغور** عام ١٨٨٨ ، اما في فلسطين فقد ظهرت « **النفائس العصرية** » متأخرة بعض الوقت **لخليل بيدس** عام ١٩٠٨ .

لقد كان الغرض الاساسي من القصص ي الفترة الاولى منحصرا في الامتاع والتفكهة ، والتسلية ، وملء الفراغ الزمني . فهي من المقبلات لسائر ابواب

٥ ـ **المصدر نفسه** ، ص ١٥ .
٦ ـ الاسد . **مصدر سبق ذكره** ، ١٩٦٣ ص ١١ ـ ١٢
٧ ـ **المصدر نفسه** ، ص ١٥.

الصحيفة (٨)· وظهرت القصص الطويلة المتسلسلة والقصيرة، المترجمة والمقتبسة والموضوعة · كما اتخذها بعض الرواد وسيلة توجيهية شانها في ذلك شان الابواب الاخرى· من هنا ظهرت القصص الاجتماعية الهادفة التي يتقل فيها الوعظ المسار القصصي ويضعف فنيته (٩) ·

واخذ اقبال الناس على قراءة القصص يتزايد ، فتهافت الكتاب على الترجمة بسرعة تحت الحاح الصحف والمجلات التي يعملون فيها ، واتسع نطاق الترجمة لاهتمام القراء المتنامي بمطالعة القصص ، وبسبب ذلك جاءت الترجمات بعيدة عن الاصل فكانت تختصر احيانا ويسهب فيها احيانا اخرى ، وكثيرا ما عمد المترجمون الى اخفاء الاصل وعدم الاشارة اليه ، ولجأوا الى التحوير والتغيير لاظهار القاص نفسه انه المؤلف (١٠) ·

اما بالنسبة للاسلوب فقد اهمل المترجمون القواعد اللغوية والتراكيب الصحيحة بشكل عام لان همهم كان نقل المعنى بلغة سهلة هي اقرب الى العامية منها الى الفصحى · كل ما يعنيهم تشويق القارىء وتسليته ، وايصال المعنى المقصود بوضوح للقارىء العادي ، غير مدركين ان هذا النتاج الجديد هو فن ادبي سيتوارثه جيل بعد جيل ، ولقد اشار الى ذلك الدكتور **محمد يوسف نجم** بقوله: « ان معظم هؤلاء المترجمين كانوا يستهترون باسلوب القصة فكانوا يكتبون بلغة هزيلة ركيكة مبتذلة لا تخلو من الاخطاء الصرفية والنحوية » (١١) · ويعلل هذه الظاهرة بقوله « ان معظم القراء كانوا يجهلون قواعد اللغة واساليبها ، ولا يأبهون لما فيها من اخطاء، وكل ما يهمهم من الامر ان تكون اللغة بسيطة مفهومة والقصة لاذة مسلية، والثاني ان هؤلاء التراجمة كانوا لا يجدون الوقت الكافي لتنقيح ما يكتبون، او لدراسة صرف اللغة ونحوها ، حتى ان الادباء منهم **كطانيوس عبده** و **نقولا رزق الله** كانوا لا يأبهون للغة ولا يعيرونها ادنى اهتمام · فقد كانت طبيعة عملهم تتطلب السرعة كي يلاقوا حاجة المجلات والصحف التي كانت تصدر في اوقات محددة ·

زد على ذلك انهم لا يتقيدون بالاصل المترجم بل كثيرا ما كانوا يشوهون الاسلوب ويمسخون الحكاية (١٢) · ويمضي قائلا : « وكثيرا ما كانوا هؤلاء ينتحلون بعض القصص ويدعونها لانفسهم بعد تحوير يسير يجرونه فيها » (١٣) ·

غير ان هذه الاحكام عامة فقد تنطبق على الغالبية ولكنها لا تنطبق على الجميع بكل ابعادها · ففي نطاق الاسلوب واللغة نجد **بيدس** مغايرا لسواه ولا تنطبق عليه هذه المعايير اذ

٨ ـ **المصدر نفسه** ، ص ٣٦ ·
٩ ـ ياغي ، هاشم ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١٤٧ ياغي ، عبد الرحمن ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٣٦ ·
١٠ ـ ياغي ، عبد الرحمن ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٣٩ ·
١١ ـ نجم ، محمد يوسف · **القضية في الادب العربي الحديث** · ١٩٦١ ص ٢١ ·
١٢ ـ المصدر نفسه ، ص ٢٣ ·
١٣ ـ المصدر نفسه ، ص ٢٤ ·

ان لغته فصيحة سليمة قريبة من روح العصر ، ومرد ذلك لتمكنه من اللغة ـ وقد عمل مدرسا ـ ولشيوع الثقافة في عصره وهو المتاخر نسبيا بين الرواد زمنيا ، ولالمام قطاع واسع من القراء بالقواعد اللغوية في ايامه · لكنه في مجال التحوير والتبديل ، والاسهاب ، والاختصار جارى سواه ، كذلك في اغفال ذكر المترجم من قصصه او المؤلف خاصة في قصصه القصيرة ·

اما مواقف الادباء من « القصة » في مطلع عصر النهضة فكانت مرتكزة على عدم اعتبارها لونا ادبيا مع ان للقصة جذورا في التراث العربي · فالدكتور **يعقوب صروف** حاول ابعاد الابواب القصصية عن « المقتطف » لانه رأى فيها عوامل افساد للمجتمع لكن الاقبال عليها اضطره الى ان يكتب قصصا لمجلته بنفسه معتمدا فيها التشويق الذي يحذر منه ، وتجربة الدكتور **صروف** تؤكد روح العصر وانتصارها على **صروف** نفسه (١٤) · وهكذا انتصر الفن الجديد على ما في القصص انذاك من تشويه وركاكة وتحريف ونما بسرعة بفضل تنامي جمهور القراء وتجاوبه مع مواضيع القصص المترجمة التي تعبر عن واقع وتجارب قريبة من واقع مجتمعنا · وفي حين كان الادباء يعدون هؤلاء القاصين بانهم غير موهوبين ، وليسوا من الادب في شيء · نجد انهم صمدوا في وجه التيار ووضعوا الاسس للفن القصصي الذي نما واطرد ، واصبح له شان خطير فارضا نفسه في الميدان الادبي · بينما ضعف شان المقامات ولم يعد لها وجود لانه لم يكن يفهمها ويتذوقها الا القلة النادرة من جهة ، ومن جهة اخرى لعدم ارتباطها بالواقع الحياتي المستجد والتجربة الانسانية الحية (١٥) ·

من هنا يظهر فضل هؤلاء الرواد ـ رغم ما اشرنا اليه من ركاكة الاساليب والابتعاد عن الدقة في التعريب في شقهم الطريق لهذا الفن وترسيخ قواعده رغم استهتار ادباء عصرهم بهم · ومن جانب اخر في تطويعهم للغة بحيث لانت للقصة فافادوا بتجاربهم الذين اتوا بعدهم ممهدين السبيل لتحويل القصة من وسيلة للتسلية والمتعة والتشويق متخذة اسلوب الوعظ والنصح لتصبح غاية فنية بذاتها · « واصبحت الكتابة في هذا الفن رسالة يعتز بها صاحبها ، ويتثقف من اجلها، ويتخذ لها كل وسائل النجاح من اجل ادراك الابعاد التي يقوم عليها معماره الفني ، واصبح الواقع العربي مصدر الروائي لبناء هذا المعمار ، واصبح الكاتب يحس باهميته، وباهمية دوره الفني في قيادة المجتمع وتحريكه ودفعه الى الامام » (١٦) ·

على ضوء هذا نود ان نرى مكانة القصة في الادب العربي الفلسطيني قياسا بما كانت عليه في مصر ولبنان في مستهل عصر النهضة ، ونرى الى اي حد كانت مواكبة القصة في فلسطين لزميلتيها في مصر ولبنان · وقد تتضح لنا الصورة من خلال دراستنا **لخليل بيدس رائد القصة في فلسطين** ،

١٤ ـ ياغي ، عبد الرحمن ، **مصدر سبق ذكره** ، ١٩٧٢ ص ٤٨ ·
١٥ ـ نجم ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٢٤ و ٢٥ ·
١٦ ـ ياغي ، عبد الرحمن ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٧٧ ·

وسنحاول التركيز على دراسة القصة القصيرة عنده بعد تسليط الاضواء على عمله القصصي . اما انه الرائد في فلسطين فليس لانه اول من انشأ فيها قصة بل لانه اكثر من الف وترجم ، ولانه اول من انشأ مجلة قصصية هي « **النفائس العصرية** » لتلعب دور «الجنان» في فلسطين ، واخيرا لانه كان رأسا لمدرسة قصصية يتعهدها فنسجت على غراره كان منها **يوحنا دكرت ، رشيد الدجاني ، اسكندر الخوري جبران مطر** (١٧) .

بيدس في ميدان القصة

بدأ اطلاع **خليل** على القصص الغربية المتنوعة منذ ان كان تلميذا في معهد المعلمين بالناصرة ، ولقد ظهرت بواكير ترجماته سنة ١٨٩٨ فطبع في بيروت ثلاثا منها هي « ابنة القبطان » و « القوزاقي الولهان » و « الطبيب الحاذق » ، ثم عمد لترجمة قصص منقولة للروسية عن الالمانية والانكليزية والايطالية ، ومعه انتقلت حياة القصص في فلسطين في اواخر القرن التاسع عشر الى افاق جديدة ترتبط بحياة الناس ، وكأنه كان يعد نفسه لما اعدها لها **بوشكين** في خدمة الادب والمجتمع بالروايات المترجمة والموضوعة بمجلة « المعاصر » (١٨) التي كان يصدرها في روسيا انذاك .

وكان لاعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨ اثره الفعال في اتاحة المجال له ولغيره من الادباء في اطلاق جهودهم. فاصدر في نفس العام العدد الاول من مجلته « النفائس » في الحادي من تشرين ثاني في مدينة حيفا موضحا في المقدمة اهداف المجلة محددا بوضوح غرضها بقوله « فلا يخفى ما للروايات على اختلاف مواضيعها من التأثير الخطير في القلوب والعقول ، حتى اعتبرت انها من اعظم اركان المدنية بالنظر الى ما تستبطنه من الحكمة في تثقيف الاخلاق ، وما تنطوي عليه من الصبر والمواعظ في تنوير الاذهان ، ولما كان لها هذا المقام الرفيع ، وكان لجميع الطبقات من خاصة الناس وعامتهم شغف بامرها واقبال غريب عليها ، عقدنا النية على اصدار هذه المجموعة نضمنها من الروايات الادبية والفكاهات العصرية وغير ذلك من اللطائف ما يتوق الى مطالعته والتفكه بتلاوته كل اديب وسننشرها تباعا مرة كل اسبوع بست عشرة صفحة واحيانا باكثر من ذلك بحيث تبلغ سنويا مجلدا ضخما يحتوي نحو تسعمائة صفحة ليكون ان شاء الله خير ما تشغل به ساعات الفراغ » .

والظاهر ان **بيدس** كان يدرك ما للقصة من اثر وقيمة فنية بعكس ما ذهب اليه الادباء من تسفيه لكتابتها ، وانكار لمنزلتها الادبية . فنراه لاحقا يدافع عنها ويوضح اهميتها بمفهوم يختلف عن مفهوم سواه من انها وسيلة للتفكه والتسلية ليس الا . لقد وصفها بانها تتضمن تمثيلا لمظاهر الحياة ، وصورها المختلفة ووصفا لاحوال الامم وعبر الزمان ، وعرضا لحياة الانسان ومشاعره ، وانها غذاء النفوس وقبس البصائر ، وان فيها التأمل والعلم

١٧ ـ ياغي ، هاشم ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١٥١ .
١٨ ـ ياغي ، عبد الرحمن ، **الادب الفلسطيني الحديث** ، ١٩٦٩ ، ص ٧٦ .

والحكمة والفلسفة ، وانها من اجمل فنون الادب وبذلك يكون اختلافها عن بقية فنون الادب في ان كتاب القصة ينشرون ما فيها من تصوير للعواطف وتمثيل للحقائق «على الناس في اثواب اللهو والفكاهة » (١٩) .

ونظرا لتقديره لاهمية هذا الفن القصصي الذي لم ينل تقدير الادباء اول الامر ، نراه يجهر باعلان عزمه على جعل مجلته مقصورة على القصة في الغالب ، غير مهتم باستخفاف الادباء فيقول : « ولما كان لهذا المقام الرفيع ، وكان لجميع الطبقات من خاصة الناس وعامتهم شغف بأمرها . واقبال عليها عقدنا النية على اصدار هذه المجموعة تضمنها من الروايات الادبية ، والفكاهات العصرية وغير ذلك من النوادر واللطائف ما يتوق الى مطالعته والتفكه بتلاوته كل اديب » .

اما اعداد « **النفائس** » فكانت تتضمن مختلف انواع الاقاصيص القصيرة والطويلة ، المترجمة ، والموضوعة اضافة الى الاقاصيص المتسلسلة . ثم عمد بعد ذلك الى اضافة قصة طويلة في اخر كل مجلد من « النفائس » . كما نجد في اخر المجلد الثاني ١٩٠٩ ـ ١٩١٠ «اهوال الاستبداد» **لتولستوي** و«الحسناء المتنكرة» **لاميل سلفاري** الايطالي في السنة الثالثة ١٩١١ .

واكثر ما يتجلى وضوح مفهومه الراقي للقصة في مقدمته لمجموعته القصصية « مسارح الاذهان » المنشورة عام ١٩٢٤. انه يتحدث عن ظهور القصة القريب بتأثير الغرب ، ويشير الى ان الموضوع منها قليل ، والمترجم كثير ويثني على البعض لحسن الاختيار والترجمة ، وينتقد البعض لركاكة التعبير وسوء المضمون الذي قد يضر بالاخلاق (٢٠) . الا انه يستدرك قائلا « غير ان الامة كلما ارتفع شأنها الادبي وتبسطت في المدينة مالت بطبعها الى الانفع والافضل واعرضت عن القبيح والسخيف وكثر من ينهض لمجاراة اهل الغرب في الروايات الادبية والوطنية » (٢١) .

ويشير الى سبق الغرب في هذا المضمار، والى الفائدة لادبنا من مجاراته والاخذ عنه ، على ان نبتعد عما هو مشوه وسخيف . انه يهدف الى النافع منها فنراه يقول : « ان رواية ولو صغيرة » تجلى فيها جمال الفن فامتزجت باجزاء النفس لخير من المئات من امثال تلك السلع التافهة التي يتاجر بها بعض المشعوذين مما ضاقت بهم وسائل الكسب ، فلجأوا الى هذه الصناعة وبئس ما عملوا » (٢٢) .

اما القصص المفيدة التي يرى انها جديرة بالوضع ، او الترجمة فتقوم على « ما تتضمنه من الفائدة وتتوخاه من العبرة . وقيمة الكاتب الروائي هي في ما يمثله للقارىء من الحقائق بالاسلوب الفني الشائق » (٢٣) . ويشير الى ما للقصة

١٩ ـ الاسد ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٤٩ .
٢٠ ـ بيدس ، خليل . **مسارح الاذهان** ، ١٩٢٤ ، ص ١٤ ـ ١٥ .
٢١ ـ **المصدر نفسه** ، ص ١٤ ـ ١٥ .
٢٢ ـ **المصدر نفسه** ، ص ١٣ ـ ١٤ .
٢٣ ـ **المصدر نفسه** ، ص ١٤ .

من اهمية واثر بين سائـر كتب الادب بقوله « لان فيها تمثيلا لمظاهر الحياة وصورها : مـن خير وشر ، وفضيلة ورذيلة ، وعدل وجور ، وصدق وكذب ، ووفاء وعذر ، واخلاص رياء ، وهناء وشقاء · وفيها وصف احوال الامـم ، وعبر الزمان ، وحوادث احب والغـرام الحرب والسلام ، وما يتخلل ذلك كله من عفة وامانة ، وعذر وخيانة ، وفيها عرض حياة الانسان فـي جميع ادواره في ربيع حياته وخريفها ، فـي صعوده وهبوطه ، في آلامه وآماله ، في سرائه وضرائه في فقره وغناه واهوائه واشواقه، وسائر اطواره واحواله» (٢٤)·

وهذا ما حذاه لنعت كتاب القصص بانهم « مـن نوابغ المفكريـن وانهم « مصورو احـوال النفس البـارعون يلجون اعماق هذه النفس كما يلجون اعماق اقلب ، ويصورون العـواطف ، ويمثلون الحقـائق وينشرونها على النـاس في اثواب اللهو والفكاهـة ، ويظهر ما لهؤلاء الكتاب مـن اثـر في التغييرات والتطورات في حيـاة الامم· وعنده ان القصة من اجمل فنـون الادب وهي هادفة لتمجيد الفضائل وتهذيب الاخلاق واصلاح المجتمع (٢٥) ·

اما مفهومه للقاص نفسه ومواصفاته، ودوره وعمله فيحددها بقوله « الروائي يكتب للعامة وهم السواد الاعظم من كل امة ، يكتب للنفوس الحائرة ، والقلوب المتألمة يكتب للنفوس الجائعة والقلوب الظمأى · والعامة يميلون الى الرواية لانها كتابهم ورفيقهم وعشيرهم ، وهي اجمل ما يلتهون به في ساعات فراغهم، وافضل ما يرتاحون لمناجاته في خلوتهم، وانجع ما يتوسل به لاصلاح عـاداتهم وتثقيف اخلاقهم، واعذب مورد يستمدون منه البصائر ·

«والروائي ان لم يعاشر العامة ويدري احوالهم او لم يكن منهم ويعش بينهم او لم تكن فيه قوة التصور ، ومهـارة التصوير وبراعـة الوصف ولم تكن فيه النظرة الادبية الصادقة الى كل حادث والارتياح التام بل الكلف التام ببحثه ، وان لم يسر بعمله على الدوام الى الامام، الى اعلى درجات الكمال ولم يكاشفـه الالهام والوحي والنبوة فليس بروائـي عبقري ·

وهو ان لم يقرأ مئات الروايات ومئات التواريخ ولم يطلع على حوادث الكون ويلج كل مجتمع ، ويدرك معنى الحياة واسرارهـا واساليبها وينتزع غـرض روايتـه مـن حوادث الحياة وطبيعة الانسان ويجعلها منطبقة على الحقيقـة والواقع فليس بروائي متفنن

وهو ان لم يكن نبيا يرى ببصيرته ما لا يراه غيره ، وان لم يكن شاعرا يحلق في سماء الخيال، ولم يكن عالما اجتماعيا يعلم الاحوال ويطلع على كل شأن مـن الشؤون فليس بروائي ماهر ·

فـالروائي الحقيقي العبقـري المتفنن الماهر ، هو من عاش للفن وكتب للفن، ومات في سبيل الفن (٢٦) ·

مـن هذه الاراء تتضح لنـا الصورة المعمقة لمفهوم القصة عنده ولدفاعه عنها في وقت كان الادباء فيـه ينترون هذا

٢٤ ـ **المصدر نفسه** ، ص ٩ ـ ١٠ ·
٢٥ ـ بيدس ، خليل ، **مسارح الاذهان** ، ١٩٢٤ ص ١٢ ـ ١٣ ·
٢٦ ـ **المصدر نفسه** ، ص ١١ ـ ١٢ ·

الفن ، ولا يعتبرونه من الادب في شيء ووتضح لنا جملة من الحقائق الموضوعية في مفهومه لهذا الفن اولها

تشديده على ان القصة فـن له اثر عظيم في حياة الامم وتطورهـا وانـه لا يقوى على خلقها الا العباقرة المبـدعون ويعدها من اجمل الفنون الادبية

وثانيها : ان هذا الفن له دور هادف في حياة الامم ورسالة لها عرضها في حياة الشعوب · انها منتزع مـن واقع الحياة وتجارب البشر وان موضوعها « الانسان فـي حياتـه الاجتماعيـة والعمرانية والخلقيـة » ، ولا سبيل عنده لكتابة القصة الا بمعاينة حياة الشعوب ، وقراءة تاريخها

وثالثها : ايمانه بانها اكثر فنـون الادب سبيلا لانهاض الشعوب واصلاحها لكثرة انتشارها بين كل طبقات المجتمع نظرا لاساليبها المشوقة ·

ورابعها : اخلاص القاص لفنه وتمكنه من سير اغوار النفس ومعـرفة باطنهـا ومقدرته على براعة التصوير والوصف معتمدا الاسلوب الادبي ، وصحة اللغة وسلامتها ·

اما الامر الملفت للنظـر فهو اغفالـه في اعداد مجلته « النفائس العصريـة » ذكره قصصه الموضوعة من المترجمة الى درجة اغفل فيها ذكر اسمه الى جانب كل قصة ، واكتفى بملاحظة عامة ـ كما نجد في اخر مجلد السنة الرابعة ـ ١٩١٢ ـ من « النفائس » ـ بقوله « وكل ما ينشر خاليا من التوقيع فهو الصاحب المجلة»· ولكن ليس من الصعب تحديد المترجم منها من الموضوع اعتمادا على التمييز بين الاماكن والاحداث ، والاشخاص وهذا عكس ما فعله في ترجمته للقصص الطويلـة حيث ذكراسم المؤلف واصل الرواية

والملاحظة الثانية ابتعاده عـن الدقـة عمدا في التعريب وتصرفـه الزائد في الترجمة مبررا ذلك بالرغبة في جعـل القصة اكثر تشويقا للقارىء · ويشيـر الى ذلك صراحة بقوله : « ولقد تصرفت في تعريبها بزيادة واسقـاط ، وتغيير وابدال ، وتبويب لتكون موافقـة لذوق قراء العربية وسميتها «اهوال الاستبداد»· أما اسمها الحقيقي فهو « **الامير كيناز** » وهذا هو احد ابطالها · وانسياقا مع رغبتـه في التشويق ضمـن القصص المترجمـة ابياتا شعريـة في مواضع متعددة (٢٧) ·

ولا بد لنا بعد تبيان مفهومه للقصة ودفاعه عنها واسلوبه في الترجمـة ان نعمد الى دراسة محددة للقصة القصيرة عنـده متخذيـن مـن « مسـارح الاذهان » (٢٨) وبعض القصص الاخرى المنتقاة من مجلته « النفائس العصرية » لنرى ماهيتها اسلوبا ومضمونا ومدى تطابقها للمواصفات التي طرحهـا في مقدمتها ·

اتخذ **بيدس** مـن مجلتـه « النفائس العصرية » ميدانا للقصة ممهدا الطريق لهذا الفن عاملا على ترويجـه واجتـذاب قاصين اخرين للمساهمة معه في هـذا المضمار · ولقد كان لمجلته دور طليعي في تعرف الادب الفلسطيني الحديث لتيارات القصص الاوروبية بشكل عام والروسية

٢٧ ـ **اهوال الاستبداد** ، ص ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٦١ ·
٢٨ ـ بيدس خليل · **مسارح الاذهان** ، القاهرة ١٩٢٤ ·

بشكل خاص ، وكانت اعدادها حافلة بالقصص القصيرة المتنوعة ·

ومما هو جدير بالاهتمام ان المؤلف وضع مقدمة طويلة لمجموعته القصصية « مسارح الاذهان » حدد فيها مفهومه للقصة ومواصفاته للقاص ، وقد سبق الاشارة لذلك ولم يشر الى ما اذا كانت هذه القصص مترجمة او موضوعة كما انه لم يوضح ما اذا كانت منشورة من قبل في النفائس، ام انها لم تنشر قبلا · بيد ان اسماء الاماكن والاشخاص والحوادث توضح انها مترجمة في الغالب وعلى سبيل المثال نجد اسماء يونانية للامكنة والاشخاص كما في قصة « اين الحقيقة » ص ١٧ ـ ٢٦، وحوادث الثورة الفرنسية كما في قطعة الاب ص ١٣٥ ـ ١٥٠ ، وكما في « العلاج الشافي » ص ٣٠٠ ، حيث يلمس القارىء بيئة غير عربية ويرى الدكتور **الاسد** « ان بعض القطع الاخرى التي تتضمن اسماء عربية والتي يخيل للقارىء انها واقعية لا تتضمن تصويرا محددا لبيئة الكاتب نفسه · فهي مما يصلح لكل بيئة بل ان بعضها · يتضمن ملامح يكاد لا ينطبق على مجتمع فلسطيني في تلك الحقبة مثل القصة التي تدور حول كاتبة مجيدة تنشر مؤلفاتها وكتاباتها في المجلات باسم مستعار هو اسم رجل ، ومثل القصص الاخرى التي تدور حول انحراف الزوجة واتخاذها الاخذان وزياراتهم لها في منزل الزوج فكل هذه القصص ـ على ما فيها اسماء عربية ـ غريبة عن مجتمع الكاتب آنئذ ، او على الاقل لم تكن من الشيوع بالمنزلة التي تكاد توهمنا بها تلك القطع (٢٩) ·

ان ذلك يسلط الشك على تاليف بعض الاقاصيص فقد يكون الكاتب اطلع على بعض القصص ، واقتبس موضوعاتها وافكارها وصاغها معتبرا اياها انها من وضعه ·

اما الامر الاخر المتعلق بنشرها في « النفائس » او عدم نشرها قبل ظهور مجموعة « مسارح الاذهان » فيبدوا واضحا ان بعضها قد نشر في «النفائس» كما نلاحظ في القصص التالية : « هو وهي » ص ١٥٢ السنة الثالثة ١٩١١ ، و « الزوج المخدوع » ص ٢٣٧ السنة الخامسة ١٩١٣ والمومياء في اعداد السنة الخامسة ص ٢٢٣ · على ان المجموعة القصصية الاثنتين والثلاثين التي تتضمنها «مسارح الاذهان» تختلف من حيث ان بعضها قصص قصيرة ، وبعضها يغلب عليه طابع الحكايات البسيطة ، وبعضها عبارة عن سرد تاريخي · ومنها ما هو واقعي ومنها ما هو خرافي· واذا تركنا جانبا القصص الخرافية نجد ان اغلبية القسم الباقي ترتكز حول خيانة المرأة المتزوجة وغدرها واتخاذها عشيقا ترافقه وقتا طويلا دون ان تحسب للزوج او الاقارب اي حساب، والعشاق يرتادون منازلهم بحرية وراحة ويستمر الازواج في ثقتهم بنسائهم دون ان يكتشف زوج او قريب خيانة الزوجة ففي « المقابلة غير المنتظرة » (٣٠) يذكر ان **لاون** كان عشيقا **لماري** زوجة صديقة **جان** الذي

---

٢٩ ـ الاسد ، ناصر الدين · **محاضرات عن خليل بيدس** ، ص ٨٩ ·

٣٠ ـ **النفائس العصرية** ، ص ٥٣١ جزء ١١ السنة الثالثة ١٩١١ ·

يعمل معه في تاليف الروايات · وفيما كان **لاون** ينتظرها جاءه زوجها واعترته دهشة ، وعندما سألة عن سبب مجيئه اجابه بانني حضرت لاكمال الفصل الاخير من روايتينا ، ذكر له انهما وصلا الى ارتباط بطل الرواية المجرم بحب سيدة متزوجة من رجل شريف وعندما سأله **لاون** غن رأيه في كيفية انهاء الرواية اجابه **جان** بقتل الخائن البطل وخاف **لاون** ان يكون هو المقصود فاقترح خاتمة غير محزنة وبعد خروج **جان** كتب **لاون** رسالتين : واحدة لصديقه وزميله **جان**، واخرى لعشيقته زوجة **جان** يخبرهما برغبته في السفر وقال **جان** لدى قراءة الرسالة ان **لاون** احمق فانزعجت **ماري** وقالت لزوجها : انك غير لطيف فاعتذر وقال لها: اني احب **لاون** وليس لكل رجل ان يجد جوهرة كريمة نظيرك ·

وهكذا تظهر في هذه الاقصوصة خيانة الزوجة وغباء الزوج واتخاذ الكاتب اسماء اعجمية مما يجعلنا نميل الى الاعتقاد بأنها مقتبسة خاصة وان وقائع مثل هذه الاحداث قد لا تكون مرتبطة ببيئة كبيئة الكاتب

وفي « الاسبانيولية الحسناء » (٣١) يشير الى انها واقعية حدثت في **قرطبة** بطلها **النعمان** الذي اشترى**مويانة** الامة الحسناء بعشرة الاف دينار ، وقد اولع بها وافرط في اكرامها ، ولكن صديقه **زين الدين** الذي له فضل جم على البطل كان قد رآها واعجب بها وباع متاعة واقترض من صديقه **النعمان** مالا ليشتريها واكتشف آن **النعمان** قد سبقه لشرائها وجاءه **زين الدين** يطلبها منه، وبعد جدال قال **النعمان** : اختاري واحدا منا وفضلت **النعمان** ولما حاولت الذهاب الى خدرها اعترضها **زين الدين** وطلب اليها ان تتبعه والا قتلها فتطاعنا وسقط **زين الدين** قتيلا ، وجرح **النعمان** واخذ يقبل صديقه القتيل مخاطبا **مويانا** بقوله : الويل لي قد قتلت صديقي ، قتلت من انقذني من الموت وهجم على **مويانا** وطعنها وهو يقول : قد قتلت صديقي بسببك يا ابنة الابالسة وقضى **النعمان** بقية حياته ناقما على النساء ·

قد تختلف مدلولات هذه القصة عن سواها عند الكاتب بحيث لا تدور حول الزوج المخدوع الذي يحب ويثق بزوجته العاشقة ولكنها تصب في الهدف نفسه القائم على الشك بالمرأة وعلى تحميلها كل اثم وشر فهي المفسدة في المجتمع ، وهي التي جعلته يثور على من انقذه من الموت ويقتله فيتجه نادما بعد ذلك لاعلان الحرب على النساء بلا مهادنة كي لا يقع في شرور مماثلة ·

وتدور « الكنز الاخير » (٣٢) حول **صوفيا** العزباء المحافظة المهتمة بمطالعة تراث اهل زمانها واذا **بدارنو** يدخل عليها ويخبرها انه يريد ان يكتب عن صديقها **باري** · فاطلعته على رسائله ، وعلى تعلقه الشديد بها مع انه متزوج، لكن حبه الاعظم كان لها ، وبعد ذهابه اخذت تقرأ رسائله وتحرقها باكية وكانت تجلس حيث كان يجلس وقالت متنهدة : حسنا افعل بحرق الرسائل لانني لا اريد ان يطلع العالم على السر العظيم سر حبه لها وعواطفه نحوها

يحاول الكاتب في هذه الاقصوصة السخرية من المرأة بقوله : انها محافظة وكأني به يريد ان يقول : ان المرأة شر

---

٣١ ـ **النفائس العصرية** ، السنة الخامسة الجزء الثامن ١٩١٣ ص· ٤١٣ ·

٣٢ ـ **المصدر نفسه** ، الجزء الثالث ١٩١٣ ص ١٦٠ ·

وعلى الانسان ان لا يأخذ الامور والاحكام بالظواهر **فصوفيا** في الظاهر تقيه محافظة ولكنها في الواقع عاشقة لعينه ومن جهة ثانية يريد اظهار حماقة المرأة في حرقها لرسائل عشيقها كي تكتم سرا في حين انها اطلعت عليها الكاتب الزائر لينشرها على الملأ ، والملفت للنظر ان العشق عنده وقف على المتزوجين فلا غرام ولا عشق عند العزاب ·

وفي قصته « النهاية الحسناء » (٣٣) يظهر رغبة المرأة في السعي لتدبير امور الزواج لاخرين وفي رغبتها بالتفتيش عن زوج ولو فاتها القطار ، وهو هنا يحاول ان يظهر اعتزاز المرأة بجمالها وتظاهرها بالعزوف عن الزواج خلافا لما تضمر، **ففدوى** المسنة تزوجت من **اخنوخ** بمجرد ان ابدى لها رغبة بذلك ·

وفي « نحن وهم » (٣٤) يحب **اديب** زوجته **سلمى** محبة شديدة ويخلص لها ومع ذلك فهي ولهة **بجميل** الضابط وكان الزوج المخدوع معجبا بزوجته يطريها ويمتدحها ، وبعد وصوله الى البيت بقليل خرج لحضور اجتماع عمل فتشبثت به مظهرة حبها له · لكنه خرج فانتقلت الى المرأة واتى العشيق واخذ يضمها الى صدره على مرأي من خادمتها **مرتا** التي كانت على غرام بفتى من ابناء الجيران وفيما كانت **سلمى** جالسة الى عشيقها **جميل** في مخدعها كانت **مرتا** في غرفتها جالسة الىحبيبها وعندما خرج **جميل** وودعته **سلمى** ابصرت شخصا عند خادمتها وبعيد عودة زوجها **اديب** اطلعته على خيانة الخادمة وارادت طردها وعبثا حاول **اديب** اقناعها بالعدول عن قرارها ولكنها رفضت وطردت **درتا** ·

لقد كان الكاتب موفقا في الجمع بين موقفين : موقف **سلمى** الشخصي واباحتها لنفسها العشق وهي المتزوجة ، وعدم اباحتها لخادمتها العزباء الالتقاء بخطيبها الاعزب ، وفي ذلك سخرية واضحة في التفريق بين طبقات المجتمع · وتنتهي الاقصوصة والعشيقان سعيدان والزوج الغافل معجب زوجته ·

وفي هذا المسار نجد زوجا مخدوعا في «القناع» (٣٥) فصديق الزوج هو عشيق الزوجة منذ سنوات خمس ومع ذلك بقي الزوجان من اسعد المحبين حالا كذلك في « الزوج المخدوع »**فعزيز** يحب زوجته **سلوى** وقد ادعى اضطراره للسفر ذات يوم فودعها لكنه عاد بعد وقت قصير فوجد زوجته وحدها الامر الذي اعتبرته اهانة فاعتذر لها طويلا واعلن توبته وبعد خروجه حزينا من بيته على شكه باخلاص زوجته انسل العاشق من غرفة الثياب وقضى وقتا ممتعا مع **سلوى** وانصرف ولم يشعر به احد غير تلك الزوجة الامينة التي شبعته بقلبها وبنظراتها ·

من هنا تبدو ان نظرة المؤلف للزواج عامة لم تكن خالية من العقد وسوء الظن بالمرأة ، وان بدت في بعض اقاصيصه زوجات صالحات كما في محاورة بين

٣٣- **النفائس العصرية** ، الجزء التاسع ، السنة الثالثة ، ١٩١١ ، ص ٤٣٣ ·
٣٤ - بيدس ، خليل ، **مسارح الاذهان** ، ١٩٢٤ + **نحن وهم** ، ص ٢٧ ·
٣٥ - **المصدر نفسه** ، ص ١٠٦ ·
٣٦ - بيدس ، خليل · **مسارح الاذهان** ، الزوج المخدوع ص ١٥١ ·
٣٧ - **المصدر نفسه** ، **محاورة بين الالهة** ، ص ١٧١ ·

«الالهة» (٣٧) فما ذلك الا استرضاء لهموم بعض ابناء الطبقات الوسطى · ولئن كان طابع الغدر عند المرأة المتزوجة غالبا في قصصة بيد انه اظهر خيانة بعض الرجال ففي قصة « اخر تذكار » (٣٨) يشير الى خيانة **رودلف** لزوجته **وغريت** التي كانت تحبه والتي بعد موته بحادث قطار وجدت رسالة كتبها وهو ينزف يقول : استودعك الله ايتها العزيزة فشكت في امرها وفي المأتم شاهدت امرأة تصاب بنوبة عصبية وبعد ايام جاءت **مادلين** متشحة بالسواد وعاشت معا فترة وقصت هذه على **مرغريت** ذكرياتها مع **رودلف**وعندما ذهبت **مرغريت** الى المقبرة وحيدة تبعتها **مادلين** وبعد نقاش قالت **مرغريت** : يا ليتني لم اتعرف عليك بعد وفاته فقد فقدته الان مرة اخرى وهذا اشد وطأة على قلبي من فقده يوم وفاته · وفي ذلك اشارة واضحة للغيرة عند النساء واثرها في نفوسهن ، لكن هذا لا يعني ان جمييع اقاصيصه غير الاسطورية دارت حول الزواج والخداع ففي «قتيل والده » (٣٩) يعالج موضوعا اجتماعيا مختلفا فسعيد نجار خلوق لكنه سكير لا يأبه لنصح زوجته وكان لها وحيد يسمى **فريدا** وفي احد الاعياد عاد الاب لتناول العشاء مترنحا من السكر ثم ما لبث ان غادر البيت الى الحانة وعندما تأخر في الليل تبعه ابنه فوجد عدة اشخاص يدفعونه ظانا انه احد الذين دفعوه خارجا وعاد الى البيت وسأل عن وحيدة فأخبرته زوجته انه ذهب ليستطلع سبب تأخرك وفيما هو يلوحها على ارساله قرع الباب فاذا احد الحراس يقول له : ابنك في خطر انه مضروب بعصا وملقى على قارعة الطريق ولم يبح له الحاس باسم الذي ضربه ولقد فاضت روحه فصرخ **سعيد** : انا الذي قتلته واخذ يصرخ ويولول واصيب بالجنون، اما الام فقد مرضت وما لبثت ان ماتت ·

هنا يحاول المؤلف ان يظهر العواقب الوخيمة التي تنعكس على الاسرة من جراء استهتار الاب فتحل الفاجعة عندما يستمر الزوج في غيه ولا يأبه لنصح زوجته ·

يؤخذ على المؤلف قناعته المسبقة ومواقفه الخاصة من موضوع الخيانة الزوجية فلقد جعل حوادث القصص تتابع بسرعة وبلا مبرر دون ان تتطور تطورا طبيعيا فيصمد الى الماطلة لزيادة التشويق · فالقصة عنده وسيلة للاصلاح وتصوير قضايا اجتماعية قد تكون بعيدة عن واقع بيئته ، وهذا ما جعله يضحي بالفن لارضاء قارئه ، فقلما يفسح المجال لشخصيات قصصه لتتحدث عن نفسها في حوار شفاف يتاح المجال فيه لمشاركة القارىء وتخويله لذة الاكتشاف · ويعلق الدكتور **عبد الرحمن ياغي** على «مسارح الاذهان بقوله : « واهدافه واتجاهاته في القصة القصيرة هي اهدافه واتجاهاته في الرواية او القصة الكبيرة من حيث الادب القصصي الهادف الذي يحمل في طياته مواقف اجتماعية واضحة في شؤون الحياة المختلفة حيث يشير الى الغرض الحافز في اسلوب مشوق وحيث اللغة وسيلة لتبليغ المضمون وهناك اختلاف شكلي بين اتجاهه هنا في

---

٣٨ - **النفائس العصرية** ، ج ٣ ، السنة الرابعة ، ١٩١٣ ، ص ١١٧ ·
المصدر نفسه ، **الجزء التاسع** ١٩١٠ ، ص ٥٥٤ ·

القصة القصيرة واتجاهه هناك في الرواية فاسلوبه هنا احنح الى التأنق الطبيعي وهو يتخذ في سبيل ذلك مختلف الاطارات وحيث يتخذ الاطار الاسطوري وحينا اخر يتخذ الاطار العلمي والفلسفي وحينا اخر يتخذ الاطار الاجتماعي والطبيعي وحيثا خامسا يتخذ الاطار الرمزي وحينا سادسا الاطار التربوي المدرسي وحينا سابعا الاطار الديني ولكن هذه الاطارات لم تكن الا وسائل من وسائل التشويق قلم تباعد بينه وبين مفهومه السليم للادب القصصي ولم تصرفه الى التعليلات الوهمية او الشعوذات او المعتقدات الواهية او المواقف السلبية بل اخلص في مجموعته هذه الى اهدافه واتجاهاته التي اعرضنا لها سابقا (٤٠) » .

لقد عاش المؤلف مرحلة انتقالية في تطلع الى الجديد ورغبة في الاخذ به وفيها تمسك بالقديم وتشبث به فحاول ولوج آفاق جديدة دون المساس بالقديم قدر الامكان « ولئن كان المضمون في كثير من مجموعة « مسارح الاذهان » مضمونا جديدا يبرز هموما برجوازية حتى في هذه الانماط الاسطورية التي عمدت اليها هذه المجموعة وحتى في التأملات التيلم تبلغ في بناءها الفني مبلغ الاقصوصة فان الشكل الفني قد تأثر تأثرا بعيد المدى من هذا الجو الاجتماعي الانتقالي فقد غلبت علىكثرة من اقاصيص المجموعة التي يمكن ان نطلق عليها اقاصيص الجوانب التقريرية الشدودة الى انماط التعبير التقليدية الفنية بالتقرير وكانما كانت طلائع القصة الفلسطينية القصيرة تخشى الاصطدام بالقديم الواضح الذي يقف في المجتمع من حولها حتى تسلسلت منه هذه النبرة العالية المباشرة الصارخة في تسلسل احداث هذه الاقاصيص وسلوك شخوصها وحتى اكدت هذه الطلائع جانب المغزى الصارخ فيها وجانب الاخلاقية الموجهة لذلك ولهذا كله نجد الافتعال والافكار المسبقة والمبالغة وضعف التبرير القصصي البالغ تطفو على سطح الحوادث المتكلفة في بناء اقاصيص هذه المجموعة كما هي الحال في « نحن وهم » مثلا و «النور المقدس » و « جنون الحب » و «العلاج الشافي » و « هو وهي » و « المقابلة المخيفة » و « الزوج المخدوع » وغيرها » (٤١

ويتجاوب المضمون في اقاصيصه التطلع الى الجديد والتحرر كما هو واضح في اقصوصة « حجر الفلاسفة » (٤٢) حيث تكون الحرية والاخاء والمساواة هي الحجر الاساس والمتخوف منه وذلك في افساد الحرية للمراة وانصرافها للعشق والشر لكن ذلك لا ينفي الجودة اللافتة التي استطاعت انتحققها بعض الاقاصيص منها وبخاصة اقصوصة « بلا سبب » واقصوصة « الذنب الصغير » مثلا واقصوصة «المال» رغم ما فيها من مصادفات ومبالغة كادت ان تفسد بناءها .

ففي « بلا سبب » يبدو سلوك البطل الاب بعيد الاغوار من حيث اسبابه وتشابك هذه الاسبابفهي تعبر بحرارة عن جو من اجواء الاسر البرجوازية وهمومها

---

٤٠ ـ ياغي ، هاشم . **القصة القصيرة في فلسطين والاردن** . ١٩٦٦ ، ص ١٦١ .

٤١ ـ ياغي ، هاشم . **القصة القصيرة في فلسطين والاردن** . ١٩٦٦ ، ص ١٦٣ .

٤٢ ـ بيدس خليل . **مسارح الاذهان** . ١٩٢٤ ، ص ٢٩٥ .

وقد برئت الى حد كبير من الافتعال في تتابع الحوادث ، واما « الذنب الصغير » فعلى ما فيها من بعض الافتعال في اللغة الفصحى في بعض جوانبها فان السخرية اللاذعة من بعض الاوهام العالقة ببعض المعتقدات سخرية بارعة والحوار ينساب على لسان شخوص تبدو الابعاد بينهم ملتصقة التصاقا جميلا مع الابعاد بين معتقداتهم ودرجة التصاقهم بهذه المعتقدات .

واما « المال » فمع ان الحوادث والمواقف درامية حادة ومع ان المصادفات والمبالغة تكاد تفسدها من حيث البناء الفني فان اختيار الشخوص والسلوك الناتج عن الاضطراب واسبابه والتشابك بين مختلف الوان السلوك المضطربة بكل اولئك يؤلف عناصر صالحة لقصة بارعة (٤٣) .

صحيح ان هناك هنات كما ظهر في اقاصيص خليل بيدس ، وصحيح انه لم يتقيد تماما بالاراء النقدية التي اختطها في مقدمة « مسارح الاذهان » ولكنه لم يكن الوحيد الذي ظهرت عنده الشوائب الفنية . فلقد كانت هذه الشوائب مشتركة بينه وبين سواه من الذين ترجموا واقتبسوا ووضعوا في لبنان ومصر ،ولقد اتصف انتاج هذه المرحلة بالتدخل السافر والتوجيه المباشر والاخذ بفكرة الوعظ والتركيز على المغزي دون الالتفات كثيرا الى التكنيك القصصي والتحوير في الترجمة والاقتباس دون ذكر المصدر ولكن يبقى خليل بيدس رائدا فلسطينيا طليعيا متصدر الانتاج متين اللغة فصيحها نقل عن الروسية الى العربية العديد من القصص وكان سباقا في اصدار نفائسه المعنية بالقصص القصيرة منها والطويلة وكانت بحق مدرسة تتلمذ فيها كثيرون ونقلوا على صفحاتها الوانا متعددة من القصص الغربية ، فمن حقه علينا ان نسجل له الريادة في مضمار القصة في فلسطين ومن حقه علينا ان نعترف بفضله وفضل زملائه الذين تحدوا العاصفة وصمدوا ووضعوا اللبنة الاولى لبناء الفن القصصي الذي اصبح ذا شان خطير في وقتنا الحاضر .

خليل ابراهيم بيدس

ولد في الناصرة ، عام ١٨٧٥ . تخرج من دار المعلمين الروسية في مسقط رأسه. درس في حمص وبسكنتا ، وكان من تلامذته **ميخائيل نعيمة** . اصدر **«النفائس العصرية»** ، عام ١٩٠٨ كان خطيبا وطنيا، قادته احدى خطبه في القدس الى السجن، مدة اربع اشهر في سجن عكا . شملت نشاطاته التعليم ، الصحافة ، الترجمة ، القصة ، المقالة ، التاليف المدرسي ، التاليف في اللغة وفي التاريخ . اضافة الى الخطابة والاذاعة ، توفي في بيروت عام ١٩٤٩ (٤٤) .

آثاره :

١ ـ **ابنة القبطان** ، (مترجم) تاليف بوشكين ، بيروت ، مطبعة المنار ، ١٨٩٨

٢ ـ **امم البلقان** ، القدس ، ١٩١٤ .

٣ ـ **«اهوال الاستبداد»** لتولستوي ، حيفا ١٩٠٩ .

---

٤٣ ـ ياغي ، هاشم . **القصة القصيرة في فلسطين والاردن** . ١٩٦٦ ، ص ١٦٤ ـ ١٦٥ .

٤٤ ـ الاسد ، ناصر الدين . **محاضرات عن خليل بيدس** . ١٩٦٣ ، ص ٣٩ .

٤ ـ تاريخ الطيران ، القاهرة ، ١٩١٢ ٠

٥ ـ تاريخ القدس ، القدس ، ١٩٢ ٠

٦ ـ تسريح الابصار فيما تحتويه بلادنا من الاثار ، القدس ، ١٩٢٠ ٠

٧ ـ الحسناء المتنكرة ، لاميل سلفاري (مترجم) القدس ، ١٩٢٥ ٠

٨ ـ حفلات التتويج ، بيروت ، ١٨٩٨ ٠

٩ ـ الدول الاسلامية ، القدس ، ١٩١٢

١٠ ـ ديوان الفكاهة ، القدس ،١٩٢٤

١١ ـ رحلة الى سيناء ، بيروت ،١٩١٢

١٢ ـ الروضة المؤنسة في وصف الاراضي المقدسة ٠ (معرب) ، بيروت ١٨٩٩ ٠

١٣ ـ الشباب المنتصر ، القدس ، ١٩٤٥ ٠

١٤ ـ شفاء الملوك ، ماري كورلي (مترجم) ، ١٩٢٣ ، القدس ٠

١٥ ـ الطبيب الحاذق ، بيروت ، ١٨٩٨، (مترجم) ٠

١٦ ـ العرب ابطالهم واشهر حوادثهم، القدس ، ١٩٤٢ ٠

١٧ ـ العرش والحب (مترجم) ، القدس ، ١٩١٤ ٠

١٨ ـ العقد الثمين في تربية البنين ، بعبدا ، ١٨٩٨ ٠

١٩ ـ العقد النظيم في ظل الروسيين واعتناقهم الايمان القويم ، بعبدا ، ١٨٩٧

٢٠ ـ القوقازي الولهان (مترجم) ، لبنان ١٨٩٩ ٠

٢١ ـ الكافي في الصرف ، القدس ، ١٩٢٥ ٠

٢٢ ـ مختار البيان والتبيين ، حريصا ، ١٩٢٥ ٠

٢٣ ـ مرآة المعلمين ، بعبدا ، ١٨٩٨ ٠

٢٤ ـ مسارح الاذهان ، القاهرة ، ١٩٢٤ ٠

٢٥ ـ ملوك الروس ، القدس ، ١٩١٣ ٠

٢٦ ـ هنري الثامن وزوجته السادسة (مترجم) ، ١٩١٢ ٠

٢٧ ـ درجات القراءة ، ٦ اجزاء ، القدس من سنة ١٩١٣ ـ ١٩٢١ ٠

٢٨ ـ الوارث ، القدس ، ١٩٢١ ٠

٢٩ ـ درجات الحساب ، حزان ،١٩١٢

٣٠ ـ الكسور العشرية ، بيروت ، ١٨٩٨ ٠ والكسور الدارجة ، بيروت ١٨٩٨

٣١ ـ المملوك الشارد ، (ترجمة للروسية) (٤٥) ٠

٣٢ ـ تاريخ روسيا القديم ، بيروت ، ١٨٩٨ (٤٦) ٠

٣٣ ـ المخطوطات (٤٧) ٠

نحن واللغة ٠

احلام الحياة ٠

اسرار الحياة ٠

صور الحياة ٠

....

٤٥ ـ داغر ، يوسف ، مصادر الدراسة الادبية ، جـ ٢ ، ص ٢١٢ ٠

٤٦ ـ الاسد ، ناصر الدين ، محاضرات ٠٠٠ ص ٣٤ ـ ٣٨ + الاخرس ، محمود٠ البيبلوغرافيا الفلسطينية ـ الاردنية ٠ ١٩٧٢ ، ص ٩١ ٠

٤٧ ـ داغر ، يوسف مصادر الدراسة الادبية جـ ٣ ص ٢١٤ ـ و ـ الاسد ، ناصر الدين ، محاضرات عن خليل بيدس ص ٣٤ ـ ٣٨ ٠

ملف الأدب الفيتنامي

تاريخ ومختارات من القرن العاشر الى القرن العشرين

اعداد وترجمة : كاتيا سرور

هامش : اللغة ـ التاريخ

يتكون الشعب الفيتنامي من ستين عرقا مختلفا ، يشكل الفييت او الكينه ، (Viet ou Kinh) ، الاغلبية الساحقة ، اي ما يقارب نسبة ٨٠٪ الى مجموع السكان ٠ ولغة الكينه ، هي اللغة القومية المشتركة بين الجميع ، والمستعملة في الشمال والجنوب على حد سواء ٠ وللقوميات الصغيرة لغاتهم المحلية الخاصة ٠

لقد صيغ الادب الفيتنامي حتى ما قبل القرن العشرين بزمن بسيط ، اما باللغة الصينية الكلاسيكية وتدعى الـ « هان » (Han) ، واما بالكتابة الشعبية المختزلة (demotique) وتدعى الـ « نوم » (Nôm) ٠ ولقد كانت الكلاسيكية الصينية هي اللغة المشتركة لجميع شعوب الشرق الاقصى (الصين ، فيتنام ، اليابان ، كوريا) وقد قام الاشتراك على اساس الترميز الحرفي المرتبط بدلالة معنوية (des idéogrammes) ٠ مع اختلاف في اللفظ ، بما في ذلك اللغة القومية الشعبية الـ « نوم » ٠

والواقع انه لم يبق من نصوص لغتي الماضي هاتين : الـ « نوم » والـ «هان»، سوى النذر القليل ، اذ بالاضافة الى المناخ الاستوائي ، والاثر التدميري للحشرات ، فقد عاشت فيتنام تاريخا مضطربا ، تميز بالعدد من الاجتياحات الاجنبية والحروب الاهلية ، حيث احرق اثناءها العديد من المكتبات ٠ بالاضافة ايضا الى حرب ضروس ، شنها الاقطاع المحلي (ملوك ، مندوبون) ضد الكتابات الشعبية بلغة الـ « نوم » ، فلوحق كتابها ، واتلفت مؤلفاتها ، باعتبار انها كتابات تخريبية ضد النظام الملكي ، وقد حصل هذا في اكثر من عهد وحقبة٠ في حين تبنى الملوك انفسهم اللغة الصينية الكلاسيكية الـ « هان » ٠ بحيث ان اللغة نفسها عبرت عن مسيرة الصراع الايديولوجي ٠ والحقيقة ان الثقافة الفيتنامية قد ووجهت بمحاولات تذويب واستيعاب عديدة ، بدأت مع بداية الاستعمار الصيني لفيتنام في العام ١١١ ق٠م والذي استمر عشرة قرون متواصلة ٠ مع ذلك حافظت الثقافة الفيتنامية على حيز استقلال ما ٠ لكن

....

اعتمدت اساسا في هذه الدراسة على :

ـ مختارات من الادب الفيتنامي/ الجزء الاول ـ الثاني ـ الثالث ـ دار نشر اللغات الاجنبية ـ هانوي (١٩٧٠ ـ ١٩٧١ ـ ١٩٧٢) ٠

٤ ـ تاريخ الطيران ، القاهرة ، ١٩١٢ .

٥ ـ تاريخ القدس ، القدس ، ١٩٢ .

٦ ـ تسريح الابصار فيما تحتويه بلادنا من الاثار ، القدس ، ١٩٢٠ .

٧ ـ الحسناء المتنكرة ، لاميل سلفاري (مترجم) القدس ، ١٩٢٥ .

٨ ـ حفلات التتويج ، بيروت ، ١٨٩٨ .

٩ ـ الدول الاسلامية ، القدس ، ١٩١٢

١٠ ـ ديوان الفكاهة ، القدس ،١٩٢٤ .

١١ ـ رحلة الى سيناء ، بيروت ،١٩١٢ .

١٢ ـ الروضـة المؤنسة في وصف الاراضي المقدسة . (معـرب) ، بيروت ١٨٩٩ .

١٣ ـ الشباب المنتصر ، القـدس ، ١٩٤٥ .

١٤ ـ شفاء الملـوك ، لماري كورلي (مترجم) ، ١٩٢٣ ، القدس .

١٥ ـ الطبيب الحاذق ، بيروت ، ١٨٩٨، (مترجم) .

١٦ ـ العرب ابطالهم واشهر حوادثهم، القدس ، ١٩٤٢ .

١٧ ـ العرش والحب (مترجم) ، القدس ، ١٩١٤ .

١٨ ـ العقد الثمين في تربية البنين ، بعبدا ، ١٨٩٨ .

١٩ ـ العقد النظيم في ظل الروسيين واعتناقهم الايمان القويم ، بعبدا ، ١٨٩٧

٢٠ ـ القوقازي الولهان (مترجم) ، لبنان ١٨٩٩ .

٢١ ـ الكافي في الصرف ، القدس ، ١٩٢٥ .

٢٢ ـ مختار البيان والتبيين ، حريصا ، ١٩٢٥ .

٢٣ ـ مرآة المعلمين ، بعبدا ، ١٨٩٨ .

٢٤ ـ مسارح الاذهان ، القاهـرة ، ١٩٢٤ .

٢٥ ـ ملوك الروس ، القدس ، ١٩١٣ .

٢٦ ـ هنري الثامن وزوجته السادسة (مترجم) ، ١٩١٢ .

٢٧ ـ درجات القـراءة ، ٦ اجزاء ، القدس من سنة ١٩١٣ ـ ١٩٢١ .

٢٨ ـ الوارث ، القدس ، ١٩٢١ .

٢٩ ـ درجات الحساب ، حزان ، ١٩١٢ .

٣٠ ـ الكسور العشريـة ، بيروت ، ١٨٩٨ . والكسور الدارجة ، بيروت ١٨٩٨

٣١ ـ الملوك الشارد ، (ترجمـة للروسية) (٤٥) .

٣٢ ـ تاريخ روسيا القديم ، بيروت ، ١٨٩٨ (٤٦) .

٣٣ ـ المخطوطات (٤٧) .

نحن واللغة .

احلام الحياة .

اسرار الحياة .

صور الحياة .

٤٥ ـ داغر ، يوسف ، مصادر الدراسة الادبية ، جـ ٢ ، ص ٢١٢ .

٤٦ ـ الاسد ، ناصر الدين ، محاضرات ... ص ٣٤ ـ ٣٨ + الاخرس ، محمود ، البيبلوغرافيا الفلسطينية ـ الاردنية ، ١٩٧٢ ، ص ٩١ .

٤٧ ـ داغر ، يوسف مصادر الدراسة الادبية جـ ٢ ص ٢١٤ ـ و ـ الاسد ، ناصر الدين ، محاضرات عن خليل بيدس ص ٣٤ ـ ٣٨ .

ملف الأدب الفيتنامي

تاريخ ومختارات من القرن العاشر الى القرن العشرين

اعداد وترجمة : كاتيا سرور

هامش : اللغة ـ التاريخ

يتكون الشعب الفيتنامي من ستين عرقا مختلفا ، يشكـل الفييت او الكينه ، (Viet ou Kinh) ، الاغلبيـة الساحقة ، اي ما يقارب نسبة ٨٠٪ الى مجموع السكان . ولغة الكينه ، هـي اللغة القومية المشتركة بيـن الجميع ، والمستعملة في الشمال والجنوب على حد سواء . وللقوميات الصغيرة لغاتهـم المحلية الخاصة .

لقد صبغ الادب الفيتنامي حتى مـا قبل القرن العشرين بزمن بسيط ، امـا باللغـة الصينيـة الكلاسيكية وتدعى الـ « هان » (Han) ، وامـا بالكتابة الشعبية المختزلة (demotique) وتدعى الـ « نوم » (Nôm) . ولقد كانت الكلاسيكية الصينية هـي اللغة المشتركة لجميع شعوب الشرق الاقصى (الصين ، فيتنام ، اليابان ، كوريا) وقد قام الاشتراك على اساس الترميز الحرفـي المرتبـط بدلالـة معنوية (des idéogrammes) مـع اختلاف في اللفظ ، بما في ذلـك اللغة القومية الشعبية الـ « نوم » .

والواقع انه لم يبق من نصوص لغتي الماضي هاتين : الـ « نوم » والـ «هان» سوى النذر القليل ، اذ بالاضافة الـى المنـاخ الاستوائي ، والاثر التدميري للحشرات ، فقد عاشت فيتنـام تاريخا مضطربا ، تميز بالعدد من الاجتياحات الاجنبية والحروب الاهلية ، حيث احرق اثناءها العديد من المكتبات . بالاضافة ايضا الى حرب ضروس ، شنها الاقطاع المحلـي (ملوك ، مندوبون) ضـد الكتابات الشعبية بلغـة الـ « نوم » ، فلوحق كتابها ، واتلفت مؤلفاتها ، باعتبار انها كتابات تخريبية ضد النظام الملكي ، وقد حصل هذا في اكثر من عهد وحقبة . في حين تبنى الملـوك انفسهم اللغـة الصينية الكلاسيكية الـ « هان » . بحيث ان اللغة نفسها عبرت عـن مسيرة الصراع الايديولوجي . والحقيقـة ان الثقافة الفيتنامية قد ووجهت بمحاولات تذويب واستيعاب عديدة ، بدأت مع بداية الاستعمار الصيني لفيتنام فـي العام ١١١ ق.م والذي استمر عشرة قـرون متواصلة . مع ذلك حافظت الثقافـة الفيتنامية على حيز استقلال مـا . لكن

اعتمـدت اساسا في هـذه الدراسة علـى :

ـ مختارات من الادب الفيتنامي/ الجزء الاول ـ الثانـي ـ الثالـث ـ دار نشر اللغـات الاجنبيـة ـ هـانوي (١٩٧٠ ـ ١٩٧١ ـ ١٩٧٢) .

هذا لا ينفي بداهة القول باغتناء الثقافة الفيتنامية - ولا ريب في ذلك - بالعديد من الاستقاءات الثقافية الصينية ، سواء على صعيد النظم الاقتصادية - الاجتماعية (التطور نحو اقطاعية تميزت بملكيات شاسعة) ، او على صعيد ثقافي : ترسيخ اللغة الكلاسيكية الصينية من جهة مرتبطة بترسيخ عقائد دينية ، لعل اهمها الكونفوشيوسية والبوذية ، اللتين قام بينهما صراع اتخذ طابعا ايديولوجيا وعبر عن نفسه بصراع اللغتين الـ «هان» والـ « نوم » · وقد وضح الطابع الايديولوجي لهذا الصراع مع تولي ملوك عائلة « لي » (Ly) الصينية حكم فيتنام في العام ١٠٧٥ · اذ اعتمد هؤلاء الكونفوشيوسية دينا للدولة والـ « هان » لغة لها : « درس ملوك « لي » الكونفوشيوسية في المدارس واسسوا بالاضافة الى هيكل كونفوشيوس للادب، مدرسة عليا لتخريج كبار الموظفين ونشروا العديد من المدارس ، بهدف تثبيت الثقافة الكونفوشيوسية وادواتها التعبيرية الـ « هان » في محاولة لمحو الشخصية القومية للبلاد » (مختارات من الادب الفيتنامي - الجزء الاول) ·

وعلى الرغم من حصول فيتنام على استقلالها الوطني بعد القرن العاشر ، فقد استمر نظام الحكم الملكي بعائلاته الفيتنامية التي توارثت الحكم حتى مجيء الثورة في نهاية القرن التاسع عشر · لقد استمر هذا النظام باستخدام تراث المستعمرين ديانة ولغة ، في حين اصر الفيتناميون من الطبقات الشعبية على التشيع للبوذية الموافقة للتقاليد الشعبية كديانة ، وابتدعوا كتابتهم الخاصة الـ « نوم » ليصيغوا بها لغتهم القومية : « يعتبر ان اول نص باللغة هذه - نوم - يعود الى القرن الرابع عشر · غير انه لا بد من الاشارة الى ان ابتداع هذه اللغة واستخدامها يعود الى ما قبل هذا التاريخ بكثير » (مختارات من الادب الفيتنامي - الجزء الاول) · وبدأت لغة الـ « نوم » الشعبية مسيرتها متعثرة واستمرت لفترة طويلة الى حد ما على هذا التعثر، فقد استقبلت بفتور واستعلاء من قبل الادباء باعتبارها لغة العامة · ومع ذلك فما استطاع احد انكار كون هذه اللغة شكلت ردا وطنيا وقوميا في مواجهة ثقافة اجنبية ترمي الى محو الشخصية القومية للبلاد ·

ان هذا الصراع الايديولوجي بين السلطة الارستقراطية الحاكمة وبين الشعب بفئاته الفلاحية المسحوقة ، والذي اتخذ وجهة لغوية ، لم ينته مع بداية القرن الخامس عشر بانتصار الثقافة الارستقراطية ولكن بسيادتها · اذ لم يكن من السهل تحقيق غلبة على لغة المستعمر التي استمرت الف سنة تهيمن على الادارة والتعليم والفلسفة والدراسات التاريخية والطبية وعلى مناخ الابداع الادبي في الاوساط المثقفة · ثم بعد ذلك اعتمدتها السلطة المحلية ايضا لغة للدولة ، مما استتبع دخول نسبة مرتفعة من تعابير هذه اللغة على اللغة القومية نفسها وتبني بعض قواعد التركيب اللغوي فيها · والحقيقة انه الى لغة الـ « هان » هذه يعود الاصل اللغوي لمعظم المفردات الثقافية في فيتنام كما في كل بلدان الشرق الاقصى · وهذا يسري على الكلمات البسيطة والمركبة معا ·

بالمقابل هذا لا يعني اندحار لغة الـ « نوم » الشعبية · فقد بقيت هذه اللغة تعبيرا موازيا لتطور الحركة الوطنية في فيتنام ، وارتبط تطورها بتطور المد الوطني بحيث عاشت لغة الـ « نوم » مدا وجزرا مساوقين الحركة الوطنية الفيتنامية وجزرها · وبحيث عبرت في الان معا عن الصراع الوطني ضد المستعمر وعن الصراع الاجتماعي ضد السلطة المحلية · فان انتفاضة تاي - سون ضد الملكية وانتصار نغوين هيو Nguyen Hae ، عمم هذا الاخير الاستخدام الالزامي للغة « نوم » في الادارة ، اي اعتمدها لغة رسمية للدولة ، فاعترض الاقطاعيون · ولدى سقوط انتفاضة تاي - سون ، عادت الملكية واعادت معها لغتها الارستقراطية الـ « هان » وحظرت استعمال اللغة القومية ولاحقت كتابها متهمة اياهم بتضمين كتاباتهم افكارا تخريبية ضد نظامها الملكي · وعلى الرغم من كل التحظير ومن كل الممنوعات ، فقد بقي ادب الـ « نوم » يتطور بقوة بحيث وصل الى مستوى من التكامل سمح له ان يتخطى نهائيا نظرة الاستعلاء التي نظرها له ادباء العصور السابقة ·

★★★

كان هذا الهامش - المقدمة ، ضروريا لجهة تحديد عن اي ادب فيتنامي سيدور الكلام · فليس بالطبع عن ادب السلطة ، وان تم تناوله جزئيا بهدف توضيحي وتمهيدي · وانما المعني بالحديث هو الادب الشعبي الفيتنامي المصاغ بلغة الـ « نوم » : نشأته، تطوره، موضوعاته، اشكاله ·

وعلى اساس هذا التحديد واعتمادا على رؤية تاريخية تعاقبية ، يمكن لهذا الادب ان يدرج في مراحل ثلاث :

الاولى : وتمتد من القرن الخامس عشر حتى السابع عشر ·

الثانية : وتمتد من القرن الثامن عشر حتى النصف الاول من القرن التاسع عشر ·

الثالثة : وتمتد من النصف الثاني للقرن التاسع عشر وحتى بداية القرن العشرين تحديدا حتى العام ١٩٤٥ ·

■ **ملاحظة** :هناك انعطافة في الواقع الادبي الفيتنامي تدرس على حدة · ويمكن حصرها زمنيا في الفترة الممتدة بين ١٩٤٥ الى ١٩٧٠ ، وان شئنا القول الى يومنا هذا ·

- المرحلة الاولى -

من القرن العاشر
حتى القرن السابع عشر

قبل الشروع ، لا بد من التوقف عند مسألة سقوط خمسة قرون دفعة واحدة (ق خامس - ق العاشر) ، وذلك يعود لفقدان النصوص المتعلقة بهذه المرحلة · فبداية هذه المرحلة اذن ، ترتبط عمليا ببداية القرن العاشر الذي يشكل انعطافا في تاريخ فيتنام السياسي ، فهو بداية مرحلة الاستقلال الوطني · ولان الادب الفيتنامي مرتبط وثيق الارتباط بتاريخ البلاد السياسي · من هنا فان الحقبة الاولى تنقسم تبعا للتقسيم السياسي الى فترتين ، ويمكن عنونة كل فترة منهما على حده بعنوانين ، احدهما سياسي والثاني ثقافي · فنقول عن الفترة الاولى انها مرحلة حكم الملوك الوطنيين (المحليين) ، وهذا هو عنوانها السياسي، يقابله عنوان ثقافي هو : تنشيط الثقافة الارستقراطية (الكونفوشيوسية ديانة

والـ هان لغة) · وتمتد هذه الفترة من بداية القرن العاشر وحتى نهاية القـنن الخامس عشر ·

ويكون العنوان السياسي للفترة الثانية: انهيار الملكية ، ويستتبع تخلخل الثقافة الارستقراطية وتكون الادب الشعبي كعنوان ثقافي · وتمتد هذه الفترة حتى بـداية القرن الثامن عشر ·

١ ـ الفترة الاولى : مرور الكرام نمر على هـــذه الفترة فنوجزها بخطوطها العريضة العامة :

★ رغم سيادة الثقافـة الارستقراطية بتعبيرهـــا الكونفوشيوسي ايديولوجيـا وبتعبيرها الصيني الكلاسيكي (الـ هان) لغويا ، فـان الادب الشعبي حقق وجوده وعرف تطورا مضطرا بحيث ان الثقافـة الوطنية آنذاك بقيت دوما ازدواجية الطابع، وعلى الرغم مـــن الحظر الذي واجهتـه الثقافة الشعبية فقد دخلت لغة الـ «نوم» بعض البلاطات كلغة للابداع الشعري ·

★ ان تميـــز هذه الفترة سياسيـا بالحصول على الاستقلال والحكـم الذاتي بعد حروب طويلة لطرد المستعمر الصيني، قد انعكس على الادب فصبغه بصبغة قومية وطنية ، تمثلت في الحنين الدائم الارتداد صوب الارض ، الانهـار ، الجبال · وقد شكـــل هذا الحنين احد مـواضيع الادب الفيتنامي الاساسية يقابله موضوع لا يقل عنـــه اهميـــة هـو موضوع التبشيـر بالكونفوشيوسية ، تفسيرها ، استلهامها ، والدعوة لها ·

★ ان التخلص من المستعمر ، استتبع ضرورة تقوية السلطة الوطنية ومركزتهـا اداريـا ، ممـا جعـل الملوك يعتمدون في اختيار مندوبيهم في المنـــاطق والموظفين الكبـار على المقياس الثقـافي · فكـان هؤلاء يخضعون لاختبـارات تشتمل على نقاشات في العقيدة (الكونفوشيوسيـة) وعلى اثبات الجدارة في الشعر ، مما دفع بالآلاف الى دخول الاكاديميات ودراسـة الادب · فنعم الاديب بتمايـز اجتمـاعي ملحوظ ، حتى ان الحائـز على شهـادة الدكتوراه يعد مـــن المرشحيـــن للخلود وينقش اسمه على نصب حجري ، والحقيقة ان تمتين المجتمع لقيمـة الادباء ، اضفى على الحياة الادبيـة في هذه الآونة اثره الايجابي ، متضمنـــا مع ذلك كثيـرا من النتائج السلبيـــة لجهـة تنشيط الثقافة الكلاسيكيـة بكل طقوسيتها ومعتقداتهـا القائمة على تأكيد التراتبية الاجتماعيـة والخضوع للسلطة ، مما ادى الى انتشار ادب تلاؤمي محافظ في خدمة السلطـــة ، ووقع الادب في قطيعـه مع الابـداع ، اذ ساده البحث الشكلاني وصار غايته ·

★ ان اقتصار موضوعـات الادب في هذه الفترة على موضوعي الحنين والولاء للسلطـة وخدمـــة الملوك ، لا يعني انها المواضيع الوحيدة التي تطرق اليهـا هذا الادب · فثمـة شعراء كتبوا في مواضيع متنوعة تناولت لذائذ التوحد ، التخلي عن العالم ، مع لمحة تشاؤمية · لمحة ستزداد وتتأكد مع تعاقب العصور التالية ·

★ يعتبر نغوين تري Nguyen Trai اول شاعـــر كتب في هذه الفترة بلغـــة الـ « نوم » تحركه وطنية حادة وتعاطف مع الشعب لا يضاهيه تعاطـــف ومشاعر انسانية عميقة يمكن اعتبارهـــا القاعدة الاساسية لوعي اجتماعي مرهف ومتقدم · وتجلى ذلك في موضوعاتـــه التي كـانت نقدية لاذعة للسلطة · ولعل نقده لمداحي البلاط في كتاباتـه ، هو الذي دفع البلاط الى انزال العقوبة القصوى به ، مما ادى بالتالي الى ضياع مؤلفاته التي لـم يتبق منها سوى جزء ضئيل · لقد ترك نيغوين تري (Nguyen Trai) ما يلي :

ـ مجموعة شعرية تشتمل على مئتين وخمس واربعيـــن قصيـدة بلغـــة الـ « نوم » والعديد مـــن القصائد باللغة الصينية الكلاسيكية ·

ـ مؤلف في جغرافية البلاد ·

ـ كتابات للقوات المسلحة ·

ـ اعلان شعري جميـل عـــن انتصار فيتنام على احد اعدائها ·

ب ـ صعود الثقافة الشعبية :

مع ابتداء القرن السادس عشر ، بدأت الملكية عهد انهايرها الذي امتد عدة قرون فيما بعد · اذ ازدادت حدة التنـــاقضات بين ملاكي الارض الكبار والفلاحين الذين لا يملكون ارضا · كما عطلت البيروقراطية المحلية مسيرة الصناعة المحلية والتجارة وتطورهمـــا · وبدأ البـــلاط والمندوبون ينفصلون اكثرفأكثر عن الشعب وينقسمون في حياة لذائذ وترف مما زاد مـن وضوح الفوارق الطبقية الشاسعة · كما تعاظمت الخلافات بين تحزبات البلاط نفسه ، مما ادى الى نشوب الحروب الاهلية بل حروب الابادة الفعلية ·

في خضم هذه الصراعات ، وفي معمعة التسابق على السلطة ، مـا عاد بـوسع الحكـــام ان يولوا الاهتمام الـذي ولاه اسلافهم للحياة الثقافية · ومع ان المعيار الثقافي في اختيار المندوبين والموظفيـــن الكبار ظـــل ساري المفعـــول ، الا ان الايديولوجيـــة الرسميـــة نفسهـــا (الكونفوشيوسيـــة) فقدت الكثيـر من زهوهـــا السابق · اذ ادرج في صلـــب المعتقد الكونفوشيوسي مبدأ الولاء للملك مما افسح المجال امام الانتهازيين وليس اصحاب الكفاءات لاستلام المراكز العليـا في الدولة· في حين بذل اصحاب الكفاءات والفضائل ما بوسعهم للتهرب مـــن حياة البلاط، وغالبا ما رفضوا تسلم المسؤوليات الرسمية في الدولة ، وعوضا عـن ذلك ، كانوا ينسحبون الى القرى حيث يمتهنون التعليم ويمارسون حياة تنسك ، فيمضون حياتهم على مقربة من الشعب والطبيعة ، بهدف « خلاص » ضمائرهم · والمهم فـي الامر ان هـذه الظروف بالتحديد قـادت هؤلاء لأن يكتشفوا شيئا فشيئا ، اتجاهات الكونفوشيوسية السلبية ومحدوديتها ، كما قادتهم ايضا حياة العزلة عن السلطـة ، الى التقرب من حياة الشعب ومقاسمتـه الآلام والآمال وبالتالي البحث عـن سبل اخرى للفكر والحيـاة فتحول البعض الى البوذية او الى الطاوية Taoisme ·

ان الازمة التي عاشتها الملكية ونظـام الانتداب ، والتي هي ازمة الكونفوشيوسية الاورثوذوكسية وهي تواجه المستلزمـات المادية التي يفرضها نهج الموالاة للسلطة الى درجة تحوير المعتقد ذاته · بالاضافة الى أزمتها وهي تواجه قصورها عـن حل أزمة البلاد واضطرابها ·· ان هذا لم يمنع البلاد من متابعة مسيرتها التطوريـة في العديد من المجالات ولا سيما في المجـال الادبي · اذ نتج عن هذه الازمة نـوع من الفرز الحتمي في صفوف الادباء، فالاديب خلال هذه الازمة ، وجد نفسه مجبرا على تحديد موقف من السلطـــة اذ ان الوضع الآن مختلف عما كان عليه زمن الاستغلال، حين كانت السلطة في طور البناء وكانت المرحلة مرحلة مد وطني ، بحيث ان الادب كان مواليا للسلطة ومتوافقا مع تطلعاتها دون خيانة لذاتـــه · غير ان المتغيرات الاجتماعية التي طرأت في بداية القـــرن السادس عشر ، جعلت من المستحيل على العاملين في حقل الأدب والثقافة بشكـل عام ، ان يخلصوا للسلطـة ولانفسهم في آن معا ، دون ان يقعوا وبوعي في مأزق الانتهازية ·

من هنا، كانت معظم النتاجات ،الادبية، بالمعنى الفعلي لكلمـة أدب ، هي نتاجات اولئك الكتـــاب الذيـن رفضوا ممارسه

٤

المسؤوليات الرسمية او الاشتراك في الحياة العامة السياسية . ولعل النموذج المثالي المعبر عن هذه الحالة ، هو « نيغوين بينه كيم » ، (Nguyen Binh Kheim) _ ١٤٩١ _ ١٥٨٥ _ . وهو من الادباء ذوي الثقافة الكونفوشيوسية والحاصل على المرتبة الاولى في اختبار المندوبين . لكنه رفض الاشتراك في الحكم ، واعتزل الحياة العامة وتنسك في صومعته التي اسماها « الغيمة البيضاء » ، لكنه مع ذلك لم يقطع تواصله مع الوقائع السياسية ، مؤسسا مدرسته الفذة، القائلة بالانسحاب من المشاركة في حكم متواطىء ضد الشعب، مع الاحتفاظ بحق الرقابة والنقد.

لقد تميزت كتابات هذا الاديب وكتابات تلاميذه ، بالتعلق الشديد بالوطن/ الشعب وشنت هجمات عديدة على انحرافات النظام . وسخروا من : « اولئك الذين يتقاتلون من اجل الشرف في البلاط وفي نفس الوقت من اجل الكسب والمنفعة في الاسواق » . كما حملوا حملة شعواء على المندوبين الذين يستغلون الشعب بطريقة : « لا يبقى للشعب سوى الاوراق اليابسة في الحقول بدون حبة واحدة في المخازن » . وكانت الحروب الاهلية التي تندلع بين جماهير الشعب من المتشيعين لتحزبات البلاط المختلفة ، تمزق قلوب هؤلاء الكتاب ، لان الشعب هو دائما من يدفع الثمن . وقد قال « فانغ كوان » (Phung Khoan) ، احد تلامذة هذه المدرسة : « الحروب لا تنتهي

و.. الشعب يغرق في الالام ».

لقد كان النقد الموجه للنظام ، وللتقاليد الاجتماعية التي تساهم في ابقاء الشعب غارقا في التخلف . ومناوءه الحروب الاهلية ، هي المواضيع الاساسية لادب الثقافة الشعبية الناشيء . وكان النقد يوجه تحت غطاء رمزي عبر الملاحم الاسطورية ، وقصص الازمنة الغابرة ، فيهاجم الملك والمندوبون وكل نماذج الموظفين المالئين للسلطة ، الى جانب عرض انساني شفاف لشقاء الشعب .

لقد عبر هذا الادب الناشيء والمصاغ بلغة الـ « نوم » ، وبما لا يقبل الجدل ، عن احاسيس الفئات الشعبية ، ومن هنا نفهم لماذا حاز هذا الادب خاصة منذ القرن السابع عشر على مد كبير من التعاطف والنجاح حتى أنه اثر على الادب المكتوب باللغة الصينية الكلاسيكية ، « هان » ، فما عاد الادباء يستعلون على لغة الـ « نوم » الشعبية ويستنكفون عن الكتابة بها ، بل على العكس من ذلك ، فكلما كان الموضوع مناوئا للسلطة او موال لها _ وكثيرا ما كان الموضوع هكذا _ اصبح استعمال الـ « نوم » امرا لا مندوحة منه .

ونتيجة لتعامل كبار الادباء مع لغة الـ « نوم » ، وتطرقها لمواضيع جديدة شكلا ومضمونا فقد تطورت هذه اللغة بحيث اكتسبت غنى « ومرونة » لم تعرفهما في نصوصها المكتوبة حتى القرن الخامس عشر : فالمصطلحات ذات الاصل الصيني استوعبت بالكامل ، والكلام الشعبي ، محتفظا بخاصية الوضوح والتلون فيه ، توصل لان يعبر عن تضاعيف التباينات الدقيقة للفكر . وتخلص التقطيع الايقاعي من القواعد الخاصة بالصينية الكلاسيكية، كي يبدع معيارا تقطيعيا خاصة باللغة القومية الشعبية _ الـ « نوم » .

ان ثقافة الـ « نوم » ، النقدية في الاساس ، لم تنل اعجاب السلطة بكل تاكيد !! فنظمت حوالي القرن السابع عشر حملة مطاردة فعلية لهذه الكتابات « التخريبية » ، فاتلف قسم كبير منها ، لكن ذلك لم يؤدي الى لجم تطورها الذي استمر وبلغ اوجه في القرن الثامن عشر .

ان الفصل القائم ما بين المرحلتين الاولى والثانية هو في الحقيقة فصل تعسفي الى حد ما . فالمرحلة الثانية ليست سوى امتداد للاولى ، من حيث السمة الايديولوجية للسلطة بأزمتها في مواجهة مجتمع يغلي بتناقضاته الاجتماعية ، وقد كفت دعاوة هذه الايديولوجية عن منح الشعب ضمانة الحياة المعقولة الامنة . لكن المرحلة الثانية ان كان لا بد من التقسيم ، فهي مرحلة النضوج في حين تكون الاولى مرحلة البذار . فالازمة الايديولوجية بمواجهة تحدي الثقافة الشعبية الناشئة عكست على الواقع الثقافي اثرا ايجابيا فساهمت في انضاجه. اذ ان دعاوة الكونفوشيوسية للسلطة في ظروف تناقض حاد ما بينها وبين الشعب ، اعطت مردودا عكسيا ، مما ادى الى تحرير الاذهان _ اقلا تلك الاقل تبعية _ من امبراطورية الكونفوشيوسية الاورثوذوكسية ، التي تصلب مجموعة السلوكات والافكار والمشاعر الانسانية على جدار المحافظة المتزمتة والطقوسية المتطرفة . وانعكس هذا التحرر على المناخ الادبي فأدخل الادباء والشعراء مواضيع جديدة وصوتا ادبيا مغايرا على كتابتهم فلم تعد الملكية والاقطاع والقيم والاعراف الاجتماعية التقليدية ، مقدسات لا تطال ، بل انتقدت جميعها عبر عرض بؤس الشعب بشكل تفصيلي دقيق ومؤثر ، خاصة حين عمد الادباء الى اجراء المقارنة بين شقاء وحياة الترف التي يعيشها كبراء المجتمع بكل دقائقها . وفي وصف هذا التناقض الاجتماعي قال احد الشعراء :

« اعمدة قصوركم .. والعضاضات،
آه يا ملوك .. هم خارج الحساب .
والشعب ينزف دما وعرقا ..
اية شفقة ! » .

او حين قال نيغوين دي :

بدأ العصف ،
الرعد يضرب بعظيم فرقعة .
آلاف الجثث تهمد من اجل مجد رجل واحد » .

وحفلت الكتابات بوصف المجاعات والشعب المرمي شريدا على الطرقات بعد الحرب والمواسم السيئة ، كما حفلت بالتعريض الساخر بالمندوبين وبالوصف الدقيق لحياتهم الحافلة بالرذائل وبالاهمال للوطن/ والشعب . وهذه كلها مواضيع جديدة على الادب الذي كان يقتصر على مفهوم مترف فلا تطال موضوعاته سوى الطبيعة الجميلة او الثناء على الملوك او النقاش الفلسفي الداخل في صلب الكونفوشيوسية . ولا بد ان نعرض بأية عناية واهتمام ، حاولت الكونفوشيوسية ، وعبر عصور متتالية ، ان تدخل الى الاذهان بداهة السلطة المطلقة للملكية ، تلك السلطة المستمدة من الالهة على حد زعمها ، كي نعرف معنى ومدى التجديد الحاصل في عقلية هذه المرحلة .

لقد حملت هذه المرحلة واخصبت بالثقافة الشعبية التي انتقلت خطوات مهمة باتجاه واقعية نقدية الهمت العديد من الكتاب وعبرت عن نفسها بشتى الطرق ، اما مباشرة عن طريق القصص الحقيقية المأخوذة من تفاصيل الحياة اليومية ، واما مداورة عبر قصص وهمية

تعكس شتى نواحي ومفاهيم المجتمع المنهار ، وتتناولها بالنقد القاسي • وهذه الواقعية بحد ذاتها تشكل انعطافا تجديديا في الادب الفيتنامي ، من حيث سعيها لاغنائه بالعديد من الشخصيات والمشاهد الحية لمجتمع متحرك • معتمدة على الهجاء وهذا النوع الاكثر شعبية وعلى القصص الساخرة ، والمسرح الشعبي(Le chèo)

انعطاف آخر طال المضامين ايضا ، فكف الادب عن ملاحقة الالهة ونزل من عليائهم الى تراب الارض ، فصار الانسان هاجسه الرئيسي ، وتجلى ذلك في مطالبة الفرد بحقه في السعادة ، سيما في مجال الحب ، مطالبة كانت مستهجنة تماما في العصور السابقة بثقافتها التي تمجد التضحية بالفرد/ المجموع لحساب وطن الملك وشخصه ،كما تجعل من علاقة الاولاد بالآباء علاقة ارتهان الاولين للاخرين ، بحيث يبت الاباء في عواطف اولادهم ويختارون لهم الزواج ويقررونه كما يشاؤون ، وبحيث لا يحق للاولاد الادلاء باي دلو في هذا الموضوع • وقد قامت بمواجهة هذه العلاقات والمفاهيم الاجتماعية المتزمتة ، مجموعة من الكتابات تؤسس لعلاقات بديلة ومنفتحة • فاذا في الطليعة شبان وخاصة شابات ، لا يترددن في اختيار - وبمحض ارادتهن - الرجال الذين احببن كاسرات موانع الاهل والاعراف الاجتماعية • وفي هذه الكتابات تكسر المرأة ايضا الحواجز الطبقية ، فها الاميرات لا يلقين بالا لكل التقاليد المتزمتة والقاسية لحياة اولاد القصور وورثة السلطة ، فيتزوجن من رجال من عامة الشعب اخترنه بانفسهن • المهم في هذه الكتابات دخول الشخصية النسائية واحتلالها محور الاساس الى جانب ادوار ذكورية غالبا غير مهمة وممحوة كما ان مواضيع : عواطف العشاق ، مشاعر الامل ، الانتظار ، المرارة ، القلق ، الغضب ، الفرح ، ••• في النهاية دخلت الذات محور الادب بكلتعقيداتها الانسانية دون ان تبق هدفا لادانات قاسية وجارحة بل عرضت بالكثير من الود والتشجيع ، باتجاه تثبيتها كحقائق وكحقوق موضوعية وانسانية •

وان طال التغيير مضامين الكتابة فقد طال أيضا بالتجديد ادوات التعبير والشكل الادبي • فكتبت معظم المؤلفات المعروفة بلغة الـ « نوم » ، وتسرب الحوار الشعبي الى كل المؤلفات ، كما تمت عملية تركيب مزجي ، او زواج سعيد بين اللغة القومية وهي لغة الاستعمال اليومي، وبين الصينية الكلاسيكية وهي لغة العلم والبحث والادب، فحملت الاولى تلونها واستدلالاتها العملية العميقة ، وحملت الثانية دقيتها وغناها الثقافي كي تساهم الاثنتان في تشكيل لغة غنية مرنة وقادرة على التعبير وعلى صياغة الافكار والمشاعر الاكثر تباينا • وساهمت هذه اللغة المصقولة بافساح المجال امام الشعركي يبدع اشكالا جديدة متنوعة ، كالنثر الايقاعي المسمى « فو » (Phu) ، او القصائد التي تدمج بين اكثر من ايقاع ، او الاغنيات/ القصائد ذات الاشكال المتحررة من القوالب اللغوية الجامدة او مطولات القصائد الغرامية • بالاضافة الى التجديد في المسرح الذي مزج بين الشعر والنثر ، وتواصل سردا وحوارا ، اداء مسرحيا واغنية شعرية •

ادب نسوي طليعي :

لقد عرفت هذه الفترة ، وعلى الرغم من كل الاشكالات الاجتماعية ، ادبا نسويا طليعيا وجريئا ، ليس بالقياس الى القرن الثامن عشر الاوروبي ، بل قياسا الى الزمن الغربي الراهن • ففي حين اختلفت الحركة النسائية الفرنسية منذ بضعة اشهر بمرور عشرين عاما على صدور اول رواية نسوية بالمعنى الفعلي للكلمة (راحة

المحارب - كريستيان روشفور - ١٩٥٨)• عرفت هذه الفترة في فيتنام اي القرن الثامن عشر ، ادبا نسويا تخطى موقف الشرس ، متجاوزا كل الموانع الايديولوجية الدفاع او الشكوى الى موقف الهجوم السائدة في الاعراف الاجتماعية • فطالب بما لا يجرؤ الادب النسوي اليوم في معظم بلدان العالم وفي جميع بلدان العالم الثالث ، ان يطالب به ولو سرا ، اعني حق المرأة بالانجاب دون الارتباط «الشرعي» برجل/ زوج • كما كشف هذا الادب طبيعة العلاقة الصراعية بين الرجل والمرأة • معلنا معاداته ومناوءته لكل المقولات الداعية الى منح الرجل امتيازات خاصة على حساب المرأة • والحقيقة ان هذه المواقف الجريئة لا تنسحب على مجمل الادب النسوي في تلك الفترة ، والذي مثلته اربع نساء شاعرات هن :

- دوان • تي • ديم (Doan. Thé. Diem)
- مدام دوتهان •كوان (Mme de Than Quan)
- الاميرة نجوك • هان (Ngoc. Han)
- هو • كزيان • هيونغ (Ho. Xuan Huong)

ولهذه الاخيرة يمكن ارجاع الموقف النسوي الجريء الذي ميز ادب النساء لتلك الفترة ودونما غمط حق للباقيات اللواتي اكتفين بالشكوى من وضع المرأة ومن المعاملة الجائرة لها •

هو • كزيان هيونغ :

بقي تاريخ ميلاد وموت هذه الشاعرة مجهولا ، على الرغم من الشهرة الواسعة لكتاباتها • وكل ما عرف بهذا الشأن ، هو ولادتها في احدى ضواحي هانوي وعيشها في اواخر القرن الثامن عشر ، وانها تزوجت مرتين ، وفي كل مرة كان زواجها عبارة عن ارتباط حر ، غير خاضع لمستلزمات الشرعية القانونية •

تركت حوالي ستين قصيدة تعد من افضل نتاجات الادب الفيتنامي ، وهي وان اعتبرت ممثلة القضية النسوية والناطقة الرسمية باسمها ، فقد رأت القضية ضمن حيزها الاجتماعي ، لذا اتجه شعرها دوما صوب الهجوم المكشوف على المتعارف الاجتماعي السائد بجميع تركيباته • فكما هاجمت تعدد الزوجات بشراسة (الامتياز المقدس للرجل في فيتنام) ، كذلك نزعت جميع الاقنعة عن علاقات التكاذب الاجتماعي ، الناتجة عن ضغط الاعراف الاجتماعية السائدة فهاجمت النساء المتمسكات بطهرانية خارجية زائفة ، كما هاجمت الشخصيات المرموقة اجتماعيا : مثقفون ، كهنة ، ابطال حرب ، ملوك ، اقطاعيون ••• كل هؤلاء لم ينجوا من هجمتها الجريئة فلطختهم بالوحول •

وفيما يختص بالمرأة ، لم تتردد في الوقوف الى جانب الفتيات/ الامهات واعلان تأييدها لحق المرأة في الانجاب دون الارتباط بزوج شرعي ، وقد فعلت هذا في مجتمع شديد المحافظة ويقوم تاريخيا على ذهنية عدوانية وتحقيرية لكل ما يخرج عن الشرعية والاعراف ، ولا سيما في سلوك المرأة • متطرقة بذلك لطرح متقدم وسابق لعصرها ، بل وايضا لعصور لاحقة • وفي هذا الشأن تقول

« **الحصول على زوج ، ثم الحمل ••• انها لتفاهة حقا • الوحيدات الجديرات هن من ينجبن بدون معونة زوج شرعي** » •

تميزت هذه الشاعرة بثقافتها الواسعة والشمولية ، حتى انها نافست بتفوق معظم

شعراء عصرها الكبار،مع انها استعملت ـ وربما بسبب ذلك ـ لغة شعبية محببة، بسيطة التعابير وغنية بالتلاوين ، وهي في استعمالها للمعادلات الشعرية الحرة والقريبة من معادلات الايقاع في الاغنية الشعبية قد اقامت التوافق بين المضمون الجديد وشكله التعبيري دون الوقوع في الابتذال ·

امتلكت اسلوبا منفردا لم يحاكه اسلوب اخر · وهي تستفيد من غناها المفرداتي باللعب على ازدواجية المعنى للفظ الواحد ، وباعتماد الايحائية المدهشة والبعيدة عن التوقع وكل ذلك خدمه لتبليغ وايصال طرحها الجديد · فهي بخلاف كل مثقفي عصرها المجددين أيضا · تطرقت الى موضوعات الحب الحسي (الجنسي)، وقدمت بلا وجل ولكن بدون ابتذال أيضا، اسرار الجسد الانثوي ، مستعملة اسلوبها الايحائي الجميل ، للكتابة والكلام عن اشياء الجنس في سياق الكلام عن اكثر الموضوعات بساطة وبراءة وطفولة (الارجوحة ، المروحة) · وذلك بشاعرية خلاقة لا تتكىء سوى على اللغة اليومية ، وبدون الاستعانة باستعارات ادبية كلاسيكية ، كما كان رائجا في شعر العصر ·

لقد اكتسب المضمون المتقدم والاسلوب الشعبي الجديد في كتابات هذه الشاعرة، شعبية كبيرة ، لم يجارها بها شاعر حتى اليوم · ولا بد من التنويه الى صعوبة تعريب نتاجات هذه الشاعرة لجهة التلاعب بازدواجية المعنى وتعدده في اللفظ الواحد لديها ، ولجهة الخلق اللغوي الشفاف الذي تفردت به ·

في الاخير ، يمكن ان نقول ، ان هذه الفترة في تاريخ الادب الفيتنامي . كانت بمثابة نبؤة بثورة فعلية في الحياة الثقافية عامة والادبية خاصة ·· غير ان هده النبؤة أفرغت من مستقبلها ، نتيجة القمع الذي جوبهت به الانتفاضات الفلاحية وعمليات الملاحقة والمطاردة من قبل السلطة لمروجي الفكر الجديد · واخيرا الاجتياح الفرنسي لفيتنام ، الذي اوقف تطور البلاد واعادها الى درب الرجعة وعهود الظلام ، بانتظار عوامل موضوعية اخرى تدفع بها من جديد باتجاه المستقبل ·

ـ المرحلة الثالثة ـ

ان الاجتياح الفرنسي لفيتنام في العام ١٨٨٥. قد وضع فيتنام عند منعطف مرحلة تاريخية جديدة تميزت بالصراع من اجل استرجاع الاستقلال الوطني · وجعل حياة البلاد تتمحور حولهذه القضية الاساسية· وسيكون تطور الادب الفيتنامي تبعا لذلك مرتبطا وثيق الارتباط بالمراحل الاساسية للحركة الوطنية وهي اربع :

أ ـ مرحلة ١٨٨٥ ـ ١٩٠٠

ب ـ مرحلة ١٩٠٠ ـ ١٩٣٠

ج ـ مرحلة ١٩٣٠ ـ ١٩٤٥

د ـ مرحلة ١٩٤٥ ـ الى يومنا الحاضر

وهذه المرحلة الاخيرة نفضل الدخول في تفاصيلها لعدم توفر مصادر ولكونها تحتاج الى دراسة قائمة بذاتها ·

أ ـ مرحلة ١٨٨٥ ـ ١٩٠٠

سادت كتابات الادباء الوطنيين ادب هذه الحقبة ، وشكل النقد الوطني الموضوع الرئيسي لكتابات هذا الادب ، في حين حافظت الاشكال التعبيرية على خطها التقليدي المحافظ ·

واذا نحن دخلنا في تفاصيل الاشكال التعبيرية ، لاستطعنا ان نؤكد ان مؤلفات هذه الحقبة لم تكن سوى استمرار للادب التقليدي · فالادباء كانوا دائما من خريجي المدرسة التقليدية (مدرسة المثقفين ذوي التكوين الثقافي الكونفوشيوسي والجمهور الشعبي المعتاد على شعر الخطابة) · كما بقيت لغة «الهان» (الصينية الكلاسيكية) ولغة « النوم » (اللغة الشعبية المرتبطة بترميز ذو دلالة معنوية) ، مجرد وسيلتي تعبير عن الافكار · ولم يلعب الجمهور المديني سوى دورا هامشيا في حين شكلت بعض القرى مراكز ثقافية هامة · وبقي البلاط يختار مندوبيه وفقا لمعادلات الاختبارات التقليدية · ويمارس نشاطه الثقافي في نفس الاتجاه ايضا · ولم يمارس المحتلون الفرنسيون سياسة « الاعمار الثقافي» التي مارسوها في معظم مستعمراتهم تحت شعار « من يتقن لغة شعب ، يفهم حضارته ولا يعود بوسعه ان يعاديه · بل على العكس من ذلك مارسوا سياسة فرض احتلال شامل ، استلزمت سياسة تعتيم ثقافي وليس سياسة «تنوير» فرنسية ·

الجديد طال فقط المضمون · فالصراع الوطني كان الموضوع المهم للكثير من الكتاب الذين كانوا في ذات الآن سياسيين ، من هنا فلا عجب اذن ان تطغى في الادب الفيتنامي لهذه الفترة موضوعات المشاكل السياسية والاجتماعية وحب الوطن · ولا عجب ايضا ان يكون افضل الشعراء اولئك الاكثر ارتباطا بالمقاومة بما فيهم القياديين الكبار · ولا عجب في الاخير ان تصير النداءات الوطنية ، الاعلانات السياسية ، الخطب التابينية لهؤلاء من اغراض الادب ايضا · وهذا ما يفسر تحديدا غلبة النثر الايقاعي على الكتابات الادبية وانتشار لغة الشعب اي لغة الـ «نوم» ·

لقد كان الادب في هذه الفترة وسيلة من وسائل المقاومة ، حوله شعب الى عقيدة تبرر نمط حياته ، وتضحياته ·· وحوله ايضا الى ايمان هو حب وطن داسه الاستعمار آلاف السنين وكراهية معلنة وموجهة ضد هذا الغريب المحتل · لكن حب الوطن ارتبط بالولاء الكبير للملك اي للسلطة القائمة·· وظل هذا الفهم سائدا في الكتابات الادبية الوطنية حتى اواخر هذه الفترة ، حيث انعكس تضوح الحركة السياسية الوطنية على مضمون الادب فانسحب الملك من الحب الوطني تاركا كل المساحات للوطن : الارض والشعب · وللمرة الاولى في تاريخ الادب الفيتنامي تتقدم الى موقع الصدارة صورة الفلاح ـ المغوار (الذي يقاوم مقاومة حرب الاغوار) · والاغاني الشعبية التي تؤرخ للمقاومة وتغني ـ في الشوارع والاسواق والسهرات في الاحياء ـ بسالة هذا الفلاح ـ المغوار ، معطية صورة حية عن طريقته في القتال عن التصاقه بالارض الام ، عن اقدامه وشجاعته وفطنته :

يتراءى انهم على بعد · وهم على مرمى حجر ·

يبدو انهم يلعبون · وهم يضربون الضرب المحكم ·

يتراءى انهم في الغرب · وهم في الشرق

١١.

هنا يظهرون بنائين بسطاء ؛
هناك · يتظاهرون بالتقاط سرطان البحر ·

هذا الادب الشعبي المحور حول الاحداث اليومية للمقاومة ، والذي هاجم المحتل والبلاط والمتدربين ، ومدح ابطال المقاومة ·· ولم يكف ايضا عن اطلاق نداءاته المشتعلة حماسا للمقاومة · بقي سائدا طوال الفترة الممتدة بين ١٨٨٥ و ١٩٢٠ · لكنه بدا خفوته مع ثبات المحتل وهيمنة نفوذه ، ولم يكن امامه سوى احد خيارين اما الانطفاء النهائي مع ضرب المقاومة الشعبية واما الانكفاء صوب اللعبة اللغوية وكان الاختيار الاخير هو الذي مهد السبيل امام ادب فيتنامي حديث شكلا ومضمونا ظهر في الحقبة التالية · (١٩٠٠ ــ ١٩٣٠) وانتشر في الحقبة التي تلتها (١٩٣٠ ــ ١٩٤٥) ·

ب ــ مرحلة ــ ١٩٠٠ ــ ١٩٣٠ ــ

بقي الادباء التقليديون يشكلون القاعدة الاساسية للانتيلجنسيا الفيتنامية ، لكن العقيدة الكونفوشيوسية فقدت كل زهوها · وتسلم قيادة الحركة الوطنية ادباء محدثين ·· ادخلوا في برامجهم الاستقلالية ، كل المفاهيم الجديدة ، عن الديموقراطية والتنمية الصناعية والعلمية · وبموازاة نشاطهم السياسي فقد بذل هؤلاء المثقفين المحدثين وسعهم من اجل بعث ثقافة وطنية ، فاستبدلوا الترميز الحرفي المرتبط بدلالة معنوية ، بالحروف الرومانية · واسسوا الجرائد والمجلات ودور النشر ·

وقد ترافق مد الحركة التحديثية مع موقع ثابت الى حد ما للثقافة التقليدية فظهرت الاشكال الادبية الجديدة الى جانب الاشكال التقلدية:

(مقالات سياسية ، ريبورتاجات، قصص ، روايات) · وكان جمهور تحديث الثقافة يقوم اساسا على البرجوازية الصغيرة المدينية ، من الموظفين والمثقفين والطلاب والجامعيين ·

والواقع ان استعمال الاحرف الرومانية ، وانتشار دور النشر ، والموقع المهم الذي حازته الصحافة وتاثير الفكر الغربي على المحتوى كما على الشكل في المؤلفات الادبية قد جعل من هذه الفترة (١٩٠٠ ــ ١٩٣٠) ، تاريخا لابتداء ادب فيتنام المعاصر · لكن وعلى الرغم من ان المثقفين المحدثين في هذه الفترة قد عبروا عبر لغتهم واسلوبهم عن مضمون مختلف عن مضامينه المرحلة السابقة ، الا انهم بقوا اسيري اشكال التعبير القديمة ، حتى حوالي ١٩٢٠ ، حيث لعبت عوامل اخرى (صحافة ــ دور نشر ــ ترجمات) دورا بارزا في خلق ادب اقتصادي ، سياسي ، واجتماعي اكثر حداثة · فمع انتشار المطابع ودور النشر ، ظهرت اشكال ادبية جديدة: الرواية والقصة القصيرة · ومن الضروري هنا التنويه ان الرواية كانت رواية نثرية، لان قصص الحقب الماضية كانت شعرا · وقد كان بارزا في هذه الروايات تأثير الفكر الغزلي والآداب الغربية وكان مؤلفوا هذا النوع الادبي يقعون دائما في تقليد المؤلفات الفرنسية حين يكتبون روايات وقصصا سواء كانت اجتماعية ام نفسية ·

ان نظرة باتورامية الى هذه الحقبة تظهر انها كانت تاريخ ابتداء ادب فيتنام المعاصر ، سواء بتطور اللغة وتكيفها مع اساليب تعبيرية جديدة، ام عبر ظهور اغراض ادبية جديدة · انها مرحلة بدائية ، لا ريب في ذلك لكنها التمهيد الذي لا بد منه لنضوح وتنوع اكثر فأكثر تقدما ·

جـ ــ مرحلة ١٩٣٠ ــ ١٩٤٥

اهم ما ميز هذه الحقبة هو ظهور الانسان / الفرد في تاريخ الادب الفيتنامي · ومطالبته بحقه في الشمس واعلانه عن أحوال روحه ، وحميميات لواعجه النفسية · وهذا عكس بدوره اشكالا تعبيرية جديدة تتلاءم مع هذا المعطي الجديد وان بقيت في حيز متواضع الى حد ما ·

من ناحية اخرى ، برز ادب آخر، من الممكن تسميته الادب المقاوم او الملتزم ، الذي عبرت عنه نتاجات المناضلين ــ الادباء عبر يوميات السجن شعرا ونثرا · وهذه الكتابات لم يفسح لها مجال التطور بسبب من سياسة القمع والملاحقة التي انتهجتها سلطات الاحتلال الفرنسية ، والتي كانت تضرب بقوة كل محاولة لاعطاء شرعية لهذه الكتابات ، لهذا بقي مجال انتشارها الوحيد ، الصحف السرية والنقل الشفاهي ·

وبالنسبة للرواية ، لعب الحزب الشيوعي دورا بارزا في تقليص حجم التقليد للنتاج الغربي ووجه الانظار الى اهمية الحقائق السياسية والاجتماعية التي على الادب التصدي لطرحها ، على العكس تماما مما يفترضه التوجه الغربي من رومانطيقية تحتقر السياسة والدنيويات عامة · وبمواجهة الروايات الروماطنيقية برزت ، بنتيجة ذلك ، روايات وقصص قصيرة تعرض ليس عبث الفرد وآلامه الداخلية ، لكنها تروي تاريخ حياة وصراع الفلاحين الفقراء وبؤساء المدن وتعلق المندوبين والنبلاء وكل المتعاملين مع المحتل على انشوطة الاعدام ·

هذا لم يمنع من جهة اخرى بروز تيارات مضادة في الادب ، حملت لواءها فئات البرجوازية الصغيرة المدينية ، ومن هذه التيارات ما كان سائدا في اوروبا : « الفن للفن » ، « الفردانية» « المتدين المسيحي » ·

لكن تطور الحركة الوطنية في فيتنام وارتباط الادب الفيتنامي بهذه الحركة ترك الغلبة كاسحة للادب الشعبي · فبرزت الرواية الواقعية والشعر الثوري الملتزم · ومنعت ظروف الاحتلال الصعبة من انتشار المسرح وتطوره · لكن ميدانا ادبيا جديدا اثبت وجوده هو ميدان النقد الادبي · الذي تحددت وظيفته بالتاريخ للادب وببعض الدراسات التقويمية لاهمية بعض الادباء · ولم تسمح له ظروف المرحلة وحتى نهايتها بأن يتخطى هذه المرحلة البدائية ·

وستكون ثورة آب ١٩٤٥ والحصول على الاستقلال الوطني ، هي المنعطف الحقيقي والمنفذ الواسع امام شروط سياسية واجتماعية مختلفة نفسح المجال للادب الفيتنامي المختلف ·

نصوص مختارة من الادب الفيتنامي

ـ المرحلة الاولى ـ

(ق العاشر ـ ق السابع عشر)

ديوه نهان
(١٠٧٢ ـ ١١٤٣)

اسمها الحقيقي : نفوك كيو (Ngoc Kieu) وهي ابنة امير وحفيدة ملك هو جدها لامها · تزوجت من قائد عسكري وحين غدت ارملة ، دخلت في النظم البوذية وتسلمت مسؤولية الاشراف على الراهبات في قرية « فودونغ » في ضواحي هانوي ·

اهميتها انها اول امرأة تعاطت الكتابة في تاريخ فيتنام الادبي ·

ولادة · كهولة · مرض · موت (١)

ولادة ، كهولة ، مرض ، موت ··
··وتتلاحق منذ اوليات السنين
ونبغي منها خلاصا ·
لكن الربطات المحلولة تزداد ارتباطا ·
في العمى عن الحقيقة ، نروح الى بوذا
في اضطراب الروح ، نلجأ الى ديّانا
لا تبتهل ، لا لبوذا ، ولا لديّانا ··
ابق صامتا ،
لان الكلمات ، ليست سوى هراء ·

---

(١) الولادة والكهولة والمرض والموت ، هي تعاسات الكائن الانساني الاربعة ، حسب التعاليم البوذية ويجب على الانسان ان يسعى « للخلاص » منها كي يصل الى « السعادة القصوى » ·

نيوفين · بينه · كييم ·
(١٩٤١ ـ ١٥٨٥)

عاش نيفوين كييم في اكثر الفترات اضطرابا في تاريخ فيتنام ، حين تنازعت السلطة والعرش عائلتا «لي» ، و «ماك» وانقسم الشعب الى معسكرين ونشبت الحرب الاهلية فعاش الشعب في بؤس وانعدم الامن · فكان على المثقفين ان يختاروا احد المعسكرين وينحازوا له او ينسحبوا الى عزلة التنسك · لكن نيفوين كييم ، رفض الانضمام الى اي من الفريقين وانسحب الى عزلته في مسقط رأسه في صومعة اسماها « القيمة البيضاء » · مستاء من الازمات السياسية والاجتماعية ومتألما من نتائجها ، رفض هذا الشاعر ان يتقدم لاختبار المتدربين ، حتى قبل أخيرا تحت الحاح الاصدقاء ، فنال درجة دكتور اول في الاختبار ، لكنه رفض ممارسة المسؤولية في الحكم · وفي عزلته مارس دور الرقابة الصارم وتتلمذ على يديه العديد من الادباء المشهورين · ترك هذا الشاعر في مجموعته : « قصائد من منفى القيمة البيضاء » مئات القصائد بلغة الـ «نوم» القومية ، حيث تظهر جلية معرفته العميقة بتراث الاعراف الشعبية التي امدت قصائده بالعديد من النبوؤات وآيات الحكمة ·

والقصيدة التالية المترجمة ، نموذج من شعره ، الملتزم بالانتماء لقضايا الشعب ، والقاسي في محاكمة اصحاب السلطة ··· وتظهر فيه آثار الثقافة والتراث الشعبيين :

كراهية الفئران

يا لشناعة الفئران الكبيرة (١)
بلا شفقة ، تغش وتسرق ··
ولا يبق في الحقول سوى اوراق الارز الناشفة ،
بدون حبة واحدة في المخازن ·

محنيا من التعب ، يتنهد الفلاح ·
والفلاحة الضامرة ·· لا تكف عن البكاء
لا شيء اكثر قداسة من حياة الشعب ··
ومع ذلك تحملون اليها آلاما فظيعة ·

داخل جدران القلاع تختبئون
وايضا ، تحت مذبح اله الارض ··
كي تحسنوا اقتراف آثامكم ·

---

(١) اشارة الى عنوان اغنية شعبية فيتنامية ، تسخر من الحكام وتلقبهم بالفئران الكبيرة ·

هنا يظهرون بنائين بسطاء ·
هناك · يتظاهرون بالتقاط سرطان البحر ·

هذا الادب الشعبي المحور حول الاحداث اليومية للمقاومة ، والذي هاجم المحتل والبلاط والمتدربين ، ومدح ابطال المقاومة ·· ولم يكف ايضا عن اطلاق نداءاته المشتعلة حماسا للمقاومة · بقي سائدا طوال الفترة الممتدة بين ١٨٨٥ و ١٩٢٠ · لكنه بدأ خفوته مع ثبات المحتل وهيمنة نفوذه ، ولم يكن امامه سوى احد خيارين اما الانطفاء النهائي مع ضرب المقاومة الشعبية واما الانكفاء صوب اللعبة اللغوية وكان الاختيار الاخير هو الذي مهد السبيل امام ادب فيتنامي حديث شكلا ومضمونا ظهر في الحقبة التالية · (١٩٠٠ ـ ١٩٣٠) وانتشر في الحقبة التي تلتها (١٩٣٠ ـ ١٩٤٥) ·

ب ـ مرحلة ـ ١٩٠٠ ـ ١٩٣٠ ـ

بقي الادباء التقليديون يشكلون القاعدة الاساسية للانتيلجنسيا الفيتنامية ، لكن العقيدة الكونفوشيوسية فقدت كل زهوها · وتسلم قيادة الحركة الوطنية ادباء محدثين ·· ادخلوا في برامجهم الاستقلالية ، كل المفاهيم الجديدة ، عن الديموقراطية والتنمية الصناعية والعلمية · وبموازاة نشاطهم السياسي فقد بذل هؤلاء المثقفين المحدثين وسعهم من اجل بعث ثقافة وطنية · فاستبدلوا الترميز الحرفي المرتبط بدلالة معنوية ، بالحروف الرومانية · واسسوا الجرائد والمجلات ودور النشر ·

وقد ترافق مد الحركة التحديثية مع موقع ثابت الى حد ما للثقافة التقليدية فظهرت الاشكال الادبية الجديدة الى جانب الاشكال التقلدية:

(مقالات سياسية ، ريبورتاجات، قصص ، روايات) · وكان جمهور تحديث الثقافة يقوم اساسا على البرجوازية الصغيرة المدينية ، من الموظفين والمثقفين والطلاب والجامعيين ·

والواقع ان استعمال الاحرف الرومانية ، وانتشار دور النشر ، والموقع المهم الذي حازته الصحافة وتاثير الفكر الغربي على المحتوى كما على الشكل في المؤلفات الادبية قد جعل من هذه الفترة (١٩٠٠ ـ ١٩٣٠) ، تاريخا لابتداء ادب فيتنام المعاصر · لكن وعلى الرغم من ان المثقفين المحدثين في هذه الفترة قد عبروا عبر لغتهم واسلوبهم عن مضمون مختلف عن مضامينه المرحلة السابقة ، الا انهم بقوا اسيري اشكال التعبير القديمة ، حتى حوالي ١٩٢٠ ، حيث لعبت عوامل اخرى (صحافة ـ دور نشر ـ ترجمات) دورا بارزا في خلق ادب اقتصادي ، سياسي ، واجتماعي اكثر حداثة · فمع انتشار المطابع ودور النشر ، ظهرت اشكال ادبية جديدة: الرواية والقصة القصيرة · ومن الضروري هنا التنويه ان الرواية كانت رواية نثرية، لان قصص الحقب الماضية كانت شعرا · وقد كان بارزا في هذه الروايات تاثير الفكر الغزلي والآداب الغربية وكان مؤلفوا هذا النوع الادبي يقعون دائما في تقليد المؤلفات الفرنسية حين يكتبون روايات وقصصا سواء كانت اجتماعية ام نفسية ·

ان نظرة باتورامية الى هذه الحقبة تظهر انها كانت تاريخ ابتداء ادب فيتنام المعاصر ، سواء بتطور اللغة وتكيفها مع اساليب تعبيرية جديدة، ام عبر ظهور اغراض ادبية جديدة · انها مرحلة بدائية ، لا ريب في ذلك لكنها التمهيد الذي لا بد منه لنضوج وتنوع اكثر فاكثر تقدما ·

ج ـ مرحلة ١٩٣٠ ـ ١٩٤٥

اهم ما ميز هذه الحقبة هو ظهور الانسان / الفرد في تاريخ الادب الفيتنامي · ومطالبته بحقه في الشمس واعلانه عن أحوال روحه ، وحميميات لواعجه النفسية · وهذا عكس بدوره اشكالا تعبيرية جديدة تتلاءم مع هذا المعطى الجديد وان بقيت في حيز متواضع الى حد ما ·

من ناحية اخرى ، برز ادب آخر، من الممكن تسميته الادب المقاوم او الملتزم ، الذي عبرت عنه نتاجات المناضلين ـ الادباء عبر يوميات السجن شعرا ونثرا · وهذه الكتابات لم يفسح لها مجال التطور بسبب من سياسة القمع والملاحقة التي انتهجتها سلطات الاحتلال الفرنسية ، والتي كانت تضرب بقوة كل محاولة لاعطاء شرعية لهذه الكتابات ، لهذا بقي مجال انتشارها الوحيد ، الصحف السرية والنقل الشفاهي ·

وبالنسبة للرواية ، لعب الحزب الشيوعي دورا بارزا في تقليص حجم التقليد للنتاج الغربي ووجه الانظار الى اهمية الحقائق السياسية والاجتماعية التي على الادب التصدي لطرحها ، على العكس تماما مما يفترضه التوجه الغربي من رومانطيقية تحتقر السياسة والدنيويات عامة · وبمواجهة الروايات الرومانطيقية برزت ، بنتيجة ذلك ، روايات وقصص قصيرة تعرض ليس عبث الفرد وآلامه الداخلية ، لكنها تروي تاريخ حياة وصراع الفلاحين الفقراء وبؤساء المدن وتعلق المندوبين والنبلاء وكل المتعاملين مع المحتل على انشوطة الاعدام ·

هذا لم يمنع من جهة اخرى بروز تيارات مضادة في الادب ، حملت لواءها فئات البرجوازية الصغيرة المدينية ، ومن هذه التيارات ما كان سائدا في اوروبا : « الفن للفن » ، « الفردانية» « التدين المسيحي » ·

لكن تطور الحركة الوطنية في فيتنام وارتباط الادب الفيتنامي بهذه الحركة ترك الغلبة كاسحة للادب الشعبي · فبرزت الرواية الواقعية والشعر الثوري الملتزم · ومنعت ظروف الاحتلال الصعبة من انتشار المسرح وتطوره · لكن ميدانا ادبيا جديدا اثبت وجوده هو ميدان النقد الادبي · الذي تحددت وظيفته بالتاريخ للادب وببعض الدراسات التقويمية لاهمية بعض الادباء · ولم تسمح له ظروف المرحلة وحتى نهايتها بأن يتخطى هذه المرحلة البدائية ·

وستكون ثورة آب ١٩٤٥ والحصول على الاستقلال الوطني ، هي المنعطف الحقيقي والمنفذ الواسع امام شروط سياسية واجتماعية مختلفة نفسح المجال للادب الفيتنامي المختلف ·

نصوص مختارة من الادب الفيتنامي

ـ المرحلة الاولى ـ

(ق العاشر ـ ق السابع عشر)

ديوه نهان
(١٠٧٢ ـ ١١٤٣)

اسمها الحقيقي : نفوك كيو (Ngoc Kieu) وهي ابنـــة امير وحفيدة ملك هو جدها لامها · تزوجت من قائد عسكري وحين غدت ارملة ، دخلـــت في النظم البوذية وتسلمت مسؤولية الاشراف على الراهبات في قرية « فودونغ » في ضواحي هانوي ·

اهميتها انها اول امرأة تعاطت الكتابة في تاريخ فيتنام الادبي ·

ولادة · كهولة · مرض · موت (١)

ولادة ، كهولة ، مرض ، موت ··
··وتتلاحق منذ اوليات السنين
ونبغي منها خلاصا ·
لكن الربطات المحلولة تزداد ارتباطا ·
في العمى عن الحقيقة ، نروح الى بوذا
في اضطراب الروح ، نلجأ الى ديَّانا
لا تبتهل ، لا لبوذا ، ولا لديَّانا ··
ابق صامتا ،
لان الكلمات ، ليست سوى هراء ·

---

(١) الولادة والكهولة والمرض والموت ، هي تعاسات الكائـــن الانساني الاربعة ، حسب التعاليم البوذية ويجب على الانسان ان يسعى « للخـلاص » منها كي يصـل الى « السعادة القصوى » ·

نيوفين · بينه · كييم
(١٥٨٥ ـ ١٩٤١)

عاش نيفوين كييم في اكثر الفترات اضطرابا في تاريخ فيتنام ، حين تنازعـــت السلطة والعرش عائلتا «لي » و «ماك» وانقسم الشعـــب الى معسكرين ونشبت الحرب الاهلية فعاش الشعب في بؤس وانعدم الامن · فكان على المثقفين ان يختاروا احد المعسكرين وينحازوا له او ينسحبوا الى عزلة التنسك · لكن نيغوين كييم ، رفض الانضمـــام الى اي من الفريقين وانسحب الى عزلته في مسقط رأسه في صومعة اسماها « القيمة البيضاء »· مستاء من الازمات السياسية والاجتماعية ومتألما من نتائجهـــا ، رفض هذا الشاعر ان يتقدم لاختبار المتدربين ، حتى قبل أخيرا تحت الحاح الاصدقاء ، فنال درجة دكتور اول في الاختبار ، لكنه رفض ممارسة المسؤولية في الحكم · وفي عزلته مـارس دور الرقابة الصارم وتتلمذ على يديه العديد من الادباء المشهورين · ترك هذا الشاعر في مجموعته : « قصائد من منفى القيمة البيضاء » مئات القصائد بلغة الـ «نوم» القومية ، حيث تظهر جلية معرفته العميقة بتراث الاعراف الشعبية التي امـــدت قصائده بالعديد من النبوؤات وآيات الحكمة ·

والقصيدة التالية المترجمة ، نموذج من شعره ، الملتزم بالانتماء لقضايا الشعب ، والقاسي في محاكمة اصحاب السلطة ··· وتظهر فيه آثار الثقافة والتراث الشعبيين :

كراهية الفئران

يا لشناعة الفئران الكبيرة (١)
بلا شفقة ، تغش وتسرق ··
ولا يبق في الحقول سوى اوراق الارز الناشفة ،
بدون حبة واحدة في المخازن ·

محنيا من التعب ، يتنهد الفلاح ·
والفلاحة الضامرة ·· لا تكف عن البكاء
لا شيء اكثر قداسة من حياة الشعب ··
ومع ذلك تحملون اليها آلاما فظيعة ·

داخل جدران القلاع تختبئون
وايضا ، تحت مذبح اله الارض ··
كي تحسنوا اقتراف آثامكم ·

---

(١) اشارة الى عنوان اغنية شعبية فيتنامية ، تسخر من الحكـام وتلقبهم بالفئـران الكبيرة ·

ويعدكم الناس ، والآلهة بكره عميق
فمن يحمل للعالم اوجاعا ٠٠
من العالم ينبذ فيما بعد

تعرض جثثكم في البلاط والاسواق
من لحمكم تنهش الغربان والكواسر
كي ينعم في النهاية ــ الشعب المكسور في البؤس ــ
بثمرة جهوده ، سعيدا وآمنا ٠

جوزة الطيب (١)

طيبة هي الارض
مهملة ومتروكة الامطار والورود
الزهرة تتحول الى ثمر تحت شمس حادة تذيب الخريف
والثمر اناء ممتلىء بسائل شفاف كمرآة
ولا يعكر صفاءه اي غبار من العالم الخارجي
ليس في القشرة الخضراء ما ينعش ٠
وكمسكر ، تروح على خط واحد مع قصب السكر الارجواني
من هذا الماء الطبيعي ٠
فلنملأ الخوابي
كي نروي ظمأ الشعب ٠

١) جوزة الطيب ، في القصيدة ، هي صورة الحكيم الباحث دوما عن الكمال كي يغدو مفيدا لبلاده وهو يستفيد من هذا الترميز كي يدلل على اهمية الوعي وحاجة الشعب اليه٠

(ق الثامن عشر ــ منتصف القرن التاسع عشر)

هو كسويان هيونغ Ho Xuan Huong
ــ القرن الثامن عشر ــ

تاريخ ميلاد وموت هذه الشاعرة ، غير معروف ، لكنها عاشت في اواخر القرن الثامن عشر واقامت خلال حياتها علاقتي زواج حر ٠ تمتلك ذكاء حادا وسعة معرفة وثقافة عالية ٠ تركت حوالي الستين قصيدة تعد من احسن الشعر الفيتنامي ٠ تناولت بموضوعاتها كل انواع القهر فهاجمت السلطة والقانون وسخرت من التقاليد الاجتماعية ٠ كما وجعلت من نفسها ممثلة للقضية النسوية فانكرت السلطان الذكوري ، وتطرقت بجرأة كبيرة الى قضايا الجسد ، وحق المرأة في الحياة ، فانبرت للسخرية من تعدد الزوجات ووقفت بحزم الى جانب الفتيات /الامهات ٠

تقاسم زوج

ان تقاسمك اخرى زوجك ! بئسه من مصير ٠
الواحدة تنام تحت اغطية سميكة ٠ والاخرى يجرحها الصقيع
صدفة ، يأتيك التقاوه ٠
مرة ، مرتين ، ثلاث في الشهر ! ٠٠ لا شيء !
نعمل مثل الخدم ، الا اننا بلا اجر
آه لو اني عرفت انه على هذا الشكل
لقبلت البقاء وحيدة كما في السابق

الفتــاة/الام

هي لحظة ارضائك ٠ وها القلق يأخذني
اتدرك يا حبيب حجم عقوبتي ؟ ٠٠
ما كانت السماء قد اعطت شارة المصير
حين خطر جاء يقطع جذع الحورة (١)
لمئة من السنين تتحملين وزر الخطيئة ٠٠٠
وانا اقبل ان احمل ثمرة حبنا ٠
بوسع الناس ان تلعن ٠٠ قل ما يهمنا

(١) اشارة الى ان السماء لم تعط المرأة زوجا ومع ذلك حملت طفلا ٠

مقبول ما فعلناه ام مرفوض ..
فلسنا اقل منهم مهارة (١).

دانغ تران كون (Đang Trân Con)
(١٧١٠ ـ ١٧٤٥)

معظم مؤلفاته الادبية المكتوبة باللغة الصينية الكلاسيكية ، تشهد على ثقافة عميقة وسعة اطلاع وموهبة فذة . والقصيدة (احزان امرأة راح زوجها الى الحرب) ، كتبت بالصينية حوالي العام ١٧٤١ . وهي الحقبة التي اتسمت بالكثير من الاحداث الدامية والانقلابات السياسية المستمرة .

قامت بترجمة هذه القصيدة الى اللغة القومية « نوم » ، الشاعرة دوان تي دييم (Doan Thi Diem) . وكانت موهوبة جدا في الادب ، بالاضافة الى معاناتها الشخصية من رحيل زوجها حين قامت بالترجمة ، مما اضفى على الترجمة حساسية اضافية دون الابتعاد عن النص الاصلي .

تتمتع هذه القصيدة حتى اليوم ، بشعبية كبيرة في فيتنام ، بحيث يحفظ كل فيتنامي مقطعا منها عن ظهر قلب .

القصيدة مؤلفة من اربعمائة وسبع وسبعين بيتا من الشعر ، سننقل منها بعض المقاطع فقط . وتوجز القصيدة بالخلاصة التالية :

بعد فترة سلام طويلة ، تندلع الحرب فجأة . فيحمل الزوج سلاحه ويترك عائلته . وينقطع بقسوة حبل مسرات الزوجين الشابين .

وحيدة في المنزل ، تعاني المرأة من غياب زوجها الطويل ، فتتخيل المخاطر التي يتعرض لها ، والصعاب التي يواجهها .. وكل ما حولها يعيدها للذاكرة ، من اشياء البيت الصغيرة الى الطبيعة المحيطة بها .

مع مرور الوقت ، تسأم العمل المنزلي . ينتابها يأس عظيم وتغدو فريسة للقلق الشديد وللخوف من الكهولة . ولكن الامل بعودة سلام نهائي يعيد اليها رجلها ، هو فقط من يحمل اليها الراحة .

موضوع القصيدة عادي جدا ، لكن فيتنام التي عانت الحرب وقساوتها منذ بداية القرن العاشر ، تعرف قيمة السلام ، وتعرف كيف تقدر شعرا يصرخ ضد الحرب على لسان امرأة سرقتها الحرب رجلها .

....

(١) اشارة الى المثل القائل : « المهارة ، ان انجب طفلا بلا زواج . اما ان ارتبط بزوج وانجب طفلا . فمسألة تافهة » .

احزان امرأة راح زوجها الى الحرب

(...)
في ربيع العمر نحن ،
سعداء بعشقنا المتبادل ،
ثنائي فتي ومتناغم
فلماذا اذن ، يقيمون بيننا المسافات
ولماذا يحظرون علينا ان نتقاسم
في كل يوم من العمر ، همومنا والافراح ؟
(...)
ويخبو جمالي في كل سنة قليلا .
وما زلت تبطىء في الاصقاع النائية .
كنت ظلي وكنت لك الظل
فلماذا علينا ان نحيا مفترقين ،
كنجمة الصبح ونجمة المساء ؟
تمتطي صهوة حصانك ،
على طرقات كبيرة ملبدة بالغيوم
واجر قدمي في ممرنا الضيق .. وقد غزاه الطحلب .
آه ياسيد ، كم من الايام لم نصنعها بعد ؟
(...)
لاجلك ، سأسكب النبيذ في اوان من ذهب .
لاجلك ، آه يا زوجي ، سأوقد البخور
واغتسل بالطيب الفواح .
لاجلك ،
سأنشر مناديلي
كي ترى آثار دموعي
وسأنشد لك ابيات شعري
كي تنصت لرنة الالم فيها
تاركة اهازيجي لاحلى القصائد
يوم بالهمس الخفيض ، نتبادل الاسرار .

« معيد من اجل ساحب العربة » عنوان قصة «تهان تينه» المولود في العام ١٩١٣ ، وهو شاعر وقصاص خدم اثناء فترة المقاومة الاولى ككاتب وصحافي في الجيش الشعبي ·

من مؤلفاته : آلام ساحة المعركة ـ ١٩٤١ ـ مجموعة قصص ·
الشقيقتان ـ ١٩٤٢ ـ مجموعة قصص
بحثا عن شانتال ـ ١٩٤٣ ـ مجموعة قصص
جزيان وسينه ـ ١٩٤٤ ـ رواية ·

« باغودا » (١) من اجل ساحب العربة (٢) ·

تهان تينه

● حين سمعت الاسم للمرة الاولى ، خلت ان في الامر دعابة ما ، لكن الامر لم يكن مزاحا ، فالشخص الذى روى لي الحكاية ، فعل ذلك بأكثر ما يمكن من الرصانة * ·

لقد بني هذا «المقام» القرميدي ، على ضفة نهر «بو» الصغير الذي يخترق قرية «تهان ـ تريك» · ولم يك يحوي في الداخل ، سوى حوض زرعت فيه قضبان

---

١ ـ باغودا : نوع من انواع المعابد في الشرق الاقصى ، يقام عادة لتكريم الاولياء والرجال · ولعل من الممكن مقابلته ، بما يسمى باللغة العربية مقام (مقام الست زينب ـ مقام سيدي الحسين ·

٢ ـ ساحب العربة : هو الرجل الذي يقود عربة تنقل الركاب ولا تتسع لاكثر من شخص واحد ، ويقوم الانسان بدلا من الحصان بجر العربة وقد درج استعمال هذه العربة عند الرومان قديما ·

* لم يكن من العادات الجارية ، تشييد المقامات للناس العاديين ، كبائع البطيخ او ساحب العربة مثلا · فهم بحسب العرف ليسوا عظاما · من هنا استغراب الراوي تشييد مقام لساحب العربة واعتباره ان في الامر دعابة ما · وربما من هنا نستطيع ان نلاحظ كيف يتدخل الادب في بنية المجتمع الذهنية . ليعمل فيها تبديلا وبكثير من الذكاء · الادب هنا لا يقف على هامش الواقع ويرفض تقاليده ، بل انه يسخر هذه التقاليد لمصلحة المفهوم الانساني الشامل والمتطور · انه لا يتحدى معتقدات الناس الراسخة · لكنه يغير مضمونها · فهو ليس ضد تبجيل الاولياء والعظام من الناس . ولكنه يسعى الى تبديل مفهوم العظمة نفسها ·

الآس وشمعدانيين · عند بابه تدلت ستارة زرقاء زينت بعلامة فال بـ«العمر المديد» وردية اللون · على بعد بضعة امتار من المقام ، يرتفع قليلا عن الارض نصب هرمي ، انه قبر ساحب العربة ·

ان قصة هذا «المقام» ، معروفة في جميع ارجاء مقاطعة «تهان تهيه» و«هيونغ ـ كان» · ولمن لديه الرغبة في سماعها ، سنرويها بملء اقتناع وبنبرة توحي بالثقة ·

لقد تسنى للمرأة الطيبة التي تدير نزلا صغيرا على مقربة من «المقام» ، ان تكون الشخص الذي تتوفر له ، غالبا ، امكانية سرد هذه الحكاية ، وما على العابرين من هناك والراغبين في سماع القصة ، الا ان يتوقفوا او يتناولوا فنجانا من الشاي ، او صحنا من الارز المهروس مع اللوبياء · وبفعل التكرار ، اكتسبت طريقة المرأة في السرد اسلوبا بديعا ، حتى ليخال السامع ، ان المرأة ـ وعند بعض المقاطع تحديدا ـ باتت تروي الحكاية بقلبها وليس باللسان ·

هناك مسافة كيلومترين ، بين محطة القطار في «فان ـ كسا» ، وبين الطوافة في قرية «تهان ـ تريك» ، ومن الجهة الاخرى للنهر ، يمتد المركز الرئيسي لناحية «كوانغ ـ ديان» · وتقع الطوافة في مكان منعزل ، لان مجرى النهر ينساب في طريق غامض ويضج بالقبور · في حين تخترق الطريق الموصلة الى المحطة ، خراج القرية ببيوته المتناثرة · وتعبر على بضعة جسور قرميدية صغيرة ، وعلى مسافات عشب احرقته الشمس · وهذه الطريق مطروقة جدا ·

بعد اسبوعين من افتتاح محطة «فان ـ كسا» ، شوهد رجل اعمى ، يصل مع عربته ، ليستقبل المسافرين لدى نزولهم من القطار · عربة من اكثر ما يمكن بؤسا · بعجلات مثقلة بالقش وغطاء مثقوب في مطارح عديدة · واما الذي يجرها ، فقد كان اكثر بؤسا من العربة : اعمى ، غزا الشيب رأسه ولحيته ، ولتسعت جبهته لتساقط الشعر من فوقها ، وضمر جسده · وكان حفيده ، وهو صبي في العاشرة ، يقوده راكضا امامه ·

اربع مرات في اليوم ، يرتاد الجد وحفيده محطة «فان ـ كسا» · لينقلوا المسافرين الى ناحية «كوانغ ـ ديان» · لا ريب انها حياة قاسية ، لكن بفضل اولئك الاشخاص الذين يتحسسون آلام الغير ، كان الجد وحفيده يتوصلان ببعض مشقة ، لان يقطعا رحلتهما ما بين طرفي المدينة · وعادة ، كانت النقلة الواحدة تكسبهما خمسة قروش ، اي ما مجموعه عشرون قرشا في اليوم ، اي ما يقيم بأودهما ·

ومنذ استحداث القطار ، شده به سكان القرى المجاورة ، فراحوا يركبونه

للمتعة ، فكم هو غريب وسريع ، وكم كان يحمل لنفوسهم الغبطة وقوفهم في كواته الصغيرة ، ومناداتهم لمعارفهم من المارين على الطريق · كانوا احيانا يركبون القطار الى محطة قريبة ، ثم من هناك كانوا يشترون تذكرة ويعودون مباشرة الى قريتهم بالقطار · لم يكن الناس آنذاك ، يفكرون بالفوائد والتسهيلات التي يقدمها الخط الحديدي · كانوا يستعملونه ببساطة من اجل المتعة ، ولهذا فان غدوا ورواحا مستمرين سادا محطة «فان-كسا» ، وصار ساحب العربة ، بالتعاون مع حفيده ، يربح بسهولة ما يكفي اود الاثنين معا · فالمسافر ، كان يفضل عند مغادرته المحطة ، ان يصعد توا في العربة · لقد اعتاد السرعة والسير بات يضجره ·

لم يكن ثمة من اشكال ، فيما لو امتلك ساحب العربة قواه ، والحال ، فالوضع كان غير ذلك ، وما بين ساحب العربة الاعمى العجوز ، وما بين الراكب المسترخي فوق المقعد ، كان الراكب هو الاشد تعاسة ، انه تنكيل فعلي للراكب ، ان يتابع بعينيه طفلا يلهث راكضا ، وساعيا ايضا الى المواءمة ما بين خطواته وخطوات العجوز المرهق · وفي النهاية كف الناس ، رحمة منهم ، عن ركوب العربة ·· ولكن كلما اوغل هذا الاحساس الانساني في امتلاك القلوب ، كلما تعمق بؤس الرجل العجوز وحفيده وازداد خطورة ·

والان ، لم يعد يقبل ركوب العربة ، سوى المرضى والمعنيين في الكهولة واحيانا السكارى · وكان بعض الاشخاص ، يكتفون بوضع حقائبهم على المقعد، دون ان يركبوا ، ويدفعون مع ذلك كامل اجر النقلة ، غير ان هؤلاء قلة بين الركاب ، ويتوجب انتظار خمسة او ستة قطارات كي يحظى بواحد منهم ·

كان الجد وحفيده يمضيان لياليهما، تحت الحافة الناتئة، لمركب صغير رسى عند ضفة النهر · كان عليهما ان ينهضا في الثالثة صباحا ، وينتظران الركاب القادمين على الطوافة من مركز «ديستريكت» الرئيسي ، ليركبوا قطار الرابعة ·

والصبي هو الذي احتفظ دائما بما يكسبانه من دراهم ، ولم يساله الجد عن الحساب الا فيما ندر ، وكي يدفع من آن لآخر ، ثمن كأس صغير من الكحول او بعض هبات عن ارواح الاجداد في ذكرى موتهم ، وطبعا حين يكون سير العمل حسنا ·

وعلى الرغم من حداثة سن الصبي، فقد كان بوسعه ان يتدبر امر كل شيء · وكان النزل الصغير الذي يقع على بعد خمسمائة متر منها ، هو الذي يؤمن لهما حاجياتهما الضرورية ، وبسعر ، لاريب ، معتدل ·

يسود الصقيع ، وينهمر المطر ليلا نهارا في هذا الشتاء من L'Année du

cheval ، وقد انهارت الطريق ما بين المحطة والطوافة في اكثر من مكان · وتركت السيول حفرا عميقة في امكنة اخرى · فبات متوجبا على ثنائي العربة ان يشقى لاصلاحها ، والا فلن يمكن للعربة الصغيرة ان تمر · لا شك ، ان الطريق ملك لجميع الناس ، لكن الجد والحفيد هما فقط ، من يقلق لحالها · لقد قل الركاب ، ما عاد احد يرغب في ركوب هذه العربة البائسة بغطائها المثقوب مثل مصفاة والذي يسمح بتسرب المطر الغزير · في كل الليالي ، كان ثنائي العربة يرتاد المحطة منتظرا قطار التاسعة السريع ، وفي كل مرة ، كان يرجع بخفي حنين ·

ولكي يكتمل البؤس · توقفت الطوافة عن العمل · اذ تنازعت قريتا «تهان-تريك» و «تهان-يونغ» ، فيما بينهما ، واقامت كل منهما دعوى تطالب فيها بحق الانفراد باستثمار الطوافة · فاضطر الناس الى تغيير طريقهم واتجهوا الى الاعلى ، حيث تمر طوافة قرية «تريوه» · وقد كان هناك طريقا ترابية تصل المحطة، غير انها كانت ضيقة بحيث لا تتسع لعربة · لذا ، ففي انتظار مجرى المحاكمة ، كان على الثنائي ان يكتفي بالركاب الذين يتنقلون في ضواحي «تهان - تريك» ·

وفي احدى ليالي ، منتصف الشهر القمري ، الثاني عشر ، تأخر قطار التاسعة السريع ثلاث ساعات · وحوالي منتصف الليل ، احس العجوز والطفل بفرح متصاعد مع ضجيج القطار الداخل الى المحطة · بعد لحظات ، غادر القطار السريع وسط صفير مجنون ، ومرت الدقائق ، لكن الرجل المسكين لم يسمع وقع خطى تغادر المحطة ، وحين سأل الطفل ، كان الصغير قد اختفى ، ربما خرج الى الضفة باحثا عن راكب··· بعد لحظة عاد، وخيل للعجوز ان راكبا يصعد العربة، وبصوت مضطرب قال الصبي :

ـ هوذا راكب يا جدي ··· بوسعك الانطلاق ·

متكئا واحدهما على الاخر ، غادر الرفيقان خببا باتجاه نهر «بو» ، على طريق موحل ، تحت مطر كثيف ، في الليل المعتم ونقيق الضفادع الشاكي ، يتصاعد من حقول الارز ويوخز القلب · كان الظلام كثيفا ، لكن الصغير يعرف جيدا طريقه ، لذا درجت العربة بدون اي عائق ·

حوالي الواحدة صباحا ، وصل الثنائي الى الطوافة · كان الهواء الجليدي، آتيا من النهر ، يلسع الوجه· وفيما كان الصغير يتهيأ ليقود جده الى مقرهما تحت الحافة الناتئة ، قال له جده ، كما لو انه ارتاب بشيء ما :

ـ اعطني الدراهم لو سمحت ·

فوجيء الطفل ، فحتى اللحظة ، لم يكن الجد قد طالبه بايما شيء على

الاطلاق . راح الطفل يرتجف من رأسه حتى اخمص القدمين . ثم ، وحين لم يجد ما يقول ، انخرط في بكاء حاد ، واضعا كفيه فوق وجهه . فهم العجوز كل شيء ، فبما انه لم يكن هناك ركاب ، وكي يجنب جده هذه الخيبة القاسية ، وضع الصغير حجرا كبيرا على مقعد العربة وراح يركض الى الامام . لقد فات الصغير، ان بوسع هذه السنين الطويلة في المهنة ، ان تعلم العجوز كيف يميز بين الاثر الناتج عن جلوس راكب ، وبين الاثر الناتج عن شيء ثقيل . لاحظ الجد ذلك منذ البداية ، ومع ذلك ، راح يركض .... تضافر انطفاء النور في عينيه مع بؤسه ، وجعلاه يأمل بالمستحيل . والان ، وقد انقشعت غلالة الوهم ، ليس سوى اكثر تعاسة ، وها هو بدوره ، ينفجر في نشيج حاد ... ثم ، في الليل الجليدي يهوي مهزوما امام العمر ، مكسورا تحت شقاء البؤس .

مثلما المصاب بمس ، كان الصبي يطلق عويلا يمزق نياط الروح ، لكن زئير الريح فاقه قوة ، وتبعثرت صيحاته في الليل العميق ، وضاع صراخه تحت دفق المطر .

على الضفة الاخرى ، كان مركز «ديستريكت» الرئيسي ، غارقا في البعد ، بضعة انوار فقط ، كانت تترامى من البيوت المتناثرة والموغلة في العتمة .وكان انتزاع الطوافة من النهر ، قد قطع كل اتصال بين الضفتين ، وبسبب من هذا ، استحال على ناس الضفة الاخرى ، ان يلطفوا بتعاطفهم مع آلام الاخرين ، آلام الذين هنا .

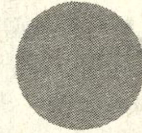
عند الصباح ، رأى العابرون الى سوق «تهان-يونغ» ، على الضفة المنعزلة، طفلا جالسا يبكي ، وينشج قرب جثة عجوز غدت يابسة . اخذت الرحمة قلوب قاطني المنازل المجاورة ، فجمعوا من بعضهم مالا ، ليشتروا تابوتا لساحب العربة العجوز .

ومنذ ذلك الحين ، وفي كل الليالي ، قبل منتصف الليل قليلا ، بعد هنيهة من مرور قطار الشمال السريع . يستطيع سكان المنطقة ان يميزوا خيال عربة متجهة صوب «تهان-تريك» ... والفلاحون العاملون تحت ضوء القمر في حقول الارز، وحراس الجواميس الصغار ، والكاهن الاعلى لمعبد «لبنه-هليه» .. كل هؤلاء ، رأووا خيال العربة مرات عديدة . كما ان حارس «بيت الشعب» في «تهان-تريك»، قد سمع في ليلة باردة وماطرة ، رنين جرس العربة امام البوابة الكبيرة .

وبعد فترة طويلة من المحادثات والمداولات التي اثمرت ، وبعد ان كسبت

القضية قرية «تهان-تريك» ، عادت وفتحت من جديد ممر الطوافة . وبمناسبة هذا الحدث السعيد ، قام السكان لجمع المال ، ليشيدوا «مقاما» ، يكرسوه لروح ساحب العربة . وقد ساهم جميع سكان «ديستريكت» في هذا . ومن جديد وحدت الطوافة الضفتين ، ومجددا ، عاد بوسع الود ، ان يعبر النهر .

١٩٤٣



تهتم هذه الزاوية بالتعريف بالفنان الفلسطيني ، حياة وفنا وموقفا ، ضمن التسلسل التاريخي للفنانين الفلسطينيين المعاصرين ، دون التقييم النقدي لاعمالهم من وجهة تشكيلية ٠

تمام الاكحل

قبل البدء بالحديث عن الفنانة الفلسطينية **تمام الاكحل** أود أن اشير الى انه لم تتح الفرصة للفنانين الفلسطينيين لعمل معارض متواصلة يشاهدها جمهور فلسطيني واسع كما هو الحال في الاقطار العربية الاخرى وذلك بسبب حالة التشرذم التي نعانيها منذ ما بعد عام ١٩٤٨ ٠ لذلك كانت الطباعة أحد أهم وسائل الاتصال بالناس لمن أتيحت لهم مثل هذه الفرصة من الفنانين ٠ ولما كان اسم **تمام الاكحل (شموط)** قد ارتبط كليا باسم الفنان **اسماعيل شموط** ظل الرأي العام يطل عليهما فقط من هذه النافذة التي هي اصلا لا تتسع لاكثر مما عرف من المطبوعات المشتركة التي كان **لاسماعيل** حظا اوفر فيها ٠ كما تسبب عدم وجود أي نشاط فردي **لتمام** بأن ظلت معظم التجارب والاعمال المتميزة التي تطرح ملامح نهج تشكيلي متقدم حبيسة الغرف المظلمة ٠ وفي الحقيقة كان هنالك أسبابا أخرى حالت دون حضور أكبر **لتمام** في الساحة



زيارة مقبرة الشهداء (١٩٦٨) ٠

التشكيلية أهمها الاحكام المسبقة والمصطنعة وتحديد دور الفن بمساحة لا تتسع لمحاولات طموحه قد تتأصل وتثبت جدارتها مع الزمن ٠ ولكي نتكلم في التفاصيل اكثر لا بد من القاء بعض الضوء على الحركة التشكيلية في بعض اقطار الوطن العربي الاخرى ٠ حمل جيل الشباب الذي عاد الى الوطن كل الاتجاهات الغربية السائدة في فرنسا أو ايطاليا منذ مطلع الخمسينات على وجه التقريب وكان الاعتقاد السائد لدى الفنانين في تلك الاونة انه يجب تأصيل هذه المدارس في بلادنا وان على الناس أن يرتقوا الى مستوى مثل ذلك الفن اذا كان ثمة من يفكر في الناس ، الا ان اتجاهات أخرى برزت لتعبر عن اتجاهات سياسية فتية كما حدث في سورية مما أوجد الفرصة لاصحاب الدعوة الى العودة الى التراث ، والاصالة والمعاصرة ، والفن الجماهيري ٠٠٠ الخ الا أن التيارات القديمة تصاعد نموها أيضا وظلت تنتقل عبر الاجيال المتلاحقة ٠

وبالطبع لم يكن ذلك وليد الصدفة · فقد كان في الوقت متسع للتفكير والتأمل والتجريب لدى البعض على الاقل · أما في فلسطين فقد كانت الصورة مختلفة الى حد بعيد ، فلم يكن هنالك هذا المتسع من الوقت بل شهدت الساحة احداثا ساخنة ودامية متلاحقة بحيث لا تكاد تلتقط انفاسك بين واقعة واخرى · مما أدى الى وضع الفن والفنان ضمن اطار لا يخرجان عنه · أما عندما يتمادى الفنان في الخروج وفي التجريب فانه يحجب اعماله عن العرض والنشر · وهذا تماما ما حدث مع الفنانة **تمام الاكحل** وما يحدث مع آخرين غيرها كما سنبين في كتابات لاحقة · من هنا أود أن ألقي بعض الضوء على اتجاهات ومحاولات غير معروفة للفنان **الاكحل** · ففي الوقت الذي اصطبغت فيه اعمال **اسماعيل** بصبغة واقعية رغم عدم دقة المصطلح من جهة وتنوع التجربة من جهة أخرى ، اندفعت **تمام** بجرأة نادرة الى تنويع اتجاهات عملها وبالاستجابة الى الحاح داخلي للتعبير وبتنويع في التقنيات المستعملة مما أوصلها في أكثر من مرة الى حدود عوالم فنية رائعة · وعيب هذه المحاولات أنها جاءت مبعثرة ولم يقف وراءها الحاح دؤوب يوقفها في آخر المطاف على قدمين قويتين · لذلك جاءت اعمالها في الغالب كما كانت اعمال **اسماعيل** من قبل استجابة للواقع القائم الذي ألم بالشعب الفلسطيني فكان لا بد من الانتباه الى الموضوعات المطروحة في اللوحة والى التقنية المستعملة حتى تكون اللوحة فلسطينية أي تعكس الواقع الفلسطيني وآماله واحلامه · دون ان يعني ذلك انانتاج **تمام واسماعيل** يصطبغ بنفس الصبغة بل لكل منهما عالمه ورؤياه · وتكاد تمام تكون الوحيدة بين الفنانين الفلسطينيين في طرقها لاتجاهات متنوعة في العمل الفني المدرسي (انطباعي ، تعبيري ، تزييني ··· الخ) كما أنها تكثر من الرسم عن الواقع مباشرة ، فلها عدد كبير من اللوحات رسمتها من قلب المخيمات مسجلة فيها حياة الناس اليومية بين ازمتهم الموحلة كما رسمت ايضا عددا كبيرا من الصور الشخصية (بورتريه) للكثيرين من الناس والبورتريه في حياة **تمام** ليس شيئا عابرا بل هي متمرسة ومحبة لهذا النوع من الفن وقد يكون ذلك من العوامل المساعدة على قدرتها على استنباط التعابير القوية والمشحونة كما في لوحتها **(مذبحة خان يونس)** وحتى الان لم تقلع**تمام** عن عادتها الدؤوبة في رسم المخيم والناس فظلت على مدى السنوات أمينة لما ابتدأت به وبقيت اعمالها تنوس بين المخيم والحلم ولم ينتهي المخيم ولم ينتهي الحلم ·

مذبحة طانيونس (١٩٦٣) ·



★ سجلت تمام في عدد من اعمالها عادات وتقاليد وفلكلور الشعب الفلسطيني ومعظم رسوم هذه المجموعة تتميز بالبساطة والعفوية وقد تكون أحيانا مشحونة بفرح طفولي امتدادا لعالم طفولتها بفلسطين ·

زفة النبي صالح (١٩٧٠) ·



★ لتمام محطات مختلفة في التجريب نجحت احيانا كثيرة في تأصيل بعضها وخاصة أعمالها التي تأثرت فيها بألوان الانطباعيين وزاوجت فيها بين المضمون الوطني وبين رغبتها في امتطاء صهوة الالوان الانطباعية الصعبة والمغرية ·



الجنين (١٩٦٨) .

تمام الاكحل ـ هوية فنية

* ١٩٣٥ ولدت تمام الاكحل بيافا

★ ١٩٤٨ اخرجت من فلسطين واستقرت في بيروت ظهرت ميولها الفنية في وقت مبكر ولاقت الرعاية والتشجيع من الفنان اللبناني **مصطفى فروخ**

★ ١٩٥٣ اشتركت في معرض الخريف الذي أقيم في صالة اليونيسكو وفي نفس السنة حصلت على الثانوية العامة وعلى منحة للدراسة في مصر وهناك التقت بالفنان **اسماعيل شموط** الذي كان في سنته الدراسية الاخيرة فاقاما معا معرضا افتتحه الزعيم الراحل **جمال عبد الناصر** في قاعة نادي الضباط في الزمالك وفي هذا المعرض عرض **اسماعيل** بعض اشهر اعماله (سنعود ، الى اين ، **دير ياسين** ...) وعرضت **تمام** (**تصميم وعزم ، معسكر صبرا (المخيم)**، توزيع الحليب ، وعدد من **البورتريهات)**

* ١٩٥٧ **تخرجت من المعهد العالي** للفنون الجميلة .

★ ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨ درست في كلية المقاصد الاسلامية في بيروت

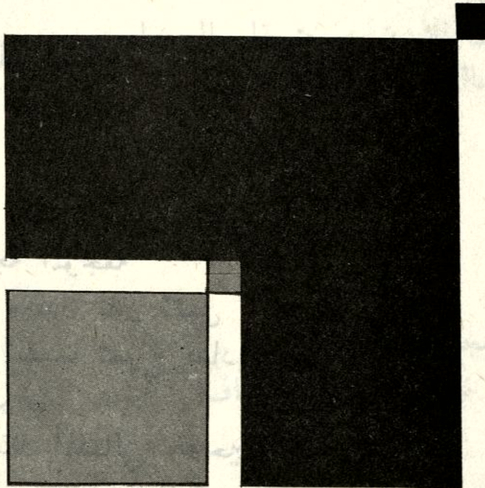
* ١٩٥٨ شاركت بمعرض الخريف في بيروت .

* ١٩٥٩ تزوجت بالفنان **اسماعيل** ومنذ تلك الفترة وهما يعرضان سوية .

* عرضت **تمام** اعمالها مع **اسماعيل** في عدد كبير من بلدان الوطن العربي والعالم .

* أتمت ستة لوحات عن معامل ابناء الشهداء (صامد) وتستعد حاليا لاقامة معرض عن منجزات الثورة .

شعر



أربع قصائد

مريد البرغوثي

السياج

بعيدا عن الوطن المستحيل
قريبا من الساعة المفزعه
فتى ساهم :

يا بلاد الحنان قسوت علي
وحملتني اللهجة الموجعه
وحملت ريحي معادن نذر ثقيل
ولم تبصريني نسيما تموج مناديله ،
أذوب بغصن يرف
أموت على جيدك المتعالي ، وحين
تمر البنات أذوب هوى ·

ويثقلني جبل أرتقيه اليك
وتثقلني قطرة من ندى ·

وأقتل ، لكنني يا بلاد الصعوبه ،
تفتنني وردة
وتمتد حول عيوني البساتين تدعو خطاي

ويلتف حول يدي السياج
العصي الذي لا يميل
أنا الكاسر المستفز الذي يرهبون
وتأبى المدينة أن تسمعه
وما علموا
أنني أطلق النار كي لا يهب علي البكاء ! »

... ...

بعيدا عن الممكن المستحيل
قريبا من الانفجار الوشيك
وفي داخل اللحظة المفزعه
فتى
مال للأرض مخترقا بالرصاص
ومال السياج معه !

هـم

جفت
فلا ثمر على شجر
ولا عشب على نهر تخضره الضفاف

جفت
سقيناها نفوسا والعلاقات الجميله
والأحبة والطفولة ، وانسكبنا
قلنا : نكون لها الغمامة ، وانسكبنا
نسقي نوزع ماءنا/دمنا
ونحلم بالمواعيد البعيدة والقطاف
فاذا بها سبع عجاف بعدها سبع عجاف
هل من مزيد تبتغين هطوله ؟

من أين سمنتهم اذن ؟

يا أرض لسنا عاتبين
فنحن من جئنا خفافا ـ لا مغانم تثقل الاكتاف ـ ندري
ان سرك أخضر
لكن من سرقوا الغمامه
عاتبوك على الجفاف !!

زقــاق

زقاق طويل
كتبنا على حائطيه : « نسير الى ساحة »
وغنى المغنون فيه الفضاءات
والشمس والبحر والأسلحه
فيا ساحة الأضرحه !

كفاك اتساعا !

ويا عمرنا امتد ، يا أهل أطفالنا
أرضعوهم حليبا كثيرا ،
أعدوا لهم ما استطعتم من الضوء
أبقوا لهم كل عود ثقاب
وخلوا القناديل ، والزيت
فالليل ينوي الاقامة فينا طويلا !

يقــين

بطيئة يد المساء وهو يغلق الابواب
بطيئة يد الفتاة وهي تغلق النوافذ
وتسحب الستائر القديمه



تدنو بوجهها من المرآة لحظه
تأخروا ·· تأخروا كثيرا

(عادية دقات ساعة الجدار)

ثقيلة خطواتها الى سريرها
وبارد هو المساء
وملمس الملاءه ،
تشد فوق جسمها الغطاء
وتترك الحجرات كلها ، مضاءه ·

(الدهشة وبداية للحديث)

غسّان زقطـان

جاءني الشعر من البحر ...

وجاء البحر من يافا
وكانت جثتي مطرا يسيل على السواحل
لم تكن بيروت سيدة على زندي ...
ولا كانت تقاتل ...

كانت مواعيدي
وكانت في اتجاهي
سافرت كل القطارات المريحة للضواحي
وانزوى الضوء المفاجيء
حانة في الدرب لا نأتي اليها في المساء
وحينما تصحو السماء
تجيء دون مظلة ... تلقي على العمال خمرا طيبا
حطبا من الغابات
تدخل آلة الاضراب في لغة المصانع والمدارس
والمشاريع الكبيرة ....

يدخل الأضراب سهرتنا ...

واكتب في مفكرتي ...
ندائك أم أناشيد المنازل ؟؟

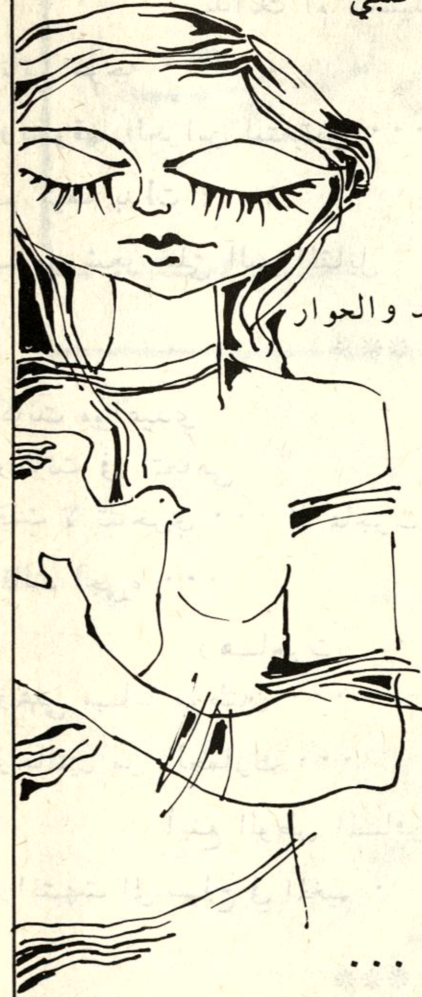
تاتي موجه ...
ويسوقها الحراس للتحقيق ...
ـ كيف بدأت ...؟
ـ من شجر على البر المقابل

***

كانت مواعيدي
وكانت في اتجاهي
قلت لا تتأخري ... اذ هاجرت
قالت أجيء ...
وهـاجرت
وعلى مسافة موطنين ...
وحالتين من الجمارك ...
أينع الوطن المسافر ...
وانتبهت الى سياج في المخيم ٠

***

كانت الأوراق عاهتنا ...
وكان الموج يركض باتجاه الشاطيء الصخري
لا تتكسر الأمواج ـ اذ ترتد ـ
تصبح حالة أخرى



وتصبح صيغة أو موت
كان تحول الأشياء حين كشفت عن قلبي ...

فسـال دمي ...
وجاء الوقت .

***

يتعجل الرواد أدوار البطوله
والمسنون الذين تعودوا لغة التقاعد والحوار
ونسبة الأشياء
ينتفعون من نزق الطفوله
قلت لا ترددي – اذ أحجمت –
وكتمت حبا .....
فانفجرت على جدار

***

كانت مواعيدي
وصارت حالة أخرى
وكانت في اتجاهي
قلت لا تتبللي – اذ أمطرت –

ركضت الى قلبي ...

اختبأنا مثل عصفورين ...

وانكسرت على القرميد حبات المطر .

لم يكن وطني أوانا كي نقول مضى ...
ولا حفرا على الخشب المقدس
كان ميلادا طويلا ... وانفجارات من الورد المضيء
وحالة للشعر ... تأتينا

فينتبه التردد والتشرد ... والبقاء ...
ويختفي كون ...
ليبدع شاعرا وطنا ويخترع الصور

***

كانت مواعيدي
وكانت في اتجاهي ...

شارعا صعبا ...

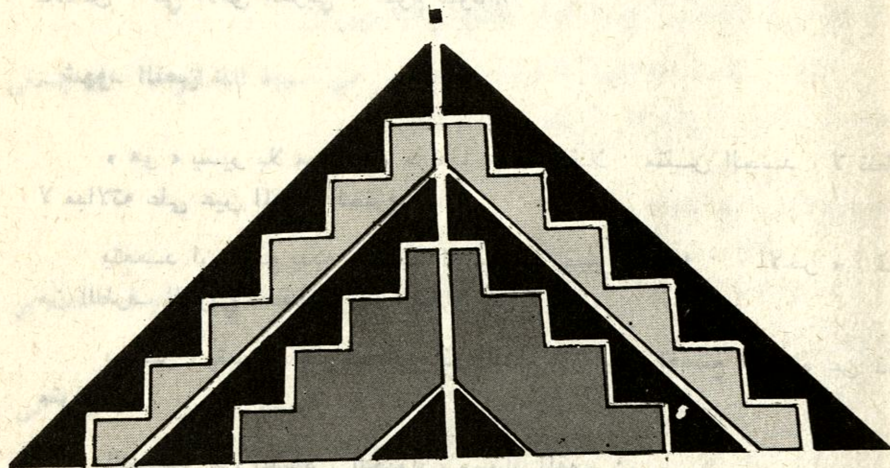
وأدوارا من الصحف ...

الفدائي الذي يمضي على عجل ...
وكنت على سفر

***

..... وكان الرمل مرآة
فشاهدت الرماح وجانبا من ساعدي
ومن الوراء تكسرت ...
قلبي على ولدي ...
وأنقش اسمها فوق الحجر .

قصص و مسرحيات



مصرعي

زين العابدين الحسيني

منظر عــــام :

ميدان مزدحم بسيارات عسكريـــة ، مياه الامطــار تندفع على الجنبات الواطئة ٠ جنوبي غربي الميدان ، مقبرة المدينـــة ٠ شمالي الميدان ، مقهى يعج بالناس ٠ في الافق الغربي ، غيوم سوداء ٠

شهود النص :

« هو » يسير بلا مبــالاة ، مرتديا معطفا ثقيلا ٠ متيــن الجسد ، لا تنطلي لا مبالاته على عين المخبر المحترف ٠

يتعمـد ان يضع يديه ، كلتـا اليدين في جيبي معطفه ٠ « الآخر » ، قادم من الطرف الغربي ، يفصله وتر الميدان عن « هو » ٠

يسيـر ، بتمهل ، متوخيا الحـذر البالغ ، وسيم ، تفصح عينـاه عن ذكاء متوقد ٠

الجمهور من المشاة ، الجنود ، ورواد المقهى ٠

الطفلة ، عمرها عشر سنوات ، ترتدي زيا مدرسيا ، تحمل حقيبـة مكتظة بالكتب ، والحجارة ٠

المتسول ، تتوفر فيه جميع شروط التسول والمتسولين في حدود الاربعين من العمر ٠

المرأة الحبلى تقارب الثامنة والعشرين تبدو في شهرها الثامن ، ترتدي ثوبا

اسود وتضع على راسها غطــاء « ابيض » تبذل مجهودا شاقــا وهي تنقـل خطواتها ٠

النص :

« هو » يعرف جيدا الميدان ، في طفولته كـان شديد الولع بالذهاب اليه ، والتسلل الى « الخـان » ، « والتشعبط » بالباص المسافر الى « خـان يونس » ٠ كانوا يطلقون عليه ـ حينذاك ـ ساحة التاكسيات ٠

اختلف الوضع الآن فصار محاطـا بالمحال التجاريـــة ذات الواجهـات الزجاجية الأنيقة ٠ واختفت عربـات الباعـة المتجولين ، لكن المقبرة ظلت في مكانها ٠ وان كـانت قد تقلصت بعـد ارتفاع اسعار الارض ، مما اغرى بلدية المدينة على بيع بعض الحصص ، حيث اقيمت عليها محال تجارية أيضا ٠

كان على « هو » عبور الميدان ، وكــان يعرف جيدا ان وجهه السري قد اصبح متداولا الآن ، في ذاكرة الجنود والمخبرين ٠

وكان عليه ، ان يطبق قاعدة « الجماهير هي محيط الفدائي » ٠ ان يتخفى بعباءة رجل ، او بامرأة ، ترتدي زيا فولكلوريا ٠

خروج اولي عن النص :

« هو » و « الآخر » كانا رفيقي نضال ، اعتقلا معا ايام النضال الحـزبي السري ٠

« الآخـر » كان اول المجلودين ، وحين تلقى الجلدة الاولى ، هـرَب الى رفيقه ابتسامة اعادت اليه تماسكه وقد كان على وشك الانهيار ٠

عودة الى النص :

« لو يرفض المحيط مرة واحدة الاسماك الاخرى ! » ، « ما الذي يجعل المراقب يكتشف على انه وقع في فخ المراقبة ٠ »

التفت « هو » نحو مصدر العينين ، خفض « الآخر » وجهه ليتوارى ، كان

بحاجة الى ساتر يخفيه · اكتشف « هو » الامر · شدد ذراعه على الرشيش · وهكذا فعل « الآخر » !

انغرست عينا « الاخر » في عينيه ، تساءل ، « هل يمكن لك يا رفيق ان تفعلها ، هنا ؟ وسط هذا المحيط ؟ » تلفت « هو » نحـو السيارة العسكرية ، الرابضة بمؤخرتها في اتجاه المقبرة ·

اعاد بصره على « الاخر » ·

ها « هو » امامك ،

امامك ،

لا مناص من المواجهة ، فالوجه جدار · لـن يمكنك ان تقذف الان بنفسك خـارج الميدان ·

عليك ان تنفذ الأمر ، وفورا ·

و ··· سيصدر البلاغ ، « ··· تم في الساعة ··· من صباح يوم ··· تنفيذ حكم الاعدام في العميل ··· ولقد نفذ الحكم في الميدان الرئيسي للمدينة، وفي وضح النهار ··· وعاشت ···· » ·

····

····

انحرف « هـو » في اتجـاه الاخر ، داهمت « الاخـر » فكرة الفرار او التقهقر ، ادرك ان مثل هذا الامر سيحث هو على اطلاق الرصاص فورا ·

مشهد مفتعـل :

تماما مثلما ما يحدث في الافلام ، حين يتبارز حملة المسدسات ·

يخلو الميدان ، تنسحب السيارات العسكريـة « هو » ··· و « الاخر » يتوسطان « الحلبة » يدوران حول بعضهما ·

بعض الرؤوس تطل من خلف النوافذ ، تحتمي بـالجدران البعض يتستر باعمدة الكهرباء ·

هناك بعض المتضامنين ، المتسول ، والمراة ، الحبلى والطفلـة ·

في البداية ، كان عتابا :

– لماذا وافقت على ترشيح نفسك للانتخابات ؟

– لمـاذا ؟

– انت تعطيهم بهذا شرعية الاحتلال ·

– بل خيل الي انني سأخدم الوطن ·

– باسم الوطن اذن اعلن تنفيذ حكم الاعدام فيك ·· علنا ·

– بحق النضال ، وعذابنا الواحد في الزنزانة الصحراوية ·

– ساطلق ··· ساطلق الرصاص ·

لم يعد عتابا الأن ··

كان المشهد قد بدأ يغدو ، رهيبا ، وكـان المتفرجون يستعجلون اطلاق الـرصاص ·

يقتربان اكثر ، فاكثر ··· تشتبك العينان ، تتوتر الاصابع ·

يعرف كل منهما ان رمشة العين ، تعني ان يسبق احدهما الاخر ·

يحمل الرصاص صوت صاحبه ·

لا مجال للخطـأ ·

عيون الجمهور – بمـا في ذلك اصحـاب النجوم السداسيـة تتلاصق كالجدار ·

المراة الحبلى تتعثر ، وتركع على ركبتيها ، ثم تبتهـل ·

المتسول يفتح العينين على اتساعهما ·

والصغيرة تدس يدها في الحقيبة ، وتتحسس الحجـارة ·

عـودة الى النص :

تحسس « هو » الرشيش ، بحركة بارعة فسرت في جسده برودة السلاح ·

افعمت عيناه للحظة خاطفة بحنان لا يوصف لوجه « الاخر » · (« هو » كان الوحيد الذي دافع عنه امام التنظيم) « الاخر » يعرف جيدا ذلك · نحى عينيه عن عيني « الاخر » ، وتدحرجت النظرات على الفم والعنق ·

خــروج عــن النص :

ــ «الآخر» : لو تدري كم كلفني ان اجمع لك ذلك اليوم مثل تلك الابتسامة·

سرقت دجاجة وانا صغير ، وجدتها تقيق وحيدة امام احـد البيوت ، امسكت بها ، وفرحت امي ، ذبحناها واكلناها في اقل من ساعة · دفنت الريش، لكنهم قبضوا علي فاعترفت بأنني سرقتها ، وذبحتها واكلتها وحدي ··

وضعوني في اصلاحية الاحداث فتعلمت اشياء جديدة · حيـن خرجت ، تسللت الى المستعمرات الاسرائيلية القريبة ، سرقت بقرة ، وخــربت موتور المياه ، ثم عدت ، لكن جنود السلطة اعتقلوني ، وسجنت ستة اشهر . واعادوا البقرة للاسرائيليين عن طريق رجال الهدنة ·

مشيت في المظاهرات « تحيا ، تسقط ، تحيا ، تسقط ·· » اعتقلوني وعلمني الرفاق مبادىء النضال الحزبي · نفوني الى صحـــراء لا تمت لبلادي بصلة ··

تعبــت ·

قلت للرفاق ان يستمروا هم ، واعلنت لهم بأن هناك سبيلا اخر لحب الوطن · حينئذ اصدروا قرارا بفصلي ·

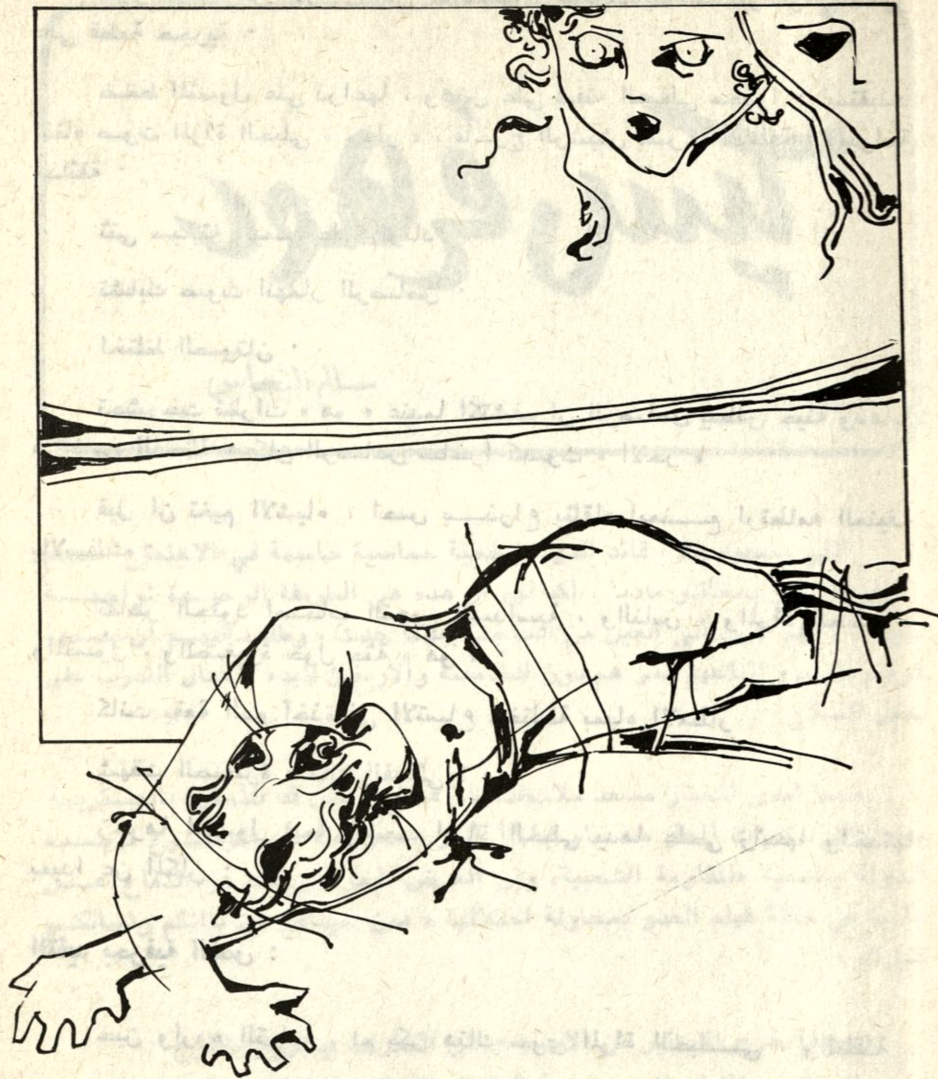
واصدروا منشورا ضدي ، وقصيدة ·

· · ·

ــ « هو » : « لو انك تكف عن بذل ابتسامتك الودودة · و ··· كيف ··· يتفق انك تعلم ، وتستطيع ان تجمع مثل هذه الابتسامات ؟ » ·

ــ ما هي البطولة ؟

وكنت تقول دائما ·· البطولة احتمال ، وحين مزقت السياط ظهر رفيقنا قبل ان يدفنوه فيما اصطلحنا على تسميتها بحديقة السجن ، وهتف ، « افديك يا شعبي ، علقت ساخرا : « كاذب » · ثم اصررت قائلا : « كان همه فقط ان ينجح في اخراج موته اخراجا استعراضيا ، كعادته ، وقد نجح » ·



استعراضيا ، كعادته ، وقد نجح ،

عودة الى النص :

انفلتت من عينيه نظرة حاسمة ، فيما كان يقترب من « الاخر » · تقلصت المسافة بينهما ، وبدأت الخطوات تضيق شيئا فشيئا · تمهل ، وتباطأ « الاخر » ·

حرر معطفه من الازرار فبان الرشيش · توترت يد الصغيرة وهي تتكور على قطعة حجرية ·

ضغط المتسول على ذراعها ، وعض على شفته السفلى محذرا · استقبلت اذناه صوت المرأة الحبلى « حذار » ، فأخرج الرشيش بسرعة خاطفة ، وببراعة فـائقة ·

ثنى سبابته اليمنى على الزناد ·

تشابك صوت انهمار الرصاص ·

اختلط الصوتان ·

تحشرجت نظرات « هو » عندما اكتشف ان الرصاص ينطلق جيئة وذهابا في نفس اللحظة · كان الرصاص ساخرا كصوت « الاخر » ·

قبل ان تغيم الاشياء ، احس بـذراع يتلقاه ليمنـع ارتطامه العنيف بالاسفلت ·

تقاطر الجنود اصحاب النجوم السداسية ، والناس ، والمرأة الحبلى ، والمتسول ، والصغيرة حول جثة « هو » ·

كانت بقعة الدم آخذة في الاتساع مختلطة بمياه الامطار ·

شهقت الصغيرة « مات الفدائي ! » ·

زجرها المتسول فيما وضعت المرأة الحبلى يدها علـى رأسها واخذتها بعيدا عن المكان ·

التقيد بحرفية النص :

حين واروه التراب ، لم يكن هناك سوى المرأة الحبلـى ، والطفلة ، والمتسول · رشقت الطفلة زهرة في تراب القبر · تناولت المرأة الحبلى حفنة تراب مسحت بها بطنها · اما حفار القبور فغمغم :

« هذا فال سيىء » ·

فيما راح المتسول يتلو صلاة صامتة ، واخرج بعد ذلك من جرابه قطعة نقدية اعطاها للصغيرة ·

كيس فرهود

سالم النحاس

القى مسعود بك ، قائد الدرك ، خطبة حماسية حاسمة في الاجتماع العام الاول والاخير بمخاتير مادبا ، اكد لهم ان هذه هي الطريقة الوحيدة لمواجهـة اليهود ، فهم اقرب الى العين من الحاجب بعدما حدث ، وطلب اليهم ان يعدوا قوائم باسماء اتباعهم ممن هم دون الخامسة والاربعين للبدء باعمال التدرب على حمل السلاح ·

بعدما ابدى المختار مسعد ملاحظته بان معظم الناس قد التحقوا بالعسكريـة بعد تتالي سنوات المحل منذ عام ١٩٤٨ اسر مسعود بك بان الموضـوع تريـده الدولة وتسميه «المقاومة الشعبية» وان الغرض الجوهري منه هو الدفاع عـن مأدبا في حالة قيام العدو بمحاولة احتلالها « فمن سيدافع عن بناتكم ونسائكم غيركم » ·

بعدها خرج المخاتير من الاجتماع الى الحارات يبشرون بالفرج ·

في اليوم الاول طفحت ساحة البلدية بالاهالي · قليلهم للتدرب ومعظمهم للفرجة ··· نساء وشيوخ واطفال ·· وجميع من استطاعوا ان يثبتوا بشهادات الميلاد او تقادير السن انهم تجاوزوا الخامسة والاربعين · وحين اكتمل طابـور المتدربين اخذ الجميع يتهامسون حول العصي الطويلة التي تبرز كالمناسيس فوق اكتافهم · وكان المدرب يحاول بصوته الجهوري ضبط الخطوة (يمين، شمال··· يمين ، شمال) ويكافح من اجل تصحيح الطابور الاعوج ·

حرر معطفه من الازرار قبان الرشيش · توترت يد الصغيرة وهي تتكور على قطعة حجرية ·

ضغط المتسول على ذراعها ، وعض على شفته السفلى محذرا · استقبلت اذناه صوت المرأة الحبلى « حذار » ، فأخرج الرشيش بسرعة خاطفة ، وببراعة فائقة ·

ثنى سبابته اليمنى على الزناد ·

تشابك صوت انهمار الرصاص ·

اختلط الصوتان ·

تحشرجت نظرات « هو » عندما اكتشف ان الرصاص ينطلق جيئة وذهابا في نفس اللحظة · كان الرصاص ساخرا كصوت « الاخر » ·

قبل ان تغيم الاشياء ، احس بذراع يتلقاه ليمنع ارتطامه العنيف بالاسفلت ·

تقاطر الجنود اصحاب النجوم السداسية ، والناس ، والمرأة الحبلى ، والمتسول ، والصغيرة حول جثة « هو » ·

كانت بقعة الدم آخذة في الاتساع مختلطة بمياه الامطار ·

شهقت الصغيرة « مات الفدائي ! » ·

زجرها المتسول فيما وضعت المرأة الحبلى يدها على راسها واخذتها بعيدا عن المكان ·

التقيد بحرفية النص :

حين واروه التراب ، لم يكن هناك سوى المرأة الحبلى ، والطفلة ، والمتسول · رشقت الطفلة زهرة في تراب القبر · تناولت المرأة الحبلى حفنة تراب مسحت بها بطنها · اما حفار القبور فغمغم :

« هذا فال سيىء » ·

فيما راح المتسول يتلو صلاة صامتة ، واخرج بعد ذلك من جرابه قطعة نقدية اعطاها للصغيرة ·

كيس فرهود

سالم النحاس

القى مسعود بك ، قائد الدرك ، خطبة حماسية حاسمة في الاجتماع العام الاول والاخير بمخاتير مادبا ، اكد لهم ان هذه هي الطريقة الوحيدة لمواجهة اليهود ، فهم اقرب الى العين من الحاجب بعدما حدث ، وطلب اليهم ان يعدوا قوائم باسماء اتباعهم ممن هم دون الخامسة والاربعين للبدء باعمال التدرب على حمل السلاح ·

بعدما ابدى المختار مسعد ملاحظته بان معظم الناس قد التحقوا بالعسكرية بعد تتالي سنوات المحل منذ عام ١٩٤٨ اسر مسعود بك بان الموضوع تريده الدولة وتسميه «المقاومة الشعبية» وان الغرض الجوهري منه هو الدفاع عن مادبا في حالة قيام العدو بمحاولة احتلالها « فمن سيدافع عن بناتكم ونسائكم غيركم » ·

بعدها خرج المخاتير من الاجتماع الى الحارات يبشرون بالفرج ·

في اليوم الاول طفحت ساحة البلدية بالاهالي · قليلهم للتدرب ومعظمهم للفرجة ··· نساء وشيوخ واطفال ·· وجميع من استطاعوا ان يثبتوا بشهادات الميلاد او تقادير السن انهم تجاوزوا الخامسة والاربعين · وحين اكتمل طابور المتدربين اخذ الجميع يتهامسون حول العصي الطويلة التي تبرز كالمناسيس فوق اكتافهم · وكان المدرب يحاول بصوته الجهوري ضبط الخطوة (يمين، شمال·· يمين ، شمال) ويكافح من اجل تصحيح الطابور الاعوج ·

في اليوم الثالث بدأت التدريبات على الزحف على البطون والاحتماء لاتقاء رصاص العدو الوهمي ، فبدأ المتدربون ينسلون واحدا اثر الاخر دون مبالاة بمحاضرة المدرب عن الروح العسكرية . وبعد انقضاء الاسبوع الاول وجد المدرب نفسه مع ستة فقط من الطابور : احمد وسليم وعامر وسلامة وعيسى والياس كانوا شبانا اشداء اعجبتهم اللعبة ولم يكفوا عن الامل بان تتبدل العصي بالبنادق الحقيقية التي كانوا يتلهفون لامتلاكها .

في بيت سلامة ، عم (ابو يوسف) ، اجتمع الاهل والجيران حول القهوة المرة يتندرون على العصي والمتدربين ، واخذ سلامة ، بلحيته البيضاء الصهيبة ، يتهم بالخيانة ، وبعنف وصدق ، المترددين والمنسلين ، وذكر في مجمل حديثه انه تدرب على حمل السلاح في القدس اثناء ثورة ٣٦ ، وقال ان التدريب سهل ولكنهم لا يعرفون شيئا .

تخابث يوسف وقال له :

– ارهم يا عم !!

هنا امر عمه سلامة بعصا الفأس .. ثم وقف في وسط الدار وحملها الى جانبه الايمن « هكذا .. » شد كتفيه ورفع جبهته عاليا وحمل العصا في وضع « تهيأ .. » وحين انتقلت عصا الفأس الى وضع استرح .. ، سقطت الغليظة الثقيلة فوق خنصر قدمه اليمنى ، فصاح من الالم :

– لعنة الله عليكم .. لعنة الله عليك يا يوسف

هب يوسف يدلك اصبع قدمه .. وبعد ان استراح تنبه ابو يوسف وقال يحدث الحضور :

– ان مجمل القصة .. الهزيمة والتدريب والعصا والبنادق .. الخصها لكم بحكاية قديمة يعرفها اخي سلامة .. فهل تسمعون .

رحب الجميع كوسيلة لتغيير الجو وبدأ ابو يوسف حكايته : كانا اثنين الشيخ وكلبه فرهود . وكان كل منهما يحب الاخر ، يميل له وعليه : فرهود عن وفاء الكلاب المعهود في بني جنسه والشيخ عن الشرخ في الوفاء الذي يعرفه في بني جنسه .

فرهود يرى في صاحبه كل الدنيا ، والشيخ يرى في فرهود بعض سلام الدنيا وامنها ، يخلو له حين يستوحد .. ويصطحبه مبتعدا حين تضج به مشكلة لا يتيسر لها حل عاجل .. وفوق التلة يحادثه ، يعرف فيه المستمع الانيس . ولم يكن الشيخ ليهتم .. كان يقول : «في فرهود صفاء لا تعرفونه .. انه في اسوأ احواله الصاحب الصامت .. الذي لا يتدخل .. وفي صفاء عينيه اجد صفاء نفسي » .

ومن هذه المعرفة بالدنيا والصاحب ، تشتهر الاسماء فنادرا ما حظي كلب باسم فرهود دون ان يحمل صفاته .

كان اسود الشعر اكثه ، ضخم الجثة لا عن سمنة وترهل بل عن امتلاء فيه رشاقة لا تخلو من كبرياء كبير كلاب شيخ القبيلة .

ولانه كبير الكلاب .. فقد كان اخر من ياكل وان اكل لا يشبع وان شبع لا يغفو .. وان غفا لا يطيل .. وان اطال ففي ساعات القيلولة .

ولانه كبير الكلاب فقد كان رحيما بصغار اتباعه رؤوفا بابنائهم . ومع ذلك فقد كانت له عشيقة يخلو لها حين يخلو الشيخ لاهله ويعايشها بعيدا عن الفضول حين تصفو النفس .

ولانه كبير الكلاب فقد كان شديد اليقظة .. يشتم المستقبل ويعرف ما توحي به الساعات .. ينبح اتباعه .. يوزعهم حسب خطة تنذر العدو في مرحلتها الاولى فان استغبى واستأسد تهاجمه .. وان تمادى تقضي عليه ، وخطة واحدة، يضع عرب الحي في وسط مثلث يقف عند كل رأس فيه تابع نباح شديد الحماس ... مندفع الشباب وعلى اضلاع المثلث ينتشر بقية الاتباع .. الهادىء فالشرس فالاشرس . اما فرهود ... فكان الرائد الذي لا يكذب اهله ، يتسلل بعيدا يطوف في دائرة واسعة حول المضارب .. يشمون رائحته عن بعد ولكن لا يراه احد حتى يعلن عن وجوده .

ولانه كبير الكلاب فقد كان يتلقى الشكاوى : تاتيه همهمة مكتومة على وجع .. او نبحة واضحة على احتجاج . فان كانت بين كلب وكلب او كلبة وكلبة او كلبة وكلب تدخل بنبحة جادة لا امر فيها ولا رجاء ولكنها القول الفصل . فيها من الود اكثر مما فيها من العتاب وفيها من دحض التفاهات اكثر مما فيها من التيه في تفاصيلها .

ولكن ماذا يستطيع ان يفعل فرهود اذا كانت الشكوى من كلب ضد صاحبه يتجاهلها احيانا ٠٠ وحين لا ينفع التجاهل يؤكد على الطينة الاصلية وضرورة التمسك بها : الوفاء ٠

ولكن ماذا يفعل الوفاء امام الموت : طلقة واحدة بين العينين حين يصاب احد اتباعه بالصرع ٠٠ وحين تأتيه الشكوى ينبح في اسى ومرارة : هذا هو الحق ٠

وجاء يوم كانت فيه نبحة الشكوى موحدة واحدة قوية تصادفه انى اتجه : لقد قام سلامة ٠٠ احد افراد القبيلة ٠٠ بقتل كلبه لان جربا اصابه : بدأ بذيله ثم انتشر حتى عينيه ٠ كانت النبحة واحدة واضحة ٠ الم يكن من الاولى تدارك الامر وطليه بالقار كما فعل مع بعيره ٠٠

وكلما كثرت الشكاوى كان صدره الواسع يضيق ٠٠ ولكنه لم يقم يوما بادانة اي من اتباع الشيخ ٠٠ ولم يقم يوما بادانة اي من اتباعه ٠٠ وبين النارين وقف فرهود حائرا لا يدري ما يصنع ٠٠ فأكسبته الحيرة القلق ٠٠ واكسبه القلق التردي في القيادة ٠٠ واكسبه التردي في القيادة زعزعة الثقة بنفسه٠٠ واكسبه الوعي بذلك خوفه من السقوط ٠٠٠ واكسبه خوفه من السقوط التأكيد على السلطة ٠٠ واكسبه التأكيد على ممارسة السلطة سوء الخلق ٠٠ فساءت علاقاته مع اتباعه واتباع الشيخ ٠

وبدأ الهمس حوله يدور في السر ٠٠ ثم بالرمز ٠٠ ثم بالنقد ٠٠ ثم بالتجريح ٠
وجاءت الكارثة حين سمع من الشيخ باحتمال مرض صاحبه ٠ ثم سمع بعض القوم يشيرون على الشيخ بالبحث عن كلب اخر يقلده الرئاسة : لكانه لم تعد من ورائه فائدة ترجى ٠

نبح فرهود اغلى عشيقاته ٠٠ رقيقة الطبع مسلوبة الخاصرة قليلة الشكوى ٠٠ وفي عينيها انكسار لم يأت عن ذل بقدر ما هو عن انوثة ٠

اصطحبها الى اعلى التلة ٠٠ واقعى بجانبها يراوح بصره بين عينيها ومضارب القبيلة ٠ وعلى مسار هذه المسافة تعلق شعاع امل اخذ يكبر ويكبر حتى رآه يملأ الافق ٠٠ يغمرها ويغمره ٠٠ ينداح في مويجات تنحسر عنها المضارب وتنساب الى عيني عشيقته ٠٠ وترتد عنهما الى الافق البعيد ٠ وفي غبش المساء

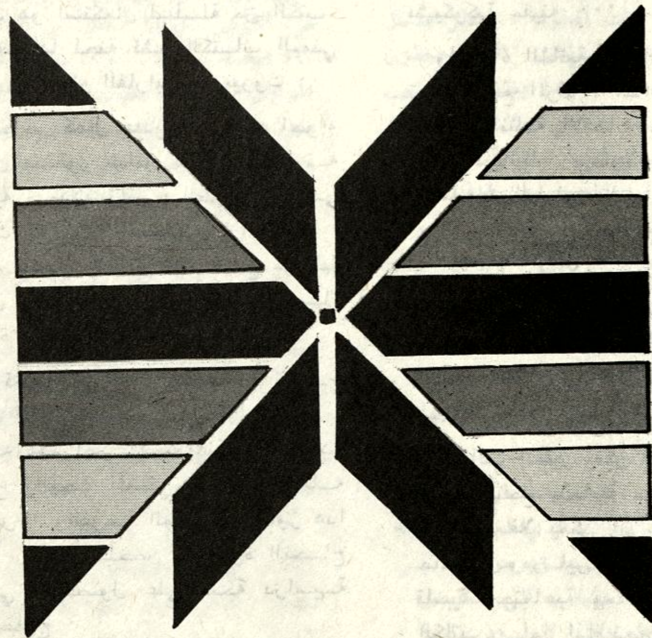
الرمادي احس بانحلال العتمة وتفسخها عن صدره ٠ تنفس بعمق ٠٠ وارتياح ، ثم مال برأسه اتجاهها وغفا ٠

في مساء اليوم التالي ارتقى فرهود التلة ٠٠ نبح منـاديا اتباعه ٠ وحين تحلقوا حوله تهتز اذنابهم فرحا لان فرهود لم يفعلها طوال هذه الفترة المشؤومة، اقعى ثم اجال النظر بثقة واطمئنان ٠٠ وبعد ان تأكد انهم جميعا حوله نبح بهم خطيبا ٠٠ افاض بحماس ٠٠ ولكن بدفء ٠٠ واستعرض كل ما كان يشغله طوال الفترة السابقة ٠٠ ثم نبح بهم قراره : «انني اطلب منكم ان نلقنهم درسا ٠٠ اطلب منكم ان تكفوا عن حراسة المضارب حتى اشعار اخر ٠٠ وليبحث كل منكم عن مكان يختبىء به او ينام بعيدا » ودعم طلبه قائلا « اننا نفعل ذلك لا كرها بانفسنا ٠٠ ولا عن فضاضة ٠٠ فنحن الحراس ٠٠ الحراس ٠ ولا عن غدر فنحن الاوفياء ٠٠ الاوفياء ٠ ولكن حتى يفهم القوم ان بيوتهم لا تقف على عماد من خشب ٠٠ بل على عماد من لحم ودم » ٠
حين كان يتساءل الرجال عن صمت الكلاب ٠٠ كان الشيخ يجيب مطمئنا بأن الكلاب تعرف الصديق من العدو وبأن لها حاسة «خاصة» تسيرها ٠ ولكن توالي هدوء الليالي كان يثير قلقه ٠ وحين كان يحادث فرهود نهارا كان يعرف بحاسته الخاصة ايضا خطورة الامر خصوصا حين كان يصحو عند الفجر ويجده مختبئا في كيس فارغ عند مدخل بيته ٠ ولكنه الشيخ الشيخ ٠٠ والصبر من مزايا الرجال الرجال ٠

وحين هاجم اللصوص منازل القبيلة دخل احدهم بيت الشيخ وتعثر بكيس فرهود ٠٠ فوجده طريا ٠٠ فحمله على كتفه واسرع بالهرب اعتقادا منه انه زق مليء بالسمن ٠ وفرهود صامت صامد ٠٠ «حتى اشعار اخر» ٠
تجمع اللصوص في ملتقاهم ٠٠ ونشروا غنائمهم وكان من بينها كيس فرهود ٠٠ وما كادوا يفتحونه حتى اطل فرهود برأسه عازما على الفرار ٠ ولكنهم كانوا اسرع منه اذ بادروا الى اغلاق الكيس وتجمعوا حوله يضربونه بعصيهم انى اتفق ٠
حين همدت حركته حملوا الكيس والقوا به خارج المكان ٠
في ظهيرة اليوم التالي تحامل فرهود على نفسه وصعد التلة وعوى بوهن مناديا اتباعه ٠ اكتملت الحلقة حوله فطأطأ رأسه ثم نبح بهم قائلا « ما دمتم تعلمون ما جرى ٠٠ فانني اقول لكم اننا حين نحرس انفسنا اولا ٠٠٠ الويل لنا ٠٠ والكيس لن يعفو » ٠

عمان ١٩٧٧

كتب



كمال حيدر . لافتة . بيروت ، دار الفارابي ، عدن ، لجنة نشر الكتاب اليمني ، ١٩٧٨

بلغة رشيقة وتسلسل عذب . تدخلنا لافتة القاص اليمني **كمال حيدر** الى اجواء ما قبل الثورة في اليمن الديمقراطيه . والكتاب هو استكمال لسلسلة من الكتب بدأت بنشرها لجنة نشر الكتاب اليمني بالتعاون مع دار الفارابي في بيروت .

لقد حرص **كمال حيدر** على رصد اجواء الاحتلال بمنظور شامل ، ورسم بقصته الختامية « ميلاد ثائر » الطريق الرئيسي لاجتثاث الاحتلال الانجليزي وادواته ، وبذلك حدد الاطار الصحيح لمواجهة المشاكل الاجتماعية ورسم معالم الحياة الجديدة المطلوبة .

في قصته الاولى (النتيجة) اصبح الطالب الفقير نموذجا لجيل من الشباب تفتك به الامراض الاجتماعية ، ويفترسه الضياع والبحث المضني عن مستقبله الغامض . والفرصة الوحيدة لتجاوز هذا المأزق ، كانت تتلخص بضرورة النجاح المدرسي والحصول على منحة دراسية الى الخارج .

مأساة كامل الاولى ، ان والده، كغيره من معظم الاباء ، الذين يمضغون القات، ويصرفون مالهم ووقتهم عليه ، متناسين مسؤولياتهم الاسرية .

« ان امي قد باعت كل ما تملك من ذهب رخيص ، لتغطية نفقات تعليمي . وانا ، وهي ، نلحظ والدي . يمضغ وريقات القات بحاتميه ، ويسلم امي بضعة شلنات بشيكوكية مقيته ... » .

والمأساة الثانية هي (ام كامل) التي تمثل وضع المرأة . انذاك ، حيث صادر الرجل وانظمة الاقطاع حقها في اختيار شريك حياتها ، وحولاها الى دابة تلبي احتياجات الطرفين .

« لماذا تزوجته ... لماذا ... ؟ وهو لا يمد لها يدا الا وهي تشح من البخل ، ولا يحدثها . الا وحديثه غني بالالفاظ الجارحة المألوفة ... ولا يشعر بوجودها ككائن ، الا متى اراد قضاء حاجته الحيوانية ... ! » .

الطالب الفقير يفكر في مستقبله . لانه اذا لم ينجح بثمانية مواضيع في الثقافة العامة . فلا يمكن ان يكمل دراسته في جامعة ، ومن اين له ، وهو يعيش ظروف قاسية اجتماعية ومادية صورها لنا الكاتب ، اما اذا نجح ، فيقدم طلبا وينتظر طويلا . ثم يعمل مقابلة ليتم الاختيار ، حسب قوة الواسطة ، واذا قبل فالتخصص حسب ذوقهم .

اما الذي ينجح في مواضيع قليلة ، فاتته الفرصة ، وتأبد مدرسا في احدى

المدارس الابتدائية ، او كاتبا في دائرة حكومية حتى الممات ، وذلك ليس بهذه السهولة . وانما هناك الرشوات والوساطات والمحسوبيات التي تلعب دورا هاما في مصير الشخص .

القصة الثانية ، « تافه » ، تعكس احساس مدرس ، بعدم اهميته في الحياة، بعد ان اتهمته زوجته بأنه تافه ، « الاستاذ عمر بن عمر » مواطن يمني ، يسكن في حي شعبي فقير هو « شعب العماصير » ، ويدرس في مدرسة ابتدائية ، بدأ فيها ربيع شبابه حتى اصبح في خريفه .

فالناس ، انذاك ، تتوزع اهتماماتهم بين كرة القدم ، وافلام عنتر وعبله ، ومضغ القات . حول كرة القدم قام الحروب والمناقشات المطولة ، وعلى مدخل افلام عنتر وعبله يحتشد اناس يبحثون عن (متعة) ما ، فيما ينتظر الاخرون وصول القات . في ملل ومناقشات عقيمة . حياة روتينية سقيمة ، دفعت البطل الى تكرار التعبير عن قرفه من حشره في دور مدرس ابتدائي . ومن الصحافة الصفراء ، التي لا ترسم افقا للناس للخروج من هذا القاع الرتيب .

القصة الثالثة « وسيلة هدمت غاية » ، تعالج قضية المرأة التي تفقد معيلها . فتخطىء الطريق ، لكي تحمي نفسها وابنها من الضياع .

« علي » تلميذ ذكي ونشط في مدرسته. ولكنه بعد موت ابيه ، الذي لم يترك له ولامه عائلا بعد ان كان من اوائل الناجحين ، فجأة يتحول الى النقيض ، حتى سخرية الاصدقاء لا يرد عليها ويسكت في ذلة . « اسكت لو كنت محلك، لواريت نفسي خجلا .. ولكنك انت وقح وصفيق ! » .

فام ذلك التلميذ تحولت الى داعر، لكي تربي ابنها ، وتحمي ابنها ونفسها من الجوع ، فهذه الام الجاهلة لم تجد امامها سوى ذلك الطريق .

اما في « اللافتة » ، التي حملت المجموعة اسمها ، فكشف **كمال حيدر** التيار الانتهازي في الحركة الوطنية ، الذي يملأ الدنيا ضجيجا ولكن خارج الهدف الرئيسي . ولان تيار الانتهازية في الحركة العمالية وغيرها تبلور داخل عدن، اخذ **كمال حيدر** المدرسة كنموذج ، بعد سنتين من اندلاع الثورة المسلحة في جنوب اليمن ، وبالضبط في عام ١٩٦٥. وقدم نموذجين من المدرسين :

الاول « الاستاذ حافظ » مدرس الجغرافيا . المفتون بما عمله هانيس الهولندي . والذي وضع يديه على شق في الارض عندما احس ان الماء يتسرب منه ليغرق بلاده . و « حافظ » هو رمز المواطن اليمني الطيب ، الباحث عن نموذجه في البطولة في عدن كما في هولندا . وتتسع المدرسة لهذا النموذج الذي يتجسد في شخصية « الاستاذ صالح » .

الثاني « الاستاذ صالح » المدرس المحبوب والصحفي اللامع الذي يحرر في صحيفة « الشعلة » . ويكرس جهوده الكتابية لمهاجمة « الشركة الثنائية » ، ويصف كل من يعمل فيها « بالكلاب » ، « هؤلاء الذين يقتاتون من فضلات موائد اسيادهم » .

ان هذا التوازن الظاهري بين مادة الاستاذ حافظ وموضوع افتتانه هو الجسر الذي دخل عليه القاص لتحطيم الاستاذ صالح النموذج . ومما لفت نظر مدرس الجغرافيا ان زميله . المدرس والصحفي ، يعطي كل وقته وكتاباته لمهاجمة « الشركة الثنائية » ولا يلتفت الى « ما يجري في جنوب الجزيرة من امور » . اي لا يلتفت الى الثورة

المسلحة ، من جهة ، ولا الى الاستعمار ، من جهة اخرى . ليس هذا فحسب ، بل يمهد السؤال الاستنكاري الى الحدث ـ الفاجعة ، عندما يصل خطاب من الشركة الثنائية نفسها الى المدرس والصحفي صالح ، يفضه ويلتفت نحو زميله قائلا :

« بارك لي يا اخ حافظ ، فقد قبلت ككاتب في الشركة الثنائية بماهية فوق خيالك المتواضع وما يحتمله جيبك الضيق » .

أن انهيار النموذج المحلي امام مدرس الجغرافيا حافظ ، دفعه الى التعلق اكثر بهانيس ، النموذج الهولندي ، وهذه المرة لم يراهن على زميل في التدريس وانما على الاطفال الذين زرع بهم حب هانيس وامكان تطبيق نموذجه يمنيا .

وابله **كمال حيدر** ، في قصته «الابله» ، القصة الخامسة من المجموعة ، هو حالة خاصة تتقاطع فيها سماته المميزة مع الدلالة العامة . وما يميز حالته الخاصة انها علاقة بين زمنين ، زمن الصحة والصحو وزمن المرض والبله . فهو يمثل التناقضات التي لا يمكن حصرها :

« لم يكن ضعيفا هزيلا او سمينا ، في ثقل ظاهر » .

« ولم يكن شعره مرسلا هنديا ، او اجعد افريقيا » .

« ملابسه لا تنم عن غنى ولكنها ، في نفس الوقت لا يمكن وصفها بالهلاهيل !» .

« يبتسم ... ابتسامة بعيدة عن الشماتة ، كما ان نظراته جريئة بعيدة كل البعد عن الاختلاس » .

« له فم ساخر وشخصية لا يمكن وصفها بالكسل والتقاعس » .

ولكن الكاتب لا يكتفي بهذه السمات ، فيدخل الى المحيط الاسري للابله ، فهو

« ابن لاب جاهل ، اناني بوهيمي ! وام مخلصة مطيعة لبعلها ! اشقاء وشقيقات كان هو اخرهم ذاقوا حرقة الجوع ، والحرمان الروحي والمعنوي والمادي. قيل له انه مسلم » .

ان هذه الظروف التي كانت تريد دفع الابله الى الاستسلام والخنوع ، كانت تتعاكس مع طبيعة شخصيته . فهو يدرك ان الانجليز جاؤوا لتأديب اجداده تحت حجة مفتعلة بنهب سفينة داريادولت ، وعندما حاول الاستفسار من المدرسين عن هذه القضية وغيرها ، اكتشف عجزهم عن الاجابة ، بل ورغبة البعض منهم في التخلص منه ، لكثرة اسئلته .

المدرس ، انذاك ، المستسلم لنظام الوظيفة البريطاني ، والذي يطبق المنهاج رغما عنه ، فهو يدرس تاريخ الامبراطورية البريطانية اكثر من تاريخ اليمن ، هذا المدرس المسلوب الارادة ، هو محط سخرية واستنكار الابله .

وعندما عاد الابله من الدراسة في الخارج ، اصطدم مع اسرته ، ومحيطه الصغير ، ومجتمعه ، وهنا اراد تجاوز اسلوب وطابع المدرسين القدامى المسلوبي الارادة . حاول انقاذ اسرته المتفككة ، فاتهم بالجحود ، تحاور مع اصدقائه فاتهم بالزندقة واللغز . ولم يجد سوى البله بابا مفتوحا للعطاء !!

ان الكاتب وهو يرسم الواقع الجديد كان يعيد بناءه في الادب ليرسم افق المستقبل فيه ، ولكنه افق سلبي مجنون ، مشبع بالسلبية والاستسلام للواقع .

القصة الاخيرة ، « **ميلاد ثائر** » ، تتناول ، بشكل بانورامي ، مشكلات الواقع انذاك ، البطالة المتفشية ، الصحافة المتقاعسة عن واجبها ، المجلس التشريعي والانتخابات المزورة ، التوسع

في المباني الضخمة لعائلات الانجليز ، النقابات العمالية ودورها ، والوضع الاجتماعي للعائلة اليمنية الفقيرة .

« حامد ، كان ضحية الفقر ، والده تخلى عنه ، واحتضنته امه [illegible]نا ابيع الكعك صباحا ، وانتقل من منزل الى اخر كمصبنة للملابس ، لاصون اسمك وشرفي من الوحل » .

الاب « يمضغ القات ظهر كل يوم حتى المساء ويجوب الشوارع ليقتل مفعول المخدر وعواء الحيوان في نفسه » ، الى جانبه يقف القانون ، وعادات المجتمع ، وهي مستسلمة امامه ، يجرها الى المحاكم بشماتة ، فيما تنتظر قدرها بصمت ، مما اضطر حامد ان يقطع دراسته وان يبحث عن عمل .

وفي سعيه للبحث عن مصدر رزق ، استفظع حامد ان يتكدس الاجانب في الشركات والمصارف ، واما النفر القليل من العرب وجودهم كان اما عن طريق الرشوة او الوساطة . انه عرف معنى وطعم البطالة له وللاخرين ، واكتشف الوطن الذي تسلم مقدراته الاجانب .

نظر الى الصحافة لعلها تجيره ، ولكنها ظلت ماضية في اعلانات تهاني الزواج والدندنة والدعاية الكاذبة للقومية العربية بهدف المكسب المادي والمعنوي للكتاب .

وتصدمه الانتخابات المزورة للمجلس التشريعي . اناس يتنافسون على الكراسي والثراء وينطقون ، زورا ، باسم سكان عدن . فتتصدى لهم النقابات التي حولها البعض الى حصان للمكسب الشخصي .

وظل حامد يبحث عن عمل حتى شاهد « جمهرة من افراد الشعب ، تصنع الصندقات الخشبية والاسرة .. كمتاريس لشل حركة السيارات » .

كانت تلك العراقيل التي يضعها الشعب في وجه دبابات العدو ومصفحاته .. فيولد حامد من جديد ، وينخرط مع الناس في سد الطريق . « ولم يع حامد نفسه الا وقد امسك بعود ثقاب ، بعد ان جمع عددا من صناديق الاحذية واشعل النار فيها » .

كانت امنيته ان يهدي امه شيئا في حياته ، فتمنى ان يهديها حذاء من تلك التي احرقوها ، لكنه قاوم رغبته ، وفيما يحاول ان يعيد حذاء نسائيا وقع عليه ، التقطه ، وحاول قذفه الى النار ، فشعر بالدم ينزف من ظهره ، وبحيرة من الدم تحت صدره ، ثم سقط من شدة الاعياء» .

حقا لقد رسم (حامد) ، بدمه ، الطريق الفعلي للتخلص من البطالة في مجتمع يحتله الانجليز ويساعده حفنة من الاعوان المحليين ، ومثلما رسم حامد ملامح طريق جديدة ، رسمت (لافتة) للكاتب **كمال حيدر** ملامح طريق جديد للقصة القصيرة في اليمن .

اروى خلف

غابريل غارسيا . **مائة عام من العزلة** . بيروت ، دار الكلمة للنشر ، ١٩٧٩ .

● مائة عام من العزلة الرواية التي استنفذت من غابرييل غارسيا ماركيز جل وقته، بين عامي ١٩٤٥ و١٩٦٧ ، وبالرغم من انه اصدر عدة روايات في نفس الفترة، فقد بقيت مائة عام من العزلة روايته التي تستأثر باهتمامه . وغارسيا ماركيز روائي من امريكا اللاتينية (كولومبيا) ، وهو من الجيل الثاني بين روائي امريكا اللاتينية، الذين تأثروا بالثقافة الاوروبية . درس الحقوق في جامعة بوغوتا . وكان ملولا من الدراسة ، يستعجل انتهائها ، عمل صحفيا ، ونشر بعض القصص في المجلات المحلية . ثم اصبح عضوا في هيئة تحرير ال اسبكتادور ، الصحيفة الليبرالية في كولومبيا ، والتي كانت منبرا للمعارضة ، بما فيها اليسار . اقام في اوروبا بدءا من العام ١٩٥٤ ، كمراسل لهذه الصحيفة ، التي اغلقها الديكتاتور روجاس بنيلا ، في عام ١٩٥٥ ، كجزء من حملته ضد المعارضة . درس ماركيز الانتاج السينمائي في اوروبا ، خلال فترة اقامته فيها . بعد انتصار الثورة الكوبية، عمل ، بتوجيه من كاسترو ، على انشاء وكالة انباء كوبية في بوغوتا ، واصبح مديرا لها . تعرف في عام ١٩٦٠ الى تشي غيفارا ، اثناء زيارته الى هافانا ، وقامت بينهما صداقة حميمة ...

عدا كتابة الرواية ، مارس ماركيز نشاطات ثقافية اخرى ، ككتابة السيناريوهات لافلام الموجة الحديثة ، تحولت قصته ، لا لصوص في هذه المدينة، الى فيلم سينمائي ، عرض في مهرجان لوكارنو ، عام ١٩٦٥ .

عالم روايات ماركيز ، هو عالم امريكا اللاتينية ، التي عرفت الاستعمار، والديكتاتوريات المتعاقبة ، اكثر مما عرفت اي شيء اخر . ابطاله ، انسان امريكا اللاتينية وروايته . مائة عام من العزلة ، هي مجموعة من اللوحات ، ذات اللون الواحد ، والخط الدائري المغلق ،يتبدل في هذه اللوحات موقع الدوائر فيها ، وبالغاء عامل الزمن ، تقوم هذة اللوحات على تأكيد السكونية القائلة في هذا العالم ... فقد بدأت الرواية باورليانو الاول ، الواقف على خشبة الاعدام ينتظر الموت، وانتهت باورليانو الاخير ، الذي يتصفح اخر صفحات «ملكيادس الغجري» ، التي تحدد موته بانتهاء فك رموز اخر الصفحات ...

● تقع احداث الرواية في قرية ماكوندو، هذه القرية لم يكن لها وجود ، قبل مجيء جوزيه اركاديو بونيديا مع رجاله ، لقد قطع في شبابه هو ورجاله ، ومعهم نساؤهم واولادهم وحيواناتهم ... السير بحثا عن منفذ على البحر ، ولكنهم توقفوا عن مغامرتهم بعد ستة وعشرين شهرا ، وانشأوا قرية ماكوندو ، كي يجتنبوا العودة من حيث اتوا» . وفي هذه القرية «كان العالم جديدا ، حتى ان الاشياء كانت بلا اسماء تشير اليها الايدي كي تعرف عليها ...» ومع انها «كانت قرية سعيدة ما تجاوز فيها احد الثلاثين عاما ، ولا مات فيها احد» . فان جوزيه اركاديو بويندیا كانت تعتريه الرغبة بالرحيل عن هذه القرية «سوف نرحل وحدنا ، ما دام احد لا يريد» . لكن زوجته ، اورسولا ، تعارض الرحيل «لن نذهب ، سوف نبقى هنا ، لاننا هنا انجبنا ولدا» .. وهاتان الرغبتان ، الموزعتان بين الرحيل عن ماكوندو ، والبقاء فيها، تعاقبت في اصلاب عائلة بويندیا .... وتوضح الرواية هذا التمايز بسبب اصل كلمن الزوج والزوجة، فالزوج من المهاجرين الاوائل الى امريكا اللاتينية ، بينما الزوجة من ابناء البلد الاصليين «وبعد قرون من ذلك ، تزوج حفيد ابن المستعمرات ، حفيده الاراغوني، وعلى ذلك كانت اورسولا ، اذا اخرجتها نزوات زوجها عن طورها ، رجعت ثلاثة قرون الى الوراء ، فلعنت الساعة التي هاجم فيها فرنسيس دريك (ريوهاشا) . وبهذا المعنى تبدأ الرواية احداثها ، منذ تم اول اختلاط بين المعمرين الوافدين بالسكان الاصليين ... وتحكي عن ذلك الجيل الذي ولده هذا الاختلاط ، فجوزيه اركاديو الابن ولد في الطريق الى ماكوندو، واوريليانو بويندیا (العقيد) « اول مولود انساني في ماكوندو» ... لكن سيل المهاجرين لم ينقطع عن ماكوندو ، وعملية الاختلاط ـ التزاوج مستمرة ، فقد وفدت «روبيكا ، التي كانت تحمل خرجا من القنب ... فيه عظام ابويها» ، وتزوجت جوزيه اركاديو الابن، ... ثم وفد الدون «ابولينار موسكوته» مندوب الحكومة الى ماكوندو ، وتزوجت ابنته ريميدوس «اوريليانا بونديا العقيد» ، ... ثم حمل اوريليانو الثاني (فرناندا) ذات الاصل الارستقراطي الى ماكوندو، وحملت معها اناء العائلة الذهبي، الذي كانت تعتز انها «الوحيدة على الساحل التي تقدر ان تفخر بأنها لم تقض ابدا حاجة الا في اناء ذهبي» ... ثم عادت «امارانتا اورسولا» الحفيدة الثالثة الجدة ، بجاستون من اوروبا لتقيم معه في ماكوندو ... ورغم حبها للبلجيكي ، لم تستطع منع نفسها من اقامة الاتصال الجسدي بابن اختها « اوريليانو ـ اللقيط» .. وانجبت منه اخر اوريليانو ، الذي ولد وله ذنب خنزير ، الهاجس الذي كان يقلق اورسولا الجدة ، منذ ليلة زواجها من جوزيه اركاديو الاب ...

● هذه القرية التي كانت تتشكل وتنمو بزيادة عددها ، وزيادة عدد الوافدين اليها، كانت تبني معرفتها باكتشافاتها الخاصة ، واستخدام المعارف التي كان يجلبها الغجر معهم كل عام اثناء وفودهم الى القرية ، «عاد الغجر في اذار . حملوا معهم ، هذه المرة ، نظارة تقريب وعدسة بحجم الطبل، وعرضوهما على انها اخر اكتشافات يهود امستردام ...» وجوزيه اركاديو الاب كان ينتظر وفود الغجر ليقايض معرفتهم وادواتهم بغلاء ، ثم يبدأ بالتدرب على استخدام هذه الادوات لزيادة معارفه ، عندما اتقن استخدام ادواته ، توصل الى بعض المعرفة عن الفضاء ، مكنته من ان يطوف ببحار مجهولة، وان يكتشف اراضي عذراء ، وان يلتقي بمخلوقات عجيبة من دون ان يحتاج لمغادرة مكتبه» ... وليس جوزيه اركاديو ـ الاب الوحيد في عائلة

بويندیا ، الذي اقتصرت معارفه على علوم الغجر ، فأبناؤه واحفاده ايضا ، لم يخل جيل منهم من احد الاولاد يهتم بغرفة ملكيادس الغجري ، والبحث في مخطوطاته المكدسة عن المعرفة ، وكانوا جميعا يتخلون عن متابعة ذلك ، تشدهم الحياة اليها ، ويستخدم الكاتب المرأة مدخلا الى اكتشاف الفرح والانغمار في الحياة اليومية ... اخر اوريليانو في العائلة امضى اطول فترة مع مخطوطات ملكيادس ، وقضى يفك رموزها .. هذه المخطوطات ـ المعارف التي بقي اوريليانو معها في غرفة ملكيادس حتى «وصل سن البلوغ، وهو لا يعرف شيئا من عصره ، لو انه عالم بالثقافة الاساسية لانسان العصور الوسطى» ..

● كان لماكوندو ، قوانينها الخاصة بها، والتي تطابقت مع تنظيم حاجات سكانها ، ولم تعرف امرا صادرا من خارجها ، حتى جاءها «الكريجيدور» ابولينار موسكوته، الذي لم ينتبه له احد ، حتى اصدر امره الاول بطلي البيوت باللون الازرق، بمناسبة عيد الاستقلال الوطني ، وتعارض هذا الامر مع رغبة «جوزيه اركاديو ـ الاب» ، الذي كان قد قرر طلاء بيته باللون الابيض ، وبين الحكومتين ، التقليدية ، ممثلة بالاب «بويندیا» و حكومة الكوريجيدور ممثل السلطة التي لا يعرف اهالي ماكوندو شيئا عنها ، يبدأ صدام اهالي ماكوندو مع الدولة ، ويعلن جوزيه اركاديو الاب للدون ابولينار «ليمت الورقيات مصدر الطاعة في هذه القرية ، وليكن معلوما لديك اننا لسنا بحاجة هنا لكوريجيدور ، لانه ليس فيها ما ينبغي اصلاحه ... وروى له كيف اسس القرية ، وكيف وزعت فيها الاراضي، وشقت الطرق ، وكيف تحقق التقدم كلما دعت الحاجة اليه ، وتم ذلك دون ازعاج اية حكومة» ... لكن جوزيه اركاديو يقبل، بعد ان عاد ثانية ابولينار مع الجنود ، بوجود دولة بلا سلطة «حسنا يا صديقي، سوف تبقى هنا تقديرا لزوجتك وبناتك ، وليس من اجل قطاع الطرق الذين في بابك ... لكننا نضع شرطين : ان يصبغ كل امرىء بيته باللون الذي يحلو له ، والثاني ان يرحل الجنود للتو ، ونضمن من جهتنا استتباب الامن» ... وشيئا فشيئا تقاربت السلطتان وتزوج اوريليانو بويندیا ـ العقيد من ريميدوس ابنة الكوريجيدور ، وكما مثل الكوريجيدور حزب الحكومة (المحافظين) ، مثل العقيد حزب المعارضة (الاحرار) ... وكان ابناء عائلة بويندیا الذين تسلموا السلطة في ماكوندو اثناء الثورة التي قادها العقيد اسوأ ، واكثر استغلالا من ابولينار ، فجوزيه اركاديو الابن «سجل باسمه كل الارض التي يمكن ان يطالها النظر من المرتفع الذي عليه بستانه حتى الافق ، بما في ذلك المقبرة ، وان اركاديو ملأ جيوبه من عائدات الضرائب ، ومما كان يختلسه من السكان لقاء حق دفن موتاهم في ارض جوزيه اركاديو» ... اما الجيش الذي اول ما عرفه اهل ماكوندو مع الدون ابولينار عددا قليلا من الجنود .. اصبح مع الزمن اعدادا كبيرة ، مهمتها ارهاب اهالي القرية واخضاعهم لحساب السلطة ، والشركات الاجنبية التي جاءت ماكوندو ... هؤلاء الجنود «كانوا يشبه بعضهم بعضا ،كأنما ولدتهم ام واحدة ، اورثتهم نفس الغباء الذي يبدو عليهم ، وهم يحملون اكياس العسكر ، ومطراتهم ، ... ووباء الطاعة العمياء ، ومفهوما خاطئا عن الشرف» .

● كما عرفت ماكوندو السلطة والجيش، كذلك عرفت الاستعمار ، ممثلا في الشركات التي وفدت تنهب خيرات القرية ... ويستخدم غارسيا ماركيز رمزا لذلك شركة الموز ، ويصور الكاتب كيف ولجت شركة الموز هذا المجتمع «في يوم اربعاء ، لا يختلف عن سواه ، نزل في ماكوندو السيد هيربير الباسم السمين وتناول طعام الغداء

في بيت آل بويندیا ... وفي الاربعاء التالي جاءت جماعة من المهندسيين الزراعيين فقضوا اسابيع عدة يدرسون المنطقة ... وبعد ذلك بقليل وصل السيد «جاك براون» في عربة اضافية مقطورة الى اخر القطار الاصفر ... فيها مقاعد مخملية كبيرة .. ثم جلب الاميركيون زوجاتهم الثقيلات ... ما كان احد يعلم ماذا جاء يفعل هؤلاء الناس ... ترى ، هل كانوا فاعلي الخير للخير ؟ ..» ولم يخف اهالي ماكوندو موقفهم من شركة الموز فقد كانت فرناندا ترى «بكل بساطة ، ان الناس المحترمين هم الذين ليست لهم ادنى علاقة بشركة الموز ...» وشركة الموز لم تترك ماكوندو الا خرابا ، وقد اوقفت اعمالها في ماكوندو «خشية الاضطرار الى الاساليب القسرية ضد الجوع ، الذي نجم من الامطار الدائمة ...»

واختلف الناس ، بعد رحيل شركة الموز، حول دمار ماكوندو ، بين من يرى ان رحيلها سبب الخراب ، وبين من يرى ان وجودها ، اصلا ، سبب الخراب «ذات يوم اخذ احدهم يشكو دمار القرية بعد رحيل شركة الموز فعارضه اوريليانو (اللقيط) .. كانت حجته تختلف عما تقادم عليه الرأي العام ، كان يرى ان ماكوندو، وهي ارض خصبة ، عاشت عيشة راضية حتى جاءتها شركة الموز فزرعت الفوضى وافسدتها وعصرتها كثمرة ناضجة ... وما الطوفان الا من فعل مهندسيها ، صنعوه ذريعة كي لا يفوا بتعهداتهم للعمال ...» ... ولم ينته الاستعمار برحيل شركة الموز .. فقد جاء جاستون مع امارانتا اورسولا ، وبدأ يخطط لاقامة مطار في ماكوندو .. واثار سلوكه شكوك اهل القرية «ان دابه الشبيه بدأب هيربيرت ايقظ في القرية شكوكا خطيرة ، ذهبت الى انه لا ينوي وضع خطط للطيران ، وانما لزراعة الموز ...» ... وكما جاء براون في عربة خاصة ، ذات مقاعد مخملية ، فقد جاء جاستون ومعه دراجته التي «دولابها الاول اكبر بكثير من دولابها الثاني» ويقصد ماركيز من رسم صورة دراجة جاستون على هذه الصورة الى تأكيد التفاوت الكبير بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة المنهوبة .

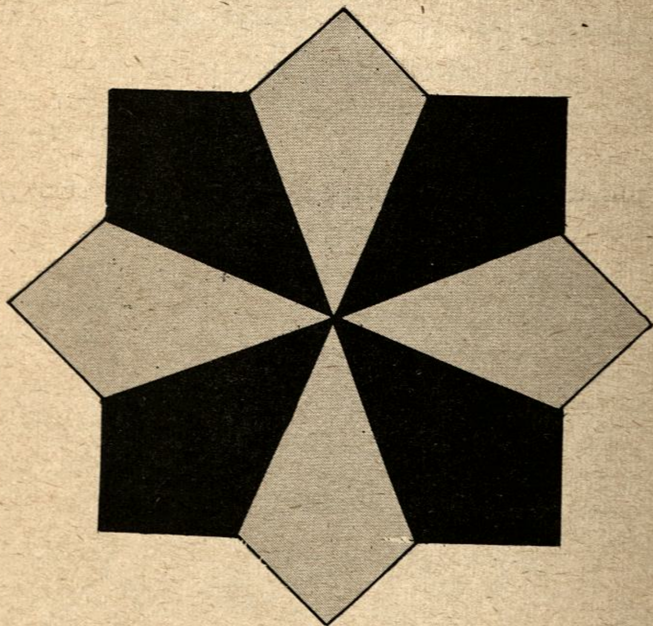
● هل وقف اهالي ماكوندو مكتوفي الايدي امام السلطة التي جاءت اليهم ، او امام الاستعمار الذي خربهم؟ .. وتقدم الرواية صورة عن نضالات اهالي ماكوندو، فمن القرية ظهر اوريليانو بويندیا «العقيد» الذي قاد اثنتين وثلاثين حربا ضد حكومة المحافظين ... لكنها كانت جميعها فاشلة ... وسبب فشلها الحزب السياسي (الاحرار) .. الذي كان همه الحصول على بعض المقاعد البرلمانية فقط .... وكما واجه العقيد حكومة المحافظين ، كذلك جوزيه اركاديو الثاني ، تزعم العمال في مواجهة شركة الموز ... انما كما انتهت حروب العقيد الى الفشل ، كذلك اضرابات عمال شركة الموز انتهت الى مجزرة «الثلاثة الاف عامل» . وكما انتهى العقيد في مشغله يصنع السبكات الذهبية ولم يغادره الا ميتا ، كذلك انتهى جوزيه اركاديو الثاني في غرفة ملكيادس ولم يغادرها الا ميتا ، ايضا ... ولما قدم جاستون وحاول التقرب من اوريليانو ـ اللقيط ، حلم اوريليانو بولادة ابناء يقودون اثنتين وثلاثين حربا ناجحة ... لكن الوليد الذي انجبه ولد وله ذنب خنزير ، وانتهى يأكله النمل .. هذه الاحباطات المتواصلة ، جعلت من اهالي ماكوندو ناسا خانعين يقبلون بما هو قائم ، ويشهد العقيد بويندیا هذا التحول «في ذات يوم من تلك الحقبة ، اخذ اخو العقيد مانيفيكوفيسبال ، حفيده ، وله من العمر سبع سنوات ، كي يتناول شرابا من احدى العربات التي اقيمت في الساحة ، واصطدم الطفل ، عن غير عمد ، برقيب

شرطة فقلب الكأس على بزته فقطعه الوحش اربا بفراعته ··· ولما تدخل الجد قطع رأسه بضربة واحدة ، ورأت القرية ، جميعا ، القتيل ··· كانت هذه الحادثة، عند العقيد بويندنا ، نهاية التعذيب ، واحس بنفس الغضب الذي عرفه في شبابه امام جثة المرأة التي قتلوها ضربا بالعصي ، لان كلبا عضها ··· صاح قائلا سوف اسلح يوما اولادي كي انتهي من تلك المزابل الامريكية، ··· لكن العقيد الذي استفزه الحادث كان يعرف «منذ ان رأى السيد براون في اول سيارة له داخلا ماكوندو ، غضب المحارب القديم عندما اطلق الناس صيحات اعجاب خانعة ، وادرك التبدل الذي حدث في طباع البشر » ·

● ضمن هذا الاطار ـ القرية ماكوندو ، وعلى هذه المحاور التي استعرضناها ، ومن خلال تعدد الوجوه ، يعرض لنا ماركيز حياة نماذج من انسان امريكا اللاتينية يتداخل فيها الواقع بالخيال ، والماضي في الحاضر ، والامكانية بالحلم ··· وان الاحاطة بكل الجوانب الحياتية ، التي تطرقت اليها الرواية ، في دراسة محدودة امر صعب ، وقراءتها ايسر وامتع ·

احمد شاهين

تقارير وبيانات



الرفاق / قيادة الجبهة الوطنية الديمقراطية

تحية طيبة وبعد ،

اننا نحيي نضالكم الباسل ضد قوى الطغيان والاستغلال التي تتحكم بجماهيرنا العربية في الشطر الشمالي من اليمن ، ونناشد كل القوى الوطنية العربية ان تقف الى جانبكم .

اننا نعاني مما يعانيه الشعب العربي في الشطر الشمالي من اليمن على يد الزمرة الحاكمة من نهب واضطهاد وعدوان على الحرمات واستغلال بشع .

لقد كشفت الزمرة الحاكمة في الشطر الشمالي من اليمن نفسها نتيجة كل ما فعلته داخليا وكشفت نفسها خارجيا باعلانها عن تأييد نظام السادات ، وسياسة كامب ديفيد الاستسلامية .

اننا نؤيدكم في نضالكم لاسقاط هذه الزمرة الرجعية الطاغية العميلة . ونحن على استعداد كامل للقتال الى جانبكم ضد اعداء اليمن وفلسطين والجماهير العربية .

فلتتحد كل القوى الوطنية والديمقراطية في اليمن من اجل انتصار الجبهة الوطنية الديمقراطية ، وسقوط حكم الزمرة الرجعية الباغية .

ولتتحد كل القوى الوطنية والديمقراطية العربية لتصعيد النضال ضد الامبريالية الامريكية والكيان الصهيوني والرجعية العربية .

الهزيمة للامبريالية والصهيونية والرجعية

والنصر لقوى الثورة العربية

٢ - ٣ - ١٩٧٩

ناجي علوش
الامين العام لاتحاد الكتاب
والصحفيين الفلسطينين

بيان من الامانة العامة
لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين

حول الهجوم الصيني على فيتنام

تواصل قوات حكومة الصين الشعبية هجومها على فيتنام رغم كل حملات الادانة العالمية لهذه الحرب المستهجنة .

ان الامانة العامة لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين اذ تدين هذه الحرب مؤكده ان الثورة الفيتنامية كانت ولا تزال ضمير الثورة العالمية . انها النبض الصادق لكل حركات التحرر في العالم . ولا يعيب فيتنام انها اختارت نهجا مستقلا في سياستها . ان ذلك من اسباب عظمة ثورتها .

ان الموقع الطبيعي للصين الى جانب ثوار فيتنام لا ان تكون سلاحا ضد تطلعاتهم لاعادة بناء وطنهم الذي دمره الامبرياليون الاميركان قبل ان تسحقهم الارادة الفولاذية الصلبة للشعب الفيتنامي البطل .

وان من يحارب فيتنام لا يمكن ان يكون حليفا لاية ثورة ولا لاية حركة تحرر في العالم .

ان الكتاب والصحفيين الفلسطينيين الذين اعتزوا دائما بالتراث الثقافي للثورة الصينية العظيمة بقيادة **ماوتسي تونغ** والذين ساهموا في نشر هذه الثورة بين صفوف مقاتلي الشعب الفلسطيني والامة العربية ، يحسون اليوم بالحزن والاسى للوضع الذي وصلت اليه سياسة حكام بكين . فمن تأييدهم لنظام الشاه المخلوع الى احتضانهم للسادات الى تصفيتهم للمجازر التي ارتكبت بحق التقدميين في السودان ... واخيرا محالفتهم مع الامبريالية الاميركية والذي كان من اولى نتائجه الحرب ضد فيتنام ، وهم الذين رفعوا ذات يوم شعار ان الامبريالية نمر من ورق .

ان الكتاب والصحفيين الفلسطينيين يؤكدون تلاحمهم مع الشعب الفيتنامي العظيم ويطالبون كل الكتاب والصحفيين العرب والتقدميين في العالم الى ادانة الهجوم الصيني والعمل على ايقاف هذه الحرب المجنونة .

لقد انتصر الشعب الفيتنامي دائما على الغزاة . ومن سخرية القدر ان يجد هذا الشعب البطل نفسه مضطرا لان ينتصر على (حليفته وصديقته) الصين !

عاش نضال الشعب الفيتنامي العظيم .

بيروت في ٢٣ - ٢-١٩٧٩

الامانة العامة
لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين

الامانة العامة لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين
تنعي الصحفي الوطني الكبير ابراهيم الشنطي

تنعي الامانة العامة لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين الى الشعب الفلسطيني وجماهير الامة العربية والى كل الكتاب والصحفيين الوطنيين والتقدميين في الوطن العربي والعالم وفاة الصحفي الوطني الفلسطيني الكبير **ابراهيم الشنطي** صاحب ورئيس تحرير جريدة «**الدفاع**» الذي خسرت الصحافة العربية بوفاته واحدا من ابرز اعلامها ، وخسرت الصحافة الفلسطينية رمزا من رموز الكلمة الملتزمة المقاتلة باستمرار من اجل حرية فلسطين وعروبتها ·

ان الامانة العامة لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين وهي تفقد **ابراهيم الشنطي** زميلا واستاذا ورائدا تعاهده وكل الرواد والشهداء من الكتاب والصحفيين ان تظل وفية للاهداف والمبادىء التي من اجلها كرسوا كل حياتهم ·

* ولد الفقيد في يافا ، عام ١٩١٠ ·
* تلقى دراسته الابتدائية في مدرسة «**دار العلوم**» في يافا ·
* انتسب لجمعيات وطنية ، وانتسب الى «**نادي الطلبة التهذيبي**» ·
* في عام ١٩٣٢ حصل على بكالوريوس العلوم السياسية من **الجامعة الاميركية** ببيروت · وكان عضوا في «**العروة الوثقى**» في الجامعة المذكورة ·
* عاد الى فلسطين وانضم الى هيئة تحرير جريدة «**الجامعة الاسلامية**» ودأب على كتابة « **حديث الشباب** » ·
* انضم الى «**حزب الاستقلال**» ·
* في شباط (فبراير) ١٩٣٤ اصدر جريدة «**الدفاع**» يومية في يافا · وفيها جرى التشديد على اعتبار الاستعمار البريطاني اصل البلاء الذي تعاني منه فلسطين والصهيونية هي الفرع بعد ان نجحت القيادة الاصلاحية للحركة

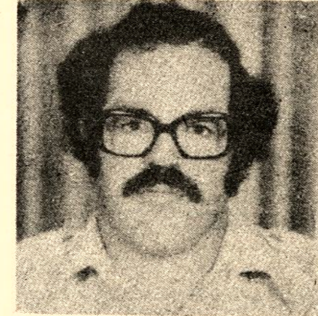
الوطنية الفلسطينية في نشر وهم « حياد » الاستعمار البريطاني بين العرب والصهيونية ، مع العداء لليهود كدين وليس للصهيونية كحركة سياسية رجعية عميلة للامبريالية ·

* بادر **ابراهيم الشنطي** الى الدعوة لتأسيس «**الحرس الوطني** » اثناء الاضراب السياسي العام ، سنة ١٩٣٦ ·
* اعتقلته سلطات الاحتلال البريطاني واودعته معتقل «**عوجا حفير**» بقضاء بئر السبع ·
* ولزمت «**الدفاع**» موقف الحياد ، تجاه الاطراف المتحاربة في الحرب العالمية الثانية ·
* وفي عام ١٩٥٣ اصدر ـ بالاشتراك مع المرحوم **اسعد داغر** ـ جريدة يومية في مصر ، هي «**القاهرة**» · استمرت في الصدور حتى عام ١٩٥٧ ·
* عاد بعدها الى القدس ليواصل الكتابة في « **الدفاع** » ، التي عاودت الصدور عام ١٩٥٠ ، بعد ضياع مقرها ومطابعها في يافا ، عام ١٩٤٨ ·
* غادر القدس عام ١٩٥٨ ، اثر الصراع السياسي في الاردن ·
* وبعد وقوع عدوان حزيران ١٩٦٧، ترك ابراهيم القدس الى عمان، حيث اعاد اصدار « **الدفاع** » للمرة الثالثة
* في الرابع عشر من آذار (مارس) ١٩٦٩ انتخب نقيبا للصحفيين ·
* سحبت السلطات الاردنية رخصة «الدفاع» · في حزيران (يونيو) ١٩٧١ · بسبب وقوفها الحاسم في خندق الثورة الفلسطينية · ومنذ ذلك الوقت رفض **ابراهيم الشنطي** كل الاغراءات واصر ان يظل ملتزما بالنضال الفلسطيني فقضى بقية حياته مشردا الى ان توفي في عمان يوم الاحد الموافق ١٥ ـ ٤ ـ ١٩٧٩ ·

الامانة العامة
للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين

بيروت في ١٩ ـ ٤ ـ ١٩٧٩

Free imprisoned Palestinian journalist



Adil Samara, writer and journalist

BORN in 1944, Adil Samara was arrested with some other intellectuals and students on November 25 last year. Their 'crime' was that they opposed the Begin Autonomy Plan which consolidates the Israeli occupation and denies the national rights of the Palestinian people.

Now they are being held in Ramallah Prison under barbarous conditions. Torture is being used against them to make them 'confess' to things they know nothing of.

We appeal to all friends of civil liberties and basic democratic rights to act at once.

- **Stop torture in Israeli jails**
- **Release all political prisoners**

Please send protest letters to the Israeli government in Tel Aviv, or fill in and send off the form below:

To The Israeli Prime Minister
Tel Aviv, Israel

I/we the undersigned protest against the detention of the Palestinian writer Adil Samara and request his immediate release.

Signature ....

Date ....

Published by the Committee to Assist Palestinian Artists, Box 200, 142 Drummond Street, London NW1
Printed by Grafton Litho Ltd, 150 Stonhouse Street, London SW4 6BE

بيان من الامانة العامة
لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين

ذكرت انباء واردة من الوطن المحتل ان عددا من الذين يمارسون العمل الصحفي في صحف العدو الصهيوني ، قد تقدموا بطلب لوزارة داخلية العدو يطلبون فيه ترخيصا لانشاء ما يسمونه نقابة للصحفيين الفلسطينيين في الاراضي المحتلة ·

ان الامانة العامة لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، وهي تستنكر هذه الخطوة وتشجبها يهمها ان تؤكد ما يلي :

اولا : ـ ان هذه الخطوة هي جزء من عملية التمهيد التي يقوم بها العدو لاقامة مؤسسات وهمية تساهم في تمرير الحكم الذاتي ·

ثانيا : ـ ان بعض الذين تقدموا بطلب التأسيس عملاء معروفون للعدو الصهيوني وللنظام الهاشمي معا ، ومنهم **جميل حمد** المتهم بقتل الصحفي الفلسطيني **يوسف نصر** صاحب جريدة **الفجر** ، **وابراهيم دعييس ومحمد عميرة** ، وغيرهم من الادوات المشبوهة والعميلة ، التي تعرف جماهيرنا في الارض المحتلة دورها وارتباطاتها ·

ثالثا : ـ ان الكتاب والصحفيين الفلسطينيين في الارض المحتلة قدعبروا دوما عن التفافهم حول منظمة التحرير الفلسطينية · ولقد سبق لهم ان اقاموا بينهم اشكالا من التنسيق تمكنهم من المساهمة في خدمة قضية شعبهم · والكتاب والصحفيون الفلسطينيون في الارض المحتلة براء من هذه الزمرة المأجورة ·

ان الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين الذي يشرفه ان يمثل كل الكتاب والصحفيين الفلسطينيين داخل الوطن المحتل وخارجه ، يتوجه الى كتابنا وصحفيينا المناضلين داخل الوطن المحتل بتحية التقدير والاعجاب ، واثقا من قدرتهم على احباط هذه المناورة الخسيسة · وهو في الوقت الذي يحذر فيه زمرة العملاء يطلب من جميع الهيئات الصحفية العربية والدولية ومن جميع الصحفيين في العالم عدم التعامل مع هذه النقابة المزعومة · وهو يعتبر اي اتصال مع هذه النقابة عملا معاديا للثورة الفلسطينية بشكل عام وللاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينين بشكل خاص ·

عاشت فلسطين عربية حرة

بيروت ٢١ ـ ٢ ١٩٧٩

بيـــان

من الامانة العامة للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين

نشرت احـدى الصحف الصادرة امس في بيروت بأن الاخ معين بسيسو سيسافر الى اديس ابابا لحضور الاجتماع التحضيري لاتحاد كتاب اسيا وافريقيا ٠ ويهم الامانة العامة لاتحادنا توضيح ما يلي :

١) انها لم تخول الاخ معين بسيسو بصلاحية تمثيلها في هذا المؤتمر او في اي مؤتمر اخـر ٠

٢) ان ممثليها الى الاجتماع المذكور هم الاخوة : بسام ابـو شريـف ، مسؤول العلاقات الخارجية ، جميل هـلال ، مسؤول العلاقات المهنية ، وعلي اسحق ، عضو الامانة العامـة ٠٠

بيروت في ٨ـ٣ـ١٩٧٩

بيـان

عقدت سكرتارية الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين اجتماعا ، في بيروت ، مساء ١٩ـ٣ـ١٩٧٩ ٠ حيث ناقشت التقرير المقدم من وفد الاتحاد الذي سافرالى اديس ابابا لمتابعة اجتماعات اللجنة التحضيرية لمؤتمر اتحاد الكتاب الافرو آسيويين ، والمؤلف من الاخوين بسام ابو شريـف ، مسؤول العلاقات الخارجية ، وعلي اسحاق ، عضو الامانة العامة ٠

وقررت ما يلي :

١ ـ عدم الاعتراف بأي اجراء قام به الاخ معين بسيسو ، باسم الاتحاد ، وابلاغ ذلك الى جميع الجهات المعنية ٠

٢ ـ التمسك بترشيح فلسطين لمنصب الاميـن العام لاتحاد الكتاب الافرو آسيويين ، على تكون دمشق مقرا لهذا الاتحاد ، كما نصت على ذلك قرارات اتحاد الادباء والكتاب العرب ٠

٣ ـ دعوة الامانة العامة الى الاجتماع لبحث ممارسات الاخ معين بسيسو ، واتخاذ ماتراه من اجراءات في هذا الصدد ٠

بيروت في ١٩ـ٣ـ١٩٧٩

سكرتارية
الاتحاد العام
للكتاب والصحفين الفلسطينيين

اجتماع اللجنة التنفيذية

للمركز العربي للدراسات الاعلامية

اجتمعت اللجنـة التنفيذيـة بتاريخ ٣ آذار الحـالي بدمشق وناقشت جدول الاعمال المبين ادناه واتخذت القرارات المبينة ٠

جدول الاعمال :

١ ـ انشاء مقر المركز ٠
٢ ـ ميعاد سفر اللجنة المالية للقاهرة ٠
٣ ـ نشاطات المركز لعام ١٩٧٩ ٠
٤ ـ تخويل الامين ببعض الصلاحيات ٠
٥ ـ فتح حساب المركز في المصرف حالا ٠
٦ ـ توزيع المهام على اعضاء اللجنة ٠

١ ـ يسعى رئيس المركز الدكتور صابر فلحوط الى تدبير مكان مناسب وموقت كمقر للمركز في المركـز العربي الاذاعي والتلفزيوني يعتمد مبلغ قـدره ـ ١٥ ـ خمسة عشرة الف دولار كايجار لمقر جديد وكذلك تاثيثه ٠

٢ ـ تخويل الامين العام بتجهيز الاتصالات الملازمة (تلكس ـ هاتف) ٠

٣ ـ تقرر سفر اللجنة الماليـة المؤلفـة من السيدين يوسف العليان ومصطفى السباعي الى القاهرة يوم ـ ٨ ـ الحالي ٠

٤ ـ تقرر ان تجتمع اللجنة التنفيذية يوم ـ ٢٠ ـ آذار الحالي في دمشق ٠

٥ ـ تخويل الامين العام للمركز صلاحيـة تعيين العمـال المحليين وصرف أجورهم وتعويضاتهم ومكافآتهم ٠

٦ ـ تخويل الامين العام بفتح حساب باسم المركز في احد المصارف السورية المناسبـة ٠

٨ ـ تقرر دعوة الدكتور فريد ايار امين عام اتحاد وكالات الانباء العربيـة لحضور اجتماع اللجنة التنفيذية القادم ٠

٩ ـ يخول الرئيس بصرف مكافأة مناسبة للذين ساهموا في انجاح الـدورة الخامسة ٠

١٠ ـ تقرر توجيه برقية شكر للسيد الرئيس حافظ الاسد وخولت رئيس المركز باعدادها وارسالهـا ٠

١١ ـ تقرر ارسال رسائل برقيات لاعلام المنظمات والمؤسسات العربية والدولة بقرارات مجلس الامناء في دورته الخامسة المنعقدة في دمشق وتوجيه شكر لهذه المنظمات على تعاونها ٠

رئيس المركز العربي للدراسات الاعلامية للسكان والتنمية والتعمير	الامين العـام
د/ صابر فلحوط	**الزبير سيف الاسلام**

بيان صادر عن الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين

تواصل السلطات الاردنية حملتها القمعية والارهابية ضد جماهير شعبنا في الاردن وضد الهيئات والقوى الوطنية التي قامت باعلان رفضها للمعاهدة الخيانية المصرية ـ الاسرائيلية فقامت بالتصدي القمعي للمسيرة السلمية التي نظمتها نقابة المحامين والمسيرة السلمية لطلبة الجامعات الاردنية ، والمظاهرات الاحتجاجية على المعاهدة التي قامت بها جماهير المخيمات · كما اعتقلت أعضاء المجلس الوطني ، أسامة شنار ، تيسير زبري ، عزمي الخواجا ، وقتلت تحت التعذيب المناضل عمر موسى حامد ، وحكمت بالاعدام على المناضلين ، محمود النويهي وراسم الهندي ، وفرضت جوا ارهابيا شاملا في معظم المدن وكافة المخيمات الفلسطينية ، وأطلقت العنان لمخابراتها وقوى الامن للتنكيل بالحركة الشعبية وافتعال النعرات الاقليمية البغيضة ·

لقد جوبه الاضراب الطلابي ، احتجاجا على الاعتقالات والتنكيل، بطرد عشرين طالبا · ان هذه الاجراءات تاتي في وقت تتبجح فيه السلطات الاردنية بالالتزام بقرارات مؤتمر بغداد لوزراء الخارجية والاقتصاد العربي ، وفي وقت يستانف فيه الحوار بين الاردن ومنظمة التحرير لمجابهة مشروع الحكم الذاتي التصفوي واخطار المعاهدة المصرية ـ الاسرائيلية الخيانية ·

ان هذه الممارسات تؤكد مجددا أن موقف السلطات الاردنية من التقارب مع منظمة التحرير الفلسطينية ومن تاييد قرارات بغداد ليس الا موقفا مخادعا ، ولتؤكده كذلك ، ان هذه السلطات تريد تحويل الحوار مع المنظمة الى غطاء لاطلاق العنان لقمعها ضد الجماهير وضد القوى والهيئات الوطنية ·

ان الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، اذ يدين هذه السياسة المخادعة والاجراءات القمعية التي تمارسها السلطات الاردنية ، يدعو كافة الاتحادات المهنية العربية والعمالية الى رفع صوتها ضد هذه الاجراءات والى المطالبة بايقاف حملات القمع والارهاب ضد شعبنا في الاردن وضد الاتحادات والقوى والهيئات الوطنية ، والى اطلاق الحريات الديمقراطية · واطلاق سراح المعتقلين السياسيين فورا ، والى عودة الطلاب الذين فصلوا من الجامعة الاردنية والاستجابة لمطالب الطلاب في تشكيل اتحاد وطني لهم ·

للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين
الامانة العامة

١٤ ـ ٤ ـ ١٩٧٩

قرار

بالنظر للعراقيل التي وضعها السيد عبد المنعم الصاوي رئيس المركز في طريق المركز ومحاولاته المتكررة لتخريب المركز واحتوائه واقحام المركز بالشؤون السياسية بما يتعارض مع أهداف المركز المهنية ·

وبعد استماع المجلس للتقرير المفصل والشامل المقدم من قبل السيد الزبير سيف الاسلام الامين العام للمركز والمدعم بالادلة والوثائق أصولا وبعد القناعة الاجمالية المتوفرة لدى مجلس الامناء بعدم اهلية السيد الصاوي لرئاسة المركز لهذا قرر المجلس :

حجب الثقة عن السيد عبد المنعم الصاوي كرئيس للمركز بالاجماع ·

الزبير سيف الاسلام
الامين العام

مجلس الامناء

د/ صابر فلحوط
رئيس المركز

برقية جوابية
من اتحاد كتاب المغرب

ان اتحاد كتاب المغرب انطلاقا من مقررات مؤتمره السادس وشعورا بارتباط المثقف المغربي بقضايانا القومية وعلى رأسها تحرير الارض العربية وبناء الدولة الفلسطينية الديمقراطية يدين بشدة اتفاقية الخيانة والاستسلام ويعتبرها ضربة لحركة التحرير العربية ومؤامرة امبريالية صهيونية تهدف عزل الشعب المصري · نعبر عن تضامننا المطلق للثورة الفلسطينية ممثلة في م· ت· ف ونحيي النضال الذي تخوضه الجماهير العربية تضامنا مع الشعب الفلسطيني بمناسبة يوم الارض وندعو جميع المثقفين العرب للالتفاف حول حركة التحرير الفلسطينية واتخاذ مواقف عملية لمساندتها ·

تاريخ الوصول : ٦ ـ ٤ ـ ١٩٧٩

انتخاب فلسطين (حنا مقبل أمينا) عاما لاتحاد الصحفيين العرب

في الفترة بين الاول والثاني من نيسان ١٩٧٩ ، انعقد ـ في بغداد ـ المؤتمر العام السادس لاتحاد الصحفيين العرب ، حيث أقر النظام الداخلي الجديد للاتحاد ، وتبنى ورقة عمل سياسية ، شارك وفد اتحادنا بتقديمها مع كل من نقابة الصحفيين السوريين ونقابة الصحفيين العراقيين .

وفي هذا المؤتمر انتخبت فلسطين ، لاول مرة منذ تأسيس الاتحاد ، لمنصب الامين العام للاتحاد ، حيث فاز بهذا المنصب ، بالاجماع ، الاخ **حنا مقبل** ، أمين سر الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين .

وتم انتخاب الامانة العامة الجديدة لاتحاد الصحفيين العرب على الشكل التالي :

الرئيس : **سعد قاسم حمودي** .

الامين العام : **حنا مقبل** .

نواب الرئيس : **الدكتور صابر فلحوط** .

سامي المنيس .

ملحم كرم .

حراث بن جدو .

راكان المجالي .

أعضاء الامانة : **سجاد الغازي** .

محمد العربي المساري .

عبد الباري طاهر .

خليل نحوي .

محمد الزين عمارة .

عمر عليم .

كما تم انتخاب **وفيق الطيبي** مديرا للمعهد القومي للاتحاد ، **وضياء حسن** نائبا له .

وفي اجتماعها الذي عقدته صباح الثلاثاء الموافق ١٩٧٩/٤/٣ ، قررت الامانة العامة تسمية **الدكتور صابر فلحوط** نائبا أول لرئيس الاتحاد .

الثمن : ٥ ليرات لبنانية

